فتح المجيد

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ٣١٧٥/ ٢٠٠٣

دار ابن رجب
طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٣٣٨٣٠٣٥
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

فتح المجيد

لشرح كتاب التوحيد

تأليف

الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

راجعه وصححه سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

أشرف على تحقيقه وقدم له

مصطفى بن العدوي

حققه وخرج أحاديثه

أبو عبد الرحمن محمد العداوي

دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فلا يخفى أن أفضل العلوم على الإطلاق علم التوحيد فبتوحيد الله عز وجل تورث الجنان وتتقى النيرانُ وبالشرك بالله تحبط الأعمال وتستوجب النيران .

فمن ثم لزمنا أن نوحد ربَّنا عز وجل وأن نقف على علم ذلك حتى يعبد الربُّ على بصيرة ومن أفضل الكتب التي جمعت العلم بذلك ـ بعد كتاب الله عز وجل ـ كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب مع شرحه «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى .

ثم يزداد النفع بتعليقات الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى ثم توالى النفع بتحقيقات إخواننا العلماء وطلبة العلم للأحاديث والآثار الواردة في هذا كله .

ومن هذه التحقيقات المتعلقة بالحكم على الآثار صحة أو ضعفًا : التحقيق الذي بين أيدينا وهو لأحد إخواننا في الله من طلبة العلم ألا وهو الأخ محمد العلاوي حفظه الله تعالى فقد قام بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتابين «التوحيد وفتح المجيد» والحكم على هذه الأحاديث والآثار بما تستحقه صحةً أو ضعفًا فأفاد في ذلك وأحسن وأجاد جزاه الله خيراً على ما قدَّم وصنَعَ وقد نظرتُ في جملة كبيرة من الكتاب وتحقيقات أخي محمد وتعليقاته فألفيتُها

نافعةً موفقةً ولله الحمد.

فاللهَ أسأل أن يجازيه خيراً على ما قدَّم وصنَعَ كما أسألهُ سبحانه أن يرحم برحمته الواسعة مؤلف الكتاب وشارحه ومراجعه وناشره وأن ينفع به المسلمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

بســـم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله ، فلا مضل له ، ومن يضلل ، فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد...

فإن علم التوحيد هو العلم الأساس الذي تجدر العناية به تعلمًا وتعليمًا وعملاً بموجبه ، لتكون الأعمال صالحة مقبولة عند الله عز وجل، نافعة للعاملين، فالأعمال الصالحة بنيان أساسه التوحيد الخالص، ومن أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وأحكامه، وشدة الإعتناء به، كذا كان أشرف ما يتعلمه الإنسان ويعلمه لغيره أمور التوحيد، وأحوط ما يحتاط ويتسلح الإنسان به معرفة معالم الكفر وأسبابه، فإن كان على بصيرة عن هذين الأمرين، عرف الإنسان طريق سعادته، فالتزمه، ولم يحد عنه ، وطريق شقائه، فاجتنبه.

وكل دعوة للإسلام نجد لا تقوم على التوحيد الخالص لله تعالى، ولا تأخذ طريقها إلى مشرع سلف الأمة الصالح، فهي تائهة مخذولة مهزومة ، وإن توهمت غير ذلك، لا تصبر على لقاء، ولا تجسر على حق ، ولا تحتمل المواجهة وما كتاب «« فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب الذي نقدم له، إلا قبس من شعاع الدعوة السلفية القائمة على التوحيد الخالص.

وقمت بتحقيق الكتاب وتبين صحيح حديثه من سقيمه ، فما كان في

البخاري ومسلم أو أحدهما ، اكتفيت بالعزو إليهما أو إلىٰ أحدهما ، وما كان خارج الصحيحين بذلت جهدي في تخريجه والحكم عليه .

وقد اعتمدت في تحقيق النص علىٰ ثلاث نسخ مطبوعة .

الأولى : طبعة دار الصميعي تحقيق د/ الوليد آل فريان ومما تتميز به هذه النسخ عن غيرها أنها روجعت علىٰ حوالي خمس نسخ خطية .

الثانية: طبعة مؤسسة قرطبة تحقيق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود .

الثالثة: طبعة دار الفضيلة راجع حواشيها وصححها وعلق عليها الشيخ عبد العزيز بن باز وقد صححت ما ندَّ أو سقط أثناء النسخ أو الصف أو الطباعة .

واكتفيت بذكر ترجمة موجزة للمصنف العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب وقد سبق لي ذكر ترجمة للإمام محمد بن عبد الوهاب والكلام علىٰ كتاب التوحيد في تحقيقي لشرح كتاب التوحيد للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ط . دار الضياء بطنطا سائلاً المولي عز وجل أن نكون من أهل التوحيد الخالص، والعمل الصالح ، فإنه علىٰ كل شيء قدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تحقيق وتعليق
أبي عبد الرحمن
محمد بن علي العلاوي
منية سمنود/ دقهلية / مصر

* * *

ترجمة موجزة «للشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب»(*)

نسبه وميلاده: هو العلامة المجدد الثاني، الشيخ أبو الحسن، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب. ولد في الدرعية، والواقعة إلى الشمال من مدينة الرياض سنة ١١٩٣هـ، قبل وفاة جده الإمام محمد بن عبد الوهاب بثلاث عشرة سنة.

نشأته: مات والده وهو صغير، فتولى رعايته والعناية به جده الإمام محمد بن عبد الوهاب، ثم وجهه إلى طلب العلم في وقت مبكر. فحفظ القرآن في التاسعة وأخذ عنه بعض «كتاب التوحيد» إلى أبواب السحر، وجملة من كتاب «آداب المشي إلى الصلاة»، وحضر القراءة عليه في كتب التفسير والحديث والأحكام. ولم يزل ينقلب في تلك الأوفياء الوارفة الظليلة، حتى أدرك علمًا غزيرًا في مدة قصيرة، لما حباه الله من الذكاء وجودة الفهم، والصبر على المطالعة.

شيوخه: أخذ العلم عن طائفة من علماء عصره، في نجد ومصر، ومنهم:

(١) جده الإمام، محمد بن عبد الوهاب «ت١٢٠٦هـ».

(٢) «العلامة الشيخ» عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «ت١٢٤٣هـ».

(٣) الشيخ الجليل، حمد بن ناصر بن معمر «ت١٢٢٥هـ».

(٤) المؤرخ الشيخ، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي «ت١٢٤٠هـ».

(٥) النحوي المؤرخ، حسين بن غنام «ت١٢٢٥هـ».

(٦) الشيخ، إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر «ت١٢٧٧هـ».

أعماله: عينه الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد «ت١٢٢٩هـ» في قضاء الدرعية عاصمة الدولة آنذاك، ثم نقله الأمير عبدالله بن مسعود «ت١٢٣٤هـ» إلى مكة.

ولما اجتاحت جيوش محمد علي «باشا» الدرعية سنة ١٢٣٣هـ انتقل إلى مصر مع أفراد

(*) هذه الترجمة مستفادة من تحقيق فتح المجيد ط. الصميعي (ص ٣٣ وما بعدها).

أسرته، واستقروا هناك. وفي سنة ١٢٤١هـ تمكن من العودة إلىٰ نجد، بعد استعادة الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود «ت١٢٤٩هـ» الحكم فأعاده إلىٰ القضاء، واتخذ منه مستشاراً فيما يعرض له من الأمور الخاصة والعامة، وساهم معه في إحياء الدعوة وتطهير البلاد مما أصابها من الشرور والفتن، واشترك في معظم الغزوات التي خاضها الإمام تركي تحت راية التوحيد. وما برح كذلك في ولاية الإمام فيصل «ت١٢٨٢هـ» وعهد الأمير عبدالله «ت١٣٠٦» حتىٰ فارق الدنيا.

مصنفاته: ألف رحمه الله مجموعة من الكتب، التي تشهد بطول باهة في التفسير والحديث والفقه. مع أنه كان مشغولاً بالقضاء، والتدريس والدعوة، وغير ذلك.

وقد ذكر له مايلي.

(١) فتح المجيد وهو كتابنا هذا.

(٢) قرة عيون الموحدين.

(٣) القول الفصل النفيس.

(٤) المقامات في تاريخ الدعوة.

(٥) المحجة.

(٦) بيان كلمة التوحيد وغيرها.

أبناؤه وطلابه: انجب خمسة أولاد: محمد، وإسماعيل، وعبداللطيف، وإسحاق، وعبدالله. ولهؤلاء الثلاثة عقب. وقد أخذوا عنه، وأخذ عنه أعداد كبيرة من الطلاب في الدرعية يوم أن كانت عاصمة الدولة، وفي الرياض لما انتقل إليها، وتوافدوا عليه من كل مكان.

يقول ابن بشر: أخذ عنه العلم خلق كثير، لا يُحصىٰ. فنفع الله الطالب بعلمه، بحيث لا يلبث عنده إلا يسيراً حتىٰ يكون فائق بفهمه. وضربت إليه آباط الإبل من جميع نواحي نجد والأحساء، وظهرت أثر البركات في تعليمه.

فتخرج في حلقاته الجامعة، الكثير من العلماء والقضاة وأهل الفضل والسابقة ومنهم:

(١) نجله العلامة الكبير، عبداللطيف بن عبد الرحمن.

(٢) القاضي الجليل، حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب.

(٣) الشيخ، حمد بن علي بن عتيق.

(٤) الشيخ، عبد الرحمن بن عدوان.

(٥) الشيخ، سليمان بن سحمان.

(٦) الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عجلان.

(٧) الشيخ، محمد بن إبراهيم بن محمود.

وفـاتـه: امتد به العمر ممتعًا بكامل حواسه إلى أن أدركه الأجل عشية يوم السبت حادي عشر ذي القعدة من عام ١٢٨٥هـ، في مدينة الرياض. وصلى عليه بجامعها الكبير، ودفن في مقبرة العود.

فأصيب الناس بفقده، وبكاه العلماء والعامة، وأسفوا عليه. وكتبت في رثائه القصائد. رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في مستقر رحمته.

ثناء العلماء عليه: نال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في حياته الثناء والتقدير البالغ، من صفوة أهل عصره. فمدحوه، وأشادوا بمواقفه ومواهبه، وأظهروا له التبجيل والاحترام.

يقول ابن بشر: الشيخ العالم النحرير، والبحر الزاخر الغزير. مفيد الطالبين ومرجع الفقهاء والمتكلمين، المحفوف بعناية رب العالمين. جامع العلوم الشرعية. ومحقق العلوم الدينية، والأحاديث النبوية والآثار السلفية وارث العلم، كابراً عن كابر. الذي قصرت عن استنباطاته العلماء والأكابر، وصارت الأصاغر بإفاداته شيوخًا أكابر. ورجع العلم به غضًا، بعد ما كان دابراً. ناصر شريعة سيد المرسلين، الموفق للصواب في الجواب، الحافظ المتقن.

ويقول ابن عيسى: الشيخ الإمام العالم الفاضل القدوة. رئيس الموحدين، وقامع الملحدين. كان إمامًا بارعًا، محدثًا فقيهًا. له اليد الطولى، في جميع العلوم الدينية.

كما كان محل صفاوة زعماء نجد، في وقته. وهو المتصدر للدروس، التي كانت تعقد في مجالس الإمام تركي والإمام فيصل، في الحل والترحال.

يقول ابن عيسى: وكان رحمه الله تعالى ورعًا تقيًا صالحًا، ملازمًا للتدريس مرغبًا للعلم، معينًا عليه، كثير الإحسان للطلبة، لين الجانب كريمًا سخيًا ساكناً، وقوراً كثير العبادة[1].

* * *

---

(١) من مصادر ترجمته: المؤلف «مجموعة الرسائل والمسائل» (٢/ ٢٠ ـ ٢٤)، وابن بشر «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ١٩١، ٢/ ٤١، ٤٦)، وابن عيسى، (عقد الدرر) (٥٤ ـ ٦٢)، وإسماعيل باشا، «إيضاح المكنون» (٢/ ١٧٢)، و«هدية العارفين» (١/ ٥٥٨)، وابن قاسم، «الدرر السنية» (٦٠)، والزركلي «الأعلام» (٣/ ٣٠٤)، وكحالة، «معجم المؤلفين» (٥/ ١٣٥)، وعبد الرحمن ابن عبد اللطيف، «مشاهير علماء نجد» (٧٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعينُ وعليه التُّكلان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين ولا عُدوان إلاَّ على الظالمين - كالمبتدعة والمُشركين - وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهُ الأوَّلين والآخرين وقَيُّوم السماوات والأرَضين. وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله وخِيرتُه من خلقه أجمعين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وأصحابه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ كتابَ التَّوحيد - الذي ألَّفه الإمامُ شيخُ الإسلام، محمَّد بن عبد الوهَّاب، أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له ومن أجاب دعوتَه يوم يقوم الحساب - قد جاء بديعًا في معناه: من بيان التوحيد ببراهينه، وجمعِ جُملٍ من أدلته لإيضاحه وتبيينه. فصار عَلَمًا للموحِّدين، وحُجَّةً على الملحدين. فانتفع به الخلقُ الكثير، والجمُّ الغفير.

فإنَّ هذا الإمام رحمه الله في مُبتدأ نشأته، قد شرح الله صدرَه للحق المُبين، الذي بَعث به المرسلين: من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما عليه الكثيرُ من شرك المشركين.

فأعلى الله همَّته، وقوَّى عزيمته، فتصدَّى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد - الذي هو أساسُ الإسلام والإيمان - ونهاهم عن عبادة الأشجار والأحجار، والقبور والطواغيت والأوثان، وعن الإيمان بالسَّحرة والمنجِّمين والكُهَّان.

فأبطل الله بدعوته كلَّ بدعة وضلالة يدعو إليها كلُّ شيطان، وأقام الله به عَلم

الجهاد، وأدْحَض به شُبَه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودانَ بالإسلام أكثرُ أهل تلك البلاد، الحاضر منهم والباد، وانتشرت دعوته ومؤلفاتُه في الآفاق، حتىٰ أقرّ له بالفضل من كان من أهل الشقاق إلاَّ من استحوذ عليه الشيطان وكرّه إليه الإيمان، فأصرَّ علىٰ العناد والطغيان.

وقد أصبح أكثرُ أهل جزيرة العرب، بدعوته كما قال قتادةُ رحمه الله تعالىٰ عن حال أوَّل هذه الأمة: إنَّ المسلمين لَمّا قالوا: لا إله إلاَّ الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، وضاق بها إبليسُ وجنوده. فأبىٰ الله إلاَّ أنْ يُمْضيها ويظهرها، وينصرها علىٰ من ناوأها. إنَّها كلمةٌ من خاصم بها فَلَج، ومن قاتل بها نُصر. إنما يعرفها أهلُ هذه الجزيرة التي يقطعها الراكب في ليالٍ قلائل، ويسير من الدهر في فئام من الناس، لا يعرفونها ولا يُقرُّون بها.

وقد شرح الله صدورَ كثيرٍ من العلماء لدعوته، وسرُّوا واستبشروا بطلعته، وأثنوا عليه نثراً ونظماً.

فمن ذلك، ما قاله عالمُ صنعاء: محمد بن إسماعيل الأمير، في هذا الشيخ رحمه الله تعالىٰ شعراً:

وقد جاءت الأخبارُ عنه بأنه ... يُعيد لنا الشرعَ الشريف بما يُبدي
وينشر جهراً ما طَوى كلُ جاهل ... ومُبتدع منه فوافق ما عندي
ويَعمرُ أركان الشريعة هادمًا ... مشاهد ضلَّ الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سُواع ومثله ... يغوث وَوَدٌّ بئس ذلك من وَدٍّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتفُ المُضطر بالصَّمد الفرد
وكم عقروا في سُوحها من عَقيرة ... أُهلَّت لغير الله جهراً علىٰ عمد
وكم طائف حول القبورُ مُقبِّلٌ ... ومُستلم منهنّ باليدي

وقال شيخُنا أبو بكر، حُسين بن غَنَّام رحمه الله تعالىٰ، فيه:

لقد رفعَ المولى به رُتبة الهدى ... بوقت به يُعلَى الضلالُ ويَرفعُ
سقاه نميرَ الفهم مولاه فارتوى ... وعام بتيّار المعارف يقطعُ

فأحيا به التوحيدَ بعد اندراسه ... وأوهى به من مطلع الشرك مهيع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها ... سواه ولا حاذى فناها سميدع
وشمَّر في منهاج سنَّة أحمد ... يُشيد ويحيي ما تعفَّى ويرفع
يُناظر بالآيات والسُّنة التي ... أُمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاءُ يبسمُ ثَغرها ... وأمسى محيَّها يُضيء ويلمع
وعاد به نهجُ الغواية طامسًا ... وقد كان مسلوكًا به الناس تَربع
وجرّت به نجدٌ ذيول افتخارها ... وحُقَّ لها بالألمعيّ ترفَّع
فآثاره فيها سوامٍ سوافرٌ ... وأنواره فيها تُضيء وتلمع

وأمَّا كتابهُ المذكور، فموضوعه: في بيان ما بعث الله به رسله: من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكرِ ما يُنافيه من الشرك الأكبر، أو يُنافي كماله الواجبَ من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرُب من ذلك أو يوصل إليه.

وقد تصدَّىٰ لشرحه حفيد المصنِّف، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ. فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان ما يجب أنْ يطلب منه ويراد، وسمَّاه (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد).

وحيث أطلق: شيخ الإسلام، فالمراد به: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، والحافظ، فالمراد به: أحمد بن حجر العسقلاني.

ولمَّا قرأتُ شرحَه: رأيتُه أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرارٌ يُستغنىٰ بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله.

فأخذتُ في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعضَ النقول المستحسنة تتميمًا للفائدة، وسمَّيتُه: «**فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد**».

والله أسأل، أن ينفع به كلَّ طالب للعلم ومُستفيد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وموصلاً مَنْ سَعىٰ فيه إلىٰ جنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

ش: ابتدأ كتابَهُ بالبسملة؛ اقتداءً بالكتاب العزيز، وعملاً بحديث: «**كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقْطع**»(١).

أخرجه ابنُ حِبَّان من طريقين. قال ابنُ الصلاح: والحديثُ حسن. ولأبي داود، وابنِ ماجه «**كلُّ أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع**»(٢) ولأحمد «**كلُّ أمر ذي بالٍ لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع**»(٣) وللدارقطني، عن أبي هريرة مرفوعاً: «**كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع**»(٤).

والمصنفُ قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر، وللحديث المتقدِّم.

---

(١) **ضعيف جداً**: رواه الخطيب في «الجامع» (٢/ ٦٩)، والسبكي في «طبقات الشافعية» (١/ ٦) من طريق محمد بن عمران أنا محمد بن صالح البصري نا عبيد بن عبد الواحد بن شريك نا يعقوب بن كعب الأنطاكي نا مبشر بن إسماعيل عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً.
وفي الإسناد محمد بن عمران ضعفه الخطيب في «تاريخه» (٥/ ٧٧) وقال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٣) شيعي اتهمه ابن الجوزي بالوضع وفيه محمد بن صالح البصري قال الحافظ في «اللسان» (٦/ ٢٦٨)ط. دارالمؤيد) فما علمت حاله. وعزاه المصنف وكذا السيوطي في «الدر» (١/ ٢٦) إلى عبد القادر الرهاوي في «الأربعين» وقال الشيخ الألباني في «الإرواء» (١) ضعيف جداً.

(٢) **ضعيف**: رواه أبو داود (٤٨٤٠) وابن ماجه (١٨٩٤) وابن أبي شيبة (٩/ ١١٦) وابن حبان كما في «الإحسان» (١، ٢) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٠٨) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٤) وسيأتي علته.

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/ ٣٥٩) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٧) وسيأتي علته.

(٤) **ضعيف**: رواه الدارقطني في «السنن» (١/ ٢٢٩) وكل الأسانيد من طريق قرة بن عبدالرحمن عن الزهري عن أبي هريرة. وقرة ضعيف وقد قال أبو داود رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي مرسلاً. وصوب المرسل الدارقطني في «السنن». و رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٦، ٤٩٧) من طريق عقيل والحسن بن عمر عن الزهري مرسلاً. و رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٥) وفي الإسناد الوليد. وهو مدلس ويسوي وقد عنعن الإسناد وسعيد بن عبد العزيز قد رواه مرسلاً كما سبق من كلام أبي داود رحمه الله.
وقال الدارقطني في «السنن» و رواه صدقة عن محمد بن سعيد عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه مرفوعاً. وقال الدارقطني وصدقة ومحمد بن سعيد ضعيفان والمرسل هو الصواب وضعفه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٢).

وكان النبيُّ ﷺ يقتصر عليها في مُراسلاته؛ كما في كتابه لهِرَقْلَ عظيم الروم[1].

ووقع لي نسخةٌ بخطه رحمه الله تعالىٰ، بدأ فيها بالبسملة، وثَنَّىٰ بالحمد والصلاة علىٰ النبي ﷺ وآله.

وعلىٰ هذا: فالابتداءُ بالبسملة حقيقي، وبالحمدلة نسبيٌّ إضافي، أي: بالنسبة إلىٰ ما بعد الحمد، ويكون مبدوءًا به.

والباء في (بسم الله) متعلقة بمحذوف، اختار كثيرٌ من المتأخرين: كونه فعلاً خاصًا، متأخرًا.

أما كونه فعلاً، فلأن الأصل في العمل للأفعال.

وأمَّا كونه خاصًا، فلأن كل مُبتدِيءٍ بالبسملة في أمر، يُضْمِرُ ما جَعل البسملة مَبدأ له وأمَّا كونه متأخرًا: فلدلالته علىٰ الاختصاص، وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود، ولأنَّ أهمَّ ما يُبدأ به ذِكْر الله تعالىٰ.

وذكر العلاَّمةُ ابن القيم رحمه الله تعالى، لحذف العامل فوائد:

منها: أنَّه موطنٌ لا ينبغي أنْ يتقدَّم فيه غير ذكر الله.

ومنها: أن الفعل إذا حُذف صحَّ الإبتداء بالبسملة، في كل عملٍ وقول وحركة. فكان الحذفُ أعمَّ. انتهىٰ ملخصًا.

وباءُ بسم الله؛ للمصاحبة. وقيل: للاستعانة، فيكون التقدير: بسم الله أؤلِّف حالَ كوني مستعينًا بذكره، متبركًا به.

وأمَّا ظهوره في ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] وفي ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ [هود: ٤١] فلأنَّ المقامَ يقتضي ذلك، كما لا يخفىٰ.

والاسم: مشتقٌ من السُّمُوِّ، وهو العلو. وقيل: من الوَسْم، وهو العلامة؛ لأن كل ما سُمِّي فقد نُوِّه باسمه ووُسِم.

قوله: (الله). قال الكسائي والفَرّاء: أصلُ الإله، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدةً مشدَّدة مُفخَّمة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

قال ابنُ القيم رحمه الله: الصحيحُ أنَّه مشتق، وأنَّ أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلاَّ من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحُسنىٰ، والصفات العُلىٰ.

والذين قالوا بالاشتقاق، إنما أرادوا أنّه دالٌّ علىٰ صفة له تعالىٰ، وهي الإلهية. كسائر أسمائه الحسنىٰ. كالعليم، والقدير، والسميع والبصير، ونحو ذلك. فإنَّ هذه الأسماء مشتقةٌ من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة. ونحن لا نعني بالاشتقاق إلاَّ أنَّها ملاقيةٌ لمصادرها في اللفظ والمعنىٰ، لا أنّها متولّدة منه تَولُّدَ الفرْع من أصله.

وتسميةُ النحاة للمصدر، والمشتق منه: أصلاً وفرعًا، ليس معناه: أنَّ أحدهما متولِّدٌ من الآخر، وإنما هو باعتبار أنَّ أحدهما يتضمَّن الآخر وزيادة.

قال أبو جعفر بن جرير: الله. أصله الإله، أُسقطت الهمزةُ التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة وهي ساكنة فأُدغمت في الأخرىٰ، فصارتا في لفظ لامًا واحدة مشددة. انتهىٰ.

وقال: وأمَّا تأويل الله، فإنَّه علىٰ معنىٰ ما رُوي لنا، عن عبد الله بن عباس: هو الذي يَألَهه كلُّ شيء، ويعبده كل خلْقٍ.

ـ وساق بسنده ـ عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: الله ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين[١].

فإن قال لنا قائل: وما دلَّ علىٰ أنَّ الألوهية هي العبادة، وأنَّ الإله هو المعبود، وأنَّ له أصلاً في فَعِل ويَفْعَل؟

قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم ـ وذكرَ ـ بيتَ رؤبة بن العجَّاج:

لله دَرُّ الغانيات المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسترْجَعْنَ مِنَ تَألُّهي

يعني: من تعبدي، وطلبي الله بعملي.

ولا شك أنَّ التألُّه التفعُّل، من أَلِه يَألَه. وقد جاء منه مصدرٌ، ويدلُّ علىٰ أنَّ العرب قد نطقت منه بفَعِل يَفْعَل، بغير زيادة.

---

(١) ضعيف واه: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤) ط. دار الفكر من طريق بشر بن عمارة حدثنا أبو دون عن الضحاك عن ابن عباس به. وبشر بن عمارة ضعيف والضحاك ضعيف مدلس ولم يسمع ابن عباس.

وذلك ما حدّثنا به سفيان بن وكيع ـ وساق السند إلى ـ ابن عباس: «أنَّه قرأ ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الاعراف: ١٢٧] قال: عبادتك، ويقول: إنه كان يُعبد، ولا يَعبدُ»[١].

وساق بسندٍ آخرَ ـ عن ابنِ عباس ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ قال: إنما كان فرعونُ يُعبد، ولا يَعبُد[٢]. وذَكر مثلَه عن مُجاهد[٣].

ثم قال: فقد بيَّن قولُ ابن عباس، ومجاهد هذا: أنَّ أله عَبَدَ، وأنَّ الإلاهة مصدره ـ وساق حديثًا ـ عن أبي سعيد مرفوعًا: «إنَّ عيسى أسلمته أُمُّه إلى الكتَّاب ليُعَلِّمه. فقال له المعلم: اكتب بسم الله، فقال عيسى: أتدري ما الله؟ الله إلهُ الآلهة»[٤].

قال العلاَّمة ابنُ القيم رحمه الله تعالى: لهذا الاسم الشريف عشرُ خصائص لفظية ـ ثم قال: وأمَّا خصائصُه المعنوية، فقد قال: أعلم الخلق به صلى الله عليه وسلم **«لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»**[٥] وكيف نُحصي خصائص اسمٍ؟! لمسمَّاه كلُّ كمال على الإطلاق، وكلُّ مدحٍ وحمدٍ، وكل ثناءٍ وكل مجد، وكل إجلال وكل كمال، وكل عزٍّ وكل جمال. وكلُّ خير وإحسان، وجود وفضل وبرٍّ فله ومنه.

فما ذُكر هذا الاسمُ في قليل إلاَّ كثَّره، ولا عند خوف إلاَّ أزاله، ولا عند كرْبٍ إلاَّ كشفه، ولا عند همٍّ وغَمٍّ إلاَّ فرَّجه، ولا عند ضيق إلاَّ وَسَّعه، ولا تعلق به ضعيفٌ

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤) عن شيخه سفيان بن وكيع وهو ضعيف.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤) عن شيخه سفيان وهو ضعيف كسابقه.

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤) من طريق الحسين بن داود قال: أخبرني الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد به. والحسين بن داود ضعيف وابن جريج مدلس وقد عنعن وقيل لم يسمع التفسير من مجاهد إلا أحرفًا يسيرة.

(٤) **موضوع**: رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤) وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٠٣ـ ٢٠٤) وأبونعيم في «الحلية» (٧/ ٢٥١)، وابن عدي (١/ ٣٠٤ ط. دار الفكر)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٢٦ـ ١٢٧) من طريق يحيى بن إسماعيل التيمي: مرة عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود مرفوعًا ـ وهذا في بعض الطرق ـ ومرة عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري به مرفوعًا.
وفي الإسناد يحيى بن إسماعيل بن يحيى التيمي وهو ضعيف جدًا والراوي عن ابن مسعود مبهم. والراوي عن أبي سعيد الخدري ـ هو عطية العوفي ـ ضعيف مدلس. وانظر «اللآلي» (١/ ١٧٢) و«تنزيه الشريعة» (١/ ٢٣١) و«الفوائد المجموعة» (١٣٧٤).

(٥) **صحيح**: وهو قطعة من حديث رواه مسلم (٤٨٦).

إلاّ أفاده القوة، ولا ذليلٌ إلاّ أناله العزّ، ولا فقيرٌ إلا أصاره غنيًا، ولا مستوحش إلاّ آنسه، ولا مغلوبٌ إلاّ أيَّده ونصره، ولا مضطر إلاّ كشف ضُرَّه، ولا شريدٌ إلاّ آواه.

فهو الاسمُ الذي تُكشف به الكربات، وتُستنزل به البركات، وتُجاب به الدعوات، وتُقال به العثرات، وتُستدْفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات.

وهو الاسم الذي قامت به السمواتُ والأرض، وبه أُنزلت الكتب، وبه أُرسلت الرسلُ، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شُرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقةُ إلى السعداء والأشقياء، وبه حَقَّت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وُضعت الموازين القِسْط ونُصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عُبد ربّ العالمين وحمد، وبحقِّه بُعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سَعد من عرفه وقام بحقه، وبه شَقِيَ من جهله وترك حقه. فهو سرُّ الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا.

فالخلقُ به وإليه، ولأجله. فما وجد خلقٌ ولا أمر، ولا ثواب ولا عقاب إلاّ مبتديًا منه منتهيًا إليه.

وذلك موجبه ومقتضاه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

قوله: (الرحمن الرحيم). قال ابنُ جرير: حدَّثني السَّريُ بن يحيى، حدثنا عثمان ابنُ زُفَر، سمعتُ العرزمي يقول: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين(١).

وساق بسنده - عن أبي سعيد - يعين الخُدري - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ عيسى ابن مريم قال: الرحمن؛ رحمنُ الآخرة والدنيا، والرحيم: رحيمُ الآخرة**»(٢).

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: واسمُه: الله تعالى. دالٌ على كونه مألوهًا معبودًا، يألهه الخلائق: محبةً وتعظيمًا وخضوعًا، ومفزعًا إليه في الحوائج والنوائب.

---

(١) **إسناده حسن**: إلى العرزمي والعرزمي هو محمد بن عبيدالله وهو ضعيف.
والأثر رواه ابن جرير الطبري (١/ ٥٥).

(٢) **ضعيف جداً بل موضوع**: رواه الطبري (١/ ٥٦) وفي إسناده إسماعيل بن يحيى التيمي وهو ضعيف جداً وهو طرف من خبر طويل وسبق الحديث على إسناده قريبًا.

وذلك مستلزمٌ لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمّنتين لكمال المُلك والحمد. وإلهيتُه وربوبيته ورحمانيته وملكه: مستلزمٌ لجميع صفات كماله؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحيٍ، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا مُتكلم، ولا فعّالٍ لما يُريد، ولا حكيمٍ في أقواله وأفعاله.

فصفاتُ الجلال والجمال: أخصُّ باسم الله، وصفاتُ الفعل والقدرة، والتفردِ بالضر والنفع والعطاء والمنع، ونفوذِ المشيئة وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة: أخص باسم الرب.

وصفاتُ الإحسان، والجود والبر والحنان، والرأفة واللطف: أخصُّ باسم الرحمن.

وقال رحمه الله، أيضًا:

الرحمنُ: دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم: دالٌّ على تعلّقها بالمرحوم.

وإذا أردتَ فهم هذا، فتأمّل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ولم يجيء قطُّ رحمنٌ بهم.

وقال: إنَّ أسماء الرب تعالى، هي أسماءٌ ونعوت. فإنَّها دالةٌ على صفات كماله، فلا تَنَافي فيها بين العلميَّة والوصفية. فالرحمنُ: اسمُه تعالى، ووصفه.

فمن حيثُ هو صفةٌ، جرى تابعًا لاسم الله. ومن حيث هو اسم، ورد في القرآن غير تابع. بل ورُودَ الاسمِ العَلَمْ، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] انتهى ملخصًا.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: الحمدُ لله.

ش: ومعناه: الثناءُ بالكلام عَلى الجميل، على وجه التعظيم.

فمورده: اللسان، والقلب. والشكرُ: يكون باللسان، والجَنان، والأركان.

فهو أعمُّ من الحمد مُتعلّقًا، وأخص سببًا؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة.

والحمد: أعمُّ سببًا، وأخص موردًا؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها.

فبينهما عمومٌ وخصوص وجهي، يجتمعان في مادة، وينفرد كلٌّ واحد عن الآخر في مادة.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

ش: أصحُّ ما قيل في معنىٰ صلاة الله علىٰ عبده: ما ذكره البخاريُّ رحمه الله تعالىٰ، عن أبي العالية، قال: صلاةُ الله، ثناؤه عليه عند الملائكة[١].

وقرَّره ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ، ونصره في كتابه (جلاءُ الأفهام) و (بدائعُ الفوائد).

قلتُ: وقد يُراد بها الدعاء؛ كما في (المسند) عن علي، مرفوعًا: «**الملائكةُ تصلي على أحدكم ما دام في مُصلاَّه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»[٢].

قولهُ: (وعلىٰ آله) أي: أتباعه علىٰ دينه. نصَّ عليه الإمامُ أحمد هنا.

وعليه أكثر الأصحاب. وعلىٰ هذا: فيشمل الصحابة، وغيرهم من المؤمنين.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: كتابُ التوحيد.

ش: كتاب: مصدر: كَتَبَ يكتُب كتابًا، وكتابةً وكتْبًا. ومدارُ المادة علىٰ الجمع، ومنه: تكتَّب بنو فلان، إذا اجتمعوا. والكتيبة: لجماعة الخيلِ. والكتابة بالقلم: لاجتماع الكلمات والحروف. وسُمِّي الكتابُ كتاب: لجمعه ما وُضع له.

والتوحيد، نوعان: توحيد في المعرفة، والإثبات. وهو توحيد الربوبية، والأسماء، والصفات.

وتوحيدٌ في الطلب والقصد. وهو توحيد الإلهية والعبادة.

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله تعالى: وأمَّا التوحيد الذي دعت إليه الرسلُ،

---

(١) **إسناده لا بأس به**: رواه البخاري معلقًا (٨/ ٥٣٢الفتح) ووصله القاضي إسماعيل في «فضل الصلاة» (٩٥) وابن أبي حاتم كما في «الفتح» عن طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية به وأبو جعفر الرازي فيه ضعف ولكن يتساهل في الأثر مالم يتساهل في غيره.

(٢) **إسناده ضعيف**: والحديث صحيح رواه أحمد (١/ ١٤٤) من طريق إسرائيل عن عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن قال سمعت عليًا فذكره مرفوعًا وعطاء مختلط. وصح من حديث أبي هريرة عند البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩) باب فضل صلاة الجماعة بلفظ: والملائكة تصلي على أحدكم ما لم يحدث. اللهم اغفرله اللهم ارحمه... الحديث.

ونزلت به الكتب، فهو نوعان: توحيدٌ في المعرفة والإثبات، وتوحيدٌ في الطلب والقصد.

فالأوَّلُ: هو إثباتُ حقيقة ذاتِ الرب تعالىٰ، وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلُّمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته. وقد أفصح القرآنُ عن هذا النوع جِدَّ الإفصاح، كما في أوّل سورة الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأوَّلِ تنزيل السجدة، وأوّل آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورةُ قُل يا أيها الكافرون، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأوَّلُ سورةِ تنزيل الكتاب، وآخرُها. وأوّل سورة المؤمن ووسطُها، وآخرها.

وأوّل سورة الأعراف، وآخرها. وجملةُ سورة الأنعام، وغالبُ سور القرآن. بل كلُّ سورة في القرآن، فهي متضمنةٌ لنوعيِّ التوحيد، شاهدةٌ به داعية إليه.

فإنَّ القرآن: إمَّا خبرٌ عن الله تعالىٰ، وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله. فهو التوحيدُ العلميُّ الخبري.

وإمَّا: دعوةٌ إلىٰ عبادته وحده لا شريك له، وخلْع ما يُعبد من دونه. فهو التوحيد الإراديُّ الطلبي.

وإمَّا: أمرٌ ونهيٌ، وإلزامٌ بطاعته وأمره ونهيه. فهو حقوق التوحيد ومكمِّلاتُه.

وإمَّا: خبرٌ عن إكرام أهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة. فهو جزاءُ توحيده.

وإمَّا: خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يَحُلّ بهم في العُقبىٰ من العذاب. فهو جزاءُ من خرج عن حُكم التوحيد.

فالقرآنُ كله: في التوحيد وحقوقهِ وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. انتهىٰ.

قال شيخُ الإسلام: التوحيدُ الذي جاءت به الرسلُ، إنما يتضمَّن إثباتَ الإلهية لله

وحده، بأنْ يشهدَ أنْ لا إله إلاّ هو. لا يَعبُدُ إلاّ إياه، ولا يتوكلُ إلاّ عليه، ولا يوالي إلاّ له، ولا يُعادي إلاّ فيه، ولا يعمل إلاّ لأجله.

وذلك يتضمن، إثباتَ ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال تعالىٰ: ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وقال تعالىٰ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾

[الزخرف: ٤٥].

وأخبر عن كل نبيٍ من الأنبياء، أنهم دعوا الناسَ إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦]، وهذا في القرآن كثير.

وليس المرادُ بالتوحيد: مجرَّدَ توحيد الربوبية، وهو اعتقادُ أنَّ الله وحده خَلَقَ العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف! . ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد. وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه، فقد فنوا في غاية التوحيد!

فإنَّ الرجلَ لو أقرَّ بما يستحقه الربُّ تعالىٰ من الصفات، ونزَّهه عن كل ما يُنزه عنه، وأقرَّ بأنه وحده خالقُ كل شيء: لم يكن موحِّدًا، حتىٰ يَشهدَ أنْ لا إله إلاّ الله. فيقرُّ بأنَّ الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزمُ بعبادة الله وحده لا شريك له.

والإلهُ: هو المألوهُ المعبودُ، الذي يستحقُّ العبادة. وليس هو الإله بمعنىٰ القادر علىٰ الخلق؛ فإذا فسَّر المُفسِّرُ الإله بمعنىٰ القادر علىٰ الاختراع، واعتقد أنَّ هذا هو أخصُّ وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغايةَ في التوحيد - كما يفعل ذلك من يفعله من متكلِّمة الصفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه - لم يعرف حقيقةَ التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ؛ فإنَّ مشركي العرب كانوا مُقرِّين بأن الله وحده خالقُ كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ

إلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قالت طائفةٌ من السلف: تسألهم، من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله. وهم مع هذا يعبدون غيره.

قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩] فليس كلُّ من أقرَّ بأن الله تعالى ربُّ كلِّ شيء وخالقه، يكون عابداً له دون ما سواه، داعياً له دون ما سواه، راجياً له خائفاً منه دون ما سواه، يوالي فيه ويعادي فيه، ويطيع رُسلَه، ويأمر بما أمر به وينهى عمَّا نهى عنه.

وعامَّةُ المشركين أقرُّوا بأن الله خالقُ كل شيء، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به، وجعلوا له أنداداً، قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ولهذا كان من أتباع هؤلاء، من يسجدُ للشمس والقمر والكواكب ويدعوها، ويصوم وينسك لها. ويتقرب إليها، ثم يقول: إنَّ هذا ليس بشرك! إنَّما الشركُ إذا اعتقدتُ أنَّها المدبرةُ لي!! فإذا جعلتُها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً!!.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، أنَّ هذا شركٌ. انتهى كلامهُ رحمه الله تعالى.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: وقولِ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ش: بالجر، عطفٌ على التوحيد. ويجوز الرفع، على الابتداء.

قال شيخُ الإسلام: العبادةُ هي طاعةُ الله، بامتثال ما أمر الله به على ألسنَة الرسل

وقال أيضًا: عبادةُ اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قال ابنُ القيم: دارها على خمسَ عشرَةَ قاعدة، من كمَّلها كمَّل مراتب العبودية.

وبيانُ ذلك: أنَّ العبادة منقسمةٌ، على القلب واللسان والجوارح. والأحكامُ التي للعبودية خمسة: واجبٌ، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهنَّ لكل واحدٍ من القلب، واللسان، والجوارح.

قال القُرطُبيُّ: أصلُ العبادة: التذللُ، والخضوع.

وسُمِّيت وظائفُ الشرع على المكلفين: عبادات؛ لأنهم يلتزمونها ويفعلونها، خاضعين متذللين لله تعالى. ومعنى الآية: أنَّ الله تعالى، أخبر أنَّه ما خلق الجن والإنس إلاَّ لعبادته.

فهذا هو الحكمةُ في خلقهم.

قلتُ: وهي الحكمةُ الشرعية الدينية.

قال العمادُ ابن كثير: وعبادتُه: هي طاعتُه بفعل المأمور، وترك المحظور. وذلك هو حقيقةَ دين الإسلام؛ لأن معنى الإسلام: الاستسلامُ لله تعالى، المتضمِّن غاية الانقياد والذل والخضوع. انتهى.

وقال أيضًا ـ في تفسير هذه الآية ـ ومعنى الآية: الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتمَّ الجزاء، ومن عصاه عذَّبه أشد العذاب. وأخبر أنَّه غيرُ محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو خالقهم ورازقهم.

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ في الآية ـ إلاَّ لآمُرهم أنْ يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي[1]. وقال مجاهد: إلاَّ لآمُرَهم وأنهاهم[2]. اختاره الزجَّاج، وشيخُ الإسلام.

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٣٥).
(٢) ذكره شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٧٨).

قال: ويدلُّ على هذا، قولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] قال الشافعي: لا يُؤمر ولا يُنهى(١).

وقال في القرآن، في غير موضع ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] فقد أمرهم بما خُلقوا له، وأرسل الرسل بذلك. وهذا المعنى، هو الذي قُصد بالآية قطعًا، وهو الذي يفهمه جماهير المسلمين، ويحتجُّون بالآية عليه.

قال: وهذه الآيةُ، تُشبه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. ثم قد يُطاع وقد يُعصى، وكذلك ما خلقهم إلاَّ لعبادته، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون.

وهو سبحانه، لم يقُل: إنَّه فعلَ الأول: وهو خلْقهم؛ ليَفعلَ بهم كلِّهم. الثاني: وهو عبادته. ولكن ذكر الأوّل، ليفعلوا هم الثاني، فيكونوا هم الفاعلين له. فيحصل لهم بفعله سعادتُهم، ويحصل ما يحبُّه ويرضاه منه ولهم. انتهى.

ويشهدُ لهذا المعنى: ما تواترت به الأحاديث.

فمنها: ما أخرجه مسلمٌ في (صحيحه)، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «يقولُ الله تعالى لأهْون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتديًا بها؟ فيقول: نعم. فيقولَ: قد أردتُ منك ما هو أهونُ من هذا، وأنت في صلب آدم: أنْ لا تُشرك بي - أحسبه قال: ولا أدخلك النار - فأبيت إلاَّ الشرك»(٢).

فهذا المشركُ، قد خالف ما أراده الله تعالى: من توحيده، وأنْ لا يُشرك به شيئًا. فخالف ما أراده الله منه، فأشرك به غيره. وهذه هي الإرادةُ الشرعيةُ الدينية، كما تقدَّم.

فبَيْن الإرادة الشرعية الدينية، والإرادة الكونية القدرية عمومٌ وخصوص مُطلق. يجتمعان في حق المُخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصي! فافهم ذلك، تنجُ به من جهالات أرباب الكلام وتابعيهم.

(١) ذكره في «الرسالة» (ص٢٥)، فقرة (٦٩).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ش: الطاغوت: مشتقٌ من الطغيان، وهو مُجاوزة الحد. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الطاغوت: الشيطان(١).

وقال جابر رضي الله عنه: الطواغيت، كُهّانٌ كانت تنزل عليهم الشياطين(٢) رواهما ابنُ أبي حاتم.

وقال مالك: الطاغوت: كلُّ ما عُبد من دون الله(٣).

قال العمادُ بن كثير: الطاغوت: الشيطان، ومازيَّنه من عبادة غير الله.

قلتُ: وذلك المذكور، بعضُ أفراده. وقد حدَّه العلاَّمةُ ابن القيم رحمه الله تعالى، حدًّا جامعًا: الطاغوتُ، ما تجاوز به العبدُ حدَّه: من معبودٍ، أو متبوع، أو مُطاع، فطاغوتُ كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتَّبعونه على غير بصيرة من الله، أو يُطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

فهذه طواغيتُ العالم. إذا تأملتها وتأمَّلت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه البخاري معلقًا كما في «الفتح» (٨/ ٢٥١) ووصله الطبري في «تفسيره» (٥٨٣٥، ٥٨٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦١٨، ٥٤٤٣، ٥٤٤٩) وأبوالقاسم البغوي كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٩) وعبد بن حميد في «تفسيره» ومسدد في «مسنده» وعبدالرحمن بن رُسته في كتاب «الإيمان» كما في «الفتح» (٨/ ٢٥٠٢) كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر فذكره. وقال الحافظ: وإسناده قوي وقع التصريح بسماع أبي إسحاق من حسان بن فائد وسماع حسان من عمر في رواية رُسته. اهـ.
قلت: ورواه شعبة عن أبي إسحاق به في رواية الطبري وبعض روايات ابن أبي حاتم وفي رواية مسدد وذكر الأخير الحافظ في «التهذيب» في ترجمة حسان بن فائد وفي الإسناد حسان بن ثابت قال أبو حاتم شيخ وذكره ابن حبان في «الثقات» وروىٰ عنه أبو إسحاق السبعي فالأثر لا يرتقي للحسن لهذا الرجل فالأقرب فيه الجهالة والله أعلم.
وروىٰ الأثر الفريابي وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٤) ط. دار الكتب.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه البخاري معلقًا (٨/ ٢٥١) ووصله الطبري في «تفسيره» (٥٨٤٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٥٢) من طريق حجاج عن أبي جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع من جابر بن عبدالله فذكره.

(٣) **إسناده صحيح:** رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٥٦) حدثنا أبوزرعة ثنا يونس يعني ابن عبدالأعلىٰ ـ ثنا ابن وهب عن مالك به.

أعرض عن عبادة الله تعالىٰ إلىٰ عبادة الطاغوت، وعن طاعة الله ورسوله ﷺ إلىٰ طاعة الطاغوت ومتابعته.

وأمَّا معنىٰ الآية: فأخبر تعالىٰ، أنَّه بعث في كلّ طائفة من الناس رسولاً بهذه الكلمة ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] أي: اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] وهذا معنىٰ: لا إله إلاَّ الله؛ فإنها هي العروةُ الوُثقىٰ.

قال العمادُ بن كثير ـ في هذه الآية ـ: وكلُّهم يدعو إلىٰ عبادة الله، وينهىٰ عن عبادة ما سواه. فلم يزل تعالىٰ يُرسل الرسل بذلك، منذ حدث الشركُ في قوم نوح الذي أُرسل إليهم.

وكان أوَّلَ رسولٍ بعثه الله تعالىٰ إلىٰ أهل الأرض، إلىٰ أنْ ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبَّقت دعوتُه الإنس والجن، في المشارق والمغارب. وكلُّهم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فكيف يسوغُ لأحدٍ من المشركين ـ بعد هذا ـ أنْ يقول: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيءٍ؟!!

فمشيئةُ الله تعالىٰ الشرعية عنهم منفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك علىٰ ألسُن رُسله.

وأمَّا مشيئتُه الكونية ـ وهي تمكينهم من ذلك قَدَرًا ـ فلا حُجَّة لهم فيه؛ لأنه تعالىٰ خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضىٰ لعباده الكفر.

وله في ذلك حجةٌ بالغة، وحكمة قاطعة؛ ولهذا قال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦] انتهىٰ.

قلتُ: وهذه الآيةُ تُفسِّر الآية قبلها، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾، فتدبر!.

ودلَّت هذه الآيةُ علىٰ أنَّ الحكمة في إرسال الرسل: دعوتُهم أُممهم إلىٰ عبادة الله

وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأنَّ هذا هو دينُ الأنبياء والمرسلين، وإنْ اختلفت شريعتهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وأنّه لابُدَّ في الإيمان من العمل، مِن القلب والجوارح.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

ش: قال مُجاهد: قضىٰ، يعني: وصَّىٰ. وكذا قرأ أُبيٌّ بن كعب[٢]، وابن مسعود[٣]، وغيرهم.

ولابن جرير، عن ابن عباس: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ يعني: أمر[٤].

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ المعنىٰ: أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنىٰ: لا إله إلاَّ الله.

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله تعالى: والنفيُ المحض ليس توحيداً، وكذلك الإثبات بدون النفي. فلا يكون التوحيد إلاَّ متضمنًا للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد.

قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وقضىٰ أنْ تُحسنوا بالوالدين إحسانًا، كما قضىٰ بعبادته وحده لا شريك له؛ كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]. وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥/ ٦٢) من طريق الحسين قال: ثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره.
والحسين بن داود ضعيف. وابن جريج مدلس وقد عنعن وفي سماعه من مجاهد نظر.

(٢) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٢) وفي إسناده يحيىٰ بن عيسىٰ وهو ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥/ ٦٢) من طريق معمر عن قتادة فذكر نحوه ثم قال وفي حرف ابن مسعود وصىٰ ربك... ورواية معمر عن قتادة ضعيفة وقتادة لم يسمع ابن مسعود.

(٤) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥/ ٦٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به. وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس. وفي الإسناد إليه عبدالله بن صالح «أبو صالح» وهو ضعيف.

ولا تنهرهما ﴾ أي: لا تُسمعهما قولاً سيئًا، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء.

﴿ولا تنهرهما ﴾ أي: لا يصدر منك إليهما فعلٌ قبيح، كما قال عطاءُ بن أبي رباح: لا تنفض يديك على والديك(١).

ولمَّا نهاه عن الفعل القبيح والقول القبيح، أمره بالفعل الحسن والقول الحسن، فقال: ﴿وقل لهما قولاً كريمًا﴾ أي لينًا طيبًا، بأدب وتوقير وقوله: ﴿واخفض لهما جناح الذُّلِّ من الرَّحْمَة﴾ أي: تواضع لهما.

﴿وقل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ أي: في كبرهما، وعند وفاتهما؛ ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾،

وقد ورد في بِرِّ الوالدين أحاديثُ كثيرة.

منها: الحديثُ المروي من طُرقٍ، عن أنس، وغيره، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا صعد المنبر، قال: «آمين آمين آمين» فقالوا: يا رسول الله، على ما أمَّنت. فقال: «**أتاني جبريلُ، فقال: يا محمد رَغِم أنف امرىء دخل عليه شهرُ رمضان، ثم خرج ولم يُغفر له. قُل: آمين. فقلتُ: آمين. ثم قال: رَغِم أنفُ امرىء أدرك أبويه أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة. قل: آمين. فقلتُ: آمين**»(٢).

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (١٥/ ٦٥) من طريق واصل الرقاشي عن عطاء بن أبي رباح فذكره. وواصل الرقاشي ضعيف.

(٢) **صحيح بطرقه وشواهده**: رواه البزار (٣١٦٨ كشف) وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة» (١٥) من طريق سلمة بن وردان عن أنس به. وسلمة ضعيف.
رواه الترمذي (٣٥٤٥) وأحمد (٢/ ٢٥٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٩٠٨)، والحاكم (١/ ٥٤٩) وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة (١٦، ١٧) من طريق عبدالرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة به مرفوعًا وهذا إسناد لابأس به وروى نحوه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦)، وابن خزيمة (١٨٨٨)، والبزار (٣١٦٩ كشف) وإسماعيل القاضي (١٨) من طريق كثير بن يزيد الأسلمي عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة به. وإسناده حسن في الشواهد ورواه أبو يعلى (٥٩٢٢) وابن حبان (٩٠٧) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة به وإسناده حسن.
وفي الباب عن جابر ومالك بن الحويرث وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود وجابر بن سمرة وغيرهم. انظر إسماعيل القاضي (١٩٢١٥)، والبزار (٣١٦٤، ٣١٦٥، ٣١٦٨) و«الأدب المفرد» (٦٤٤)، وابن حبان (٤٠٩)، والطبراني (١٩/ ٣١٥، ٦٤٩) وانظر تحقيق مسند أحمد عند ح (٧٤٥١) للشيخ شعيب الأرنؤوط.
وذكر الشيخ جاسم الدوسري للحديث اثنا عشر صحابيًا في «المنهج السديد» (ص ٣١٩-٣٢٤).

وروىٰ الإمامُ أحمد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**رغم أنفُ، ثم رَغم أنفُ، ثم رغم أنف رجل أدرك والديه، أو أحدهما، ولم يدخل الجنة**»(١) قال العمادُ ابن كثير: صحيح من هذا الوجه.

وعن أبي بكرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**الإشراكُ بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقولُ الزور، ألا وشهادة الزور**» فمازال يكررها حتىٰ قلنا: ليتهُ سكت(٢). رواه البخاري، ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رِضَا الربِّ في رضا الوالدين، وسخطُه في سخط الوالدين**»(٣) رواه الترمذي، وصححه ابنُ حبان والحاكم.

وعن أبي أُسيد السَّاعدي، قال: بينا نحن جلوسٌ عند النبي ﷺ، إذْ جاء رجلٌ من بني سَلِمة، فقال: يا رسول الله! هل بقي من برِّ أَبَويَّ شيءٌ، أبرُّهما به بعد موتهما؟ فقال: «**نعم! الصلاةُ عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذُ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلاَّ بهما، وإكرام صديقهما**»(٤) رواه أبو داود، وابن ماجه.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥١) وأحمد (٢/ ٣٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

(٣) **ضعيف**: رواه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (٢٠٢٦ موارد) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥١، ١٥٢) والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٢) وبحشل في «تاريخ واسط» (ص٥١) من طريق خالد بن الحارث وابن مهدي وأبي إسحاق الفزاري عن شعبة عن يعلىٰ بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو فذكره مرفوعًا. وفي الإسناد عَطاء العامري وهو مجهول.

والحديث معل بالوقف.

فقد رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢)، والترمذي عقب حديث (١٨٩٩) من طريق آدم ومحمد بن جعفر عن شعبة عن يعلىٰ بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو فذكره موقوفًا وصحح الترمذي الوقف. وللحديث شاهد عن ابن عمر عند البزار (١٨٦٥ كشف) وفي الإسناد عاصم بن محمد وهو متروك وشاهد آخر عند الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣٦-١٣٧) وفي الإسناد إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف جداً. وفيه شيخ الطبراني أحمد بن إبراهيم بن عبدالله بن كيسان وهو لين كما قال الهيثمي.

(٤) **إسناده ضعيف**: رواه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، وأحمد (٣/ ٤٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وابن حبان (٢٠٣٠ موارد) وغيرهم من طريق علي بن عبيد الأنصاري عن أبي أسيد الساعدي فذكره مرفوعًا. وفيه علي بن عبيد وهو مجهول. قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ١١٤) لا يعرف وحديثه في «بر الوالدين بعد موتهما».

والأحاديثُ في هذا المعنىٰ كثيرةٌ جدًا.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

ش: قال العمادُ ابن كثير رحمه الله تعالى: في هذه الآية: يأمرُ تعالىٰ عباده بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه الخالقُ الرازق، المُنعم المتفضِّلُ علىٰ خلقه في جميع الحالات، وهو المستحق منهم أنْ يوحِّدوه ولا يُشركوا به شيئًا من مخلوقاته انتهىٰ.

وهذه الآيةُ، هي التي تُسمَّىٰ: آيةُ الحقوق العشرة: وفي بعض النسخ المُعتمدة من نُسخ هذا الكتاب: تقديم هذه الآية علىٰ آية الأنعام. ولهذا قدَّمتُها؛ لمناسبة كلام ابن مسعود الآتي لآية الأنعام، ليكون ذكره بعدها أنسب.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

ش: قال العمادُ ابن كثير: يقول تعالىٰ لنبيّه ورسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المُشركين الذين عبدوا غير الله، وحرَّموا ما رزقهم الله: ﴿تَعَالَوْا﴾ أي: هلمُّوا وأقبلوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أقصُّ عليكم ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حقًا، لا تخرُّصًا ولا ظنًّا، بل وحيًا منه وأمرًا من عنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وكأنَّ في الكلام محذوفًا، دلَّ عليه السياق. تقديرهُ: وصَّاكم أن لا تشركوا به شيئًا؛ ولهذا قال في آخر الآية ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم﴾ انتهىٰ.

قلتُ: فيكون المعنىٰ: حرَّم عليكم ما وصَّاكم بتركه، من الإشراك به.

وفي (المُغني) لابن هشام، في قوله تعالىٰ: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ سبعةُ أقوال. أحسنها: هذا الذي ذكره ابنُ كثير. ويليه: أُبيِّنُ لكم ذلك لئلا تُشركوا. فحُذِفَت الجملةُ من أحدهما ـ وهي ﴿وَصَّاكُم﴾ ـ وحرفُ الجر وما قبله من الأخرىٰ.

ولهذا إذا سُئلوا عمَّا يقول لهم رسولُ الله ﷺ، قالوا: يقول: **«اعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم»** كما قال أبو سفيان، لهِرقل(1)!.

وهذا هو الذي فهم أبو سفيان وغيرُه، من قول رسول الله ﷺ لهم: **«قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا»**(2).

قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ قال القُرطبي: الإحسانُ إلىٰ الوالدين: بِرُّهما وحفظُهما وصيانتُها، وامتثال أمرهما، وإزالة الرِّق عنهما، وتركُ السَّلطنة عليهما.

و ﴿إِحْسَانًا﴾ نُصِب علىٰ المصدريَّة، وناصبُه فعلٌ مضمر من لفظه، تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الإملاقُ: الفقرُ. أي: لا تئِدوا بناتكم خشية العَيلة والفقر؛ فإني رازقُكم وإياهم. وكان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور، خشيةَ الفقر. ذكره القرطبي.

وفي (الصحيحين)، عن ابن مسعود، قلتُ: يا رسول الله! أيُّ الذنب أعظم؟ قال: **«أنْ تجعل لله نداً وهو خلقك»** قلت: ثم أيٌّ؟ قال: **«أنْ تقتل ولدك خشية أنْ يطعم معك»** قلت: ثم أيٌّ؟ قال: **«أن تُزاني بحليلة جارك»** ثم تلا رسولُ الله ﷺ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾(3)[الفرقان: ٦٨].

---

(1) سبق تخريج حديث هرقل وهو في صحيح البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

(2) **صحيح**: رواه ابن خزيمة (١٥٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٧) والدارقطني (٣/ ٤٤ـ ٤٥) والحاكم (٢/ ٦١١ـ ٦١٢) وابن أبي شيبة كما في «المطالب» (٤/ ١٩١) من طريق يزيد بن زياد، وهو ابن أبي الجعد ـ قال حدثنا جامع بن شداد عن طارق المحاربي. وإسناده حسن وللحديث شواهد أحدها من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبي الزناد عن ربيعة بن عباد الديلمي. رواه أحمد (٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١) والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢) وشاهد آخر عن شيخ من بني مالك بن كنانة رواه أحمد (٤/ ٦٣، ٣٧٥، ٣٧٦) «تراجع» والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٢٦٣).

(3) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٧٧ وأطرافه)، ومسلم (٨٦).

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال ابنُ عطية: نَهيٌ عامٌ عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي و(ظهر) و(بطن) حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء. انتهى.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ في (الصحيحين) عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرفوعًا: **«لا يحلُّ دمُ امرىء مسلم يشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله إلاَّ بإحدى ثلاث: الثَّيبُ الزَّاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**(١).

قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال ابنُ عطية: (ذلكم) إشارةٌ إلىٰ هذه المحرمات، والوصية: الأمر المؤكَّد المقرر.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (لعل) للتعليل: أي إنَّ الله تعالىٰ وصَّانا بهذه الوصايا؛ لنعقلها عنه ونعمل بها.

وفي (تفسير) الطبري الحنفي: ذكر أوّلاً (لعلكم تعقلون) ثم (تذكرون) ثم (تتقون)؛ لأنهم إذا عقلوا تذكروا، فإذا تذكَّروا خافوا واتقوا.

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قال ابن عطية: هذا نهيٌ عام عن القرب الذي يعم وجوه التصرف، وفيه سدُّ الذريعة، ثم استثنىٰ ما يحسُنُ: وهو السعي في نمائه. قال مجاهد: التي هي أحسن: التجارة فيه.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قال مالكُ وغيره: هو الرشد وزوال السفه، مع البلوغ. روي نحو هذا: عن زيد بن أسْلم، والشَّعْبي، وربيعة وغيرهم.

قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ قال ابن كثير: يأمر تعالىٰ بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: من اجتهد بأداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه، وبذل جهده فلا حرج عليه.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ هذا أمرٌ بالعدل في القول والفعل، علىٰ القريب والبعيد.

قـال الحنفي: العدلُ في القول في حق الولي والعدوِّ، ولا يتغيَّر في الرضىٰ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

والغضب. بل يكون على الحق وإنْ كان ذا قُربى، فلا يميلُ إلى الحبيب والقريب ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

قوله: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ قال ابنُ جرير: وبوصية الله تعالى التي وصَّاكم بها فأوفوا، وانقادوا لذلك. بأنْ تُطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، وتعملوا بكتابه وسُنَّة رسوله ﷺ وذلك هو الوفاءُ بعهد الله. وكذا قال غيرُه.

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون، وتنتهون عمَّا كنتم فيه.

قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ قال القُرطبي: هذه آيةٌ عظيمة، عطفها على ما تقدم؛ فإنه لمَّا نهى وأمر، حذَّر عن اتباع غير سبيله، على ما بيَّنته الأحاديثُ الصحيحة، وأقاويلُ السَّلف. وأنَّ: في موضع نصب، أي: وأتلُ أنَّ هذا صراطي. عن الفرَّاء، والكسائي. قال الفراء: ويجوز أنْ يكون خفضًا: أي وصَّاكم به، وبأنَّ هذا صراطي.

قال والصراط: الطريقُ، الذي هو دين الإسلام. مُسْتقيمًا: نُصب على الحال، ومعناه: مستويًا قويمًا، لا اعوجاج فيه.

فأمر باتباع طريقة الذي طَرقه على لسان محمد ﷺ وشرعه، ونهايتُه الجنة. وتشعَّبت منه طرقٌ، فمن سلك الجادَّة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضتْ به إلى النار؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي: تميل. انتهى.

وروى أحمدُ، والنسائي، والدَّارمي، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحَّحه ورواه محمد بن نصر المروزي في (كتاب الاعتصام) بسند صحيح، عن ابن مسعود قال: «**خطَّ رسولُ الله ﷺ خطًا بيده. ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، ثم خطَّ خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه السُّبل ليس منها سبيلٌ إلاَّ وعليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٣٥، ٤٦٥) والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١١١٧٤) والطيالسي (٢٤٤) وابن حبان «إحسان» (٧٢٦) والدارمي (١/ ٦٧-٦٨) والحاكم (٢/ ٣١٨) والبزار (٢٢١٠) «كشف الأستار» والطبري في «تفسيره» (١٤١٧٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٠٢) والبغوي في «شرح السنة» (٩٧) من طريق حماد ابن زيد وأبي بكر بن عياش وعمر بن أبي قيس عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود =

وعن مُجاهد: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ قال: البدع، والشبهات[١].

قال العلاَّمة ابنُ القيم رحمه الله تعالى: ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزًا، فإنَّ الناس قد تنوَّعت عباراتُهم عنه بحسب صفاته ومتعلَّقاته. وحقيقته شيءٌ واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً لهم إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرقُ كلُّها مسدودةٌ على الخلق إلاَّ طريقه، الذي نصبه على ألسُن رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه. وهو إفرادُه بالعبودية، وإفراد رسوله بالطاعة، فلا يُشْرِك به أحدًا في عبوديته ولا يُشْرِك برسوله ﷺ أحدًا في طاعته. فيجرِّدُ التوحيد، ويجرِّدُ متابعة الرسول ﷺ.

وهذا كلُّه مضموم شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله. فأيُّ شيءٍ فُسِّر به الصراطُ المستقيم، فهو داخلٌ في هذين الأصلين. ونكتة ذلك: أنْ تُحبَّه بقلبك، وتُرضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك موضعٌ إلاَّ معمورًا بحبه، ولا يكون لك إرادةٌ إلاَّ متعلقةً بمرضاته.

فالأوَّلُ: يحصل بتحقيق شهادة أنْ لا إلا إلا الله.

والثـاني: يحصل بتحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله. وهذا هو الهُدىٰ ودين

= مرفوعًا وهذا إسناد حسن وتابع عاصمًا الأعمش عند البزار (٢٢١٠) «كشف الأستار» من طريق أبي موسى «محمد بن المثنى» عن محمد بن حازم «أبو معاوية» عنه.
وقد رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ١١١٧٥) والحاكم (٢/ ٢٣٩) وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٦) من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود مرفوعًا، ورواه البزار. (٢٢١٢) «كشف الأستار» من طريق سفيان عن أبيه عن منذر الثوري عن الربيع بن خيثم عن عبدالله ابن مسعود مرفوعًا نحوه.
و قد روىٰ هذا الحديث موقوفًا عن ابن مسعود عند الطبري في «تفسيره» (١١١٧٥) وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٦) وفي إسناديهما أبان بن أبي عياش وهو متروك. وللحديث شاهد آخر من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا عند عبد بن حميد (١١٣٩) وابن ماجه (١١) وأحمد (٣/ ٣٩٧) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨١٠١) والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (٢/١٦٦) من طريق أبي خالد الأحمر عن مجالد عن الشعبي عنه و مجالد بن سعيد ضعيف وانظر حادي الأرواح (ص٩٨) بتحقيقي ط. دار ابن رجب.

(١) فيه ضعف: رواه الطبري (١٤١٦٨ـ ١٤١٧٠) وابن أبي حاتم (٨١٠٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقيل لم يسمع والتفسير من مجاهد.

الحق، وهو معرفةُ الحق والعمل به، وهو معرفةُ ما بعث الله به رسوله والقيام به. فقل ما شئتَ من العبارات، التي هذا آخِيَّتُها وقطبُ رحاها.

قال: وقال سهلُ بن عبد الله: عليكم بالأثر والسنة، فإني أخافُ أنَّه سيأتي عن قليلٍ زمانٌ، إذا ذَكَرَ إنسانٌ النبيَّ ﷺ والإقتداءَ به في جميع أحواله، ذمُّوه ونفَّروا عنه وتبرَّأوا منه، وأذلُّوه وأهانوه.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى قال ابنُ مسعود: من أراد أنْ ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمُه، فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية.

ش: قوله: (ابن مسعود). هو عبد الله بنُ مسعود بن غافل - بمعجمةٍ وفاءٍ - ابن حبيب الهُذَلي، أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ جليل من السابقين الأولين. من أهل بدر، وأُحد، والخندق، وبيعة الرِّضوان، ومن كبار علماء الصحابة. أمَّره عُمرُ على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، رضي الله عنه.

وهذا الأثر، رواه الترمذيُّ وحسَّنه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني بنحوه(١).

---

(١) **فيه مقال:** رواه الترمذي (٣٠٧٠) وقال: حسن غريب - والطبراني في «الكبير» (١٠٠٦٠) وفي «الأوسط» (١٢٠٨) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩١٨) وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٠٥٦) من طريق محمد بن فضيل عن داود الأودي عن عامر بن شرحبيل الشعبي عن علقمة بن قيس النخعي عن عبدالله بن مسعود به وداود الأودي في هذه الطبقة اثنان أحدهما داود بن عبدالله وهو ثقة والآخر داود بن يزيد الأودي وهو ضعيف وكلاهما روىٰ عن الشعبي وروىٰ عنهما محمد بن فضيل وقد جاء في «الأوسط منسوبًا ابن يزيد الأودي ولكنه من طريق خالد بن يوسف السمني عن محمد بن فضيل بن وخالد السمني ضعيف، وضعف الحديث الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي ص ٣٧٥ قال: ضعيف الإسناد.
وقد يترجح داود بن عبدالله الثقة لأن المزي لما ذكره في «تهذيب الكمال» رمز لروايته عن الشعبي بـ (ت) وعنه محمد بن فضيل بـ (ت) ولما ترجم لابن ريد رمز لروايته عن الشعبي بـ (ق) تهذيب الكمال (٨ـ ٤١٢، ٤٦٧) وحديثنا رواه الترمذي من هذا الطريق.
ولذا قال المباركفوري في شرحه «تحفة الأحوزي» (٨/ ٤٤٦) وعن داود الأودي الظاهر أن داود هذا هو داود ابن عبد الله الأودي، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٣) ط. دار الكتب إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

وسببُ هذا القول والله أعلم ما رواه البخاريُّ في (صحيحه)، عن ابنِ عباس رضي الله عنهما، قال: لما اشتدَّ بالنبي ﷺ وجعه، قال: «**أئتوني بكتاب أكتُبْ لكم كتبًا لا تختلفوا بعده**» قال عمر: إنَّ النبي ﷺ غَلَبَهُ الوجع! وعندنا كتابُ الله حَسْبُنا. فاختلفوا، وكثُرَ اللَّغط، قال: «**قوموا عنِّي ولا ينبغي عندي التَّنازع**» فخرج ابنُ عباسٍ يقول: إنَّ الرَّزيَّة كلَّ الرزية، ما حال بين رسول الله وبين كتابه[١]. فقال ابن مسعود: من أراد أنْ ينظر إلىٰ وصية محمدٍ ﷺ التي عليها خاتمه... الحديث.

قال بعضُهم: معناه: من أراد أنْ ينظر إلىٰ الوصية التي كأنها كُتبت، وختُم عليها فلم تُغيَّر ولم تُبدَّل، فليقرأ ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلىٰ آخر الآيات. شبهها بالكتاب الذي كُتب، ثم خُتم فلم يُزد فيه ولم ينقص. فإنَّ النبي ﷺ لم يوص إلاَّ بكتاب الله تعالىٰ.

كما قال فيما رواه مسلم: «**وإني تاركٌ فيكم ما إن مسَّكتم به لن تضلُّوا؛ كتاب الله**»[٢].

وقد روىٰ عُبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيُّكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟**» ثم تلا قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حتىٰ فرغ من ثلاث الآيات، ثم قال: «**من وفىَّ بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخَّره إلى الآخرة كان أمره إلى الله. إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه**»[٣] رواه ابنُ أبي حاتم، والحاكم وصححه، ومحمد بن نصر في (الاعتصام).

قلتُ: ولأنَّ النبي ﷺ لم يوص أُمتَه إلاَّ بما وصَّاهم به الله تعالىٰ، علىٰ لسانه وفي

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١١٤) ومسلم (١٦٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه الحاكم (٢/ ٣١٨) وابن أبي حاتم في التفسير (٨٠٧٧) من طريق سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من يبايعني علىٰ هؤلاء الآيات فذكره» وفي الإسناد سفيان بن حسين وهو إن كان ثقة إلا أنه ضعيف في الزهري وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١١٣) إلي عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه وعزاه صاحب «فتح المجيد» إلىٰ محمد ابن نصر في «الاعتصام».

كتابه الذي نزّله ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] وهـذه الآياتُ وصيةُ الله تعالىٰ، ووصيةُ رسوله ﷺ.

قـال المصنِّفُ رحمـه الله تعالـى: وعن مُعـاذ بن جبل، قـال: كنتُ رديفَ النـبيِّ ﷺ على حمار، فقال لي: «يا مـعاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ ومـا حقُّ العـبـاد علىٰ الله» قلتُ: اللـه ورسولـه أعـلم، قـال: «حقُّ الله على العباد: أنْ يـعبدوه ولا يُشركوا به شـيئًا، وحقُّ العبـاد على الله: أنْ لا يُعذِّبَ من لا يشـركَ به شـيـئًا» قلتُ: يـا رسول الله. أفـلا أُبشِّـر الناس؟ قـال: «لا تُبشِّرْهم فيتَّكلوا» أخرجاه في (الصحيحين).

ش: هذا الحديثُ في (الصحيحين) من طُرق، وفي بعض رواياته نحوٌ مما ذكره المصنف.

ومُعاذ: هو ابن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها. وكان إليه المُنتهىٰ، في العلم والأحكام والقرآن، رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ: «معاذٌ يُحشر يوم القيامة أمام العُلماء برَتوة»(٢) أي بخطوة.

قـال في (القـامـوس): والرَّتْوَةُ: الخطوةُ، وشَـرَفٌ من الأرض، وسُـوَيعـةٌ من الزمان، والـدَّعوةُ، والقَطرة، ورميةٌ بسَهـم، أو نحوُ ميلٍ أو مَدَىٰ البَصَـر. والرَّاتي: العالمُ الرَّبانيُّ. انتهىٰ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨) واطرافه وينظر (٢٨٥٦، ٥٩٦٧) ومسلم (٣٠).

(٢) صحيح بشواهده: رواه ابن سعد (٢/ ٣٤٨، ٣/ ٥٩٠) وابو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٨) من طريق شهر بن حوشب قال عمر فذكره مرفوعًا. وشهر لم يدرك عمر ثم إن شهراً متكلم فيه وله طريق آخر عن عمر عند أبي نعيم (١/ ٢٢٩) وفي إسناده ضعف والحديث له شواهد مراسيل منها مارواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٤٧) وأبو نعيم (١/ ٢٢٩) بإسناد صحيح عن محمد بن كعب عن النبي ﷺ مرسلا. وآخر رواه ابن أبي شيبة (١٢٣٤٣) وابن سعد (٢/ ٣٤٧) عن أبي عون بسند صحيح مرسل وثالث ما رواه ابن أبي شيبة (١٢٣٤٤) وابن سعد (٢/ ٣٤٧) بسند صحيح عن الحسن مرسلاً.
وثم شواهد أخرىٰ انظر «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص ٣٤٢) لشيخنا أبي عبد الله مصطفي العدوي حفظه الله.

وقال في (النهاية): أنه يتقدَّم العُلماء برَتْوة. أي: برَمْية سَهْم. وقيل: بميل. وقيل: مدىٰ البصر. وهذه الثلاثةُ، أشبهُ بمعنىٰ الحديث.

مات سنة ثماني عشرة بالشام، في طاعون عَمَواس. واستخلفه النبيُّ ﷺ علىٰ أهل مكة يوم الفتح، يعلمهم دينهم.

قوله: (كنتُ رديفَ النبي ﷺ). فيه: جوازُ الإردافِ علىٰ الدابة، وفضيلةُ معاذ.

قوله: (علىٰ حمار). في رواية اسمه: عُفَير[1].

قلت: أهداه إليه المُقَوقسُ، صاحب مصر. وفيه: تواضُعه ﷺ لركوب الحمار والإرداف عليه، خلافًا لما عليه أهلُ الكِبر.

قوله: «أتدري ما حقُّ الله على العباد» أخرج السؤالَ بصيغة الاستفهام؛ ليكون أوقعَ في النفس، وأبلغ في فهم المُتعلِّم.

وحقُّ الله علىٰ العباد: هو ما يستحقُّه عليهم.

وحقّ العباد علىٰ الله: معناه أنه مُتحقِّقٌ لا محالة؛ لأنه قد وعدهم ذلك جزاءً لهم علىٰ توحيده ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: ٦].

قال شيخُ الإسلام: كونُ المطيع يستحق الجزاءَ، هو استحقاق إنعامٍ وفضلٍ. ليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوقُ علىٰ المخلوق. فمن الناس، من يقول: لا معنىٰ للاستحقاق إلاَّ أنَّه أخبر بذلك ووعْده صدقٌ. ولكنّ أكثرَ الناس يُثبتون استحقاقًا زائدًا علىٰ هذا؛ كما دلَّ عليه الكتابُ والسنة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، لكن أهلُ السنة يقولون: هو الذي كتب علىٰ نفسه الرحمة، وأوجب علىٰ نفسه الحقَّ، لم يوجبه عليه مخلوق.

والمعتزلةُ يدَّعون أنَّه واجبٌ عليه بالقياس علىٰ المخلوق، وأنَّ العبادَ همُ الذين أطاعوه بدون أنْ يجعلهم مُطيعين له، وأنَّهم يستحقون الجزاء بدون أنْ يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك.

هذا البابُ غَلطت فيه الجبريةُ القدرية أتباع جهم، والقدرية النافية. قوله: (قلتُ: الله ورسوله أعلَم). فيه: حُسن الأدب من المتعلم، وأنَّه ينبغي لمن سُئل عمّا لا يعلم

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٥٦).

أنْ يقول ذلك، بخلاف أكثر المتكلِّفين.

قــوله: «أنهْ يعبـدوه ولا يشركوا به شيـئًا» أي: يوحِّدوه بالعبادة. ولقـد أحسن العلاَّمةُ ابن القيم، حيث عرَّف العبادة بتعريفٍ جامعٍ، فقال:

وعبـادةُ الرحـمن غــايةُ حُــبِّـه ... مــع ذُلِّ عـابــده هــمـا قُـطبـان

وعليـهــمـا فلـكُ العــبادة دائرُ ... مـا دار حــتى قـامـت القــطبـانَ

ومـدارُهُ بـالأمــر أمرِ رســولِــه ... لا بالـهـوى والنفسِ والـشـيطان

قـوله: «ولا يُشركوا به شيئًا» أي: يوحِّدوه بالعبادة، فلابُدَّ من التجرُّد من الشرك في العـبـادة. ومَن لـم يتجـرَّد من الشـرك، لـم يكن آتيًـا بعبـادة الله وحـده، بل هو مشركٌ، قد جعل لله ندًّا.

وهذا معنىٰ قول المصنف رحمه الله تعالىٰ: وفـيه: أنَّ العبادةَ هي التوحيدُ؛ لأنَّ الخصومَةَ فيه.

وفي بعض الآثار الإلهية: إني والجنُّ والإنس في نبإٍ عظيمٍ، أخلقُ ويُعبد غيري، وأرزقُ ويُشكر سواي. خيري إلىٰ العباد نازل، وشرهم إليَّ صاعد، أتحبَّبُ إليهم بالنعم، ويتبغَّضون إليَّ بالمعاصي[1].

قــوله: «وحقُّ العباد على الله أنْ لا يُعذِّب من لا يُشـرك به شيئًا». قـال الحـافظ: اقـتـصر علىٰ نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بـالاقتضـاء، ويستدعي إثباتَ الرسالة باللزوم. إذ من كـذَّب رسـولَ الله ﷺ فقـد كذَّب الله، ومن كذّب الله فـهـو مشرك. أو هو مثلُ قولِ القائل: من توضأ صحَّت صلاتُه، أي: مع سائر الشروط. انتهىٰ.

قوله: (أفلا أبشِّرُ الناس). فيه: استحبابُ بشارة المُسلِم، بما يَسرُّه، وفيه: ما كان عليه الصحابةُ من الاستبشار بمثل هذا. قاله المصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٩٣) والبيهقي في الشعب (٤٥٦٣)من طريق بقية عن صفوان ابن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن فضير وشريح بن عبيد الحضرميان عن أبي الدرداء فذكره مرفوعًا. وفي الإسناد انقطاع بين الراوي عن أبي الدرداء وأبي الدرداء. وفي الإسناد بقـية وهو مـدلس ويسـوي وقد عنعن الإسناد وإن كان وقع تصريح بينه وبين صفوان وبين صفوان وشيخه في بعض الطرق.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨).

قوله: «لا تُبشرهم فيتَّكلوا». أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال.

وفي رواية: فأخبر بها مُعاذُ عند موته، تأثمًا. أي: تخرُّجًا من الإثم.

قال الوزير، أبو المظفَّر: لم يكن يكتمها إلاَّ عن جاهلٍ، يحمله جهلُه على سُوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة. فأمَّا الأكياسُ، الذين إذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة، ورأوا أنَّ زيادة النعم تستدعي زيادةَ الطاعة، فلا وجه لكتمانها عنهم.

وفي الباب من الفوائد، غيرُ ما تقدَّم: الحثُّ على إخلاص العبادة لله تعالى، وأنها لا تنفع مع الشرك بل لا تُسمَّى عبادة. والتنبيهُ على عَظمة حق الوالدين، وتحريم عقوقهما. والتنبيهُ على عظمة الآيات المحكمات في سُورة الأنعام.

وجوازُ كِتمان العلم للمصلحة.

قوله: (أخرجاه). أي: البخاريُّ، ومسلم.

والبخاري: هو الإمام، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَردِزْبَه الجُعفي مولاهم، الحافظ الكبير، صاحب (الصحيح) و (التأريخ) و (الأدب المُفرد)، وغيرِ ذلك من مصنفاته.

روى عن: الإمام أحمد بن حنبل، والحُمَيدي، وابن المَديني، وطبقتهم.

وروى عنه: مسلمٌ، والنسائي، والترمذي، والفِرَبري راوي (الصحيح). ولد سنة أربعٍ وتسعين ومائة، ومات سنة ستٍ وخمسين ومائتين.

ومسلم: هو ابن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين، القُشيري النيسابوري، صاحب (الصحيح) و (العلل) و (الوحدان)، وغير ذلك. روى عن: أحمد بن حنبل، ويحيى بن مَعين، وأبي خيثمة، وابن أبي شيبة وطبقتهم، وروى عن البخاري (صحيحه).

وروى عنه: الترمذي، وإبراهيم بن محمد بن سفيان راوي (الصحيح) وغيرهما.

ولد سنة أربعٍ ومائتين، ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، رحمهما الله تعالى.

(١)

بـــاب

بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

قال المـصنِّف رحمـه الله تعالى: بابُ بيـان فضلِ التـوحيـد وما يكفِّـر من الذنوب.

ش: (باب): خبرُ مبتدأ محذوف، تقديرُه: هذا.

قلتُ: ويجوز أنْ يكون مبتدأً خبرُه محذوف، تقديره: هذا.

و: (ما). يـجوز أنْ تكون مـوصولة، والعـائد محـذوفٌ. أي: وبيانُ الذي يكفِّرهُ من الذنوب. ويجوز أنْ تكون مصدرية، أي: وتكفيره الذنوب، وهذا الثاني أظهر.

قال المصنِّفُ رحمه الله تـعالى: وقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ش: قـال ابنُ جـرير: حـدَّثني المُثنَّى وسـاق بسنده عـن الربيع بن أنس، قـال: الإيمان: الإخلاصُ لله وحده[١].

وقال ابنُ كثير ـ في الآية ـ: أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لـله وحده، ولـم يُشركوا به شيئًا: هم الآمنون يوم القيامة، المُهتدون في الدنيا والآخرة.

وقـال ابنُ زيد، وابنُ إسـحـاق: هذا من الله علـى فَـصل القـضـاء، بين إبراهيم وقومه[٢].

وعن ابن مسعود: لمَّا نزلت هذه الآيةُ، قالوا: فأيُّنا لم يظلم نفسه؟

(١) إسناده ضعيف: في الإسناد المثنى وهو الآملي ولا يعلم له ترجمة وانظر الطبري (١٣٤٧٢)

(٢) جاء نحو ذلك عند الطبري (١٣٤٧٧) بإسناده عن ابن اسحاق وفي الإسناد إليه ابن حميد وهو ضعيف وعند الطبري (١٣٤٧٨) بإسناد صحيح إلى ابن زيد.

قال عليه السلام: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

وساقه البخاريُّ بسنده، فقال: حدَّثنا عُمرُ بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمشُ، حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: لَمَّا نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ قلنا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: **«ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك. أوَلَم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾**[1].

وهذا الحديثُ في (الصحيح) و (المُستدرك) وغيرهما.

ولأحمد بنحوه، عن عبد الله، قال: لَمَّا نزلت: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، فأيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: **«إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبدُ الصالح: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، إنما هو الشرك»**[2].

وعن عُمر: أنَّه فسَّره بالذنب[3]. فيكون المعنى: الأمنُ من كلِّ عذاب. وقال الحسن، والكلبي: أولئك لهم الأمنُ في الآخرة، وهم مُهتدون في الدنيا[4].

قال شيخُ الإسلام: والذين شَقَّ عليهم، ظنوا أنَّ الظلم المشروط هو ظُلمُ العبدِ نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلاَّ لمن لم يظلم نفسه. فبيَّن لهم النبيُّ ﷺ ما دلَّهم على أنَّ الشرك ظلمٌ في كتاب الله، فلا يحصل الأمنُ والاهتداء إلاَّ لمن لم يَلْبِس إيمانه بظلم، فإنَّ من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الإصطفاء، في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ [فاطر: ٣٢].

وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدُهم بظلمه لنفسه، بذنب إذا لم يتب؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٣٢) ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود.
(٢) **إسناده صحيح:** رواه أحمد (١/ ٣٧٨).
(٣) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٣٥٠، ١٣٥١) من طريق أبي عثمان عمرو بن سالم عن عمر به وعمرو ابن سالم مجهول.
(٤) انظر نحو هذا التفسير عند الطبري آية ٨٢ من سورة الأنعام و«تفسير ابن كثير» (٢/ ١٥٢) عند هذه الآية أيضا.

وقد سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيُّنا لم يعمل سوءًا؟ فقال: **يا أبا بكر ألست تنصَب؟ ألست تحزن، أليس يصيبك اللأواء؟! فذلك ما تُجزون به»**(١).

فبيَّن: أنَّ المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة، قد يُجزىٰ بسيئاته في الدنيا بالمصائب.

قال: فمن سَلِم من أجناسِ الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك، كان له الأمنُ التام والاهتداء التام. ومن لم يسْلَم من ظلمه لنفسه، كان له الأمنُ والاهتداء مطلقًا.

بمعنىٰ: أنَّه لابُدَّ أنْ يدخل الجنة، كما وُعد بذلك في الآية الأخرىٰ وقد هداه الله إلىٰ الصراط المستقيم، الذي تكون عاقبتُه فيه إلىٰ الجنة. ويحصل له من نقصِ الأمن والاهتداء، بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه.

---

(١) **صحيح بطرقه وشواهده:** رواه أحمد (١/ ١١) وابن حبان (٢٩١٠، ٢٩٢٦) «إحسان» وأبو يعلىٰ (٩٨: ١٠١) والطبري (١٠٥٢٨ـ ١٠٥٣٣) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير عن أبي بكر الصديق به. والإسناد فيه انقطاع بين أبي بكر بن أبي زهير وأبي بكر الصديق ثم إن أبا بكر بن أبي زهير مجهول. ورواه أبو يعلىٰ (٩٩) في بعض الطرق من طريق إسماعيل بن خالد عن أبي بكر الصديق والأول أشبه. وله طرق أخرىٰ من هذا الطريق وهم وخطأ كما في «علل الدارقطني» (١/ ٢٨٤). ورواه الطبري (١٠٥٣٨ و ١٠٥٣٩) من طريق الربيع بن صبيح وابن جريج عن عطاء عن أبي بكر مرسلاً. ورواه الطبري (١٠٥٢٦) من طريق لا بأس به عن محمد بن يزيد بن قنفذ عن عائشة عن أبي بكر به. ولكن ينظر هل لمحمد ابن يزيد سماع من عائشة أم لا وما أخاله سمع. ورواه الترمذي (٣٠٣٩) والبغوي (٥/ ٢٤٩، ٢٥٠) وغيرهما من طريق موسىٰ بن عبيدة عن مولىٰ ابن سبَّاع عن ابن قمر عن أبي بكر به وموسىٰ ضعيف ومولىٰ ابن سباع مجهول. ورواه أحمد (٦/ ٦٥، ٦٦) والبخاري في «التاريخ» (٨/ ٣٧١) وابن حبان (٢٩٢٣) وأبو يعلىٰ (٤٦٧٥، ٤٨٣٩) وفي الموضح الثاني تحريض في بعض الأسماء والبيهقي في «الشعب» (٩٨٠٦، ٩٨٠٧) وسقط اسم يزيد في الموضع الأول من المطبوع ـ من طريق يزيد بن أبي يزيد عن عبيد بن عمير عن عائشة به نحوه. ويزيد مجهول وانظر تحقيق مسند أحمد للشيخ شعيب الأرناؤوط رقم (٢٤٣٦٨) وله طريق آخر عن عائشة عند الطبري (١٠٥٣٥ـ ١٠٥٣٧) من طريق أبي عامر الخزاز حدثنا ابن أبي مليكة عن عائشة به وأبو عامر الخزاز صدوق كثير الخطأ.

وللحديث شاهد عند مسلم (٢٥٧٤) عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ومن يعمل سوءًا يجز به﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا فقال رسول الله ﷺ «قاربوا وسددوا. ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة. حتىٰ النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها».

ليس مرادُ النبي ﷺ بقوله: **إنما هو الشرك**" أنَّ من لم يُشرك الشرك الأكبر، يكونُ له الأمنُ التام والاهتداء التام. فإنَّ أحاديثه الكثيرة، مع نصوص القرآن: تبيِّنُ أنَّ أهل الكبائر مُعرَّضون للخوف، لم يحصل لهم الأمنُ التام والاهتداء التام الذي يكونون به مُهتدين إلىٰ الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، من غير عذاب يحصل لهم. بل معهم أصلُ الاهتداء إلىٰ هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله تعالىٰ عليهم، ولابُدَّ لهم من دخول الجنة.

وقوله: «**إنما هو الشرك**» إنْ أراد الأكبر، فمقصودُه: أنَّ من لم يكن من أهله فهو آمنٌ مما وُعدَ به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة. وإنْ كان مرادُه جنس الشرك، فيقال: ظُلْمُ العبد لنفسه.، كبُخله ـ بحُب المال ـ ببعض الواجب هو شِركٌ أصغر. وحُبِّه ما يبغضه الله تعالىٰ، حتىٰ يقدِّم هواه علىٰ محبة الله شركٌ أصغر، ونحو ذلك. فهذا فاته من الأمن والاهتداء، بحسبه. ولهذا كان السلفُ يُدخلون الذنبَ في هذا الشرك، بهذا الاعتبار. انتهىٰ مُلخصًا.

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: قوله تعالىٰ: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢]. قال الصحابة: وأيُّنا يا رسول الله لم يَلْبِس إيمانه بظلم؟. قال: «**ذلك الشرك. ألمْ تسمعوا قول العبد الصالح** ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ فلما أشكل عليهم المرادَ بالظلم، فظنُّوا أنَّ ظلم النفس داخلٌ فيه، وأنَّ من ظلم نفسه ـ أيَّ ظلمٍ كان ـ لم يكن آمنًا ولا مهتديًا. أجابهم صلوات الله وسلامه عليه: بأنَّ الظلم الرَّافع للأمن والهداية علىٰ الإطلاق، هو الشرك.

وهذا والله، هو الجوابُ الذي يشْفي العليلَ ويروي الغليل؛ فإنَّ الظلم المطلق التام: هو الشرك، الذي هو وضعُ العبادة في غير موضعها. والأمن والهُدىٰ المطلق: هو الأمن في الدنيا والآخرة، والهُدىٰ إلىٰ الصراط المستقيم.

فالظلمُ المطلق التام، رافعٌ للأمن والهُدىٰ المطلق التام. ولا يمنع ذلك أنْ يكون مطلقُ الظلم مانعًا من مطلق الأمن، ومطلق الهُدىٰ. فتأمَّله. فالمطلقُ للمطلق، والحِصَّةُ للحصة. انتهىٰ ملخصًا.

قال المُصنِّف رحمه الله تعالى: وعن عُبادةَ بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من شهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، والجنَّةَ حقٌ والنارَ حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه(١).

ش: عُبادة بن الصامت: ابن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، أحد النقباء، بدريٌّ مشهور. مات بالرَّملة سنة أربعٍ وثلاثين، وله اثنتان وسبعون سنة. وقيل: عاش إلى خلافة مُعاوية.

قوله: «**من شهد أنْ لا إله إلاَّ الله**» أي: من تكلَّم بها عارفًا لمعناها، عاملاً بمقتضاها باطنًا وظاهرًا؛ كما قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [محمد: ١٩] وقوله: ﴿**إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف: ٨٦].

أمَّا النطق بها من غير معرفة بمعناها، ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه، من نفي الشرك وإخلاص القول والعمل قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح - فغير نافعٍ بالإجماع.

قال في (المُفهِم على صحيح مسلم): بابٌ لا يكفي مجرَّد التلفظ بالشهادتين، بل لابُدَّ من استيقان القلب.

هذه الترجمة تنبيهٌ على فساد مذهب المُرْجِئة، القائلين بأنَّ التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان.

وأحاديثُ هذا الباب تدلُّ على فساده، بل هو مذهبٌ معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها. ولأنه يلزم منه تسويغُ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطلٌ قطعًا. انتهى.

وفي هذا الحديث ما يدل على هذا، وهو قوله: «من شهد» فإنَّ الشهادة لا تصلح إلاَّ إذا كانت عن علم ويقين.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

قال النووي: هذا حديثٌ عظيمٌ جليل الموقع، وهو - أجمعُ - أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنَّه ﷺ جمع فيه ما يُخرج من مِلل الكفر، على اختلاف عقائدهم وتباعُدها، فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يُباين به جميعُهم. انتهى.

ومعنى: لا إلَه إلاَّ الله. أي: لا معبودَ حقٌّ إلا الله. وهو في مواضعَ من القرآن، ويأتيك في قول البَقَاعي صريحًا.

قوله: «وحْدَه» تأكيدٌ للإثبات. «شريك له» تأكيدٌ للنفي. قاله الحافظ؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]. فأجابوا - ردًا عليه - بقولهم: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

فتضمَّن ذلك: نفي الإلهية عمَّا سوى الله، وهي العابدة، وإثباتها لله وحده لا شريك له.

والقرآنُ من أوَّله إلى آخره، يُبيِّنُ هذا ويقرِّرُهُ ويُرشد إليه. فالعبادةُ بجميع أنواعها، إنما تصدر عن تألُّه القلب بالحب والخضوع والتذلل، رَغَبًا ورَهَبًا. وهذا كلّه لا يستحقه إلاَّ الله تعالى، كما تقدم في أدلة هذا الباب وما قبله.

فمن صرف من ذلك شيئًا لغير الله، فقد جعله نِدًا لله، فلا ينفعه مع ذلك قولٌ ولا عمل.

ذكرُ كلام العُلماء في معنى: الإله.

قد تقدَّم كلامُ ابن عباس.

وقال الوزير، أبو المظفر في (الإفصاح): قوله: «شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله» يقتضي أنْ يكون الشاهدُ عالمًا بأنْ لا إله إلاَّ الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾.

قال: واسم الله: مرتفعٌ بعد إلاَّ؛ من حيثُ أنَّه الواجبُ له الإلهية، فلا يستحقها

غيرهُ سبحانه.

قال: وجملةُ الفائدة في ذلك: أنْ تعلم أنَّ هذه الكلمة مشتملةٌ على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنَّك لَمَّا نفيت الإلهيةَ وأثبت الإيجاب لله تعالى كُنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

وقال ابن القيم في (البدائع) ردًّا لقول من قال: إنَّ المُستثنى مُخرجٌ من المنفي قال: بل هو مخرجٌ المنفي وحُكمه، فلا يكون داخلاً في المنفى. إذ لو كان كذلك، لم يدخل الرجلُ في الإسلام بقولَ: لا إله إلا الله؛ لأنه لم يُثبت الإلهية لله تعالى. وهذه أعظمُ كلمة تضمَّنت نفي الإلهية عمَّا سوى الله، وإثباتها له بوصف الاختصاص. فدلالتُها على إثبات إلهيته، أعظمُ من دلالة قولنا: الله إلهٌ ولا يستريب أحدٌ في هذا، البتَّة. انتهى بمعناه.

قلتُ: ولا ريب أنّه لم يدخل في المنفي أصلاً؛ لأنَّ المراد من هذه الكلمة: إفرادهُ تعالى بالإلهية في قلب الموحِّد وقوله وعمله، كما دلَّت عليه الآيات المُحكمات، كما أخبر عن دعوة رسله ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢] فنفوا الإلهية عمَّا سوى الله تعالى، وأثبتوها لله وحده.

فإنه تعالى هو المتصفُ بتفرُّده بالإلهية، أزلاً وأبدًا؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. وأخبر تعالى عن المُشركين، أنهم قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف: ٧٠].

أرادوا أنْ يُدخلوه في جُملة آلهتهم في العبادة، وأنكروا أنْ تكون العبادةُ له وحده، مع معرفتهم أنَّ: لا إله إلاَّ الله. تبطلُ ذلك.

وتسويةُ آلهتهم بالله في العبادة: هو الشرك الأكبرُ، الذي يوجبُ الخلود في النار. فالموحِّدُ، مخالفٌ للمشرك في قوله وفعله ونيَّته. وهذا ظاهرٌ لا خفاءَ به، بحمد الله.

وقال أبو عبد الله، القُرطبي، في تفسير لا إله إلاَّ هو. أي: لا معبود إلاَّ هو.

وقال الزَّمخشري: الإله. من أسماء الأجناس، كالرجل والفَرس، يقع على كل معبودٍ بحق أو بباطل، ثم غلب على المعبود بحق.

قال شيخُ الإسلام: الإله. هو المعبودُ المُطاع؛ فإنَّ الإله هو المألُوه، والمألُوه: هو الذي يستحق أنْ يُعبد، وكونُه يستحق أنْ يُعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أنْ يكون هو المحبوبُ غايةَ الحب، المخضُوع له غاية الخضوع.

وقال رحمه الله تعالى: فإنَّ الإله هو المحبُوب المعبود، الذي تألهُهُ القلوبُ بحبها، وتخضعُ له وتذلُّ له وتخافه وترجوه، وتُنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهمَّاتها، وتتوكلُ عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئنُّ بذكره، وتَسكُن إلى حبه. وليس ذلك إلاَّ لله وحده؛ ولهذا كانت: لا إله إلاَّ الله. أصدقَ الكلام، وكان أهلُها أهلَ الله وحزبَه، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته. فإذا صحَّت صحَّ بها كلُ مسألةٍ، وحالٍ، وذوق. وإذا لم يُصحِّحها العبدُ فالفسادُ لازمٌ له، في علومه وأعماله.

قال ابنُ القيم: الإله. هو الذي تألَهُهُ القلوبُ محبةً وإجلالاً، وإنابة وإكرامًا، وتعظيمًا وذُلاً، وخضوعًا وخوفًا، ورجاءً وتوكلا.

وقال ابنُ رجب: الإله: هو الذي يُطاعُ فلا يُعصىٰ، هيبةً له وإجلالاً ومحبةً، وخوفًا ورجاءً وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كلُّه إلاَّ لله عز وجل. فمن أشرك مخلوقًا في شيءٍ من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه، في، قول: لا إله إلاَّ الله، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.

وقال البِقَاعي: لا إله إلاَّ الله. أي: انتفىٰ انتفاءً عظيمًا أنْ يكون معبودٌ بحقٍ غير الملك الأعظم. فإنَّ هذا العلمَ هو أعظمُ الذِّكرىٰ المُنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلاَّ فهو جهلٌ صِرْف.

وقال الطيبي: الإله: فعال بمعنىٰ مفعول، كالكتاب بمعنىٰ المكتوب، من أَلِه إلهةً: أي: عَبَدَ عبادةً.

قال الشَّارحُ[1]: وهذا كثيرٌ في كلام العلماء، وإجماعٌ منهم أنَّ الإلهَ هو المعبود،

---

(١) يقصد بالشارح هنا الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب صاحب أصل هذا الشرح تيسير العزيز الحميد (ص٧٦ـ٧٧).

خلافًا لما يعتقدُه عُبَّادُ القبور وجهلةُ المتكلمين، من أنَّ معناه: هو الخالق والقادر على الاختراع، ونحو ذلك. ويظنون أنَّهم إذا قالوها فقد أتوا من التوحيد بالغاية القُصوىٰ، ولو فعلوا ما فعلوا: من عبادة غير الله كدعوة الأموات، والاستغاثة بهم في الكربات والنذر لهم في المُلِمَّات، إلىٰ غير ذلك من أنواع العبادات.

وما شعروا أنَّ مُشركي العرب وغيرهم يُشاركونهم في الإقرار بهذا المعنىٰ، ويعتقدون أنَّ الله هو الخالقُ القادر علىٰ الاختراع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

فأخبر تعالىٰ عنهم: أنَّهم اتخذوا الأولياء من دونه، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] فتبًّا لمن كان أبو جهلٍ ورؤوسُ الكفرِ من قريشٍ وغيرهم أعلَمَ منه بمعنىٰ لا إله إلا الله!!.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦]. فعرفوا أنَّها تدلُّ علىٰ ترك عبادة معبوداتهم.

قلتُ: ودلالتُها علىٰ هذا دلالةُ تضمُّن، وأنَّ ذلك يقتضي إخلاص العبادة لله وحده. فدلالتُها علىٰ نفي الإلهية وعبادتها، وإفراد الله تعالىٰ بالعبادة دلالةُ مُطابقةٍ.

فدلَّت لا إله إلاَّ الله: علىٰ نفي العبادة عن كُلِّ ما سوىٰ الله، كائنًا من كان، وإثبات الإلهية لله وحده، دون ما سواه: وهذا هو التوحيدُ الذي دعت إليه الرسلُ ودلَّ عليه القرآن من أوَّله إلىٰ آخره؛ كما قال تعالىٰ عن الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

فلا إله إلاَّ الله: لا تنفع إلاَّ من عرف مدلولها نفيًا وإثباتًا، واعتقد ذلك، وقَبِلَه وعمل به.

وأمَّا من قالها عن غير علمٍ واعتقادٍ وعمل، فقد تقدَّم كلامُ العُلماء أنَّ هذا جهلٌ صِرْفٌ. فهو حجةٌ عليه، بلا ريب.

فقوله في الحديث: «وحده لا شريك له». تأكيدٌ، وبيانٌ لمضمون معناها. وقد

أوضح الله تعالىٰ ذلك، وبيَّنه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المُبين.

فما أجهل عُبَّادَ القُبور بحالهم!!، وما أعظم ما وقعوا فيه. فإنَّ مُشركي العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلاَّ الله، لفظًا ومعنىٰ، وهؤلاء المشركون أقرُّوا بها لفظًا، وجحدوها معنىٰ.

فتجد أحدَهم يقولُها وهو يألهُ غيرَ الله بأنواع العبادة، كالحُب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والدعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة. بل زاد شركُهم علىٰ شرك العرب بمراتب؛ فإنَّ أكثرهم إذا وقع في شدة، أخلصَ الدعاءَ لغير الله تعالىٰ، ويعتقدون أنَّه أسرعُ فرجًا لهم. بخلاف حال المُشركين الأوّلين، فإنهم يُشركون في الرخاء، وأمَّا في الشدائد فإنما يُخلصون لله وحده؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] الآية.

فبهذا تبيَّن: أنَّ مُشركي أهل هذه الأزمان، أجهلُ بالله وبتوحيده من مُشركي العرب، ومن قبلهم.

وقوله: «وأنَّ محمداً عبده ورسوله» أي: وشهد بذلك، وهو معطوفٌ علىٰ ما قبله علىٰ نيَّة تكرار العامل.

ومعنىٰ: العبد، هنا: المملوكُ العابد. أي: أنَّه مملوكٌ لله تعالىٰ، والعبوديةُ الخاصة وصفُه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] فأعلىٰ مراتب العبد، العبوديةُ الخاصة والرسالة.

فالنبيُّ، محمد ﷺ أكملُ الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين. وأمَّا الربوبيةُ، والإلهية: فهما حقُّ الله تعالىٰ، لا يُشاركه في شيءٍ منها مَلَكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسل.

وقوله: «عبدُه ورسوله» أتىٰ بهاتين الصفتين، وجمعهما دفعًا للإفراط والتفريط.

فإنَّ كثيراً ممَّن يدّعي أنَّه من أُمَّته: أفرط بالغلو قولاً وفعلاً، وفرَّط بترك مُتابعته، واعتمد علىٰ الآراء المخالفة لما جاء به، وتعسَّف في تأويل أخباره وأحكامه، بصرفها عن مدلولها، والصَّدْف عن الانقياد لها مع اطِّراحها. فإنَّ شهادة أنَّ مَحمداً عبده ورسوله تقتضي الإيمانَ به، وتصديقهَ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاءَ عمَّا عنه زجر، وأنْ يُعظَّم أمرهُ ونهيهُ، ولا يُقدَّمَ عليه قولُ أحدٍ كائنًا من كان.

والواقعُ اليومَ وقبلَه خلاف ذلك! ، فالله المُستعان.

وروىٰ الدَّارميُّ في (مُسنده) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أنه كان يقول: إنَّا لنجدُ صفةَ رسول الله ﷺ: إنَّا أرسلناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً وحِرزا للأُمِّيين. أنت عبدي ورسولي، سمَّيتُه المتوكِّل. ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلَها، ولكن يعفو ويتجاوز. لن أقبضه حتىٰ يُقيم المِلَّة المتعوجَّة، بأن يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله، يُفتح بها أعيناً عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا[١].

قال عطاءُ بـن يَسار: وأخبرني أبو واقد الليثي، أنَّه سمع كعبًا يقول، مثل ما قال ابنُ سلام[٢].

قوله: «وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه» أي: خلافًا لما يعتقدُه النصارىٰ، أنَّه الله، أو ابنُ الله، أو ثالثُ ثلاثة. تعالىٰ الله عمَّا يقولون علواً كبيراً ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

فلابُدَّ أنْ يشهد أنَّ عيسىٰ عبدُ الله ورسوله. علىٰ علمٍ ويقين بأنه مملوكٌ لله، خَلَقَه من أُنثىٰ بلا ذكر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. فليس ربًا ولا إلهًا، سبحان الله عما يشركون، قال تعالىٰ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ

---

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح لغيره: رواه البخاري معلقًا وعقب حديث (٢١٢٥) ووصله الدارمي
(٦) ويعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٣٨) وأبو نعيم في «الدلائل» (٢٢١) ط. دار العاصمة.
والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٦) والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٥١٨) والحافظ في
«تغليق التعليق» (٣/ ٣٣٤) والطبراني في «الكبير» (١٦٣) قطعة من مسانيد من اسمه عبدالله ط. دار الراية.
من طريق عبدالله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن هلال عن عطاء بن يسار
عن ابن سلام به وقد خالف سعيد بن أبي هلال فليح بن سليمان وعبد العزيز بن أبي سلمة في تعيين الصحابي
فجعله سعيد بن أبي هلال. ابن سلام والآخران جعلاه عبدالله بن عمرو بن العاص فقد رواه البخاري
(٢١٢٥، ٤٨٣٨) من طريق فليح بن سليمان وعبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال عن عطاء بن
يسار عن عبدالله عن عمرو به لكن الحافظ قال إنه محفوظ عنهما جميعًا راجع «الفتح» (٤/ ٤٠٣) و«تغليق
التعليق» (٣/ ٢٣٣ـ٢٣٥) ثم إنه في الإسناد عبدالله بن صالح وفيه ضعف.
ولرواية عبدالله بن سلام طريق آخر أخرجه ابن سعد (١/ ٢٧٠) من طريق زيد بن أسلم قال بلغنا عن عبدالله
ابن سلام فذكر نحوه.

(٢) ذكره الدارمي (٦) عقب الرواية السابقة.

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[مريم: ٢٩-٣٠].

وقال: ﴿لن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[النساء: ١٧٢].

ويشهدُ المؤمنُ أيضًا ببطلان قولِ أعدائه اليهود: أنَّه ولدُ بغيٍّ، لعنهم الله. فلا يصحُّ إسلامُ أحدٍ، حتى يتبرأَ من قول الطائفتين جميعًا في عيسى عليه السلام، ويعتقد ما قاله الله تعالى فيه: أنَّه عبدُ الله ورسوله.

قوله: «وكلمتُه» إنما سُمِّي عيسى عليه السلام كلمتَه؛ لوجوده بقوله: كُن كما قاله السلفُ من المُفسرين.

قال الإمامُ أحمد في (الرَّد على الجهمية): الكلمةُ التي ألقاها إلى مريم، حين قال له: كُن. فكان عيسى بكن، وليس عيسى هو: كن. ولكن كان بكُن. فكُن من الله تعالى قولاً، وليس: كُن. مخلوقًا. وكذبَ النصارى والجهميةُ على الله في أمر عيسى. انتهى.

وقوله: «ألقاها إلى مريم». قال ابنُ كثير: خلَقه بالكلمة التي أُرسل بها جبرائيلُ عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عزّ وجل، فكان عيسى بإذن الله عزَّ وجل. فهو ناشئٌ عن الكلمة - التي قاله له: كُن، فكان - والروح التي أُرسل بها جبرائيل عليه السلام.

قوله: «وروحٌ منه» قال أُبيُّ بن كعب: عيسى روحٌ من الأرواح التي خلقها الله تعالى، واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعثه الله إلى مريم، فدخل فيها[1]. رواه عبدُ بن حُميد، وعبد الله بن أحمد في زوائد (المسند)، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهم.

قال الحافظ: ووصْفه بأنَّه منه، المعنى: أنَّه كائنٌ منه؛ كما في قوله تعالى:

---

(١) حسن بطريقيه: رواه الحاكم (٢/ ٣٥٣، ٤٠٥) ط. دار الكتب العلمية تحقيق مصطفى عبد القادر. والطبري (١٠٨٥٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٥٩، ٥٦٠) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب به. وأبو جعفر الرازي سيئ الحفظ ولكن تابعه سليمان التيمي عن عبدالله بن أحمد في «زوائده على المسند» (٥/ ١٣٥) إلا ان في الإسناد محمد بن يعقوب الربالي شيخ عبدالله بن أحمد وهومستور قاله الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٥) وانظر ترجمته في «تعجيل المنفعة».

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٢] فالمعنى: أنَّه كائنٌ منه؛ كما أنَّ معنى الآية الأخرى: أنَّه سخَّر هذه الأشياء كائنةً منه. أي: أنَّه مُكوِّنُ ذلك وموجِدُه، بقَدَرِه وحكمته.

قال شيخ الإسلام: المضافُ إلى الله تعالى إذا كان معنىً لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات، وجب أنْ يكون صفةً لله تعالى قائمةً به، وامتنع أنْ تكون إضافتها إضافةَ مخلوقٍ مربوب.

فإذا كان المضافُ عينًا قائمةً بنفسها: كعيسى، وجبرائيل عليهما السلام، وأرواح بني آدم، امتنع أنْ تكون صفةً لله تعالى؛ لأن ما قام بنفسه لا يكون صفةً لغيره. لكنَّ الأعيان المضافة إلى الله على وجهين:

أحدُهما: أنْ تُضاف إليه؛ لكونه خلقَها وأبدعها. فهذا شاملٌ لجميع المخلوقات، كقولهم: سماءُ الله، وأرضُ الله. فجميع المخلوقين عبيدُ الله، وجميع المال مالُ الله.

الوجه الثاني: أنْ يُضاف إليه؛ لما خصَّهُ به من معنىً يُحبُّه ويأمر به ويرضاه، كما خصَّ البيتَ العتيق بعبادةٍ فيه لا تكون في غيره، وكما يُقال عن مال الفيءِ والخُمُسْ: هو مالُ الله ورسوله.

ومن هذا الوجه: فعبادُ الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه إضافةٌ تتضمن أُلوهيَّته وشرعه ودينه، وتلك إضافةٌ تتضمن ربوبيَّته وخلْقه. انتهى ملخصًا.

قوله: «والجنَّةُ حقٌّ والنَّارَ حقٌّ»(١). أي: وشهد أنَّ الجنة التي أخبر بها تعالى في كتابه أنَّه أعدَّها للمُتقين حقٌّ ثابتةٌ لا شك فيها، وشهد أنَّ النار التي أخبر بها تعالى في كتابه أنَّه أعدَّها للكافرين حقٌّ كذلك ثابتةٌ كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] وفي الآيتين ونظائرهما: دليلٌ على أنَّ الجنة

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٥) ومسلم (٣٣) وطرفه في كتاب المساجد باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر باب(٤٧).

والنار مخلوقتان الآن، خلافًا للمبتدعة. وفيهما: الإيمانُ بالمعاد.

قوله: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». هذه الجملةُ جوابُ الشرط، وفي رواية: «أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء».

قال الحافظ: ومعنى قوله: «على ما كان من العمل» أي: من صلاحٍ أو فساد، لكنَّ أهلَ التوحيد لابُدَّ لهم من دخول الجنّة. ويحتملُ أنْ يكون معنى قوله: «على ما كان من العمل» أي: يدخل أهلُ الجنة الجنة على حَسَب أعمال كلٍّ منهم في الدرجات. انتهى.

قال القاضي عياض: ما ورد في حديث عُبادة يكون خصوصًا لمن قال ما ذكره النبيُّ ﷺ، وقَرَن بالشهادتين حقيقةَ الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجحُ على سيئاته، ويوجبُ له المغفرة والرحمة، ودخول الجنة لأوَّل وهْلة.

قال العلاَّمةُ ابن القيم رحمه الله تعالى: والمقصود أنَّ كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمنُ عارفًا لمعناها وحقيقته نفيًا وإثباتًا، مُتصفًا بموجبها قائمًا قلبه ولسانُه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمةُ من هذا الشاهد. أصلُها ثابتٌ راسخ في قلبه، وفروعُها متصلةٌ في السماء، وهي مخرجةٌ لثمرتها كلَّ وقت. انتهى.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما، في حديث عِتْبان: «فإنَّ الله حرّم على النار من قال: لا إله إلاَّ الله يبتغي بذلك وجهَ الله».

ش: قوله: (ولهما). أي: للبخاري، ومسلم في (صحيحيهما) بكماله.

وهذا طرفٌ من حديث طويل، أخرجه الشيخان.

و: عِتبان: بكسر المهملة، بعدها مُثنَّاة فوقية، ثم موحَّدة: ابنُ مالك بن عمرو بن العجلانَ الأنصاري، من بني سالم بن عوف، صحابيٌّ مشهور، مات في خلافة معاوية.

وأخرجه البخاريُّ في (صحيحه) بسنده، عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك، أنَّ النبي ﷺ ـ ومُعاذٌ رديفُه على الرَّحْل ـ قال: «يا مُعاذُ!» قال: لبَّيك يا رسول الله

وسَعْديك، قال: «**يا معاذُ!**» قال: لبَّيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك - ثلاثًا - قال: «**ما من أحد يشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرَّمه الله تعالى علىَ النار**» قال: يا رسول الله، أفلا أُخبر به الناس فيستبشروا، قال: «**إذًا يتَّكلوا**» فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّمًا[١].

وساق بسند آخر: حدثنا معتمر، قال: سمعتُ أبي، قال: سمعتُ أنسًا، قال: ذُكر لي أنَّ النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «**من لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة**» قال: أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: «**لا إني أخاف أن يتكلوا**»[٢].

قلتُ: فتبينَّ بهذا السياق معنى شهادةِ أنْ لا إله إلاَّ الله، وأنها تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدقٍ ويقين وإخلاص.

قال شيخُ الإسلام، وغيره - في هذا الحديث ونحوه: إنها فيمن قالها ومات عليها؛ كما جاءت مقيدةً بقوله، خالصًا من قلبه غيرَ شاك فيها، بصدق ويقين.

فإنَّ حقيقة التوحيد انجذابُ الروح إلى الله تعالى جملةً، فمن شهد أنْ لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة؛ لأنَّ الإخلاص هو انجذابُ القلب إلى الله تعالى بأن يتوبَ من الذنوب توبة نصوحًا.

فإذا مات على تلك الحال نال ذلك؛ فإنه قد تواترت الأحاديثُ بأنه يخرجُ من النار من قال: لا إلا إلاَّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزنُ شعيرةً، وما يزنُ خردلةً، وما يزن ذرَّةً.

وتواترت بأنَّ كثيراً ممن يقول: لا إله إلاَّ الله، يدخل ثم يخرج منها.

وتواترت بأن الله حرَّم على النار أنْ تأكل أثرَ السجود من ابن آدم؛ فهؤلاء كانوا يُصلّون، ويسجدون لله.

وتواترت بأن الله يُحرِّمُ على النار من قال: لا إله إلاَّ الله وشهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، لكن جاءت مقيّدةً بالقيود الثّقال.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢).
(٢) صحيح: رواه البخاري (١٢٩).

وأكثرُ من يقولها لا يعرف الإخلاص! ، وأكثر من يقولها إنَّما يقولها تقليدًا أو عادةً، ولم يخالط الإيمانُ بشاشةَ قلبه!

وغالبُ من يُفتَنُ عند الموت وفي القبور أمثالُ هؤلاء؛ كما في الحديث: «**سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقُلْتُه**»(١) وغالبُ أعمال هؤلاء إنَّما هو تقليدٌ واقتداءٌ بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] وحينئذٍ فلا منافاة بين الأحاديث.

فإنَّه إذا قالها بإخلاصٍ ويقينٍ تام، لم يكن في هذه الحال مُصرًا علىٰ ذنب أصلاً؛ فإنَّ كمال إخلاصه ويقينه يوجبُ أنْ يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء، فإذن لا يبقىٰ في قلبه إرادةٌ لما حرَّم الله ولا كراهةٌ لما أمر الله.

وهذا هو الذي يَحْرم علىٰ النار، وإنْ كانت له ذنوبٌ قبل ذلك. فإنَّ هذا الإيمان وهذا الإخلاص، وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين، لا يتركون له ذنبًا إلاَّ مُحي عنه كما يمحو الليلُ النهار.

فإذا قالها علىٰ وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غيرُ مصرٍّ علىٰ ذنبٍ أصلا، فيُغفر له ويحرم علىٰ النار.

وإنْ قالها علىٰ وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأتِ بعدها بما يناقضُ ذلك، فهذه الحسنةُ لا يقاومها شيءٌ من السيئات.

فيرجعُ بها ميزانُ الحسنات؛ كما في حديث البطاقة(٢)، فيحرم علىٰ النار، ولكن تنقص درجتُه في الجنة بقدر ذنوبه.

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (٦/ ١٣٩-١٤٠) وإسحاق بن راهويه (١١٧٠) وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٧) والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٨، ٢٩) وابن ماجه (٤٢٦٨) والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٤٢) من غير ذكر الشاهد وغيرهم: من طرق عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء مرة عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة مرفوعًا ومرة عن ذكوان عن عائشة مرفوعًا وللحديث شواهد عن أنس وأبي سعيد الخدري وغيرها انظر «عذاب القبر» للبيهقي. وعند البخاري (١٣٧٤) من حديث أنس بلفظ «... وكنت أقول ما يقول الناس».

(٢) إسناده صحيح وسيأتي مطولاً: رواه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وأحمد (٢/ ٢١٣، ٢٢١) والحاكم (١/ ٦) والبغوي في «شرح السنة» (١٥/ ١٣٣، ١٣٤) وابن حبان (٢٥٢٤) «موارد» وغيرهم من طريق أبي عبدالرحمن المعافري ثم الحبلي عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً. وانظر «الصحيحة» (١/ ٢١٣).

وهذا بخلاف من رجحت سيئاتُه بحسناته، ومات مُصراً على ذلك. فإنَّه يستوجب النار، وإنْ قال: لا إله إلاَّ الله، وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنَّه لم يمت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئاتٍ رجحت على حسنةِ توحيده. فإنه في حال قولها كان مُخلصاً، لكنه أتى بذنوبٍ أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نارُ الذنوب حتى أحرقت ذلك. بخلاف المُخلص المستيقن؛ فإنَّ حسناته لا تكون إلاَّ راجحةً على سيئاته، ولا يكون مُصراً على سيئات، فإنْ مات على ذلك دخل الجنة.

وإنَّما يُخاف على المخلص أنْ يأتي بسيئةٍ راجحة، فيضعُف إيمانُه فلا يقولها بإخلاص ويقين مانعٍ من جميع السيئات. ويُخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإنْ سَلِم من الأكبر بقيٍ معه من الأصغر، فيُضيف إلى ذلك سيئاتٍ تنضمُّ إلى هذا الشرك، فيرجح جانبُ السيئات.

فإنَّ السيئات تُضعف الإيمان واليقين، فيضعف قولُ: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاصُ بالقلب، فيصير المتكلمُ بها كالهاذي أو النائم، أو من يُحسِّن صوته بآيةٍ من القرآن من غير ذوقٍ وحلاوةٍ. فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقُض ذلك، بل يقولونها من غير يقينٍ وصدق، ويموتون على ذلك، ولهم سيئاتٌ كثيرة تمنعهم من دخول الجنة.

وإذا كثُرت الذنوبُ ثقُل على اللسان قولُها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح، وثقُل عليه سماعُ القرآن، واستبشر بذكر غيره، واطمأنَّ إلى الباطل، واستحلى الرَّفث، ومخالطة أهل الباطل، وكره مخالطة أهل الحق. فمثلُ هذا إذا قالها، قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدِّقُهُ عملهُ.

قال الحسن: ليس الإيمانُ بالتحلّي ولا بالتمني، ولكن ما وقَر في القلوب وصدَّقته الأعمال. فمن قال خيراً وعمل خيراً قُبل منه، ومن قال خيراً وعمل شراً لم يُقبل منه[1].

---

(١) حسن: رواه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» رقم (٥٦) من طريق أبي بشر الحلبي و«عمران بن بستر» عن الحسن فذكره.

وصحح أوله عند ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٤) بإسناد صحيح وله طريق آخر عنده (١١/ ٢٢) بسند واهٍ وعند ابن المبارك في «الزهد» (١٥٦٥) وفيه رجل مبهم وعبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص ٣٢٢) نحوه. =

وقال بكرُ بن عبد الله المُزَنيُّ: ما سبقهم أبو بكرٍ رضي الله عنه بكثرة صيامٍ ولا صلاة، ولكن بشيءٍ وقَر في قلبه[١].

فمن قال: لا إله إلاَّ الله، ولم يقُم بموجَبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا، وكان صادقًا في قولها موقنًا بها ـ لكن له ذنوبٌ أضعفت صدقه ويقينه ـ وانضاف إلى ذلك الشركُ الأصغر العملي: رجحت هذه السيئاتُ على هذه الحسنة، ومات مُصرًا على الذنوب.

بخلاف من يقولُها بيقين وصدق؛ فإنَّه: إمَّا أنْ لا يكون مُصرًا على سيئةٍ أصلا، أو يكون توحيدُه ـ المتضمِّن لصدقه ويقينه ـ رجَّح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها: لم يقولوها بالصدق واليقين التامَّين المُنافيين للسيئات، أو لرُجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئاتٍ رجحت على حسناتهم، ثم ضعُف لذلك صدقُهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدقٍ ويقين تام؛ لأنَّ الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم. فقولُها من مثل هؤلاء: لا يقوى على محو السيئات، فترجحُ سيئاتهم على حسناتهم انتهى مُلخصًا.

وقد ذكر هذا كثيرٌ من العُلماء: كابن القيِّم، وابن رجب، وغيرهم.

قلتُ: وبما قرَّره شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى، تجتمع الأحاديث. قال: وفي الحديث دليلٌ على أنَّه لا يكفي في الإيمان النطقُ من غير اعتقاد، وبالعكس.

وفيه: تحريمُ النار على أهل التوحيد الكامل.

وفيه: أنَّ العمل لا ينفعُ إلاَّ إذا كان خالصًا لله تعالى.

تنبيه: قال القُرطبي في (تذكرته): قولهُ في الحديث: «من إيمان» أي: من أعمال

= ونحوه عن الآجري في «الشريعة» رقم (٢٥٥، ٢٦٠) ط. دار الوطن، وابن بطه في «الإبانة الكبرى» (١٠٩٤) وغيرهم انظر «تبييض الصحيفة القسم الأول» (ص٩٩) وقد روي مرفوعًا بأسانيد واهية انظر ابن عدي (٦/ ٢٨٨-٢٨٩) و«فيض القدير» (٥/ ٣٥٦) و«الضعيفة» (١٠٨٩) و «تبييض الصحيفة» (ص٩٩).

(١) **إسناده صحيح** أخرجه الحكيم الترمذي في كتاب الصلاة ص (٨٠، ٨١) بإسناد صحيح على شرط الشيخين وعزاه العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٢٣) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول». قاله أبو محمد أشرف بن عبد المقصود في تحقيق فتح المجيد (١/ ٦٣ ط. قرطبة)

الإيمان التي هي من أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالةٌ على أنَّ الأعمال الصالحة من الإيمان.

والدليلُ على أنَّه أراد بالإيمان ما قلناه ـ ولم يُرد مجرَّد الإيمان الذي هو التوحيدُ، ونفي الشركاء والإخلاص بقوله: لا إله إلا الله ـ ما في الحديث نفسه، من قوله: «أخرجوا». ثم بعد ذلك «يقبضُ سبحانه قبضةً فيُخرج قومًا لم يعملوا خيرًا قط» يُريد بذلك: إلاَّ التوحيد المجرَّد من الأعمال. انتهى ملخصًا من (شرح سنن ابن ماجه).

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «قال موسى: يا ربِّ علِّمني شيئًا أذكُرك وأدعوك به. قال: قُل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أنَّ السموات السبع وعامرهُنَّ غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلاَّ الله في كفةٍ، مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابنُ حبان، والحاكمَ وصححه(١).

ش: أبو سعيد. اسمُه: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاريُّ الخزرجي، صحابيٌّ جليل، وأبوه كذلك. استُصغِر أبو سعيدٍ بأحد، وشهد ما بعدها. مات بالمدينة سنة ـ ثلاثٍ أو أربع أو خمس ـ وستين. وقيل: سنة أربعٍ وسبعين.

قوله: **«أذكرك»** أي: أُثني عليك. **«وأدعوك»** أي: أسألك به.

قوله: **«قُل يا موسى: لا إله إلاَّ الله»** فيه: أنَّ الذاكر يقولُها كلَّها، ولا يقتصر على لفظ الجلالة، ولا على هو، كما يفعلُه غُلاة جهّال المتصوفة؛ فإنَّ ذلك بدعةٌ وضلالة.

قوله: **«كلُّ عبادك يقولون هذا»** ثبت بخط المُصنف بالجمع، والذي في الأصول

(١) **إسناده ضعيف:** رواه النسائي في الكبرى (١٠٦٧٠. ١٠٦٨٠) والحاكم (١/ ٥٢٨) وأبو يعلى (١٣٩٣) وابن حبان كما في «الإحسان» (١/ ٥٢٨) والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٠، ١٤٨١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٨٥) والبغوي (٥/ ٥٤ ـ ٥٥)، وأبو نعيم (٨/ ٣٢٨) من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به. ورواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ضعيفة نص على تضعيفها أحمد وأبو داود كما في «التهذيب».

«يقول» بالإفراد مراعاةً للفظة كُل.

وهو في (المُسند) من حديث عبد الله بن عمرو، بلفظ الجمع؛ كما ذكره المصنِّفُ على معنىٰ كُل. ومعنىٰ: «**كلُّ عبادك يقولون هذا**». إنما أُريد شيئًا تخُصّني به من بين عموم عبادك.

وفي رواية بعد قوله: «**كلُّ عبادك يقولون هذا**» «قل: لا إله إلاَّ الله، قال: لا إله إلاَّ أنت! يا ربِّ: إنما أُريد شيئًا تُخصّني به».

ولمَّا كان بالناس - بل بالعالم كلّه - من الضرورة إلىٰ لا إله إلاَّ الله ما لا نهاية له، كانت من أكثر الأذكار وجودًا، وأيسرها حُصولاً، وأعظمها معنىً. والعَوامُّ والجُهَّال يعدلون عنها إلىٰ الدعوات المُبتدعة، التي ليست في الكتاب ولا في السنة.

قوله: «**وعامرَهنَّ غيري**». هو بالنصب عطفٌ علىٰ السموات. أي: لو أنَّ السموات السبع ومَن فيهنَّ من العُمَّار - غير الله تعالىٰ - والأرضين السبع ومن فيهن وُضعوا في كفة الميزان، ولا إله إلاَّ الله في الكِفَّة الأخرىٰ، مالت بهنَّ لا إله إلاَّ الله.

وروىٰ الإمامُ أحمد، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ «**أنَّ نوحًا قال لابنه عند موته: آمرُك بلا إله إلاَّ الله؛ فإنَّ السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفَّة ولا إله إلاَّ الله في كفة، رَجحتْ بهنَّ لا إله إلاَّ الله، ولو أنَّ السموات السبع وَالأرضين السبع كُن حَلقةً مُبهمةً قصمتهن لا إله إلاَّ الله**»(١) قوله: «**في كِفَّة**» هو بكسر الكاف وتشديد الفاء، أي: كِفَّة الميزان.

قوله: «**مالت بهن**» أي: رجحت؛ وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله: الذي هو أفضل الأعمال، وأساسُ الملة والدين. فمن قالها بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها، واستقام علىٰ ذلك، فهذه الحسنةُ لا يوازنها شيءٌ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٣].

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٩-١٧٠، ٢٢٥) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨-٤٩) وغيرهم من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله ابن عمرو مرفوعًا وفي بعض الطرق بإسقاط عطاء بن يسار وفي البعض الآخر أظنه عن عطاء والصواب إثباته والله أعلم.

ودلَّ الحديثُ على أنَّ: لا إله إلاَّ الله، أفضلُ الذكر؛ كحديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**خيرُ الدعاء دعاءُ يومِ عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له، له المُلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[1] رواه أحمد، والترمذي.

وعنه أيضًا، مرفوعًا: «**يُصاح برجلٍ من أُمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشر له تسعةٌ وتسعون سجلاً، كلُّ سجلٍ منها مدَّ البصر، ثم يُقال: أتُنكرُ من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب. فيُقال: ألك عذرٌ أو حسنةٌ؟ فيهابُ الرجلُ، فيقول: لا. فيُقال: بلى إنَّ لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك، فيُخرجُ له بطاقةٌ فيها: أشهد أنْ لا إله إلاَّ الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقةُ مع هذه السجلات؟! فيقال: إنّك لا تُظلم، فتُوضعُ السجلاتُ في كفَّة والبطاقةُ في كفة، فطاشت السجلاتُ وثقلت البطاقة**»[2].

رواه الترمذيُّ وحسَّنه، والنسائي، وابنُ حبان، والحاكم وقال: صحيحٌ على شرط مسلم، وقال الذهبيُّ في (تلخيصه): صحيح.

قال ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى: فالأعمالُ لا تتفاضلُ بصورها وعددها، وإنَّما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب. فتكون صورةُ العملين واحدةً، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض.

قال: تأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعةٌ وتسعون سجلاً، كلُّ سجل منها مدُّ البصر، فتثقل البطاقةُ وتطيش السجلات، فلا يُعذَّب. ومعلومٌ أنَّ

---

(١) حسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٠٣) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٢١٤-٢١٥، ٤٢٢-٤٢٣)ومن طريقه البيهقي في «السنن» (٥/ ١١٧) والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ١٥٧)
عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً بإسناد صحيح ورواه الترمذي(٣٥٨٥) من طريق حماد بن أبي حميد
عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده موصولاً. وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهوضعيف
واهٍ. وله شاهد آخر من حديث ابن عمر عند العقيلي في «الضعفاء» (١٥١٨) وفي إسناده فرج بن فضالة وهو
ضعيف جداً وروي الطبراني في المناسك نحوه من حديث علي رفيه قيس بن الربيع قاله الحافظ في «التلخيص
الحبير» (٢/ ٢٥٣، ٢٥٤)ورواه أحمد (٢/ ٢١٠) بلفظ «كان أكثر دعاء رسول الله يوم عرفة لا إله إلا الله
وحده لاشريك له . .) بإسناد الترمذي السابق وفيه نفس العلة.

(٢) **إسناده صحيح:** وسبق.

كلُّ موحِّدٍ له هذه البطاقة، وكثيرٌ منهم من يدخل النار بذنوبه.

قوله: (رواه ابنُ حبان، والحاكم). ابنُ حبان، اسمُه: محمَّد بن حِبَّان ـ بكسر المُهملة وتشديد الموحَّدة ـ ابنُ أحمد بن حبان بن مُعاذ، أبو حاتم التميمي، البُستي الحافظ، صاحبُ التصانيف: كما (الصحيح)، و(التاريخ)، و(الضعفاء)، و(الثقات) وغير ذلك.

قال الحاكمُ: كان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عُقلاء الرجال. مات سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائة، بمدينة بُست ـ بالمهملة. وأمّا الحاكمُ، فاسمُه: محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، أبو عبد الله الحافظ، ويُعرف بابن البَيِّع، وُلد سنة إحدىٰ وعشرين وثلاثمائة، وصنَّف التصانيف: كما (المستدرك) و(تاريخ نيسابور) وغيرهما، ومات سنة خمسٍ وأربعمائة.

قال المُصنِّف رحمه الله تعالى: وللترمذي وحسنه، عن أنس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنَّك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا، لأتيتك بقُرابها مغفرة»(1).

---

(١) حسن بشواهده: رواه الترمذي (٣٥٤٠) والبخاري في «التاريخ» (٣/ ٤٩٦) والدار قطني في «الأفراد» (٦٥٤) (٢/ ١٥، ١٦) من أطرافها لابن طاهر ط دار الكتب العلمية، من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن كثير بن فائد أخبرنا سعيد بن عبيد قال سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ فذكره وفي الإسناد كثير بن فائد ذكره ابن حبان في «الثقات» ولم يوثقه معتبر فهو مجهول وسعيد بن عبيد روىٰ عنه جماعة وقال أبو حاتم شيخ وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال البزار ليس به بأس وخالفه أبو قتيبة سلم بن قتيبة في إحدىٰ الروايات عنه ـ فرواه عن سعيد بن عبيد روىٰ عنه جماعة.
وقال أبو حاتم: شيخ. وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال البزار ليس به بأس وخالفه أبو قتيبة سلم بن قتيبة في إحدىٰ الروايات عنه ـ فرواه عن سعيد بن عبيد فوقفه علىٰ أنس قاله الدار قطني «كما في الأطراف ٢/ ١٦) ونقله عنه ابن رجب كما في «العلوم والحكم» (ص ٤٧٤) ثم قال ابن رجب قد روي عنه مرفوعًا وموقوفًا.
قلت: رواه مرفوعًا البخاري في «التاريخ» (٣/ ٤٩٦ـ٤٩٧) والضياء في «المختارة» (١٥٧١، ١٥٧٢) من طريق يحيىٰ بن حكيم عن سلم به.
وهذه الرواية المرفوعة إسنادها حسن لكن يخشىٰ من الرواية الموقوفة التي أشار إليها الدارقطني.
وتابعه علىٰ رفعه أيضًا سعيد مولىٰ بني هاشم. كما أشار إلىٰ ذلك الضياء وابن رجب.
وأبو سعيد مولىٰ بني هاشم هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد الله البصري مولىٰ بني هاشم وهو لا بأس به.
وقد تفرد بهذا الحديث سعيد بن عبيد الهنائي عن بكر المزني عن أنس.

ش: ذكر المصنف رحمه الله تعالىٰ: الجملة الأخيرة من الحديث، وقد رواه الترمذيُّ بتمامه، فقال: عن أنس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي. يا بن آدم لو بلغت ذنوبُك عَنَان السماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أُبالي. يابن آدم إنَّك لو أتيتني..» الحديث.

الترمذي: اسمُه: محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة - بفتح المُهملة - ابن موسىٰ بن الضحاك السُّلمي، أبو عيسىٰ، صاحب (الجامع)، وأحد الحفاظ، كان ضرير البصر. روىٰ عن قُتيبةَ، وهنَّادٍ، والبخاري، وخلق. مات سنة تسعٍ وسبعين ومائتين.

وأنسُ: هو ابن مالك بن النَّضْر الأنصاري الخزرجي، خادمُ رسول الله ﷺ: خدمه عشر سنين، وقال له: «اللهم أكثر ماله وولده، وأدخله الجنة»(١).. مات سنة اثنتين - وقيل: ثلاث - وتسعين، وقد جاوز المائة.

وقد رواه الإمامُ أحمد، من حديث أبي ذرٍّ بمعناه، وهذا لفظُه: «من عمل قُراب الأرض خطيئةً، ثم لقيني لا يُشرك بي شيئًا جعلتُ له مثلها مغفرة»(٢).

ورواه ثابت بن أسلم عن أنس ذكره ابن رجب وقال: قال: أبو حاتم وهومنكر وللحديث شواهد سيأتي ذكرها.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٧٩، ٦٣٨١) ومسلم (٢٤٨٠، ٢٤٨١) دون قوله (وأدخله الجنة) وانظر أحمد (٣/ ١٠٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٣) وعبد بن حميد (١٢٥٥) والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٨٧) وابن سعد (٧/ ١٩) وعند بعضهم «واغفر ذنبه أو اغفر له»

(٢) **حسن بشواهده**: رواه أحمد (٥/ ١٦٧. ١٧٢) والدارمي (٢٧٨٨) وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٣٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٢) من طريق مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي ذر عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل قال: «ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك علىٰ ماكان فيك، ابن آدم إن تلقني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لاتشرك بي شيئًا، ابن آدم إن تذنب حتي يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي» وتابع غيلان عامر الأحول عن شهر به كما عن أحمد (٥/ ١٧٢) مختصراً.

وفي الإسناد ابن حوشب وهو مختلف فيه وإن كان إلىٰ الضعف أقرب ومعدي كرب روىٰ عنه اثنان ووثقه ابن حبان ووقع في رواية الدارمي عمرو بن معدي كرب بدلاً من معدي كرب ثم إنه اختلف فيه علىٰ شهربن حوشب فروىٰ عنه كما سبق ورواه أحمد (٥/ ١٥٤) والبيهقي في «الشعب» (١٠٤١) من طريق عبد الحميد ابن بهرام ثنا شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن أبا ذر حدثه فذكره مرفوعًا وفي الإسناد عبد الحميد ابن بهرام صدوق اختلفوا فيه، فرواية غيلان عنه أو ثق ولكن قدم بعض الأئمة رواية عبد الحميد بن بهرام في شهر بن حوشب عن غيره.

ورواه مسلم[1]، وأخرجه الطبراني، من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ[2].

قوله: «**لو أتيتني بقُراب الأرض**» بضم القاف، وقيل: بكسرها. والضم أشهر، وهو ملؤُها أو ما يُقارب ملأَها.

قوله: «**ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا**» شرطٌ ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك: كثيره وقليله، صغيره وكبيره. ولا يسلمُ من ذلك إلاَّ من سلَّم الله تعالىٰ، وذلك هو القلبُ السليم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

قال ابنُ رجب: من جاء مع التوحيد بقُراب الأرض خطايا، لقيه الله تعالىٰ بقُرابها مغفرة.

إلىٰ أنْ قال: فإنْ كمُل توحيدُ العبد وإخلاصُه لله تعالىٰ فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه وبلسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرةَ ما قد سلف من الذنوب كلِّها، ومنعه من دخول النار بالكلية. فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبُه، أخرجت منه كلَّ ما سوىٰ الله تعالىٰ: محبةً وتعظيمًا، وإجلالاً ومهابة، وخشية وتوكلاً. وحينئذٍ تُحرقُ ذنوبَه وخطاياه كلها، وإنْ كانت مثلَ زبد البحر. انتهىٰ مُلخصًا.

= ورواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٢١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٠) من طريق العلاء بن زيد عن شهر، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، فذكره مرفوعًا والعلاء متروك وقد خالف غيلان وعبد الحميد بن بهرام وقد صح عن أبي ذر نحوه مختصرًا وسبق شاهد أنس بن مالك وبه يحسن.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٨٧) وذكر الحديث وفيه ... «ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة».

(٢) **اسناده ضعيف جداً**: والحديث حسن لغيره. رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٦) وفي «الأوسط» (٥٤٧٩) وفي «الصغير» (٢/ ٢١٠٢٠) من طريق إبراهيم بن إسحاق العيني عن قيس بن الربيع عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره مرفوعًا وإبراهيم بن إسحاق العيني متروك.

وروىٰ الحاكم (٤/ ٢٦٢) نحوه مختصرًا من طريق حفص بن عمر العدني ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس فذكره مرفوعًا.

وحفص بن عمر العدني ضعيف واهٍ.

وتابع حفص بن عمر العدني إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه به كما عند عبد بن حميد في «المنتخب» (٦٠٠) وإبراهيم بن الحكم متروك.

قال العلاَّمـةُ ابن القيم رحمه الله تعـالى - في معنى الحديث -: ويُعـفىٰ لأهل التوحيد المحض - الذي لـم يشوبوه بالشرك - ما لا يُعفىٰ لمن ليس كذلك. ولو لقي الموحِّدُ - الذي لـم يُشرك بالله شيئًا ألبتَّة - ربَّه بقُراب الأرض خطايا، أتاه بقُـرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيدُه.

فإنَّ التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك، لا يبقىٰ معه ذنبٌ؛ لأنه يتضمَّنُ من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه، ما يوجبُ غسل الذنوب ولو كانت قرابَ الأرض. فالنجاسةُ عارضة. والدافع لها قوي. انتهىٰ

وفي هذا الحديث: كثرةُ ثواب التوحيد، وسعةُ كرم الله وجوده ورحمته، والردُّ علىٰ الخوارج: الذين يكفِّرون المسلم بالذنوب، وعلىٰ المُعتزلة القائلين: بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون: ليس بمؤمنٍ ولا كافر، ويُخلَّد في النار.

والصـــواب: قـولُ أهل السنة: أنه لا يُسلب عنه اسمُ الإيمان، ولا يُعطاه علىٰ الإطلاق، بل يقال: هو مؤمنٌ عاصٍ، أو مؤمنٌ بإيمانه فاسق بكبيرته. وعلىٰ هذا يدلُّ الكتاب، والسُّنَّة، وإجماعُ سلف الأمة.

وعن عبد الله بن مسعود، قال: لما أُسري برسول الله ﷺ، انتُهي به إلىٰ سدرةِ المُنتهىٰ، فأعطي ثلاثًا: أُعطي الصلوات الخمس، وخواتيمَ سورة البقرة، وغُفرَ لمن لا يُشرك بالله من أُمتَّه شيئًا المُقْحِمات[1]. رواه مسلم.

قال ابنُ كثير - في (تفسيره) -: وأخرج الإمامُ أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، عن أنس بن مالك، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية ﴿**هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**﴾ [المدثر: ٥٦]، وقال: «**قال ربكم: أنا أهلٌ أنْ أُتَّقى فلا يُجعل معي إلهٌ، فمن اتقى أنْ يَجعل معي إلهًا كان أهلا أن أغفرَ له**»[2].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٣).

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه الترمذي (٣٣٢٥) وابن ماجه (٤٢٩٩) والنسائي في «الكبرىٰ» كما في «تحفة الأشراف» (١/ ١٣٩) وأحمد (٣/ ١٤٢، ٢٤٣) والدارمي (٢/ ٣٠٢، ٣٠٣) والحاكم (٢/ ٥٠٨) وغيرهم من طريق سهيل بن عبد الله القطعي وهو أخو حزم بن أبي حزم القطعي عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعًا. قال أبو عيسى (الترمذي) هذا حديث حسن غريب وسهيل ليس بالقوي في الحديث وقد تفرد سهل بهذا الحديث عن ثابت.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: تأمَّل الخمسَ اللواتي في حديث عُبادة، فإنك إذا جمعتَ بينه وبين حديثَ عِتبان: تبيّن لك معنى قول لا إله إلاَّ الله، وتبيّن لك خطأ المغرورين.

وفيه: أنَّ الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضلِ لا إله إلاَّ الله، والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أنَّ كثيراً ممن يقولها يخفُّ ميزانه، وفيه: إثبات الصفات، خلافًا للمعطلة.

وفيه: أنك إذا عرفت حديثَ أنس، عرفت أنَّ قوله في حديث عتبان: «**إنَّ الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلاَّ الله، يبتغي بذلك وجه الله**» أنَّه تركُ الشرك، ليس قولها باللسان. انتهى.

* * *

= قلت سهل بن أبي حزم القطعي ضعيف.
ورواه الخطيب في «التاريخ» (٥/ ٥٢ـ ٥٣)من طريق آخر عن أنس وفيه أحمد بن محمد بن عبد الله النجار.
قال الحافظ: قال الخطيب وابن طاهر: كان غير ثقة روىٰ أحاديث باطلة كما في «اللسان» (١/ ٣٧٤ط. دار المؤيد)

(٢)

بـاب

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

قال المصنفُ رحـمه الله تعـالى: بابٌ من حقَّق التوحـيدَ دخل الجنَّةَ بغـير حساب.

ش: أي: ولا عذاب. قلتُ: تحقيقه: تخليصُه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

ش: وصف إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات، التي هي الغايةُ في تحقيق التوحيد:

الأولى: أنَّه كان أُمَّةً، أي: قدوةً، وإماماً مُعلِّماً للخير. وما ذاك إلاَّ لتكميله مقامَ الصبر واليقين، اللّذين تُنال بهما الإمامةُ في الدين.

الثانيةُ: قوله: ﴿قَانِتًا﴾ قال شيخُ الإسلام: القُنوتُ: دوامُ الطاعة، والمُصلي إذا طال قيامُه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت. قال تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]. انتهىٰ ملخصاً.

الثالثةُ: أنه كان حنيفًا.

قلتُ: قال العلاَّمةُ ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: الحنيف: المُقبلُ علىٰ الله، المعرِضُ عن كل ما سواه. انتهىٰ.

الرابعة: أنه ما كان من المشركين، أي: لصحة إخلاصه وكمالِ صدقه، وبُعدِه عن الشرك.

قلتُ: يوضِّح هذا، قولُه تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: على دينه من إخوانه المُرسلين، قاله ابنُ جرير رحمه الله تعالى.

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وذكر تعالى عن خليله عليه السلام، أنَّه قال لأبيه آزر: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي﴾ إلى قــوله ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨-٤٩].

فهذا هو تحقيقُ التوحيد: وهو البراءة من الشرك وأهله واعتزالُهم، والكفرُ بهم وعداوتهم وبغضُهم. فالله المُستعان.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى - في هذه الآية: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لئلا يستوحش سالكُ الطريق من قلَّة السالكين ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ لا للملوك ولا للتجار المُترفين! ﴿حَنِيفًا﴾ لا يميلُ يمينًا ولا شمالاً، كبعض العلماء المفتونين!! ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ خلافًا لمن كثَّر سوادَهم، وزعم أنَّه من المسلمين. انتهى.

وقد روى ابنُ أبي حاتم، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ على الإسلام. ولم يكن في زمانه أحدٌ على الإسلام غيرُه[1].

قلتُ: ولا مُنافاة بين هذا وبين ما تقدَّم: من أنَّه كان إمامًا يُقتدىٰ به في الخير.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

ش: وصَفَ المؤمنين السابقين إلى الجنة، فأثنىٰ عليهم بالصفات التي أعظمُها: أنهم بربهم لا يُشركون. ولما كان المرءُ قد يَعرض له ما يقدحُ في إسلامه: من شركٍ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٧٦)

جلّي أو خـفي، نفى ذلك عنهم. وهذا هو تحقيقُ التوحيـد، الذي حسُنت به أعمالهم، وكمُلت ونفعَتْهم.

قلتُ: قوله: حسُنت وكمُلت. هذا باعتبار سلامتهم من الشرك الأصغر. وأمّا الشركُ الأكبر، فلا يُقال في تركه ذلك، فتدبر. ولو قال الشارح: صحَّت، لكان أقوم.

قال ابنُ كثير: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ أي: لا يعبدون مع الله غيره. بل يوحِّدونه، ويعلمون أنه: لا إله إلاَّ الله، أحدٌ صمد. لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا نظير له.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن حُصين بن عبد الرحمن، قال: كنتُ عند سعيد بن جُبير،فقال: أيُّكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة؟ فقلتُ: أنا!. ثم قلتُ: أما إنِي لم أكُن في صلاة، ولكني لُدغتُ. قال: فماذا صنعت؟ قلتُ: ارتقيت. قال فما حملك على ذلك؟! قلتُ: حديثُ حدَّثناه الشَّعبي، قال: وما حدثكم؟ قلتُ: حدَّثنا عن بُريدة بن الحُصَيْب، أنه قال: «لا رُقْيَةَ إلاَّ من عين أو حُمَة» قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولك حدَّثنا ابنُ عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرِضَت عليَّ الأُمَمَ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهَطُ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبي وليس معه أحدٌ. إذ رُفِعَ لي سوادٌ عظيم، فظننت أنهم أُمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه. فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أمَّتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنَّةَ بغير حسابٍ ولا عذاب» ثم نَهضَ فدخل منزله، فخاض الناسُ في أولئك، فقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين صحبُوا رسول الله ﷺ، وقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين وُلدوا في الإسلام، فلَمَ يُشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ فأخبروه. فقال: «هم الذين لا يستَرقُون ولا يَكْتَوُون ولا يتطيَّرون وعلى ربهم يتوكَّلون». فقام عُكَّاشة بن مِحْصَن. فقال: يا

رسول الله، ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، قال: «أنت منهم». ثم قام رجلٌ آخر، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عُكَّاشة»(١).

ش: هكذا أورده المصنفُ غيرَ مَعزُوّ. وقد رواه البخاريُّ مختصراً ومطولاً. ومسلم، واللفظ له، والترمذي، والنسائي.

قوله: (عن حُصين بن عبد الرحمن). هو السُّلَمي، أبو الهُذيل الكوفي، ثقةٌ مات سنة ستٍ وثلاثين ومائة، وله ثلاثٌ وتسعون سنة.

وسعيد بن جُبير: هو الإمامُ الفقيه، من جلَّة أصحاب ابن عباس، روايتُه عن عائشة، وأبي موسىٰ مُرسلة. وهو كوفيٌّ، مولىٰ لبني أَسَد. قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين، ولم يُكمل الخمسين.

قوله: (انقضَّ). هو بالقاف والضَّاد المُعجمة، أي: سقط. والبارحةُ هي: أقربُ ليلة مضت. قال أبو العباسِ ثعلب يقال قبل الزوال: رأيتُ الليلة، وبعد الزوال: رأيتُ البارحة، وكذا قال غيرُه. وهي مُشتقةٌ من بَرِح: إذا زال.

قوله: (أمَا إني لم أكن في صلاة)، قال في (مُغني اللبيب): أمَا. بالفتح والتخفيف، علىٰ وجهين: أحدُهما: أن تكون حرفَ استفتاح بمنزلة ألا، وإذا وقعت أنّ بعدها كُسرت. الثاني: أنْ تكون بمعنىٰ حقًا، أو أحقًا.

وقال آخرون: هي كلمتان: الهمزةُ للاستفهام، وما اسمٌ بمعنىٰ شيء، ذلك الشيءُ حقٌّ. فالمعنىٰ أحقًا. وهذا هو الصواب.

وموضعُ ما: النصب علىٰ الظرفية. وهذه تُفتح أنّ بعدها. انتهىٰ.

والأنسبُ هنا هو الوجه الأوَّل.

القائلُ هو حُصين، خاف أنْ يظنَّ الحاضرون: أنَّه رآه وهو يُصلي، فنفىٰ عن نفسه إيهام العبادة. وهذا يدل علىٰ فضل السلف، وحرصِهم علىٰ الإخلاص، وإبعادهم عن الرياء والتزيُّنِ بما ليس فيهم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤١٠) مختصراً وانظر أطرافه (٥٧٠٥و٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠) واللفظ له والترمذي (٢٤٤٨) والنسائي في «الكبرىٰ» كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٤١٠) من حديث بريدة بن الحصيب.

قوله: (ولكني لُدغت) بضم أوَّله، وكسر ثانيه. قال أهلُ اللغة: يُقال: لدغته العقربُ، وذوات السموم: إذا أصابته بسُمِّها، وذلك بأنْ تأبره بشوْكتها.

قوله: (قلتُ: ارتقيت). لفظُ مسلم: استرقيتُ. أي: طلبتُ من يرقاني.

قوله: (فما حملك علىٰ ذلك؟) فيه طلبُ الحجّةِ علىٰ صحة المذهب.

قوله: (حديثٌ حدثناه الشعبيُّ). اسمُه: عامر بن شُرَاحيل الهمداني. وُلد في خلافة عمر، وهو من ثقات التابعين وفقهائهم، مات سنة ثلاثٍ ومائة.

قوله: (عن بُريدة) بضم أوّله وفتح ثانيه، تصغيرُ بُردة (ابن الحُصَيب) - بضم الحاء وفتح الصاد المُهملتين - ابن الحارث الأسلمي، صحابيٌّ شهير. مات سنة ثلاثٍ وستين. قاله ابنُ سعد.

قوله: (لا رُقْية إلاَّ من عينٍ أو حُمَة) وقد رواه أحمدُ، وابن ماجه، عنه مرفوعًا[1]. ورواه أحمدُ، وأبو داود، والترمذي، عن عِمران بن حُصين، به مرفوعًا[2]. قال الهيثميُّ: رجالُ أحمد ثقات.

و(العين): هي إصابةُ العائن غيره بعينه. و(الحُمة) بضمِّ المهملة وتخفيف الميم - سمُّ العقرب، وشبهها.

قال الخطَّابي: ومعنىٰ الحديث: لا رُقية أشفىٰ وأولىٰ من رُقيةِ العين والحُمة، وقد

---

(١) **صحيح لغيره**: وقد جاء مرفوعًا عن طريق بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة» كما عند ابن ماجه (٣٥١٣) وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٤٨) والترمذي معلقًا علىٰ إثر حديث (٢٠٥٧) من طريق شعبة وأبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة عن النبي ﷺ.
وخالفها هشيمًا فرواه عن حصين عن الشعبي عن بريدة موقوفًا كما في رواية مسلم السابقة وهناك أوجه أخرىٰ ذكرها ابن أبي حاتم في «العلل».
وصح عند البخاري (٥٧٤١) من حديث عائشة بلفظ: «رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة» وعند مسلم (٢١٩٦) من حديث أنس بلفظ: «رخص في الحمة والنملة والعين».

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٨٤) وأحمد (٤/ ٤٣٦) والحميدي (٨٣٦) والترمذي (٢٠٥٧) وغيرهما من طريق حصين عن الشعبي عن عمران بن حصين فذكره مرفوعًا. «لارقية إلا من عين أو حمة» وإسناده صحيح. وله شاهد من حديث سهيل بن حنيف من طريق الرباب قالت سمعت سهيل بن حنيف فذكره مرفوعًا كما عند أبي داود (٣٨٨٨) والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٨٦) وفي إسنادهما الرباب وهي مجهولة.

رَقْىَ النبيِّ ﷺ ورُقي.

قوله: (قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ماسمع). أي: مَن أخذ بما بلغه من العلم، وعمل به فقد أحسن. بخلاف من يعملُ بجهل، أوْلا يعمل بما يعلم؛ فإنَّه مسيءٌ آثم. وفيه: فضيلةُ علم السَّلف، وحُسنُ أدبهم.

قوله: (ولكن حدَّثنا ابنُ عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابنُ عم النبي ﷺ، دعا له، فقال: «اللَّهم فقِّهْهُ في الدين، وعلِّمه التأويل»[1] فكان كذلك، مات بالطائف سنة ثمانٍ وستين.

قال المُصنِّفُ رحمه الله: وفيه عُمقُ علمِ السلف؛ لقول: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا. فعُلِم أنَّ الحديث الأول لا يخالف الثاني.

قوله: (عُرضت عليّ الأمم) وفي الترمذي، والنسائي - من رواية عَبْثر بن القاسم، عن حُصين بن عبد الرحمن -: أن ذلك كان ليلة الإسراء[2]. قال الحافظ: فإنْ كان ذلك محفوظًا، كان فيه قوَّةٌ لمن ذهب إلىٰ تعدد الإسراء، وأنه وقع بالمدينة أيضًا.

قلتُ: وفي هذا نظر.

قوله: «فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهط» الذي في (صحيح مُسلم): «الرُّهيط» بالتصغير لا غير، وهم الجماعةُ دون العشرة، قاله النووي.

قوله: (والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد) فيه الردُّ علىٰ من احتج بالكثرة.

قوله: «إذا رُفع لي سوادٌ عظيم» المراد به هُنا: الشخصُ الذي يُرىٰ من بعيد.

قوله: «فظننتُ أنهم أُمَّتي»؛ لأن الأشخاص التي تُرىٰ في الأُفق لا يُدرك منها إلاَّ

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٨) والطبراني في «الكبير» (١٠٦٦٤) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٩٤) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به والحديث في البخاري (١٤٣٠) ومسلم (٢٤٧٧) بلفظ «اللهم فقهه في الدين»

(٢) إسناده صحيح: رواه الترمذي (٢٤٦) والنسائي في الكبرىٰ كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٤١٠) من طريق عبثر بن القاسم عن حصين به.

الصورة.

وفي (صحيح مسلم): «ولكن انظر إلى الأُفق» ولم يذكره المصنف. فلعلَّه سقط من الأصل الذي نقل الحديث منه. والله أعلم.

قوله: «فقيل لي: هذا موسى وقومه» أي: موسىٰ بن عِمران، كليمُ الرحمن. وقومُه: أتباعهُ علىٰ دينه من بني إسرائيل.

قوله: «فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيم. فقيل لي: هذه أُمَّتُكُ ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغيرحساب ولا عذاب» أي: لتحقيقهم التوحيد.

وفي رواية ابن فُضيل: «ويدخل الجنة من هؤلاء من أُمتك سبعون ألفًا». وفي حديث أبي هريرة - في (الصحيحين) - أنهم «تُضيءُ وجوهُهم إضاءةَ القمر ليلة البدر»[١].

وروىٰ الإمامُ أحمد، والبيهقي - في حديث أبي هُريرة - «فاستزدتُ ربي فزادني مع كلِّ ألف سبعين ألفًا»[٢] قال الحافظُ: وسندُه جيد.

قوله: (ثم نهض). أي: قام.

قوله: (فخاض الناسُ في أولئك) - هذا من العامِّ الذي أُريد به الخصوص أي: جُملةُ الحاضرين. خاض: بالخاء والضاد المُعجمتين.

وفي هذا: إباحةُ المناظرة والمُباحثة في نصوص الشرع، علىٰ وجه الاستفادة وبيان الحق.

وفيه: عُمق علم السلف؛ لمعرفتهم أنَّهم لم ينالوا ذلك إلاَّ بعمل.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٨١١، ٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

(٢) **صحيح بشواهده**: رواه أحمد (٢/ ٣٥٩) والبيهقي في «كتاب البعث» رقم(٤١٦)وفي الإسناد زهير بن محمد وفيه ضعف.
ولكن روايات غير أهل الشام عنه مستقيمة والراوي عنه يحيىٰ بن أبي بكير كوفي بغدادي وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤١٠) سنده جيد. اهـ.
وللحديث شواهد من حديث أبي أمامة، وعتبة بن عبد السلمي وأبي سعيد الأنماري وغيرهم وقد تكلمت عليها في تحقيقي« لحادي الأرواح» ص ١٦٧ ١٧٠ وصححه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (١٤٨٦) لشواهده.

وفيه: حرصهُم علىٰ الخير. ذكره المصنف.

قوله: فقال: «**هم الذين لا يَسترقون**» هكذا ثبت في (الصحيحين)، وهو كذلك في حديث ابن مسعود، في (مُسند أحمد)(١). وفي رواية لمسلم: «**لا يَرقُون**»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: هذه الزيادةُ وهمٌ من الراوي، لم يَقُل النبيُّ ﷺ: «**لا يَرقُون**»؛ وقد قال النبيُّ ﷺ وقد سُئل عن الرُّقىٰ: «**من استطاع منكم أنْ ينفع أخاه فلينفعه**»(٣).

وقال: «**لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركًا**»(٤).

قال: وأيضًا، فقد رقىٰ جبريلُ النبيَّ ﷺ(٥) ورقىٰ النبيُّ ﷺ أصحابه(٦).

قال: والفرقُ بين الراقي والمُسترقي: أنَّ المُسترقي سائلٌ مستعطٍ ملتفتٌ إلىٰ غير الله بقلبه، والراقي مُحسن!

---

(١) **صحيح:** مسند أحمد (١/ ٤٠١، ٤٠٣، ٤٢٠) من طرق عن ابن مسعود.

(٢) **الحديث صحيح:** دون قوله «لا يرقون» رواه مسلم(٢٢٠) كتاب الإيمان باب دخول طوائف من المسلمين بغير حساب وأبو عوانة في مستخرجه (١/ ٥٨) من طريق سعيد بن منصور حدثنا هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ ـ فذكره وفيه لفظ لا يرقون. ولكن رواه الأكثر بدون لفظ لا يرقون، فقد خالف سعيد بن منصور أسيد بن زيد عند البخاري(٦٥٤١) وسريح بن النعمان عند أحمد (١/ ٢٧١) وشجاع «وهو بن مخلد الفلاس» عند أحمد (١/ ٢٧١) وزكريا بن يحيىٰ عند البيهقي في «الإيمان» (١١٢٢) رووه جميعًا عن هشيم عن حصين عن سعيد بن عباس: بدون لفظ «لا يرقون» وقد تابع هشيمًا علىٰ ذلك حصين بن نمير عند البخاري (٥٧٥٢) ومحمد بن فضيل عند البخاري (٦٥٤١) وشعبة عند البخاري (٦٤٧٢) وعبثر بن القاسم عند الترمذي (٢٤٤٦) رووه جميعًا عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد عن ابن عباس، بدون لفظ «يرقون» وللحديث طرق أخرىٰ.
عن ابن مسعود عن أحمد (١/ ٤٠١، ٤٠٣، ٤٥٤) و(٤/ ٤٣٦) والبزار (٤/ ٢٠٣) «كشف الأستار» وعبد الرزاق (١٠/ ٤٠٨) وابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٧) وغيرهم وجاء عن عمران بن حصين عند مسلم (٢١٨) وأبي هريرة عند ابن حبان (١٤٠٩) «موارده» كلهم ذكروا الحديث بدون لفظ «لايرقون» وقد حكم عليها شيخ الإسلام بأنها غلط من بعض الرواة، وحكم عليها بالشذوذ الشيخ الألباني كما في «صحيح الجامع» (٣٩٩٩).

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢١٩٩) من حديث جابر.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٠٠).

(٥) **صحيح:** رواه مسلم في «صحيحه» (٢١٨٦).

(٦) **صحيح:** رواه البخاري (٥٧٤٥، ٥٧٤٦) ومسلم (٢١٩٤).

قال: وإنما المُراد: وصفُ السبعين ألفًا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرَهم أنْ يرقيهم ولا يكويهم. وكذا قال ابنُ القيم.

قوله: «**ولا يكتوون**» أي: لا يسألون غيرَهم أنْ يكويهم، كما لا يسألون غيرهم أنْ يرقيهم؛ استسلامًا للقضاء، وتلذذًا بالبلاء.

قلتُ: والظاهر أنَّ قوله: «**لا يكتوون**» أعمُّ من أنْ يسألوا ذلك، أو يُفعل بهم ذلك باختيارهم.

أمَّا الكيُّ في نفسه فجائز؛ كما في (الصحيح) - عن جابر بن عبد الله - أنَّ النبي ﷺ بعث إلىٰ أُبي بن كعب طبيبًا فقطع له عِرقًا، وكواه(١).

وفي (صحيح البخاري) - عن أنس - أنه كُوِيَ من ذات الجنب، والنبيّ ﷺ حيٌّ(٢).

وروىٰ الترمذي، وغيرهُ - عن أنس - أنَّ النبي ﷺ كوىٰ أسعد بن زُرارة، من الشوكة(٣).

وفي (صحيح البخاري) - عن ابن عباس - مرفوعًا: «**الشِّفاءُ في ثلاث: شربةُ عسل، وشرطة محجم، وكيَّةُ نار. وأنا أنهى عن الكي**»(٤) وفي لفظ: «**وما أُحب أنْ أكتوي**»(٥).

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: قد تضمنَّت أحاديثُ الكيِّ أربعةَ أنواع:

أحدُها: فِعْلُه. والثاني: عدمُ محبته، والثالث: الثناءُ علىٰ من تركه، والرابع: النهيُ عنه. ولا تعارُضَ بينها بحمد الله.

فإنَّ فعله له يدلُّ علىٰ جوازه، وعدم محبته لا يدلُّ علىٰ المنع منه: وأمَّا الثناءُ علىٰ تاركه، فيدلُّ علىٰ أنَّ تركه أولىٰ وأفضل، وأمَّا النهيُ، فعلىٰ سبيل الاختيار والكراهة.

قوله: «**ولا يتطيّرون**» أي: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها. وسيأتي إنْ شاء الله

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٧).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٧١٩).
(٣) **إسناده صحيح**: رواه الترمذي (٢٠٥٠) وابن حبان (٦٠٧١) وأبو يعلىٰ (٣٥٨٢) والطحاوي (٤/ ٣٢١) والبيهقي (٩/ ٣٤٢) من طريق يزيد بن زريع حدثنا معمر عن الزهري عن أنس عن النبي ﷺ فذكره.
(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٨٠، ٥٦٨١).
(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٨٣) ومسلم طرف حديث (٢٢٠٥).

تعالىٰ بيانُ الطيرة، وما يتعلَّق بها في بابها.

قوله: «وعلى ربهم يتوكلون» ذكر الأصلَ الجامع الذي تفرَّعت عنه هذه الأفعالُ والخصال، وهو التوكلُ علىٰ الله، وصدقُ الالتجاء إليه، والاعتمادُ بالقلب عليه. الذي هو نهايةُ تحقيق التوحيد، الذي يُثمر كلَّ مقام شريف: من المحبة، والرجاء، والخوف، والرضىٰ به ربًا، وإلهًا، والرضىٰ بقضائه.

وأعلم أنَّ الحديث لا يدلُّ علىٰ أنهم لا يُباشرون الأسباب أصلاً؛ فإنَّ مُباشرة الأسباب - في الجُملة - أمرٌ فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه. بل نفسُ التوكل: مباشرةٌ لأعظم الأسباب؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه.

وإنما المرادُ: أنهم يتركون الأمورَ المكرُوهة مع حاجتهم إليها، توكلاً علىٰ الله تعالىٰ، كالاكتواء والاسترقاء. فتركُهم له؛ لكونه سببًا مكروهًا، لا سيما والمريضُ يتشبَّث فيما يظنُّه سَببًا لشفائه بخيط العنكبوت.

وأمَّا مباشرةُ الأسباب، والتداوي علىٰ وجهٍ لاكراهية فيه - فغيرُ قادح في التوكل، فلا يكون تركُه مشروعًا؛ لما في (الصحيحين) - عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما أنزل الله من داء إلاَّ أنزل له شفاء. علمه من علمه، وجهله من جهله**»(١).

وعَن أُسامةَ بنِ شَريك، قال: كنتُ عند النبي ﷺ وجاءت الأعرابُ، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوىٰ؟ قال: «**نعم - يا عباد الله - تداووا؛ فإنَّ الله عزَّ وجل لم يضع داءً إلاَّ وضع له شفاءً. غيرَ داءٍ واحد**» قالوا: وما هو؟ قال: «**الهرم**»(٢) رواه أحمد.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٧٨) وليس عنده «علمه من علمه وجهله من جهله» وإنما هي عند أحمد (١/ ٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٦، ٤٥٣) من طريق سفيان وهمام وعلي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن سمعت ابن مسعود فذكره مرفوعًا.
وهذا إسناد حسن وعطاء بن السائب مختلط وسفيان ممن روىٰ عنه قبل الاختلاط.
وانظر «الصحيحة» (٤٥١) والحديث رواه مسلم (٢٢٠٤) من حديث جابر بلفظ «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله عزوجل.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٥٥) والترمذي (٢٠٣٩) وابن ماجه (٣٤٣٦) والنسائي في «الكبرىٰ» كما في «تحفة الأشراف» (١٢٧) والحميدي (٨٢٤) وأحمد (٤/ ٢٧٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩١) من طريق زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك به

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: وقد تضمَّنت هذه الأحاديثُ إثباتَ الأسباب والمُسبِّبات. وإبطالَ قول من أنكرها، والأمرَ بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل؛ كما لا يُنافيه دفعُ ألم الجوع والعطش، والحرِّ والبرد، بأضدادها. بل لا تتم حقيقةُ التوحيد إلاَّ بمباشرةِ الأسباب التي نصبها الله تعالىٰ مقتضيةً لمسبَّباتها قدَرًا وشرعًا، وأنَّ تعطيلها يقدَحُ في نفس التوكل، كما يقدح، في الأمر والحكمة، ويضعفُه من حيثُ يظنُّ معطِّلُها أنَّ تركها أقوىٰ في التوكل.

فإنَّ تركها عجزٌ يُنافي التوكل، الذي حقيقتُه اعتمادُ القلب علىٰ الله تعالىٰ في حصول ما ينفع العبدَ في دينه ودنياه، ودفع ما يضرُّه في دينه ودنياه. ولا بُدَّ مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلاَّ كان معطِّلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبدُ عجزه توكلاً، ولا توكُّلَه عجزاً.

وقد اختلف العُلمَاء في التداوي: هل هو مباحٌ، وتركُه أفضل، أو مُستحب أو واجب؟

فالمشهورُ عن أحمد الأوَّل؛ لهذا الحديث وما في معناه. والمشهورُ عند الشافعية الثاني، حتىٰ ذكر النوويُّ في (شرح مسلم): أنه مذهبُهم، ومذهب جمهور السلف وعامةِ الخلف.

واختاره الوزير، أبو المظفّر. قال: ومذهبُ أبي حنيفة: أنه مؤكد، حتىٰ يُداني به الوجوب. قال: ومذهبُ مالك: أنه يستوي فعلُه وتركه، فإنه قال: لا بأس بالتداوي، ولا بأس بتركه.

وقال شيخُ الإسلام: ليس بواجبٍ عند جماهير الأئمة، وإنَّما أوجبه طائفةٌ قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد.

قوله: (فقام عكَّاشةُ بن مِحْصَن). هو: بضم العين وتشديد الكاف، ومحصن: بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المُهملتين، ابن حُرثان: بضم المهملة وسكون الراء بعدها مُثلّثة. الأسدي، من بني أسد بن خزيمة. كان من السابقين إلىٰ الإسلام، -ومن أجمل الرجال- هاجر، وشهد بدراً وقاتل فيها، واستُشهد في قتال الرِّدة مع خالد بيد طُليحة الأسدي سنة اثنتي عشرة، ثم أسلم طُليحةُ بعد ذلك، وجاهد الفُرس يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، واستُشهد في وقعة الجسر المشهورة.

قوله: (فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، قال: «**أنت منهم**» وللبخاري في روايةٍ، فقال: «**اللهم اجعله منهم**» وفيه: طلبُ الدعاء من الفاضل.

قوله: (ثم قام رجلٌ آخر) ذكره مُبهمًا، فلا حاجةَ بنا إلىٰ البحث عن اسمه.

قوله: فقال: «**سبقك بها عكاشة**» قال القُرطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عُكَّاشة، فلذلك لم يُجبه، إذ لو أجابه لجاز أنْ يطلب ذلك كلٌّ من كان حاضرًا، فيتسلسل الأمر، فسدَّ الباب بقوله ذلك. انتهىٰ.

قال المُصنف رحمه الله تعالى: وفيه: استعمالُ المعاريض، وحسنُ خُلُقِه ﷺ.

* * *

(٣)

بـاب
الخوف من الشرك

قال المُصنِّف رحمه الله تعالى: بابُ الخوف من الشرك.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ش: قال ابنُ كثير: أخبر تعالى أنَّه: ﴿لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: لا يغفر لعبدٍ لقيه وهو مشرك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده. انتهى.

فتبيَّن بهذه الآية: أنَّ الشرك أعظمُ الذنوب؛ لأن الله تعالى أخبر أنَّه لا يغفره لمن لم يتب منه، وما دونه من الذنوب فهو داخلٌ تحت المشيئة: إنْ شاء غفره لمن لقيه به، وإنْ شاء عذَّبه.

وذلك يوجبُ للعبد شدَّة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله؛ لأنه أقبحُ القبيح، وأظلم الظلم، وتنقّصٌ لربِّ العالمين، وصرفُ خالص حقِّه لغيره. وعدلُ غيره به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

ولأنه مناقضٌ للمقصود بالخلق والأمر، منافٍ له من كل وجه، وذلك غايةُ المُعاندة لربِّ العالمين، والاستكبارِ عن طاعته، والذّل له، والانقيادِ لأوامره، الذي لا صلاح للعالم إلاَّ بذلك. فمتى خلا منه خرب، وقامت القيامة، كما قال ﷺ: «**لا تقوم الساعةُ حتى لا يقال في الأرض الله، الله**»[١] رواه مسلم.

ولأنَّ الشركَ تشبيهٌ للمخلوق بالخالق - تعالى وتقدّس - في خصائص الإلهية: من

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٨).

مُلك الضر والنفع، والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلُّقَ الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، وأنواعِ العبادة كلِّها بالله تعالىٰ وحده. فمن علَّق ذلك بمخلوقٍ فقد شبَّهه بالخالق، وجعل من لا يملكُ لنفسه ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولاحياة ولا نُشوراً شبيهًا بمن له الحمدُ كلُّه، وله الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخيرُ كله، وإليه يرجع الأمرُ كلُّه.

فأزمَّةُ الأمور كلِّها بيده سبحانه، ومرجعُها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. لا مانع لما أعطىٰ، ولا مُعطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمةً فلا مُمسك لها، وما يمسكُ فلا مُرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم. فأقبحُ التشبيه: تشبيه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلهية: الكمالُ المُطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه. وذلك يوجب أنْ تكون العبادةُ كلُّها له وحده، والتعظيم والإجلال، والخشيةُ والدعاء، والرجاء والإنابة، والتوكلُ والتوبة والاستعانة، وغايةُ الحبِّ مع غايةِ الذل. كلُّ ذلك يجب عقلاً وشرعًا وفطرة، أنْ يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعًا وفطرة أنْ يكون لغيره.

فمن فعل شيئًا من ذلك بغيره، فقد شبَّه ذلك الغيرَ بمن لا شبيه له، ولا مِثل له، ولا ندَّ له، وذلك أقبحُ التشبيه وأبطلُه.

فلهذه الأمور وغيرها: أخبر سُبحانه وتعالىٰ أنه لا يغفره، مع أنَّه كتب علىٰ نفسه الرحمة. هذا معنىٰ كلامِ ابن القيِّم رحمه الله تعالىٰ.

وفي الآية ردٌّ علىٰ الخوارج المكفِّرين بالذنوب، وعلىٰ المعتزلة القائلين بأنَّ أصحاب الكبائر مخلَّدون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنينَ ولا كفار.

ولا يجوز أنْ يُحمل قولُه: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ علىٰ التائب؛ فإنَّ التائب من الشرك مغفورٌ له، كما قال تعالىٰ: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر: ٥٣].

فهُنا عمَّ وأطلق؛ لأن المُراد به التائب، وهناك خصَّ وعلّق؛ لأن المُراد به من لم يتب. هذا مُلخص قولِ شيخ الإسلام.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال الخليلُ عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ش: الصَّنَم: ما كان منحوتًا على صورة. والوَثَنُ: ما كان منحوتًا على غير ذلك. ذكره الطبريُّ، عن مُجاهد(١).

قلتُ: وقد يُسمّى الصنمُ وثنًا؛ كما قال الخليلُ عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] ويُقال: إنَّ الوَثَنَ أعمُّ؛ وهو قويٌّ. فالأصنامُ أوثانٌ، كما أنَّ القبور أوثان.

قوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ أي: اجعلني وبنيَّ في جانبٍ عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها. وقد استجاب الله تعالى دعاءه، وجعل بنيه أنبياءَ وجنَّبهم عبادة الأصنام.

وقد بيَّن ما يوجب الخوفَ من ذلك؛ بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] فإنَّه هو الواقعُ في كلِّ زمان؛ فإذا عرف الإنسانُ أنَّ كثيراً وقعوا في الشرك الأكبر، وضلُّوا بعبادة الأصنام: أوجب ذلك خوفه من أنْ يقع فيما وقع فيه الكثير، من الشرك الذي لا يغفره الله.

قال إبراهيمُ التيميّ: ومن يأمنُ البلاءَ بعد إبراهيم(٢)؟ رواه ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم.

فلا يأمنُ الوقوعَ في الشرك إلاَّ من هو جاهلٌ به، وبما يُخلِّصه منه: من العلم بالله، وبما بعث به رسولَه، من توحيده، والنهي عن الشرك به.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الحديث: «أخوفُ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغر»، فسئل عنه؟ فقال: «الرياء».

ش: أوردَ المصنفُ هذا الحديثَ مختصراً غير معزوّ. وقد رواه الإمامُ أحمد،

---

(١) في إسناده ضعف: رواه الطبري (١٣/٢٢٨) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وابن أبي نجيح ثقة ربما دلّس وقد عنعن وقد طعن يحيى القطان في سماع ابن أبي نجيح من مجاهد التفسير.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/٤٦).

والطبراني، والبيهقي.

وهذا لفظُ أحمد: حدَّثنا يُونس، حدَّثنا ليث، عن يزيد -يعني ابن الهاد- عن عمرو، عن محمود بن لبيد: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياءُ. يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزى الناسَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً**»(١)؟

قال المُنذري: ومحمودُ بن لبيد رأىٰ النبيَّ ﷺ، ولم يصح له منه سماعٌ فيما أرىٰ. وذكر ابنُ أبي حاتم: أنَّ البخاريَّ قال: له صحبة، ورجَّحه ابنُ عبد البر والحافظ.

وقد رواه الطبرانيُّ بأسانيد جيّدة عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خَديج(٢).

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (٥/ ٤٢٨) رقم (٢٣٦٣١) و(٢٣٦٣٦) و(٢٣٦٣٢) وفي الرقم الأخير سقط عاصم بن عمر بين عمرو بن أبي عمرو ومحمود بن لبيد. والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١) من طريق عمر بن أبي عمرو مولىٰ المطلب عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد عن النبي ﷺ فذكره وهذا إسناد حسن. وله طرق انظرها في تحقيقي «لشرح كتاب التوحيد لابن باز» رقم (٣١).
ورواه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٥٣) رقم (٤٣٠١) من طريق عبدالله بن شبيب ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فذكره مرفوعًا وفي الإسناد عبد الله بن شبيب وهو ضعيف واه.
ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٨١) وابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٧) من طريق أبي خالد الأحمر وعيسىٰ بن يونس كلاهما عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال: خرج النبي ﷺ فقال: «يأيها الناس إياكم وشرك السرائر قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته، جاهدًا لما يرىٰ من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر» وإسناده صحيح، ورواه البيهقي في «السنن» (٢/ ٢٩٠-٢٩١) من طريق محمد بن سعيد الأصبهاني ثنا أبو خالد الأحمر عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن جابر عن عبدالله قال خرج النبي ﷺ فقال «يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر فذكره» فهذا الأخير جعله من مسند جابر والصواب الأول وانظر البيهقي في «الشعب» (٦٨٢٤، ٦٨٢٥، ٦٨٢٩) ويشهد لبعض فقرات الحديث حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٩٨٥) وحديث أبي سعيد وابن أبي فضالة عن الترمذي (٣١٥٤) وابن ماجه (٤٢٠٣) وأحمد (٣/ ٤٦٦ و٤/ ٢١٥) وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٠٤).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٥٣) رقم (٤٣٠١) وفي سنده عبدالله بن شبيب وهو ضعيف واهٍ وانظر الحديث السابق.

مات محمود سنة ستٍ وتسعين. وقيل: سنة سبع وتسعين. وله تسع وتسعون سنة.

قوله: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» هذا من شفقته ﷺ بأمته، ورحمته ورأفته بهم، فلا خير إلاَّ دلَّهم عليه وأمرهم به، ولا شرَّ إلاَّ بيَّنه لهم وأخبرهم به ونهاهم عنه؛ كما قال ﷺ - فيما صحَّ عنه -: «**ما بعث الله من نبي إلاَّ كان حقًا عليه أنْ يدل أُمته على خير ما يعلمه لهم**» الحديث[1].

فإذا كان الشركُ الأصغر مخوفًا علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ مع كمال علمهم وقوَّةِ إيمانهم - فكيف لا يخافه - وما فوقه - ممن هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟! خصوصًا إذا عُرف أنَّ أكثر عُلماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلاَّ ما أقرَّ به المشركون!. وما عرفوا معنىٰ الإلهية، التي نفتها كلمةُ الإخلاص عن كلِّ ما سوىٰ الله.

وأخرج: أبو يعلىٰ، وابنُ المنذر[2]، عن حُذيفة بن اليمان، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ، قال: «**الشركُ فيكم أخفى من دبيب النمل**» قال أبو بكر: يا رسول الله، وهل الشركُ إلاَّ ما عُبد من دون الله، أو ما دُعي مع الله، قال: «**ثَكلتك أُمك! الشركُ فيكم أخفى من دبيب النمل**» الحديث. وفيه: «**أنْ تقول: أعطانيَ الله وفلان، والنِّدُّ: أنْ يقول الإنسان: لولا فلان قتلني فلان**» انتهىٰ. من (الدُّر).

---

(١) **صحيح**: وهو قطعة من حديث مسلم (١٨٤٤).

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه أبو يعلىٰ (٥٨ - ٦١) وابن السني (٢٨٦) وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥٤) من طريق الليث بن أبي سليم عن أبي محمد مرة عن حذيفة عن أبي بكر به ومرة عن معقل ابن يسار عن أبي بكر به والليث ضعيف وأبو محمد لا يعرف وقد اضطرب في الإسناد كما ترىٰ وللحديث شواهد منها

ما رواه أحمد (٤/ ٤٠٣) وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٣٧-٣٣٨) والبخاري في «التاريخ» (٩/ ٥٨) والطبراني في «الأوسط» (٣٥٠٣) من طريق عبدالملك بن أبي سليمان العرزمي عن أبي علي رجل من بني كاهل عن أبي موسىٰ مرفوعًا وأبو علي مجهول.

ومنها ما رواه البزار (٣٥١٦) «زوائد» والعقيلي (٣/ ٦١ - ٦٢) والحاكم (٢/ ٤٩١) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٦٨، ٩/ ٢٥٣) من طريق عبد الأعلىٰ بن أعين عن يحيىٰ ابن أبي كثير عن عروة عن عائشة وعبد الأعلىٰ ضعيف وخاصة في روايته عن يحيىٰ بن أبي كثير. وثم شواهد أخرىٰ ضعيفة.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله نِدًا دخل النار» رواه البخاري[1].

ش: قال ابنُ القيم: النِّدُّ: الشَّبيه، يُقال: فلانٌ ندُّ فلان، ونديده، أي: مثله وشبهه. انتهى، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قوله: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا**» أي: يجعل لله ندًا في العبادة، يدعوه ويسأله ويستغيث به، «**دخل النار**».

قال العلاَّمةُ ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى:

والشركُ فاحذره، فشركٌ ظاهر	**ذا القِسم ليس بقابل الغفرانِ**
وهو اتخاذ النِّدِّ للرحمن أيًا	**كان، من حجر ومن إنسان**
يدعوه، أو يرجوه، ثم يخافه	**ويحبه كمحبة الديَّان**

واعلم، أنَّ اتخاذ الندِّ على قسمين:

الأوَّل: أنَّه يجعله لله شريكًا في أنواع العبادة أو بعضها، كما تقدَّم. وهو شركٌ أكبر.

والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر، كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا اللَّه وأنت. وكيسير الرياء؛ فقد ثبت أنَّ النبي ﷺ لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده**»[2] رواه أحمدُ، وابنُ أبي شيبة، والبخاري في (الأدب المفرد)، والنسائي، وابن ماجه. وقد تقدَّم حُكمُه في

---

(١) **صحيح** رواه البخاري (٤٤٩٧، ٦٦٨٣) وانظر البخاري (١٢٣٨) ومسلم (٩٢) نحوه.

(٢) **إسناده حسن**: رواه ابن ماجه (٢١١٧) والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٢٥) وأحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٤٧) وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٦)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٢) والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٦) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢١٧) وفي «الأسماء والصفات» (٢٩٣) وابن المبارك في «مسنده» (١٨١) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٦٧) من طرق عن الأجلح عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ «أجعلتني لله عدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده وفي الإسناد: الأجلح! وهو مختلف فيه، وحديثه إلى الحسن أقرب، ثم إن للحديث شواهد ستأتي. تحت باب قوله تعالى «فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون».

باب فضل التوحيد.

وفيه: بيانُ أنَّ دعوةَ غير الله فيما لا يقدرُ عليه إلاَّ الله شركٌ جلي، كطلب الشفاعة من الأموات. فإنَّها مُلكٌ لله تعالىٰ، وبيده ليس بيد غيره منها شيء، وهو الذي يأذنُ للشفيع أنْ يشفع فيمن لاقىٰ الله بالإخلاص والتوحيد من أهل الكبائر، كما يأتي تقريره في باب الشفاعة إنْ شاء الله تعالىٰ.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم، عن جابر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من لقيَ الله لا يُشركُ به شيئًا دخل الجَنة، ومن لَقيهُ يشركُ به شيئًا دخل النار»[1].

ش: جابر: هو ابنُ عبد الله بن عمرو بن حَرام - بمُهملتين - الأنصاري، ثم السَّلَمي - بفتحتين - صحابيٌّ جليل، ولأبيه مناقبٌ مشهورة رضي الله عنهما، مات بالمدينة بعد السبعين، وقد كُفَّ بصرهُ، وله أربعٌ وتسعون سنة.

قوله: **«مَن لَقي الله لا يُشرك به شيئًا»**.

قال القُرطبي: أي: لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة. ومن المعلوم من الشرع، المجمع عليه عند أهل السُّنة: أنَّ من مات علىٰ ذلك فلا بُدَّ له من دخول الجنة، وإنْ جرتَ عليه قبل ذلك أنواعٌ من العذاب والمحنة، وأنَّ من مات علىٰ الشرك لا يدخل الجنَّةَ، ولا يناله من الله رحمة، ويُخلَّد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذابٍ، ولا تصرمٌ آماد.

وقال النووي: أمَّا دخولُ المشرك النارَ فهو علىٰ عُمومه، فيدخلها ويخلَّد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي - اليهودي والنصراني - وبين عبدةِ الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف مِلَّة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حُكم بكفره؛ بجحده ما يكفرُ بجحده وغير ذلك.

وأمَّا دخولُ من مات غيرَ مشركٍ الجنَّةَ، فهو مقطوعٌ له به. لكن إنْ لم يكن صاحبُ كبيرةٍ - مات مُصراً عليها - دخل الجنةَ أوَّلاً، وإنْ كان صاحب كبيرة مات

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٣) وانظر اطرافه.

مُصراً عليها فهو تحت المشيئة: فإنْ عُفي عنه دخل الجنة أوَّلاً، وإلاَّ عُذِّب في النار، ثم أُخرج من النار وأُدخل الجنة.

وقال غيرُه: اقتصر على نفي الشرك؛ لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء، واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم. إذ من كذَّب رُسلَ الله فقد كذَّب الله، ومن كذَّب الله فهو مشرك. وهو كقولك: من توضأ صحَّت صلاتُه، أي: مع سائر الشروط. فالمرادُ: من مات حال كونه مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمان به، إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي. انتهى.

* * *

(٤)

بـاب

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ الدُّعاء إلى شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله

ش: ذكر المُصنف رحمه الله تعالى: التوحيدَ وفضله، وما يُوجب الخوف من ضدِّه.

نبَّه بهذه الترجمة على أنَّه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أنْ يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة؛ كما هو سبيل المُرسلين وأتباعهم، كما قال الحسنُ البصري لمَّا تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فقال: هذا حبيبُ الله، هذا وليُّ الله، هذا صفوةُ الله، هذا خِيرةُ الله، هذا أحبُّ أهل الأرض إلى الله؛ أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفةُ الله[١].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ش: قال أبو جعفر بن جرير: يقول تعالى ذِكْره لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَذِهِ﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها: من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاءِ إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِي﴾ وطريقتي، ودعوتي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ تعالى وحده لا شريك له ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقينِ علمٍ مني به ﴿أَنَا وَ﴾ يدعو إليه على بصيرة أيضًا ﴿مَنِ

(١) **فيه مقال**: رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨٧) والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٨) من طريق معمر عن الحسن فذكره. ورواية معمر عن البصريين فيها ضعف والحسن بصري.

اتَّبَعَنِي﴾ وصدَّقني، وآمن بي. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يقول له تعالىٰ ذِكْره: وقل تنزيهًا لله تعالىٰ وتعظيمًا له: مِن أن يكون له شريكٌ من ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم منيّ. انتهىٰ.

قال في (شرح المنازل): يريدُ أنْ تصل باستدلالك إلىٰ أعلىٰ درجات العلم، وهي البصيرةُ التي يكون نسبة المعلوم فيها إلىٰ القلب كنسبة المرئي إلىٰ البصر، وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلىٰ درجات العلماء.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أي: أنا وأتباعي علىٰ بصيرة. وقيل: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ عطفٌ علىٰ المرفوع في ﴿أَدْعُو﴾ أي: أنا أدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة، ومن اتبعني كذلك يدعو إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرة. وعلىٰ القولين: فالآيةُ تدل علىٰ أن أتباعَه هم أهلُ البصائر الداعين إلىٰ الله تعالىٰ، ومن ليس منهم فليس من أتباعه علىٰ الحقيقة والموافقة. وإن كان من أتباعه علىٰ الانتساب والدَّعوىٰ.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه مسائل:

منها: التنبيه علىٰ الإخلاص؛ لأن كثيراً من الناس لو دعا إلىٰ الحق فهو يدعو إلىٰ نفسه.

ومنها: أنَّ البصيرةَ من الفرائض.

ومنها: أنَّ من دلائل حُسن التوحيد: أنَّه تنزيهٌ لله تعالىٰ عن المَسبَّة.

ومنها: أنَّ من قُبح الشرك كونه مَسبَّةٌ لله.

ومنها: إبعادُ المسلم عن المشركين لا يصير منهم، ولو لم يُشرك. انتهىٰ.

وقال العلاَّمةُ ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى - في معنى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]: ذكر سبحانه مراتبَ الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو:

فإنَّه إمَّا أنْ يكون طالبًا للحق محبًا له، مُؤثرًا له علىٰ غيره إذا عرفه. فهذا يُدعَىٰ بالحكمة، ولا يحتاج إلىٰ موعظةٍ وجدال.

وإمَّا أنْ يكون مُشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه. فهذا يحتاج إلىٰ

الموعظة بالترغيب والترهيب .

وإمَّا أن يكون مُعانداً معارضًا ، فهذا يُجادل بالتي هي أحسن . فإنْ رجع ، وإلا انتقل معه إلىٰ الجلاد إنْ أمكن . انتهىٰ .

وقال أيضًا رحمه الله تعالى: والفرقُ بين حُبِّ الإمامة والدعوة إلىٰ الله ، وحب الرياسة : هو الفرقُ بين تعظيم أمر الله والنصح له ، وتعظيم النفس والسعي في حظِّها .

فإنَّ الناصح لله المحب له ، يُحبُ أنْ يُطاع ربُّه فلا يُعصىٰ ، وأن تكون كلمته هي العليا ، وأن يكون الدينُ كلُّه لله ، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه .

فقد ناصح الله في عبوديته ، وناصح خلقه في الدعوة إلىٰ الله ، فهو يحب الإمامة في الدين . بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إمامًا يقتدي به المقتدون ، كما اقتدىٰ هو بالمتقين . فإذا أحب هذا العبدُ الداعي إلىٰ الله أن يكون في أعين الناس جليلاً ، وفي قلوبهم مهيبًا ، وإليهم حبيبًا ، وأن يكون فيهم مطاعًا ، لكي يأتموا به ، ويقتفوا أثر الرسول ﷺ علىٰ يديه . لم يضره ذلك بل يُحمد عليه ؛ لأنه داعٍ إلىٰ الله ، يُحب أنْ يطاع ويعبد ويوحَّد . فهو يُحب ما يكون عونًا علىٰ ذلك ، موصلاً إليه .

ولهذا ذكر الله سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه ، وأثنىٰ عليهم في تنزيله وأحسن جزاءهم يوم لقائه . فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] فسألوه أنْ يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه ، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم علىٰ طاعته وعبوديته .

فإنَّ الإمام والمؤتم متعاونان علىٰ طاعته ، وإنَّما سألوه ما يعاونون به المتقين علىٰ مرضاته وطاعته ، وهو دعوتهم إلىٰ الله بالإمامة في الدين ، التي أساسها الصبر واليقين ، قال تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] . فسؤالهمُ : أنْ يجعلهم أئمة للمتقين . هو سؤالٌ أنْ يهديهم ويوفقهم ويمنَّ عليهم بالعلوم النافعة ، والأعمال الصالحة ظاهراً وباطنًا ، التي لا تتم الإمامةُ إلاَّ بها .

وتأمَّل كيف نسبهم في هذه الآيات إلىٰ اسم الرحمن جلَّ جلاله ، ليعلم خلقُه أنَّ هذا إنما نالوه بفضله ورحمته ، ومحض جوده ومنَّته .

وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه الصورة: الغرف وهي المنازل العالية في الجنة.
وهذا لَمّا كانت الإمامةُ في الدين من الرتب العالية ـ بل من أعلى مراتب يُعطاها العبد في الدنيا ـ كان جزاؤه عليها الغرف العالية في الجنة.
وهذا بخلاف طلب الرياسة، فإنَّ طالبيها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم: من العلوِّ في الأرض، وتعبد القلوب لهم، وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم، مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم.
فترتب على هذا الطلب من المفاسد ما لا يعلمه إلاَّ الله: من البغي والحسد، والطغيان والحقد، والظلم، والحمية للنفس دون حق الله، وتعظيم من حقّر الله، واحتقار من أكرمه الله. ولا تتم الرياسةُ الدنيوية إلاَّ بذلك، ولا تُنال إلاَّ بأضعافه من المفاسد، والرؤساء في عمىً عن هذا.
فإذا كُشف الغطاء تبيَّن لهم فسادَ ما كانوا عليه، ولا سيما إذا حشروا في صفة الذَّر، يطؤهم أهلُ الموقف بأرجلهم؛ إهانة لهم وتحقيراً وتصغيراً، كما صغَّروا أمر الله، وحقروا عباده. انتهى كلامُه ـ رحمه الله تعالى.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ لما بعث مُعاذًا إلى اليمن، قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أوَّلُ ما تدعوهم إليه: شهادةُ أنْ لا إله إلاَّ الله ـ وفي رواية: إلى أن يوحِّدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوك لذلك. فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تُؤخذ من أغنيائهم فَتُرَدُّ على فقرائهم، فإنْ هم أطاعوك لذلك فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب». أخرجاه[1].

ش: **قال الحافظ:** كان بعثُ معاذٍ إلى اليمن سنة عشر، قبل حجِّ النبي ﷺ كما ذكره المصنف ـ يعني البخاري ـ في أواخر المغازي. وقيل: كان ذلك في آخر سنة

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٩٥) وأطرافه، ومسلم (١٩).

تسع، عند مُنْصرَفه ﷺ من تبوك. رواه الواقديُّ بإسناده إلى كعب بن مالك. وأخرجه ابن سعد في (الطبقات) عنه.

واتفقوا أنه لم يزل على اليمن، إلى أنْ قدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. ثم توجَّه إلى الشام، فمات بها.

قال شيخُ الإسلام: ومن فضائل معاذ رضي الله تعالى عنه: أنَّه بعثه ﷺ إلى اليمن مبلِّغًا عنه، ومفقِّهًا ومعلمًا وحاكمًا.

قوله: «**إنكَ تأتي قومًا من أهل الكتاب**» قال القُرطبي: يعني به اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب. وإنَّما نبَّه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم.

وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية، ليجمع همَّته عليها.

قوله: «**فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله**» شهادة: رُفع على أنه اسم يكن مؤخر. وأوَّل: خبرها مقدَّم، ويجوز العكس.

قوله: وفي رواية: «**إلى أن يوحدوا الله**»[1] هذه الرواية ثابتةٌ في كتاب التوحيد من (صحيح البخاري). وأشار المصنف بذكر هذه الرواية: إلى التنبيه على معنى شهادة أنْ لا إله إلا الله، فإنَّ معناها توحيدُ الله تعالى بالعبادة، ونفيُ عبادةَ ما سواه.

وفي رواية: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادةُ الله**» وذلك هو الكفرُ بالطاغوت، والإيمان بالله؛ كما قال تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا**﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والعُروةُ الوثقى: هي لا إله إلاَّ الله.

وفي روايةٍ للبخاري، فقال: «**ادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»[2].

قلتُ: لابُدّ في شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلاَّ باجتماعها:

أحدُها: العلمُ، المنافي للجهل.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢).
(٢) رواه البخاري (١٣٩٥).

الثاني: اليقينُ، المنافي للشك.

الثالث: القبولُ، المنافي للرد.

الرابع: الانقيادُ، المنافي للترك.

الخامس: الإخلاصُ المنافي للشرك.

السادس: الصدقُ، المنافي للكذب.

السابع: المحبةُ، المنافية لعدمها.

وفيه دليلٌ علي أنَّ التوحيد ـ الذي هو إخلاصُ العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه هو أوَّلُ واجب؛ ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسلُ عليهم السلام ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢] وقول نوح: ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [هود: ٢٦] وفيه معنىٰ: لا إله إلا الله، مطابقة.

قال العلاَّمة ابنُ القيم رحمه الله تعالى: ولهذا خاطب الرسلُ أممهم، مخاطبة من لا شك عنده في الله، وإنَّما دَعوّهم إلىٰ عبادة الله وحده، لا إلىٰ الاقرار به؟ فقالت لهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] فوجودُه سبحانه وربوبيتُه وقدرته، أظهرُ من كل شيء علىٰ الاطلاق.

فهو أظهرُ للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده. فما يُنكره إلاّ مكابر بلسانه، وقلبُه وعقله وفطرته وكلُّها تكذِّبه، قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] إلىٰ آخر الآيات.

قال شيخُ الإسلام: وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمةُ: أن أصل الإسلام، وأوّلَ ما يؤُمر به الخلق: شهادةُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله. فبذلك يصير الكافر مسلمًا والعدوّ وليًا، والمباحُ دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إنْ كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإنْ قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان. قال: وأمَّا إذا لم يتكلَّم بها مع القُدرة فهو كافرٌ باتفاق المسلمين باطنًا وظاهراً، عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير

العلماء. انتهىٰ.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه: أنَّ الإنسان قد يكون عالمًا وهو لا يعرف معنى لا إله إلاَّ الله، أو يعرفه ولا يعمل به.

قلتُ: فما أكثر هؤلاء، لا كثَّرهم الله تعالىٰ.

قوله: «**فإنْ هم أطاعوك لذلك**» أي: شهدوا، وانقادوا لذلك «**فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلوات**» فيه: أنَّ الصلاة أعظمُ واجب بعد الشهادتين.

قال النووي ما معناه: أنه يدلُّ علىٰ أنَّ المطالبة بالفرائض في الدنيا لا يكون إلاَّ بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك أنْ لا يكونوا مُخاطبين بها، ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة. والصحيح: أنَّ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، المأمور به والمنهي عنه. وهذا قولُ الأكثرين. انتهىٰ.

قوله: «**فأعلمهم أنْ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذُ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم**» فيه: دليلٌ علىٰ أنَّ الزكاة أوجبُ الأركان بعد الصلاة، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف علىٰ الفقراء. وإنَّما خصَّ النبيُّ ﷺ الفقراء؛ لأن حقَّهم في الزكاة آكدُ من حق بقية الأصناف الثمانية.

وفيه: أنَّ الإمام هو الذي يتولَّىٰ قبض الزكاة وصرفَها: إمَّا بنفسه أو نائبه، فمن امتنع من أدائها أُخذت قهراً منه.

وفي الحديث: دليلٌ علىٰ أنه يكفي إخراج الزكاة في صنفٍ واحد، كما هو مذهب الإمام مالك، وأحمد.

وفيه: أنه لا يجوز دفعُها إلىٰ غني، ولا إلىٰ كافرٍ غيرِ المؤلَّف، وأنَّ الزكاة واجبةٌ في مال الصبي والمجنون، كما هو قولُ الجمهور؛ لعموم الحديث.

قلتُ: والفقير إذا أفرد في اللفظ تناول المسكين وبالعكس. كنظائره. قرره شيخُ الإسلام.

قوله: «**فإيَّاك وكرائمَ أموالهم**» بنصب كرائم؛ علىٰ التحذير. جمعُ كريمة، قال صاحبُ (المطالع): هي الجامعةُ للكمال الممكن في حقها: من غزارة لبن، وجمال

صورة، وكثرة لحمٍ وصوف. ذكره النووي.

قلتُ: وهي خيارُ المال، وأنفسهُ وأكثره ثمنًا.

وفيه: أنَّه يحرُم على العامل في الزكاة أخذُ كرائم المال، ويحرم على صاحب المال إخراجُ شرار المال. بل يُخرج الوسط، فإنْ طابت نفسه بالكريمة جاز.

قوله: «**واتق دعوة المظلوم**» أي: اجعل بينك وبينها وقاية، بالعدل وترك الظلم. وهذان الأمران يقيان من رُزقهما من جميع الشرور، دُنيا وأُخرى.

وفيه: تنبيهٌ على التحذير من جميع أنواع الظلم.

قوله: «**فإنه**» أي: الشأن «**ليس بينها وبين الله حجاب**» هذه الجملةُ مفسرة لضمير الشأن. أي: فإنَّها لا تُحجب عن الله تعالى، فيقبلها.

وفي الحديث أيضًا: قبولُ خبر الواحد العدل، ووجوب العمل به، وبعثُ الإمام العُمَّالَ لجباية الزكاة، وأنه يعظ عُمَّاله وولاته، ويأمرُهم بتقوى الله تعالي، ويعلِّمهُم، وينهاهم عن الظلم، ويعرِّفهم سوء عاقبته. والتنبيهُ على التعليم بالتدريج. قاله المصنف.

قلتُ: ويبدأ بالأهم فالأهم.

واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصومَ والحج، فأشكل ذلك على كثير من العلماء.

قال شيخُ الإسلام: أجاب بعضُ الناس: أنَّ بعض الرواة اختصر الحديث، وليس كذلك؛ فإنَّ هذا طعنٌ في الرواة؛ لأن ذلك إنما يقعُ في الحديث الواحد، مثل حديث وفد عبد القيس[1]، حيث ذكر بعضُهم الصيام، وبعضهم لم يذكره.

فأما الحديثان المنفصلان فليس الأمرُ فيهما كذلك، ولكن عن هذا جوابان:

أحدهما: أنَّ ذلك بحسب نزول الفرائض، وأوَّلُ ما فرض الله الشهادتين ثم الصلاة. فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي؛ ولهذا لم يذكر وجوبَ الحج كعامة الأحاديث، إنَّما جاء في الأحاديث المتأخرة.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٥٣) وأطرافه، ومسلم (١٧).

قلتُ: وهذا من الأحاديث المتأخرة، ولم يُذكر فيها.

الجـواب الثـاني: أنه كان يذكرُ في كل مقامٍ ما يُناسبه. فيذكر تارةً الفرائض التي يُقاتل عليها كالصلاة والزكاة، ويذكرُ تارة الصلاة والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم: فإمَّا أنْ يكون قبل فرض الحج، وإمَّا أنّ يكون المخاطبُ بذلك لا حج عليه.

وأما الصلاةُ والزكاة فلهما شأنٌ ليس لسائر الفرائض؛ ولهذا ذكر تعالىٰ في كتابه القتالَ عليهما؛ لأنهما عبادتان ظاهرتان، بخلاف الصوم فإنَّه أمرٌ باطن من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة، ونحو ذلك مما يؤتمنُ عليه العبد. فإنَّ الإنسان يمكنه أنْ لا ينوي الصوم وأنْ يأكل سراً، كما يمكنه أنْ يكتم حدثَه وجنابته. وهو ﷺ يذكر في الأعمال الظاهرة التي يُقاتل الناسُ عليها، ويصيرون مسلمين بفعلها. فلهذا علَّق ذلك بالصلاة والزكاة، دون الصوم. وإنْ كان واجبًا كما في آيتي براءة، فإنّ براءة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس. وكذلك لما بعث معاذاً إلىٰ اليمن لم يذكر في حديثه الصوم؛ لأنه تبعٌ وهو باطن، ولا ذكر الحجَّ؛ لأنَّ وجوبه خاصٌ ليس بعام، ولا يجب في العُمر إلا مرة. انتهىٰ بمعناه.

قوله: (أخرجاه) أي: البخاري ومسلم، أخرجه أيضًا: أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهـما، عن سَهْلِ بن سعْد: أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطينَّ الرايةَ غـداً رجلاً يُحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسولـه يفتح الله على يديه» فـباتَ الناسُ يَـدُوكون ليلتـهم: أيُّهم يُعطاها. فلما أصبحوا، غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أنْ يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيـه، فأرسلوا إليه. فأُتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجَع. فأعطاه الراية، فقال: «انفُذ على رِسلك حـتى تنزل بساحـتهم، ثـم ادعُهم إلى الإسـلام، وأخبـرهم بما يجب عَليهم من حق الله تعـالى فيه؛ فـوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خـيرٌ

لك من حُمر النَّعم»(١) **يدوكون: أي يخوضون.**

ش: قوله: (عن سَهل بن سعد)، أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري الخَزْرجي السَّاعدي، أبو العباس، صحابيٌّ شهير، وأبوه صحابي أيضًا. مات سنة ثمانٍ وثمانين، وقد جاوز المائة.

قوله: (قال يوم خيبر) أي: في غزوة خيبر وفي (الصحيحين) عن سَلَمة بن الأكوع، قال: كان عليٌّ رضي الله عنه قد تخلف عن النبيﷺ في خيبر، وكان أرمدًا، فقال، أنا أتخلفُ عن رسول اللهﷺ؟ فخرج عليٌّ رضي الله عنه فلحق بالنبيﷺ، فلما كان مساءَ الليلة التي فتحها الله عز وجل في صباحها، قال رسول اللهﷺ: «**لأعطين الراية ـ أو ليأخذن الراية ـ غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ـ أو قال: يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه**». فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول اللهﷺ الراية ففتح الله عليه(٢).

قوله: «**لأعطينَّ الراية**» قال الحافظ: في رواية بُريدة: «**إني دافعٌ اللواءَ إلى رجلٍ يحبه الله ورسوله**»(٣) وقد صرَّح جماعةٌ من أهل اللغة بترادفهما.

لكن روىٰ أحمد، والترمذيُّ، من حديث ابن عباس: كانت رايةُ رسول اللهﷺ سوداء، ولواؤه أبيض(٤). ومثله عند الطبراني، عن بُريدة(٥). وعند ابن عَدي، عن

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩٤٢) وأطرافه، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩٧٥) ومسلم (٢٤٠٧).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٥٣) بإسناد حسن.

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (١٦٨١) وابن ماجه (٢٨١٨) من طريق يحيىٰ بن إسحاق السالماني عن يزيد بن حيان سمعت أبا مجلز يحدث عن ابن عباس فذكره.

ويزيد بن حيان صدوق يخطئ كما قال الحافظ في «التقريب».

وتابعه حيان بن عبيد الله بن حبان أبو زهير كما عند البغوي (١٠/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) وأبي الشيخ في «أخلاق النبي» (ص١٥٠) والطبراني (١١٦١) وابن عدي (٢/ ٤٥٢) وحيان بن عبيدالله مختلف فيه وترجمته في «اللسان» (٣/ ٢٠٣) وقد اضطرب في إسناده كما سيأتي من الطريق الآتي والصحيح عنه هذا الطريق لمتابعة يزيد بن حيان له.

(٥) **إسناده ضعيف**: رواه الطبراني (١٢٩٠٩) من طريق حيان بن عبيدالله أبي زهير ثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه فذكره. وفي سنده حيان وسبق الكلام عليه.

أبي هريرة، وزاد: متكوبٌ فيه: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله(١).

قوله: «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسولُه» فيه: فضيلةٌ عظيمة لعلي رضي الله تعالىٰ عنه.

قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصفُ مختصًا بعلي ولا بالأئمة؛ فإنَّ الله ورسوله يحب كلَّ مؤمن تقي يحب الله ورسوله. لكن هذا الحديث من أحسن ما يُحتجُّ به علىٰ النواصب، الذين لا يتولَّونه، أو يكفرونه أو يفسقونه، كالخوارج. لكنَّ هذا الاحتجاج لا يتم علىٰ قول الرافضة، الذين يجعلون النصوص الدالة علىٰ فضائل الصحابة كانت قبل ردَّتهم. فإنّ الخوارج تقول في علي مثلَ ذلك، لكن هذا باطل؛ فإن الله تعالىٰ ورسوله لا يُطلق مثل هذا المدح علىٰ من يعلم الله أنه يموت كافرًا.

وفيه: إثباتُ صفة المحبَّة لله، خلافًا للجهمية.

قوله: «يفتح الله على يديه» صريحٌ في البشارة بحصول الفتح، فهو عَلَمٌ من أعلام النبوة.

قوله: (فبات الناسُ يدوكون ليلتهم)، بنصب ليلتهم. ويدوكون، قال المصنف: يخوضون. أي: فيمن يدفعها إليه. وفيه: حرصُ الصحابة علىٰ الخير واهتمامُهم به، وعلوُّ مراتبهم في العلم والإيمان.

قوله: (أيهُّم يُعطاها) هو برفع أي، علىٰ النباء؛ لإضافتها وحذف صدر صلتها.

قوله: (فلما أصبحوا غدوا علىٰ رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أنْ يُعطاها) وفي رواية أبي هريرة عند مُسلم، أنَّ عمر قال: ما أحببتُ الإمارة إلاَّ يومئذ(٢).

قال شيخُ الإسلام: إنَّ في ذلك شهادةَ النبي ﷺ لعلي بإيمانه باطنًا وظاهرًا، وإثباتًا لموالاته لله تعالىٰ ورسوله، ووجوبَ موالاة المومنين له. وإذا شهد النبيُّ ﷺ لمعين بشهادة، أو دعا له أحبَّ كثيرٌ من الناس أنْ يكون له مثلُ تلك الشهادة، ومثل

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه ابن عدي (٢/ ٢٤١) من طريق حيان بن عبيدالله عن أبي مجلز عن ابن عباس به. وسبق الكلام علىٰ علة هذا السند. ورواه من طريق آخر عن أبي هريرة بمثله. وفي إسناده محمد بن السدي ومحمد بن أبي حميد وكلاهما ضعيف.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٠٥).

ذلك الدعاء، وأنْ كان النبي ﷺ يشهد بذلك لخلقٍ كثير، ويدعو لخلقٍ كثير. وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس[١]، وعبد الله بن سلام[٢]- وإنْ كان قد شهد بالجنة لآخرين- والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضُرب في الخمر[٣].

قوله: فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فيه سؤالُ الإمام عن رعيَّته؛ وتفقُّد أحوالهم.

قوله: (**فقيل: هو يشتكي عينيه**). أي: من الرمد، كما في (صحيح مسلم)، عن سعد بن أبي وقاص، فقال: «**ادعوا لي عليًا**» فأُتي به أرمد. الحديث[٤].

وفي نسخةٍ صحيحة بخط المصنف: فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسل إليه. مبنيٌّ للفاعل، وهو ضميرٌ مستتر في الفعل راجعٌ إلى النبي ﷺ. ويحتمل أنْ يكون مبنيًا لما لم يُسمَّ فاعله. ولمسلم، من طريق إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: فأرسلني إلى علي، فجئتُ به أقوده أرمد[٥].

قوله: (**فبصق**). بفتح الصاد، أي: تفل.

قوله: (**ودعا له فبرأ**) هو بفتح الراء والهمزة، أي: عُوفي في الحال عافية كاملة، كأنْ لم يكن به وجعٌ من رمد، ولا ضعف بصر.

وعند الطبراني، من حديث علي: «**فما رمدتُ ولا صُدِّعت منذ دفع النبيُّ ﷺ إليَّ الراية**»[٦].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٩).
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨١٣) ومسلم (٢٤٨٤).
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٨٠).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٠٤).
(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٠٧).
(٦) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٧٨) والطيالسي (١٨٥) ط. هجر» وأبو يعلى (٥٩٣) وغيرهم من طريق مغيرة عن أم موسى عن علي فذكره ومغيرة الضبي ثقة ربما دلس وقد عنعن وأم موسى قال الدارقطني: حديثها مستقيم يخرج حديثها اعتبارًا. وقال العجلي. كوفية تابعية ثقة. وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٢٢) رواه أبو يعلى وأحمد: ورجالهما رجال الصحيح غير أم موسى وحديثهما مستقيم. وللحديث شاهد يتقوى به من حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى عن علي نحوه عند النسائي في خصائص علي- رقم (١٣٦) والطبراني في «الأوسط» وحسن إسناده الهيثمي (٩/ ١٢٢).

وفي دليلٌ على الشهادتين.

قوله: (فأعطاه الراية). قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: فيه: الإيمانُ بالقدر؛ لحصولها لمن لم يَسْعَ، ومنعها عمَّن سعى.

وفيه: أنَّ فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا يُنافي التوكل.

قوله: فقال: «**انفذ على رسلك**» - بضم الفاء - أي: امض. ورِسلك - بكسر الراء وسكون السين - أي: على رفقك من غير عجلة، وساحتهم: فِناء أرضهم وهو ما حولها.

وفيه: الأدبُ عند القتال، وترك العجلة والطيش، والأصواتِ التي لا حاجة إليها.

وفيه: أمرُ الإمام عمَّالَه بالرفق من غير ضعفٍ ولا انتقاض عزيمة، كما يُشير إليه قوله: «**حتى تنزل بساحتهم**».

قوله: «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» أي: الذي هو معنى: شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله. وإن شئت قلت: الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان: من إخلاص العبادة لله وحده وإخلاصِ الطاعة له ولرسوله ﷺ.

ومن هنا طابق الحديثُ الترجمة؛ كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى: والإسلامُ هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له. والعبودية له. كذا قال أهلُ اللغة.

وقال رحمه الله تعالى: ودينُ الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رُسله: هو الاستسلام له وحده. فأصله في القلب. والخضوعُ له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلهًا آخر لم يكن مسلماً. ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأمَّا الإيمان، فأصله: تصديقُ القلب وإقراره ومعرفته، فهو من باب قول القلب المتضمِّن عمل القلب. انتهى.

فتبيَّن أنَّ أصل الإسلام: هو التوحيد ونفيُ الشرك في العبادة، وهو دعوة جميع المرسلين. وهو الاستسلامُ لله تعالىٰ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به علىٰ ألسُن رسله؛ كما قال تعالىٰ عن أوَّل رسولٍ أرسله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٣].

وفيه: مشروعيةُ الدعوة قبل القتال، لكن إنْ كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداءً؛ لأن النبيﷺ أغار علىٰ بني المصطلق[١] وهم غارُّون، وإنْ كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتُهم.

قوله: «وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حق الله تعالى فيه» أي: الإسلام، إذا أجابوك إليه فأخبرهم بما يجب من حقوقه التي لا بُدَّ لهم من فعلها، كالصلوات والزكاة؛ كما في حديث أبي هريرة: «فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقِّها»، ولما قال عمر لأبي بكر في قتاله مانعي الزكاة: كيف تُقاتل الناس، وقد قال رسولُ اللهﷺ: «أمرتُ أنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟» قال أبو بكر: فإنَّ الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عَنَاقًا كانوا يؤدّونها إلىٰ رسول اللهﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها[٢].

وفيه: بعثُ الإمام الدعاةَ إلىٰ الله تعالىٰ، كما كان النبيُّﷺ وخلفاؤه الراشدون يفعلون؛ كما في (المسند)، عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في خُطبته: ألا إني والله ما أُرسل عُمَّالي إليكم ليضربوا أبشَاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أُرسلهم إليكم ليعلِّموكم دينكم وسُنَنكم[٣].

قوله: «فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمر النَّعم» أنْ: مصدريةٌ واللام قبلها مفتوحة؛ لأنها لامُ القَسَم. وأن والفعلُ بعدها في تأويل مصدر، رُفع علىٰ الابتداء. والخبر: خير. وحُمْر ـ بضم المهملة وسكون الميم ـ جمع أحمر، والنَّعم ـ بفتح النون والعين المهملة ـ أي: خيرٌ لك من الإبل الحمر، وهي

(١) حديث غزوة بني المصطلق رواه البخاري (٢٥٤١) ومسلم (١٧٣٠).
(٢) صحيح: رواه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠).
(٣) ضعيف: رواه أحمد (١/ ٤١) وابن الجارود في «المنتقىٰ» (٨٤٤) من طريق أبي فراس النهدي عن عمر. وأبو فراس: لا يعرف انظر «الميزان» للذهبي (٤/ ٥٦١) و«مجمع الزوائد» للهيثمي (٥/ ٢١١).

أنفسُ أموال العرب .

قال النووي: وتشبيه أُمور الآخرة بأمور الدنيا؛ إنما هو للتقرب إلى الأفهام . وإلاَّ فذرَّةٌ من الآخرة خيرٌ من الأرض بأسرها، وأمثالها معها .

وفيه: فضيلةُ من اهتدىٰ علىٰ يديه رجلٌ واحد، وجوازُ الحلفِ علىٰ الخبر والفُتيا ولو لم يُستحلف .

* * *

(٥)

بـاب
تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ تفسيرِ التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلاَّ الله.

ش: أراد المصنِّفُ رحمه الله تعالى بهذه الترجمة، وما جاء بعدها من الآيات والحديث: أنْ يزيد هذا المقام بيانًا وإيضاحًا، وإلاَّ فقد تقدم في الآيات والأحاديث ما يفسِّرُ لا إله إلاَّ الله، وما دلَّت عليه من التوحيد ونفي الشرك والتنديد.

قلت: هذا من عطف الدال على المدلول.

فإن قيل: قد تقدم في أول الكتاب من الآيات ما يبين معنى «لا إله إلا الله» وما تضمنته من التوحيد كقوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء: ٢٣] وسابقها ولاحقها، وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها. فما فائدة هذه الترجمة؟

قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص وما دلت عليه: من توحيد العبادة. وفيها: الحجة على من تعلق من الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم، لأن ذلك هو سبب نزول بعض هذه الآيات، كالآية الأولى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ [الإسراء: ٥٦] أكثر المفسرين على أنها نزلت فيمن يعبد المسيح وأمه، والعُزيرَ والملائكة، وقد نهى الله عن ذلك أشد النهي، كما في الآية من التهديد والوعيد على ذلك، وهذا يدل على أن دعاءهم من دون الله شرك بالله، ينافي التوحيد، وينافي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن التوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده، وكلمة الإخلاص نفت هذا الشرك، لأن دعوة غير الله

تأليه وعبادة له. و«الدعاء مخ العبادة»(١).

وفي هذه الآية: أن المدعو لا يملك لداعيه كشف ضرر ولا تحويله من مكان إلىٰ مكان، ولا من صفة إلىٰ صفة، ولو كان المدعو نبيًا أو ملكًا، وهذا يقرر بطلان دعوة كل مدعو من دون الله كائنًا من كان، لأن دعوته تكون داعية أحوج ما كان إليها، لأنه أشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره. وهذه الآية تقرر التوحيد، ومعنىٰ لا إله إلا الله.

وقوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ يبين أن هذا سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين، قال قتادة: «تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه» وقرأ ابن زيد: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قال العماد ابن كثير: وهذا خلاف فيه بين المفسرين، وذكره عن عدة من أئمة التفسير.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاث: الحب، وهو ابتغاء التقرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء والخوف، وهذا هو حقيقة التوحيد وحقيقة دين الإسلام كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال للنبي ﷺ: «والله يا رسول الله ما أتيتك إلا بعد ما حلفت عدد أصابعي هذه: أن لا آتيك، فبالذي بعثك بالحق، ما بعثك به؟ قال: **الإسلام**، قال: وما الإسلام؟ قال: **أن تُسلم قلبك وأن تُوجه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلوات المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة**»(٢). وأخرج محمد بن نصر المروزي من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن

---

(١) **لفظ حديث إسناده ضعيف**: رواه الترمذي (٣٣٧١) وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال مشهور والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن.
ولكن صح الحديث بلفظ الدعاء هو العبادة رواه الترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢) وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨) وأحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦) وغيرهم من طريق ذر بن عبدالله الهمداني عن يُسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير فذكره مرفوعًا.

(٢) **إسناده حسن**: رواه النسائي (٥/ ٤، ٨٢) وأحمد (٤/ ٤٤٦، ٥/ ٣، ٤) من طريق أبي قزعة وبهز بن حكيم كلاهما عن حكيم بن معاوية عن معاوية بن حيدة به.

للإسلام صُوىً ومنارًا كمنار الطريق[١]. من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨] أي: «لا إله إلا الله».

فتدبر كيف عبّر الخليل عليه السلام عن هذه الكلمة العظيمة بمعناها الذي دلت عليه ووضعت له من البراءة من كل ما يعبد من دون الله من المعبودات الموجودة في الخارج: كالكواكب والهياكل والأصنام التي صورها قوم نوح على صور الصالحين: ودّ وسواع ويغوث ونَسر، وغيرها من الأوثان والأنداد التي كان يعبدها المشركون بأعيانها، ولم يستثن من جميع المعبودات إلا الذي فطره، وهو الله وحده لا شريك له؛ فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] فكل عبادة يقصد بها غير الله: من دعاء وغيره فهي باطلة، وهي الشرك الذي لا يغفره الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٧٣، ٧٤].

وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي

---

(١) رواه محمد بن النضر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٠٥) والحاكم (١/ ٢١)، وأبونعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٧) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» وغيرهم من طريق ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي هريرة به مرفوعًا وقال ابن أبي حاتم في «المراسيل». خالد أدرك أبا هريرة ولايذكر له سماع. وقد ذكر أنه لقي سبعة عشر رجلاً من الصحابة انظر الحاكم (١/ ٢١) والبخاري في «التاريخ» (٣/ ١٧٦) ورواه أبو عبيد بن سلام في «الإيمان» رقم (٣) من حديث يحيى بن سعيد القطان عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي هريرة مرفوعًا. ويحيى بن سعيد العطار شامي ضعيف. وللحديث شاهد من حديث أبي الدرداء رواه ابن دوستي في «الأمالي» (٢/ ١١٨) كما في «الصحيحة»، (٣٣٣) وفي إسناده عبدالله بن صالح وفيه ضعف وصحح الحديث الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣٣).

فقال: «يا رسول الله؛ لسنا نعبدهم. قال: **أليس يُحلُّون لكم ما حرم الله فتحلونه؛ ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟** قال: بلىٰ. قال النبي ﷺ: **فتلك عبادتهم**»(١).

فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابًا، كما هو الواقع في هذه الأمة، وهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله.

فتبين بهذه الآية أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة. فأثبتوا ما نفته من الشرك وتركوا ما أثبتته من التوحيد.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الترمذي (٣٠٩٥) والبيهقي (١٠/ ١١٦) والطبري في «التفسير» (١٦٦٤٧،
١٦٦٤٨) وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٠٥٧) والطبراني في «الكبير» (٢١٨و٢١٩) والخطيب في «الفقيه
والمتفقه» (٧٥٣)، المزي في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ١١٨) وابن عبد البر معلقًا في «جامع بيان العلم وفضله»
(١٨٦٢) من طريق عبدالسلام بن حرب قال حدثنا غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم
فذكره.

وفي الإسناد عبدالسلام بن حرب ثقة حافظ له مناكير كما قال الحافظ وغطيف بن أعين الجزري ذكره ابن حبان
في «الثقات» وروي عنه غير و احد وقال فيه الترمذي ليس بمعروف في الحديث، وضعفه الدارقطني. وضعفه
الحافظ في «التقريب» ورواه أبو البختري واسمه سعيد واختلف عليه.
فرواه الطبري في «تفسيره» (١٦٦٤٩و١٦٦٥٠و١٦٦٥١و١٦٦٥٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٠٥٨)
والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١١٦) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٥٤) وابن عبدالبر في «بيان العلم وفضله»
(١٨٦٤) من طريق سفيان الثوري والأعمش والعوام عن حبيب بن أبي زائدة عن أبي البختري عن حذيفة
قوله في تفسير الآية وفي الإسناد حبيب وهو مدلس وقد عنعن وأبو البختري أرسل عن حذيفة فسنده منقطع:
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٧٨٦) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٥٦) وابن عبدالبر في« بيان
العلم وفضله» (١٨٦٣) الطبري في «تفسيره» (١٦٦٥٢) من طريق ابن فضيل وجرير وأبي الأحوص عن
عطاء بن السائب عن أبي البختري مقطوعًا من قوله.
وفي الإسناد عطاء بن السائب وهو مختلط.
وجرير ومحمد بن فضيل رويا عنه بعد الاختلاذ وأما أبو الأحوص فلم يذكر أنه روىٰ عنه قبل الاختلاط.
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦٦٥٨) عن بشر بن سويد عن سفيان عن عطاء عن أبي البختري عن حذيفة
فذكره. وقد خالف بشربن سويد أصحاب سفيان كوكيع وعبدالرحمن بن مهدي وغيرهما فقد روياه عن
سفيان عن حبيب عن أبي البختري عن حذيفة فذكره كما سبق في الخلاف الأول علىٰ أبي البختري. وهو
الصواب من رواية سفيان ولاسيما وقد تابعه الأعمش وغيره كما سبق.

فكل من اتخذ ندًا لله يدعوه من دون الله يرغب إليه ويرجوه لما يؤمله منه قضاء حاجاته وتفريج كرباته ـ كحال عُبّاد القبور والطواغيت والأصنام ـ فلا بد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك؛ فإنهم أحبوهم مع الله وإن كانوا يحبون الله تعالىٰ. ويقوله: «لا إله إلا الله» ويصلون ويصومون، فقد أشركوا بالله في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره، فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله يبطل كل قول يقولونه وكل عمل يعملونه، لأن المشرك لا يقبل منه عمل، ولا يصح منه، وهؤلاء وإن قالوا: «لا إله إلا الله» فقد تركوا كل قيد قيِّدت به هذه الكلمة العظيمة: من العلم بمدلولها، لأن المشرك جاهل بمعناها، ومن جهله بمعناها جعل لله شريكًا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلت عليه من الإخلاص: ولم يكن صادقًا في قولها. لأنه لم ينف ما نفته من الشرك، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وترك اليقين أيضًا، لأنه لو عرف معناها وما دلت عليه لأنكره أو شكّ فيه، ولم يقبله وهو الحق. ولكن يكفر بما يعبد من دون الله، كما في الحديث. بل آمن بما يعبد من دون الله باتخاذه الندّ ومحبته له وعبادته إياه من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لأنهم أخلصوا له الحب فلم يحبوا إلا إياه، ويحبون من أحب ويخلصون أعمالهم جميعًا لله، ويكفرون بما عبد من دون الله، فبهذا يتبين لمن وفقه الله تعالىٰ لمعرفة الحق وقبوله دلالة علىٰ هذه الآيات العظيمة علىٰ معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وعلىٰ التوحيد الذي هو معناها الذي دعا إليه جميع المرسلين. فتدبر.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

ش: يتبيَّنُ معنىٰ هذه الآية بذكر ما قبلها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

قال ابنُ كثير: يقول تعالىٰ: ﴿قُلِ﴾ يا محمد للمشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ من الأصنام و الأنداد، وارغبوا إليهم فإنَّهم ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ أي: بالكلية ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: ولا أنْ يحولوه إلىٰ

غيركم.

فإنَّ الذي يقدرُ علىٰ ذلك، هو الله وحده لا شَريك له، الذي له الخلق والأمر.

قال العَوْفي، عن ابن عباسٍ، في الآية: كان أهلُ الشرك يقولون: نعبدُ الملائكة والمسيح وعُزيرا[١]، وهم الذين يدعون.

ورویٰ البخاريُّ ـ في الآية ـ عن ابن مسعود، قال: ناسٌ من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا. وفي رواية: كان ناسٌ من الإنس يَعبُدون ناسًا من الجن، فأسلم الجنُّ وتمسَّك هؤلاء بدينهم[٢].

وقولُ ابن مسعود هذا، يدلُّ علىٰ أنَّ الوسيلة هي الإسلام، وهو كذلك علىٰ كلا القولين.

وقال السُّدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في الآية، قال: عيسىٰ وأُمُّهُ وعُزير[٣].

وقال مغيرة، عن إبراهيم: كان ابنُ عباس، يقول في هذه الآية هم عيسىٰ وعُزير، والشمس والقمر[٤].

وقال مُجاهد: عيسىٰ وعُزير والملائكة[٥].

قوله: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ لا تتم العبادةُ إلاَّ بالخوف والرجاء. فكل داعٍ دُعاءَ عبادةٍ أو استغاثة لابد له من ذلك: فإمَّا أن يكون خائفًا، وإما أن يكون راجيًا، وإما أن يجتمع فيه الوصفان.

---

(١) **ضعيف**: لأن عطية العوفي ضعيف وانظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥) ومسلم (٣٠٣٠).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ١٠٥، ١٠٦) من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وأبو صالح باذام مولىٰ أم هانئ ضعيف وقال ابن حبان لم يسمع من ابن عباس.

(٤) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٥/ ١٠٦) عن شيخه ابن حميد وهو ضعيف ومغيرة بن مقسم مدلس ولاسيما عن إبراهيم.

(٥) **حسن بطريقيه**: رواه الطبري (١٥/ ١٠٦) من طريقين أحدهما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني عن ابن جريج عن مجاهد. وابن أبي نجيح وابن جريج كلاهما مدلس وقد عنعن وقد توسعت في روايتهما عن مجاهد في تحقيقي لحادي الأرواح.

قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى - في هذه الآية لمَّا ذكر أقوال المفسرين -:

وهذه الأقوال كلها حق؛ فإنَّ الآية تعمُّ من كان معبوده عابداً لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر. والسلفُ في تفسيرهم: يذكرون جنسَ المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول التُّرجُمان لمن سأله: ما معنى الخُبز؟ فيريه رغيفًا، فيقول: هذا. فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع، مع شمول الآية.

فالآيةُ خطابٌ لكل من دعا من دون الله مدعواً، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه. فكلٌّ من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها، فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن. فقد نهى الله تعالى عن دعائهم، وبيَّن أنهم لا يملكون كشف الضرِّ عن الداعين ولا تحويله. لا يرفعونه بالكلية ولا يحوِّلونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: ﴿وَلا تَحْوِيلاً﴾ فذكر نكرة تعمّ أنواع التحويل.

فكلٌّ من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين، أو دعا الملائكة فقد دعا من لا يُغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله. انتهى.

وفي هذه الآية ردٌّ على من يدعو صالحًا، ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئًا؛ الشركُ عبادة الأصنام.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

ش: قال ابنُ كثير: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليله إمام الحُنفاء، ووالد من بُعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] أي: هذه الكلمة وهي عبادةُ الله وحده لا شريك له، وخلعُ ما سواه من الأوثان، وهي لا إله

إلاَّ الله جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذُرية إبراهيم عليه السلام ﴿لعَلَّهُم يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها.

قال عكرمة، ومجاهدُ، والضَّحاك، وقتادة، والسدي، وغيرُهم، في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ يعني: لا إله إلاَّ الله، لا يزال في ذريته من يقولها[1].

وروىٰ ابنُ جرير، عن قتادة ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ قال: إنَّهم يقولون: إنَّ الله ربُّنا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فلم يبرأ من ربِّه[2]، ورواه عبْد بن حُميد.

وروىٰ ابنُ جرير، وابن المنذر، عن قتادة ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال: الإخلاصُ والتوحيد، لا يزال في ذرّيته من يعبد الله ويوحّده[3].

قلتُ: فتبيَّن أنَّ معنىٰ لا إله إلاَّ الله، توحيدُ الله بإخلاص العبادة له والبراءةِ من كل ما سواه.

قال المصنِّفُ: وذكر سبحانه أنَّ هذه البراءة، وهذه الموالاة هي شهادةُ أنّ لا إله إلاَّ الله.

وفي هذا المعنىٰ، يقول العلاَّمةُ ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في (الكافية الشافية):

وإذا تولاَّه امـــرؤٌ دون الورى طُرًّا تولاَّه العظيمُ الشـــان

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ش: الأحبارُ: هم العُلماء، والرُّهبان: هم العُبَّاد.

(١) ينظر الطبري (٢٥/ ٦٣) وابن كثير (٤/ ١٢٦).

(٢) رجاله ثقات رواه الطبري (٢٥/ ٦٢) من طريق سعيد عن قتادة.
وقيل سعيد لم يسمع التفسير من قتادة كما قال القطان ولكن غيره من أهل العلم كأحمد وغيره قووا رواية سعيد عن قتادة في التفسير.

(٣) حسن لغيره: رواه الطبري (٢٥/ ٦٣) من طريق معمر عن قتادة به. ورواية معمر عن قتادة فيها ضعف ولكن روي نحوه عن قتادة بأسانيد تقوي بعضها بعضا كما في الطبري.

وهذه الآيةُ قد فسرَّها رسولُ الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مُسْلمًا، دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية قال: فقلتُ: إنَّهم لم يعبدوهم، فقال: «بلى، إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»[1] رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني، من طُرق.

قال السُّدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فإنَّ الحلال ما أحلَّه الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله تعالى.

فظهر بهذا، أنَّ الآية دلَّت: على أنَّ من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن الله، فقد اتخذه ربًا ومعبودًا وجعله لله شريكًا. وذلك يُنافي التوحيد، الذي هو دينُ الله الذي دلَّت عليه كلمةُ الإخلاص لا إله إلاَّ الله. فإنَّ الإله هو المعبود، وقد سمَّى الله تعالى طاعتهم عبادةً لهم، وسمَّاهم أربابًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ أي: شركاء لله تعالى، في العبادة ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، فكلُّ معبودٍ رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله تعالى ورسوله فقد اتخذه المطيع ربا ومعبودًا؛ كما قال تعالى في آية الأنعام ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة.

ويُشبه هذه الآية في المعنى، قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. والله أعلم.

قال شيخُ الإسلام، في معنى قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا ـ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين.

---

(١) إسناده ضعيف: وسبق الكلام عليه.

أحدُهما: يعلموا أنهم بدَّلوا دينَ الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله وتحريمَ ما أحل الله، اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل. فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإنْ لم يكونوا يُصلُّون لهم ويسجدون لهم. فكان من اتبع غيرهَ في خلاف الدين - مع علمه أنه خلافٌ للدين - واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله، مشركًا مثل هؤلاء.

الثاني: أنْ يكون اعتقادُهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعلُ المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي.

فهؤلاء لهم حُكم أمثالهم من أهل الذنوب؛ كما قد ثبت عن النبيﷺ أنه قال: «**إنما الطاعةُ في المعروف**»(١).

ثم ذلك المُحرِّمُ للحلال والمحلل للحرام؛ إنْ كان مجتهداً قصدُه اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع فهذا لا يُؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه.

ولكن من علم أنَّ هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول، فهذا له نصيبٌ من هذا الشرك الذي ذمَّه الله، لا سيما إنْ اتبع في ذلك هواه ونصره باليد واللسان، مع علمه بأنه مخالفٌ للرسول، فهذا شركٌ يستحق صاحبه العقوبة عليه.

ولهذا اتفق العلماءُ على أنَّه إذا عُرف الحق، لا يجوز تقليد أحدٍ في خلافه، وإنَّما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال.

وإنْ كان عاجزاً عن إظهار الحق الذي يعلمه، فهذا يكون كمن عرف أنَّ دين الإسلام حق وهو بين النصارى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق، لا يؤاخذ بما عجز عنه؛ وهؤلاء كالنجاشي وغيره. وقد أنزل الله في هؤلاء الآيات من كتابه، كقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وقوله: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ**

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠).

الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وأمَّا إن كان المتبعُ للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما قدر عليه مثلُه: من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إنْ أخطأ؛ كما في القِبْلة.

وأمَّا إنْ قلَّد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أنَّ معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية. وإنْ كان متبوعُه مصيبًا لم يكن عمله صالحًا، وإنْ كان متبوعُه مخطئًا كان آثمًا؛ كمن قال في (القرآن) برأيه، فإنْ أصاب فقد أخطأ، وإنْ أخطأ فليتبوأ مقعده من النار[1].

وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد، ومن جنس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة. فإنَّ ذلك لما أحبَّ المال منعه عن عبادة الله وطاعته صار عبدًا له، وكذلك هؤلاء. فيكون فيه شركٌ أصغر، ولهم من الوعيد بحسب ذلك. وفي الحديث: «**إنّ يسير الرياء شرك**»[2] وهذا مبسوطٌ عند النصوص التي فيها إطلاقُ الكفر والشرك على كثير من الذنوب. انتهى.

قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله، في معنى قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ

(١) في ذلك حديث جندب مرفوعًا عند أبي داود (٣٦٥٢) والترمذي (٢٩٥٢) من طريق سهيل بن مهران أخو حزم القطعي عن أبي عمران الجوني عن جندب به وسهيل ضعيف وجاء نحو ذلك عن ابن عباس مرفوعًا عن الترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١) والنسائي في «الكبرى» (٨٠٨٥) وأحمد (١/ ٢٣٣، ٢٦٩) من طريق عبد الأعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به وعبد الأعلى الثعلبي ضعيف.

(٢) **إسناده ضعيف** رواه الحاكم (١/ ٤) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣١٧) والبيهقي في «الأسماء» (١٠٤٦) من طريق الربيع بن سليمان عن عبدالله بن وهب عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن معاذ به مرفوعًا.
وهذا إسناد ظاهره الصحة لكن به علة. وهو أن عياش سمع هذا الحديث من عيسى بن عبد الرحمن الزرقي عن زيد بن أسلم به وعيسى متروك أشار إلى هذه الرواية البيهقي في «الأسماء» بعد الرواية الأولى ووصلها في «الشعب» (٥/ ٣٢٨) والحاكم (٤/ ٣٢٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣١٧) وأبو نعيم (١/ ٥) وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٨) من طرق عن سعيد بن أبي مريم عن عياش عن عيسى عن زيد به:
وللحديث طريق رواه الحاكم (٣/ ٢٧٠) وأبونعيم (١/ ١٥) من طريق أبي قحذم عن أبي قلابة عن ابن عمر به مرفوعًا وأبو قحذم واهٍ. وأبو قلابة لم يسمع من ابن عمر.
وللحديث له طريقين آخرين ضعيفين انظر الحاكم (٢/ ٤٥) وتحقيق الحاشدي «لكتاب الأسماء والصفات» للبيهقي. حديث (١٠٤٦).

أنداداً﴾ [فصلت: ٩] أي: وتجعلون لمن خلق ذلك، الأنداد وهم الأكفاء من الرجال تُطيعونهم في معاصي الله. انتهى.

قلتُ: كما هو الواقع من كثيرٍ من عُبَّاد القبور!.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ش: قال العمادُ ابن كثير رحمه الله تعالى: يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا لله أنداداً؛ أي: أمثالاً ونُظراء يعبدونهم معه، ويحبونه كحبه. وهو الله لا إله إلاَّ هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه.

وفي (الصحيحين)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أنْ تجعل لله نداً وهو خلقك**».

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ولحبهم لله، وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم لا يشركون به شيئًا. بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجأون في جميع أمورهم إليه. ثم توعَّد تعالى المشركين الظالمين لأنفسهم بذلك.

فقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ قال بعضُهم: تقديرُ الكلام، لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذٍ أنَّ القوة لله جميعًا، أي: إنَّ الحكم لله وحده لا شريك له؛ فإنَّ جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦]، يقول: لو علموا ما يعاينون هناك، وما يحلُّ بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم، وكفرهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال. ثم أخبر عن كُفرهم بأوثانهم، وتبرءِ المتبوعين من التابعين، فقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، تبرأت منهم الملائكةُ الذين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدونهم في الدنيا، فتقول الملائكة ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣] ويقولون ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١]، والجن أيضًا يتبرءون منهم، ويتنصلون من عبادتهم لهم، كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦] انتهىٰ كلامه.

وروىٰ ابن جرير، عن مجاهد، في قوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ مباهاة ومضاهاة للحق بالأنداد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من الكفار لأوثانهم[1].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: ومن الأمور المبيِّنة لتفسير التوحيد وشهادة أنْ لا إله إلاَّ الله: آيةُ البقرة في الكفار الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذكر أنَّهم يُحِبُّون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا، فلم يُدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحبَّ الندَّ أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلاَّ الند وحده؟. انتهى.

ففي الآية: بيانُ أنَّ من أشرك مع الله في المحبة فقد جعله شريكًا لله في العبادة، واتخذه ندًا من دون الله، وأنَّ ذلك هو الشركُ الذي لا يغفره الله، كما قال تعالىٰ في أولئك: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ المرادُ بالظلم هنا: الشرك؛ كقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] كما تقدم.

فمن أحب الله وحده، وأحب فيه وله فهو مخلص. ومن أحبه وأحب معه غيره، فهو مشرك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قال شيخُ الإسلام ما معناه: فمن رغب إلىٰ غير الله في قضاء حاجة أو تفريج كربة، لزم أنْ يكون محبًا له، ومحبَّتُه هي الأصل في ذلك. انتهى.

فكلمةُ الإخلاص: لا إله إلاَّ الله تنفي كلَّ شرك في أي نوع كان من أنواع العبادة، وتُثبت العبادة بجميع أفرادها لله تعالىٰ. وقد تقدَّم بيانُ أنَّ الإله: هو المألوه، الذي تألهه القلوب بالمحبة أو غيرها من أنواع العبادة. فلا إله إلا الله: نفت ذلك كلَّه عن

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٢/ ٦٦) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس بل قيل لم يسمع التفسير من مجاهد.

غير الله، وأثبتته لله وحده، فهذا هو الذي دلت عليه كلمةُ الإخلاص مطابقة. فلابد من معرفة معناها واعتقاده، وقبوله، والعمل به باطنًا وظاهرًا، والله أعلم.

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: فتوحيدُ المحبوب: أنْ لا يتعدَّد محبوبه، أي: مع الله تعالىٰ بعبادته له. وتوحيد الحب: أنْ لا يبقىٰ في قلبه بقيةُ حب، حتىٰ يبذلها له. فهذا الحب وإن سُمِّي عشقًا فهو غايةُ صلاح العبد، ونعيمه وقرة عينه. وليس لقلبه صلاحٌ ولا نعيم، إلاَّ بأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من كل ما سواهما، وأن يكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله تعالىٰ، فلا يُحب إلاَّ الله؛ كما في الحديث الصحيح «**ثلاث من كن فيه**» الحديث[1].

ومحبةُ رسول الله ﷺ هي من محبته، ومحبة المرء إنْ كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي مُنقصةٌ لمحبة الله، مضعفة لها.

ويُصدِّقُ هذه المحبة: بأنْ تكون كراهيته لأبغض الأشياء إلىٰ محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد. ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة؛ فإنَّ الإنسان لا يقدم علىٰ محبة نفسه شيئًا، فإذا قدم محبة الإيمان بالله علىٰ نفسه بحيث لو خيرٌ بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أنْ يُلقىٰ في النار ولا يكفر كان أحبَّ إليه من نفسه.

وهذه المحبة هي فوقَ ما يجده العشاق المحبون من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة، كمن لا مثل لمن تعلَّقت به، وهي محبةٌ تقتضي تقديمَ المحبوب فيها علىٰ النفس والمال والولد. وتقتضي كمال الذُّل والخضوع، والتعظيم والإجلال، والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا. وهذا لا نظير له في محبة مخلوق، ولو كان المخلوق من كان.

ولهذا من شرَّك بين الله تعالىٰ وبين غيره في المحبة الخاصة، كان مُشركًا شركًا لا يغفره الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥]. والصحيح: أنَّ معنىٰ الآية: أنَّ الذين آمنوا أشدُّ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١) ومسلم (٤٣) عن أنس بلفظ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار.

حبًا لله من أهل الأنداد لأندادهم؛ كما تقدم أنَّ محبة المؤمنين لربهم لا يُماثلها محبة المخلوق أصلاً، كما لا يُماثل محبوبهم غيره. وكلُّ أذىً في محبة غيره فهو نعيمٌ في محبته، وكلُّ مكروهٍ في محبة غيره فهو قرة عين في محبته. ومن ضرب بمحبته الأمثال التي في محبة المخلوق للمخلوق كالوصل، والهجر والتجني بلا سبب من المُحب، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه علوًا كبيرًا فهو مخطئٌ أقبح الخطأ وأفحشه، وهو حقيقٌ بالإبعاد والمقت. انتهى.

قال المُصنف رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن النبيِ ﷺ، أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبدُ من دون الله، حرُم ماله ودمُه، وحسابه على الله عز وجل»(١).

ش: قوله: (وفي الصحيح). أي: (صحيح مسلم)، عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فذكره.

وأبو مالك، اسمُه: سعْد بن طارق، كوفيٌّ ثقة، مات في حُدود الأربعين ومائة.

وأبوه طارق بن أشْيَم - بالمعجمة والمُثنَّاة التحتية، وزن أحمر - ابن مسعود الأشجعي، صحابيٌّ له أحاديث: قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه.

وفي (مسند الإمام أحمد)، عن أبي مالك، قال: وسمعته يقول للقوم «**من وحّد الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حَرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل**»(٢). رواه أحمد، من طريق يزيد بن هارون، قال: أنبأنا أبو مالك الأشجعي، عن أبيه.

ورواه الإمام أحمد، عن عبد الله بن إدريس، قال: سمعتُ أبا مالك قال: قلتُ لأبي... الحديث. ورواية الحديث بهذا اللَّفظ: يُفسِّر لاَ إله إلاَّ الله.

قوله: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله**». اعلم أنَّ النبيَّ ﷺ علَّق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قولُ لا إله إلا الله. عن علمٍ ويقين، كما هو مُقيّد في قولها في غير ما

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٣/ ٤٧٢، ٦/ ٣٩٤-٣٩٥) وليس في أحد الطريقين عبدالله بن إدريس.

حديث، كما تقدم.

والثاني: الكفر بما يُعبد من دون الله، فلم يكتف باللَّفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها والعمل بها.

قلتُ: وفيه معنى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وهذا من أعظم ما يُبيِّن معنى: لا إله إلاَّ الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفةَ معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلاَّ الله وحده لا شريك له. بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما أجلَّها، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع. انتهى.

قلتُ: وهذا هو الشرطُ المُصحِّحُ لقول: لا إله إلا الله. فلا يصح قولُها بدون هذه الخمس التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى أصلاً؛ قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك، ويخلصوا أعمالهم لله تعالى، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإن أبوا عن ذلك أو بعضه قوتلوا إجماعًا.

وذكر ابن كثير رحمه الله تعالى، في تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] فقال: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن أحمد، وساق بسنده عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾. قال: «**من شهد أنْ لا إله إلاَّ الله، وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله**»[(١)] الحديث.

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه البزار (٢٢٨٤) «كشف» وانظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٠١) من طريق عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن سابط عن جابر بن عبدالله مرفوعًا. وعطاء بن السائب مختلط.

وفي (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة مرفوعًا «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلاَّ الله، ويؤمنوا بي، وبما جئتُ به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله تعالى**»(١).

وفي (الصحيحين)، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمرتُ أنْ أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابُهم على الله**».

وهذان الحديثان تفسيرُ الآيتين: آية الأنفال، وآية براءة. وقد أجمع العلماءُ على أنَّ من قال: لا إله إلا الله. ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلَّت عليه من النفي والإثبات.

قال أبو سُليمان الخطَّابي رحمه الله تعالى في قوله: «**أُمرتُ أنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»: معلومٌ أن المراد بهذا: أهلُ عبادة الأوثان، دون أهل الكتاب؛ لأنهم يقولون: لا إله إلا الله. ثم يُقاتِلون، ولا يُرفع عنهم السيف.

وقال القاضي عياض: اختصاصُ عصمة المال والنفس بمن قال: لا إله إلا الله. تعبيرٌ عن الإجابة إلى الإيمان، وأنَّ المراد بذلك: مشركو العرب، وأهل الأوثان. فأما غيرُهم ممن يقرُّ بالتوحيد، فلا يُكتفى في عصمته بقول لا إله إلاَّ الله، إذ يقولها في كفره. انتهى ملخصًا.

وقال النووي: لابُدَّ مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ؛ كما جاء في الرواية «**ويؤمنوا بي وبما جئتُ به**».

وقال شيخُ الإسلام لما سُئل عن قتال التتار، فقال: كلُّ طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالُهم حتى يلتزموا شرائعه، وإنْ كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه؛ كما قاتل أبو بكر والصحابةُ رضي الله عنهم مانعي الزكاة. وعلى هذا اتفق الفقهاءُ بعدهم.

قال: فأيما طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، أو الأموال، أو الخمر أو الميسر، أو نكاح ذوات المحارم،

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١).

أو عن التزام جهاد الكفار، أو غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرَّماته التي لا عُذر لأحد في جُحودها أو تركها، التي يكفر الواحد بجحودها، فإنَّ الطائفة الممتنعة تُقاتل عليها وإنْ كانت مقرَّةً بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء.

قال: وهؤلاء عند المحققين ليسوا بُغاةً، بل هم خارجون عن الإسلام. انتهى.

قوله: «وحسابه على الله» أي: الله تبارك وتعالىٰ هو الذي يتولَّىٰ حسابه فإنْ كان صادقًا جازاه بجنات النعيم، وإنْ كان منافقًا عذَّبه العذاب الأليم. وأمَّا في الدنيا فالحكمُ علىٰ الظاهر، فمن أتىٰ بالتوحيد ولم يأت بما يُنافيه ظاهرًا، والتزم شرائع الإسلام، وجب الكفُّ عنه.

قلتُ: وأفاد الحديث أنّ الإنسان قد يقول: لا إله إلاَّ الله، ولا يكفر بما يُعبد من دون الله، ولم يأت بما يعصمُ دمه وماله؛ كما دلَّ علىٰ ذلك الآياتُ المحكمات والأحاديث.

قال المصنِّفُ رحمه الله تعالى: وشرحُ هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

ش: قلتُ: وذلك أنَّ ما بعدها من الأبواب: فيه ما يبينٍّ التوحيد، ويوضح معنىٰ لا إله إلا الله. وفيه أيضًا: بيانُ أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، وما يوصِّل إلىٰ ذلك من الغلو والبدع، مما تركُه من مضمون: لا إله إلا الله.

فمن عرف ذلك وتحقَّقه: تبين له معنىٰ لا إله إلاَّ الله، وما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، وبضدها تتبين الأشياء. فبمعرفة الأصغر من الشرك يُعرف ما هو أعظم منه من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد، وأما الأصغر فإنما ينافي كماله، فمن اجتنبه فهو الموحد حقًا.

وبمعرفة وسائل الشرك ـ والنهي عنها لتُجتنب ـ تُعرف الغايات التي نُهي عن الوسائل لأجلها، فإن اجتناب ذلك كله يسلتزم التوحيد والإخلاص، بل يقتضيه.

وفيها أيضًا من أدلة التوحيد: إثباتُ الصفات، وتنزيه الرب تعالىٰ عما لا يليق بجلاله. وكل ما يعرِّف بالله من صفات كماله وأدلة ربوبيته يدلُّ علىٰ أنه هو المعبود وحده، وأن العبادة لا تصلح إلا له، وهذا هو التوحيد، ومعنىٰ شهادة أن لا إله إلاَّ الله.

(٦)

بـاب

من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه

قـال المُصنِّفُ رحـمـه الله تعـالى: بابٌ من الشـرك: لبسُ الحلقـة والخـيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه.

ش: رفْعه: إزالتُه بعد نزوله، ودفعُه: منعُه قبل نزوله.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

ش: قال ابنُ كثير: أي: لا تستطيعُ شيئًا من الأمر.

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: الله كافي من توكَّل عليه ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ كما قال هودٌ عليه السلام، حين قال له قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

قال مُقاتل في معنىٰ الآية: فسألهم النبيُّ فسكتوا. أي: لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها.

وإنَّما كانوا يدْعونها: علىٰ معنىٰ أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا أنهم يكشفون الضُّرَّ ويجيبون دعاء المضطر. فهم يعلمون أنَّ ذلك لله وحده، وكما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ

يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣ـ٥٤]

قـلـتُ: فـهذهِ الآيةُ وأمثالهُـا: تبطل تعلُّقَ القلبِ بغير الله، في جلب نفعٍ أو دفع ضر، وأنَّ ذلك شركٌ بالله.

وفي الآية: بيانُ أنَّ الله تعالىٰ وَسَمَ أهلَ الشرك بدعوة غير الله، والرغبة إليه من دون الله. والتوحيدُ ضدُّ ذلك، وهو: أن لا يدعو إلاَّ الله، ولا يرغب إلاَّ إليه، ولا يتوكل إلاَّ عليه. وكذا جميعُ أنواع العبادة لا يصلُح منها شيءٌ لغير الله؛ كما دلَّ علىٰ ذلك الكتابُ والسنة، وإجماعُ سلف الأمة وأئمتها، كما تقدمَّ.

قال المُصنِّفُ رحـمه الله تعالى: عن عمـران بن حُصَيْن رضي الله عنه، أنَّ الـنـبـي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلْقـة من صُفْـر، فقال: «مـا هذه؟» قال: من الواهنة. فقال: «انزَعها؛ فإنَّها لا تَزيدُك إلاَّ وهنًا؛ فإنك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحَت أبدًا» رواه أحمدُ بسند لا بأس به.

ش: قال الإمـامُ أحمـد: حدَّثنا خلفُ بن الوليد، حدَّثنا المباركُ، عن الحسن، قال: أخبرني عمران بن حُصين: أنَّ النبي ﷺ أبصر علىٰ عَضُدِ رجلٍ حلْقة قال: أراه من صُفْر فقال: **«ويحك، ما هذه؟»** قال: من الواهـنة. قال: **«أما إنها لا تزيدك إلاَّ وهنًا. انبـذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك مـا أفلحت أبدًا»** ورواه ابنُ حبَّـان في (صحيحه)، فقـال: **«فـإنَّك إنْ مت وُكلت إليهـا»**[1]، والحـاكم، وقـال: صـحيح

(١) **إسناده ضـعيف**: واختلف فيه على الحسن رواه أحمد (٤/ ٤٤٥) واللفظ له وابن ماجه (٣٥٣١) مختصراً ليس فيها لومت... وابن حبان (٦٠٨٥) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٢) رقم (٣٩١). وعند ابن حبان والطبراني فإنك إن مت وهي عليك وكلت إليها. من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن عن عمران بن حصين فذكره مرفوعًا وفي الإسناد مبارك بن فضالة وفيه ضعف ثم إنه مدلس وقد عنعن والحسن لم يسمع من عمران كما قال الإمام أحمد وغيره كما في «التهذيب» وانظر «الضعيفة» (٣/ ١٠١) وقد وقع التصريح بالسماع من عمران في رواية أحمد وهو خطأ.

ورواه ابن حبان (٦٠٨٨) والحاكم (٤/ ٢١٦) والبيهقي (٩/ ٣٥٠ـ٣٥١) والطبراني (١٥٩٨٨) رقم (٣٤٨) والخطيب في «موضع أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١٨٢) من طريق أبي عامر صالح بن رستم الخزاز عن الحسن عن عمران أنه دخل على رسول الله ﷺ وعضده حلقة من صفر. فقال ما هذه؟ فقال من الواهنة. قال أيسرك =

الإسناد. وأقرَّه الذهبي.

وقال الحاكم: أكثرُ مشايخنا على أنَّ الحسن سمع من عمران. وقوله في الإسناد: أخبرني عمران. يدلُّ على ذلك.

قوله: (عن عمران بن حُصين). أي: ابن عُبيد بن خَلَف الخُزاعي، أبو نُجَيْد بنونٍ وجيم. مصغَّرَ صحابيٌّ، ابنُ صحابي. أسلم عام خيبر. ومات سنة اثنتين وخمسين، بالبصرة.

قوله: (رأى رجلاً). في رواية الحاكم: دخلتُ على رسول الله ﷺ، وفي عضُدي حلْقة صُفر، فقال: «ما هذه؟» يُحتمل أنَّ الاستفهام للاستفصال عن سبب لُبسها، ويحتمل أنْ يكون للإنكار، وهو أظهر.

قوله: من (الواهنة). قال أبو السَّعادات: الواهنةُ: عِرقٌ يأخُذ في المنكِب، وفي اليد كلِّها، فيرُقى منها. و قيل: هو مرضٌ يأخذ في العضدُ، وهي تأخذ الرجالَ دون النساء؛ وإنَّما نُهي عنها: لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمُه من الألم، وفيه: اعتبارُ المقاصد.

قوله: «انزعها؛ فإنَّها لا تزيدُك إلاَّ وهنًا» النزع: هو الجذبُ بقوة. أخبر أنَّها لا تنفعه، بل تضره، وتزيده ضعفًا. وكذلك كلُّ أمرٍ نُهي عنه: فإنه لا ينفع غالبًا، وإنْ نفع بعضه فضَرَّه أكبرُ من نفعه.

قوله: «فإنَّك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا»؛ لأنه شرك. والفلاح: هو الفوزُ والظفر والسعادة.

= أن نوكل إليها. انبذها عنك.

وأبو عامر صالح بن رستم مختلف فيه وقد قال فيه الحافظ صدوق كثير الخطأ. ورواه عبد الرزاق (١١/ ٢٠٩) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢) رقم (٣٥٥) مطولا، (١٨/ ١٧٩) رقم (٤١٤) من طريق معمر وإسحاق ابن الربيع أبي حمزة ومنصور عن الحسن به إلا أنه أوقفه على عمران.

ورواية معمر عن الحسن ضعيفة وهي رواية عبدالرزاق وظاهرها الإرسال بين الحسن وعمران. وإسحاق بن الربيع ضعيف، ورواية منصور عنه في إسناده إليه محمد بن خالد وهو ضعيف الحديث.

لكن بمجموعها يقوي أن الصحيح عن عمران موقوفًا.

قال المصنفُ رحمه الله تعالى: فيه شاهدٌ لكلام الصحابة: أنَّ الشرك الأصغر أكبرُ من الكبائر، وأنه لم يُعذر بالجهالة. وفيه: الإنكارُ بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

قوله: (رواه أحمدُ بسندٍ لا بأس به). هو الإمام أحمد بن محمد بن حَنْبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط ابن مازن بن شيبان بن ذُهَلْ بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صَعْب بن علي بن بكْر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَىٰ بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن بِزار بن مَعَدّ بن عدنان. الإمام العالم، أبو عبد الله، الذُّهلي، ثم الشيباني المُرْوزِي، ثم البغدادي.

إمامُ أهل عصره، وأعلمُهم بالفقه والحديث، وأشدُّهم ورعًا ومتابعة للسنة، وهو الذي يقول فيه بعضُ أهلِ السُّنة: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته الدنيا فأباها، والشُّبَهُ فنفاها. خُرِجَ به من مرو وهو حَمل، فوُلد ببغداد سنة أربع وستين ومائة، في شهر ربيع الأول.

وطلب أحمدُ العلم سنة وفاة مالك، وهي سنة تسع وسبعين، فسمع من هُشيم، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عُيينة، ومُعتمر بن سليمان، ويحيىٰ بن سعيد القطان، ومحمَّد بن إدريس الشافعي، ويزيد بن هارون وعبد الرزاق، وعبد الرحمن بن مهدي، وخلائق بمكة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، واليمن، وغيرها من البلاد.

روىٰ عنه ابناه: صالح، وعبد الله، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وإبراهيم الحربي، وأبو زُرْعة الرازي، وأبو زُرْعة الدِّمشقي، وعبد الله بن أبي الدنيا، وأبو بكر الأثرم وعُثمان بن سعيد الدارمي، وأبو القاسم البغوي، وهو آخر من حدَّث عنه، وخلائق. وروىٰ عنه من شيوخه: عبدُ الرحمن بن مهدي، والأسودُ بن عامر، ومن أقرانه: عليُّ بن المديني، ويحيىٰ بن معين.

قال البخاري: مرض أحمد لليلتين خلتا من ربيع الأوَّل، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه. وقال حنبل: مات يوم الجمعة في ربيع الأول سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين، وله سبعٌ وسبعون سنة. وقال ابنه عبدُ الله، والفضل بن زياد: مات في ثاني عشر ربيع الآخر رحمه الله تعالىٰ.

قال المُصنِّف رحمه الله تعالى: وله عن عُقْبَةَ بن عامر، مرفوعًا: «من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومنَ تعلَّق وَدْعةً فلا ودَع الله له»[١] وفي رواية: «مَن تعلقَّ تميمةً فقد أشرك»[٢].

ش: الحديثُ الأوَّل: رواه الإمامُ أحمد، كما قال المصنف، ورواه أبو يعلىٰ، والحاكم، وقال: صحيحُ الإسناد، وأقرَّه الذهبي.

قوله: (وفي رواية). أي: من حديث آخر، رواه أحمد، فقال: حدَّثنا عبدُ الصَّمد بن عبد الوارث، حدَّثنا عبد العزيز بن مسلم، حدَّثنا يزيد بن أبي منصور، عن دُخين الحَجْري، عن عُقبة بن عامر الجهني، أنَّ رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعةً وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: «**إنَّ عليه تميمة**»، فأدخل يده فقطعها. فبايعه، وقال: «**من تعلَّق تميمة فقد أشرك**» ورواه الحاكم بنحوه، ورواته ثقات.

قوله: (عن عُقبة بن عامر). صحابيٌّ مشهور، فقيهٌ فاضل. وليَ إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريبًا من الستين.

قوله: «**من تعلَّق تميمة**» أي: **علَّقها متعلِّقًا بها قلبُه، وفي طلب خير أو دفع شر.**

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه أحمد (٤/ ١٥٤) وابن حبان (٦٠٨٦) والحاكم (٤/ ٢١٦) والدولابي في «الكنىٰ» (٢/ ١١٥) والبيهقي (٩/ ٣٥٠) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٩٧) رقم (٨٢٠) وأبو يعلىٰ (١٧٥٩) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٦٩) والطحاوي (٤/ ٣٢٥) وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٧/ ١٦٢) وابن وهب في «جامعه» (٦٦٢) من طريق خالد بن عبد المعافري عنه قال سمعت مشرح بن هاعان يقول سمعت عقبة بن عامر فذكره. وخالد بن عبيد المعافري مجهول. وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٢٦٦) وله طريق آخر رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٤) من طريق الوليد بن الوليد بن ثوبان عن أبي سعيد عن عقبة بن عامر به والوليد رمي بالوضع.
وعزاه الشيخ شعيب في «تحقيق مسند أحمد» حديث (١٧٤٠٤) إلى ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص٢٨٩) عن أبي الأسود النضر بن عبد الجبار عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان به. وابن لهيعة فيه مقال مشهور.

(٢) **إسناده حسن**: رواه أحمد (٤/ ١٥٦) والحاكم (٤/ ٢١٩) والحارث بن أبي أسامة كما في «زوائده» (٥٣٨) والطبراني (١٧/ رقم ٨٨٥) مختصراً من طريق يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني فذكره مرفوعًا. ويزيد بن أبي منصور قال فيه أبوحاتم ليس به بأس وذكره ابن حبان في «ثقات أتباع التابعين» وروي عنه جماعة وروي له مسلم دخين الحجري كاتب عقبة بن عامر وقال الحافظ في «التقريب» ثقة.

قال المُنذري: خرزةٌ كانوا يُعلِّقونها، يرون أنَّها تدفع عنهم الآفات. وهذا جهلٌ وضلالة؛ إذ لا مانع، ولا دافع غير الله تعالىٰ.

وقال أبو السعادات: التمائمُ: جمعُ تميمة، وهي خَرَزاتٌ كانت العربُ تعلِّقها علىٰ أولادهم؛ يتَّقون بها العين في زعمهم فأبطله الإسلام.

قوله: «**فلا أتمَّ الله له**» دعاءٌ عليه..

قوله: «**ومن تعلَّق وَدْعَة**» بفتح الواو وسكون المهملة. قال في (مُسند الفردوس): الودْع: شيءٌ يخرج من البحر شبه الصَّدف، يتَّقون به العين.

قوله: «**فلا ودَع الله له**» بتخفيف الدال. أي: لا جعله في دعَةٍ وسكون.

قال أبو السعادات: وهذا دعاء عليه.

قوله: وفي رواية: «**من تعلَّق تميمة فقد أشرك**» قال أبو السعادات: إنَّما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا دفعَ المقادير المكتوبة عليه، وطلبوا دفع الأذىٰ من غير الله الذي هو دافعه.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولابن أبي حاتم، عن حُذيفة: أنه رأى رجلاً في يده خَيطٌ من الحُمّى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(١) [يوسف: ١٠٦].

ش: قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا محمَّد بن الحُسين بن إبراهيم بن إشكاب، حدَّثنا يونس بن محمد، حدثنا حمَّاد بن سلمة، عن عاصم الأحول، عن عُروة، قال: دخل حُذيفةُ علىٰ مريض، فرأىٰ في عضُده سيراً، فقطعه أو انتزعه، ثم قال: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾**.

---

(١) **إسناده منقطع:** رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٤٠) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم الاحول عن عزرة عن حذيفة فذكره وفيه عزرة بن عبد الرحمن من الطبقة السادسة وروايته عن عائشة مرسلة. وعائشة ماتت سنة (٥٧هـ) فروايته عن حذيفة من باب أولىٰ ولا سيما أن حذيمة مات في أول خلافة علي رضي الله عنه. وقد وقع عند المصنف في هذا المطبوع و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٩٤) عروة وكأنه تصحيف ثم إن عروة بن الزبير لا يعرف له سماع من حذيفة وقد ذكر «عزرة» في بعض المطبوعات وبعض المخطوطات «الفتح المجيد» انظر هامش «فتح المجيد» (١/ ٢٣٦) ط. الصميعي.

وابن أبي حاتم: هو الإمامُ أبو محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم، محمّد بن إدريس الرازي، التميمي، الحنظلي، الحافظ، صاحبُ (الجرح والتعديل)، (والتفسير)، وغيرهما. مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

وحُذيفة: هو ابن اليمان. واسم اليمان: حُسيل بمهملتين مصغَّرًا ويقال: حِسْل بكسر ثم سكون العبسي بالموحَّدة حليف الأنصار، صحابيٌّ جليل من السابقين، ويقال له: صاحبُ السِّر، وأبوه أيضًا صحابي. مات حُذيفة في أوّل خلافة عليّ، سنة ستٍّ وثلاثين.

قوله: (رأىٰ رجلاً في يده خيط من الحمّىٰ). أي: عن الحُمَّىٰ. وكان الجهال يعلّقون التمائم والخيوط ونحوهما لدفع الحمَّىٰ.

وروىٰ وكيع، عن حُذيفة: أنه دخل علىٰ مريضٍ يعوده، فلمس عضُده، فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رُقي لي فيه، فقطعه، وقال: لو متَّ وهو عليك ما صلَّيتُ عليك[(١)].

وفيه: إنكارُ مثل هذا، وإنْ كان يعتقد أنه سبب: فالأسباب لا يجوز منها إلاَّ ما أباحه الله تعالىٰ ورسوله، مع عدم الاعتماد عليها. وأمَّا التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلّقه الجهال: فهو شركٌ، يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه.

قوله: وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾. استدل حذيفة رضي الله عنه بالآية أنَّ هذا شرك.

ففيه: صحةُ الاستدلال علىٰ الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر؛ لشمول الآية، ودخوله في مسمَّىٰ الشرك. وتقدَّم معنىٰ هذه الآية عن ابن عباسٍ، وغيره، والله أعلم.

وفي هذه الآثار عن الصحابة: ما يبيِّنُ كمالَ علمهم بالتوحيد وما ينافيه، أو ينافي كماله.

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣٥١٣) من طريق زيد بن وهب عن حذيفة به ورواه ابن أبي شيبة (٣٥١٤) من طريق آخر عن حذيفة به.

(٧)

بـاب
ما جاء في الرقى والتمائم

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في الرُّقى والتمائم.

ش: أي: من النهي، وما ورد عن السَّلف في ذلك.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن أبي بشير الأنصاري: أنه كـان مـع النبي ﷺ في بعض أسفـاره، فأرسل رسولاً: أنْ لا يَبقينَّ في رقـبة بعير قلادةٌ من وتَر ـ أو قلادةٌ ـ إلا قُطعت[1].

شَ: هذا الحديث في (الصحيحين).

قوله: (عن أبي بشير). بفتح أوله وكسر المُعجمة، قيل: اسمُه قيس بن عُبيد، قاله ابن سعد. وقال ابن عبد البر: لا يوقف له اسمٍ صحيح، وهو صحابيٌّ، شهد الخندق، ومات بعد الستين. ويقال: إنه جاوز المائة.

قوله: (في بعض أسفاره). قال الحافظ: لم أقف على تعيينه.

قوله: (فأرسل رسولاً)، هو زيدُ بن حارثة، روى ذلك الحارثُ بن أبي أُسامة في (مسنده). قاله الحافظ.

قوله: (أن لا يبقينَّ) بالمثناة التحتيَّة والقاف المفتوحتين، (وقلادة). مرفوعٌ على أنَّه فاعل. (والوتر)، بفتحتين: واحدُ أوتارالقوس. وكان أهلُ الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره، وقلَّدوا به الدواب؛ اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدَّابة العين.

قوله: (أو قلادة، إلاَّ قطعت). معناه: أنَّ الراوي شكَّ، هل قال شيخُه: قلادة من وتر، أو قال: قلادة. وأطلق ولم يُقيِّد؟.

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٠٠٥) ومسلم (٢١١٥).

ويؤيدُ الأول: ما روي عن مالك، أنه سُئل عن القلادة؟ فقال: ما سمعتُ بكراهتها إلاَّ في الوتر. ولأبي داود: ولا قلادة. بغير شك.

قال البغوي في (شرح السُّنة): تأوَّل مالكٌ أمرَه عليه السلام بقطع القلائد، على أنَّه من أجل العين. وذلك أنهم كانوا يشدُّون تلك الأوتار والتمائم والقلائد، ويُعلِّقون عليها العُوذ؛ يظنون أنها تعصمهم من الآفات. فنهاهم النبيُّ ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا تردُّ من أمر الله شيئًا.

قال أبو عُبيد: كانوا يقلِّدون الإبل الأوتار، لئلا تصيبها العين. فأمرهم النبيُّ ﷺ بإزالتها؛ إعلامًا لهم بأنَّ الأوتار لا تردُّ شيئًا. وكذا قال ابنُ الجوزي وغيره.

قال الحافظ: ويؤيِّدُه: حديثُ عُقبة بن عامر، رفعه **«من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له»** رواه أبو داود. وهي ما عُلِّق من القلائد خشيةَ العين، ونحو ذلك. انتهىٰ.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتِّوَلَة شرك»(١). رواه أحمد، وأبو داود.

ش: وفيه قصة، ولفظُ أبي داود: عن زينب، امرأة عبد الله بن مسعود: إن

---

(١) **حسن بمجموع طرقه**: رواه أحمد (١/ ٣٨١) وابن ماجه (٣٥٣٠) وأبو داود (٣٨٨٣) وأبو يعلىٰ (٥٢٠٨) والبغوي (٣٢٤٠) والبيهقي (٩/ ٣٥٠) من طريقين عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيىٰ الجزار عن ابن أخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود عن زينب عن عبدالله به. وقد وقع عند ابن ماجه وأبي يعلىٰ ابن أخت زينب وهو وهم وقد وقع في بعض نسخ ابن ماجه ابن أخي زينب كما أشار إلىٰ ذلك المنذري في «الترغيب» (٤/ ٣٠٩) ثم قال وعلىٰ كلا التقديرين مجهول. اهـ.

ولم أقف له علىٰ جرح ولاتعديل وروي عنه يحيىٰ الجزار وقال الحافظ في «التقريب» كأنه صحابي لم أره مسمىٰ. ورواه الحاكم (٤/ ٤١٧ـ ٤١٨) من طريق محمد بن مسلمة الكوفي عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيىٰ بن الجزار ـ عن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن زينب امرأة عبدالله عن عبد الله به.

وفي هذا الإسناد محمد بن مسلمة لم أجد له ترجمة. وقد غلط فابن عتبة إنما هو ابن أخ عبدالله بن مسعود لا ابن أخ زوجته والثاني هو صاحب الحديث.

ورواه ابن حبان (٦٠٩٠) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٢) رقم (١٠٥٠٣) من طريق العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن يحيىٰ بن الجزار قال: فذكر القصة والحديث علىٰ صورة المرسل. ورواه الطبراني في «الكبير» (٨٨٦٣) من طريق عاصم بن علي عن المسعودي عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبدالله به والمسعودي مختلط وعاصم بن علي فيه ضعيف وأبي عبيدة لم يسمع من عبدالله بن مسعود ورواه ابن أبي =

عبد الله رأىٰ في عُنقي خيطًا، فقال: ما هذا؟ قلتُ: خيطٌ رُقي لي فيه، قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتمائم والتِّولة شرك» فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنتُ أختلف إلىٰ فلان اليهودي، فإذا رقىٰ سكنت. فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقىٰ كفَّ عنها. إنما كان يكفيك، أنْ تقولَي كما كان رسولُ الله ﷺ يقول: «أذهب الباس، ربَّ الناس، واشف أنتَ الشافي، لا شفاء إلاَّ شفاؤك، شفاءً لا يغادر سُقمًا»[1] ورواه ابنُ ماجه، وابن حبَّان، والحاكم، وقال: صحيح، وأقرَّه الذهبي.

قوله: (إنَّ الرقىٰ) قال المُصنِّف: **(هي التي تُسمَّى العزائم، وخصَّ منه الدليلُ ما خلا من الشرك. فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ، من العين والحُمَة).**

يُشير إلىٰ أنَّ الرقىٰ الموصوفةَ بكونها شركًا، هي التي يُستعان فيها بغير الله. وأمَّا إذا لم يُذكر فيها إلاَّ أسماء الله وصفاته وآياته، والمأثور عن النبي ﷺ فهذا حسن:

= شيبة (٨/ ١٣) رقم (٣٥٠٩) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي عبيدة عن ابن مسعود به وأبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود ورواه الطبراني في «الكبير» (٨٨٦٢) من طريق موسىٰ بن داود الضبي ثنا أبو إسرائيل الملائي عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن ابن مسعود به. وخولف فيه موسىٰ الضبي عن أبي إسرائيل فقد رواه الحاكم (٤/ ٢١٧) من طريق أحمد بن مهران ثنا عبيدالله بن موسىٰ ثنا إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن الأسدي عن عبدالله به. وأحمد بن مهران لم يوثقه إلا ابن حبان وذكره أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٩٥) وابن حجر في «اللسان» (١/ ٣١٦) ولم يذكراه بجرح ولا تعديل ووقع عند الحاكم إسرائيل وكأنه أبو إسرائيل كما في الإسناد السابق وروي الحاكم (٤/ ٢١٦-٢١٧) من طريق السري بن إسماعيل عن أبي الضحىٰ عن أم ناجية قالت: دخلت علىٰ زينب امرأة ابن مسعود وفي الإسناد السري بن إسماعيل وهو متروك وقد رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث» (٢/ ١٩٠) قال: حدثناه غندر عن شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن ابن مسعود به قال فذكره موقوفًا وله حكم الرفع لأنه مما لا مجال للرأي فيه ورواية إبراهيم عن ابن مسعود قبلها بعض أهل العلم لانه قال: إذا قلت عن ابن مسعود فقد رويته عن غير واحد عنه وأصحاب ابن مسعود ذكر بعض أهل العلم- أنهم ثقات، وإن لم يكونوا كذلك فإنه يجبر بعضهم بعضًا وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٣١).

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٣) وأحمد (١/ ٣٨١) وابن ماجه (٣٥٣٠) وغيرهم وانظر الكلام عليه في الحديث السابق.

جائزٌ، أو مُستحب.

قوله: فقد رخَّص فيه رسولُ الله ﷺ من العين والحُمَة. كما تقدَّم، في باب من حقَّق التوحيد.

وكذا رخَّص في الرقىٰ من غيرها؛ كما في (صحيح مسلم)، عن عوف بن مالك: كُنَّا نَرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترىٰ في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا»[1] وفي الباب أحاديثُ كثيرة.

قال الخطَّابي: وكان عليه السلام، قد رقَىٰ ورُقي، وأمر بها وأجازها. فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالىٰ فهي مباحةٌ أو مأمور بها.

وإنما جاءت الكراهةُ والمنع، فيما كان منها بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك.

قلت: من ذلك: ما كان علىٰ مذهب الجاهلية التي يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون أنَّ ذلك من قِبل الجن ومعونتهم. وبنحوه هذا ذكر الخطَّابي.

وقال شيخُ الإسلام: كلُّ اسم مجهول فليس لأحد أنْ يرقي به، فضلاً أنْ يدعو به ولو عُرِف معناه؛ لأنه يُكره الدعاء بغير العربية. وإنما يُرخَّص لمن لا يُحسن العربية، فأمَّا جعلُ الألفاظ العجمية شعاراً، فليس من دين الإسلام.

وقال السيوطي: وأجمع العلماءُ علىٰ جواز الرقىٰ، عند اجتماع ثلاثة شروط: أنْ يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وبما يُعرف معناه. وأنْ يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثِّر بذاتها، بل بتقدير الله تعالىٰ.

قوله: **«والتمائم»** قال المصنف: (شيءٌ يُعلَّق علىٰ الأولاد، عن العين).

وقال الخلخالي: التمائم، جمعُ تميمة، وهي ما يُعلَّق بأعناق الصبيان من خرزاتٍ وعظام؛ لدفع العين. وهذا منهيٌّ عنه؛ لأنه لا دافع إلاَّ الله، ولا يُطلب دفعُ المؤذيات إلاَّ بالله وبأسمائه وصفاته.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٠).

قال المُصنِّفُ: (لكن إذا كان المعلَّق من القرآن، فرخصَّ فيه بعضُ السلف. وبعضُهم لم يرخِّص فيه، ويجعلُه من المنهي عنه. منهم ابن مسعود).

اعلم أنَّ العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن، وأسماء الله وصفاته.

فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قولُ عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما روي عن عائشة. وبه قال أبو جعفر الباقر، وأحمدُ في رواية. وحملوا الحديثَ على التمائم، التي فيها شرك.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وبه قال ابنُ مسعود، وابنُ عباس. وهوظاهر قول حُذيفة، وعقبة بن عامر، وابن عُكَيم. وبه قال جماعةٌ من التابعين، ومنهم أصحابُ ابن مسعود، وأحمدُ في روايةٍ اختارها كثيرٌ من أصحابه. وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه.

قلتُ: وهذا هو الصحيح، لوجوهٍ ثلاثة تظهرُ للمتأمِّل.

الأوَّل: عمومُ النهي، ولا مُخصِّص للعموم.

الثاني: سدُّ الذريعة؛ فإنه يُفضي إلىٰ تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا عُلِّق فلابُد أنْ يمتهنه المعلِّق، بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك.

وتأمل هذه الأحاديث، وما كان عليه السلفُ رضي الله تعالىٰ عنهم: يتبيّنُ لك بذلك غربة الإسلام.

خصوصًا إنْ عرفت عظيم ما وقع فيه الكثيرُ بعد القرون المفضَّلة: من تعظيم القبور، واتخاذ المساجد عليها، والإقبال إليها بالقلب والوجه، وصرفِ جُلِّ الدعوات والرغبات والرهبات وأنواع العبادات التي هي حقُّ الله تعالىٰ إليها من دونه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧] ونظائرُها في القرآن، أكثر من

أن تُحصر.

قوله: «والتِّولة شركٌ» قال المُصنِّفُ: (هو شيءٌ يصنعونه، يزعمون أنه يُحبِّبُ المرأةَ إلى زوجها والرجلَ إلى امرأته).

وبهذا فسَّره ابنُ مسعود، راوي الحديث؛ كما في (صحيح ابن حبان)، والحاكم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن، هذه الرقى والتمائم، قد عرفناها. فما التولة؟ قال: شيءٌ يصنعه النساء، يتحببن إلى أزواجهن[1].

قال الحافظ: التِّولة بكسر المُثنَّاة وفتح الواو واللام مخفَّفًا: شيءٌ كانت المرأةُ تجلب به محبَّةَ زوجها، وهو ضربٌ من السحر، والله أعلم.

وكان من الشرك؛ لما يُراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عبد الله بن عُكَيم، مرفوعًا «من تعلَّق شيئًا وُكِل إليه»[2] رواه أحمد، والترمذي.

ش: ورواه أبو داود، والحاكم. وعبد الله بن عُكيم: هو بضمِّ المهملة مُصغَّرًا.

---

(١) رواه ابن حبان كما في «الإحسان» (٦٠٩٠) من طريق يحيى الجزار عن ابن مسعود به ويحيى لم يسمع ابن مسعود. وجاء نحوه عند الحاكم (٤/ ٤١٨) وفي إسناده محمد بن مسلمة وكأنه محمد بن مسلمة. قال فيه أبو حاتم شيخ لا يعرف.

(٢) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٢٠٧٢) وأحمدُ (٤/ ٣١٠و٣١١) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٨٥) رقم (٩٦٠) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٧٦) وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١١٧) وابن أبي شيبة (٨/ ١٣) رقم (٣٥٠٨) والحاكم (٤/ ٣١٦) والبيهقي (٩/ ٣٥١) من طريق محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن عيسى أخيه قال دخلت على عبدالله بن عكيم فذكره وفي الإسناد محمد بن عبدالرحمن وهو ضعيف سيء الحفظ وعبدالله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ.

وقد وقع تصريح سماع عبدالله بن عكيم من النبي ﷺ عند ابن قانع في «معجم الصحابة» وهو وهم كما نص عليه بعد روايته. وقد أعله بعلة أخرى فقال. ولا أعلم أن عيسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى لقي عبدالله بن عكيم. ورواه ابن وهب في «جامعه» (٦٧٤) أخبرني جرير بن حازم أنه سمع الحسن فرفعه إلى النبي ﷺ ومن طريقه البيهقي (٩/ ٣٥١) وهذا إسناد صحيح مرسل ولكن مراسيل الحسن ضعيفة بل بعضهم قال إنها أشد ضعفًا ووصله النسائي (٧/ ١١٢) من طريق عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة فذكره مرفوعًا وعباد بن ميسرة ضعيف والحسن لم يسمع من أبي هريرة. وانظر حديث عمران بن حصين السابق في باب من الشرك لبس الخيط.

ويكنَّىٰ أبا معبد، الجُهني الكوفي.

قال البخاري: أدرك زمنَ النبيِّ ﷺ، ولا يُعرف له سماعٌ صَحيح.

وكذا قال أبو حاتم: قال الخطيب: سكن الكوفةَ، وقِدم المدائن في حياة حُذيفة، وكان ثقة.

وذكر ابنُ سعد، عن غيره: أنه مات في ولاية الحجَّاج.

قوله: «**من تعلَّق شيئًا وكل إليه**» التعلُّق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما. أي: وكَلَه الله، إلىٰ ذلك الشيء الذي تعلَّقه.

فمن تعلَّق بالله وأنزل حوائجَه به، والتجأ إليه وفوَّض أمره إليه: كفاه، وقرَّب إليه كلَّ بعيد ويسَّر له كل عسير.

ومن تعلَّق بغيره، أو سكن إلىٰ رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك وكَلَه الله إلىٰ ذلك، وخذله.

وهذا معروفٌ بالنصوص والتجارب؛ قال الله تعالىٰ: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ٣].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا هشام بن القاسم، حدَّثنا أبو سعيد المؤدِّب، حدثنا من سمع عطاء الخراساني، قال: لقيتُ وهبَ بن منبِّه وهو يطوف بالبيت، فقلت: حدثني حديثًا أحفظه عنك في مقامي هذا، وأوجز. قال: نعم، أوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ داود: يا داود، أمَا وعزتي وعظمتي، لا يعتصمُ بي عبدٌ من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السمواتُ السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن: إلاَّ جعلتُ له من بينهن مخرجًا. أمَا وعزَّتي وعظمتي، لا يعتصم عبدٌ من عبادي بمخلوقٍ دوني، أعرف ذلك من نيته: إلاَّ قطعتُ أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأيّ أوديتها هلك(١).

(١) **إسناده ضعيف** والخبر من الإسرائيليات رواه أبونعيم (٤/ ٢٦) من طريق فرج بن فضالة عن عطاء الخراساني به وفرج بن فضالة ضعيف وعطاء الخراساني فيه ضعف والإسناد الذي ساقه المصنف فيه رجل مبهم ولم أقف عليه عند أحمد.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وروى الإمامُ أحمد، عن رُويفع، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا رُويفع، لعلَّ الحياة ستطولُ بك، فأخبِرِ الناسَ: أنَّ من عقد لحيته، أو تقلَّد وترًا أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم، فإنَّ محمدًا بريء منه»(١).

ش: الحديثُ: رواه الإمامُ أحمد، عن يحيىٰ بن إسحاق، والحسن بن موسىٰ الأشيب، كلاهما عن ابن لهِيعة. وفيه قصةٌ اختصرها المصنف.

وهذا لفظ الحسن: حدَّثنا ابنُ لهيعة، حدثنا عياش بن عباس، عن شُيَيْم بن بيتان، قال: حدَّثنا رُويفع بن ثابت، قال: كان أحدنا في زمن رسول الله ﷺ يأخذ جمل أخيه، علىٰ أنْ يعطيه النصفَ مما يغنم وله النصف، حتىٰ إنَّ أحدنا ليَصير له النصلُ والريش، وللآخر القدح. ثم قال لي رسول الله ﷺ. الحديث(٢).

ثم رواه أحمد، عن يحيىٰ بن غيلان، حدثني المُفضَّل، حدثنا عيَّاش بن عباس: أن شُيَيم بن بيتان أخبره، أنه سمع شيبان القِتْباني. الحديث. ابن لهيعة، فيه مقال. وفي الإسناد الثاني: شيبان القتباني، قيل فيه: مجهول. وبقيَّةُ رجالهما ثقات.

قوله: «لعلَّ الحياة ستطول بك» فيه عَلَمٌ من أعلام النبوة، فإنَّ رُويفعًا طالت حياتُه إلىٰ سنة ستٍ وخمسين. فمات بُبرقة من أعمال مصر أميرًا عليها، وهو من الأنصار، وقيل: مات سنة ثلاثٍ وخمسين.

---

(١) إسناده صحيح: رواه أبو داود (٣٦) وأحمد (٤/ ١٠٩) والطبراني في «الكبير» (٤٤٩١) وابن أبي عاصم (٢١٩٦) والبغوي (٢٦٨٠) والبيهقي (١/ ١١٠) والبزار (٢٤٢) «كشف» من طرق عن المفضل بن فضالة المصري عن عباس القتباني أن شييم بن بيتان أخبره أنه سمع شيبان القتباني أنه سمع رويفع بن ثابت رضي الله عنه يقول . . . . فذكره وشيبان القتباني فيه جهالة. إلا أنه ثبت أن شييم سمعه من رويفع وهنا مما قال فيه أن شييم سمعه من شيبان عن رويفع ثم سمعه من رويفع. فقد رواه النسائي (٨/ ١٣٥-١٣٦) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٢٤٠) من طريقه والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ١٢٣) مختصرًا من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح وآخر ذكره قبله عن عياش بن عباس القتباني أن شييم بن بيتان حدثه أنه سمع رويفع ابن ثابت يقول أن رسول الله ﷺ قال: فذكره وهذا إسناد صحيح وتابع حيوة بن شريح بن لهيعة كما في «مسند» أحمد (٤/ ٢٨) وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» رقم (٣٥١).

(٢) انظر هذه الطرق في الكلام علىٰ الحديث السابق.

قوله: «فأخبر الناس» دليلٌ على وجوب إخبار الناس، وليس هذا مُختصًا برُويفع. بل كلُّ مَن كان عنده علمٌ ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس، وجب إعلامهم به. فإنْ اشترك هو وغيره في علم ذلك، فالتبليغُ فرض كفاية. قاله أبو زُرْعة في (شرح سُنن أبي داود).

قوله: «أنّ من عقد لحيته» بكسر اللام لا غير، والجمع لُحيٍ، بالكسر والضم. قاله الجوهري.

قال الخطَّابي: أمَّا نهيُه عن عقد اللحية، فيفسَّرُ على وجهين:

أحدُهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم؛ وذلك من زيٍّ بعض الأعاجم، يفتلونها ويعقدونها.

قال أبو السعادات: تكبراً وعُجبًا.

ثانيهما: أنَّ معناه معالجة الشعرة ليتعقَّد ويتجعَّد، وذلك من فعل أهل التأنيث.

قال أبو زُرْعة بن العراقي: والأولى، حملُه على عقد اللحية في الصلاة، كما دلّت عليه روايةُ محمَّد بن الربيع. وفيه «أنَّ من عقد لحيته في الصلاة».

قلتُ: وهذه الرواية، لا تدل على تخصيصه في الصلاة، بل تدلّ على أنَّ فعله في الصلاة أشد من فعله خارجها.

قوله: «أو تقلَّد وتراً» أي: جعله قلادة في عُنقه، أو عُنق دابته. وفي رواية محمد بن الربيع «أو تقلَّد وتراً ـ يريد: تميمة».

فإذا كان هذا فيمن تقلَّد وتراً، فكيف بمن تعلَّق بالأموات، وسألهم قضاءَ الحاجات وتفريج الكربات. وما يترتب على ذلك من العبادة، التي لا يستحقها إلاَّ رب الأرض والسموات، الذي جاء النهيُ عنه وتغليظه في الآيات المحكمات؟.

قوله: «أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإنَّ محمداً بريء منه» قال النووي: أي: بريءٌ من فعله. وهذا خلاف الظاهر، والنووي كثيراً ما يتأول الأحاديث بصرفها عن ظاهرها، فيغفر الله تعالى له. بل هو بريءٌ من الفاعل، وفعله.

وفي (صحيح مسلم)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرفوعًا «لا تستنجوا

بالروث، ولا العظام؛ فإنَّه زادُ إخوانكم من الجن»(١). وعليه لا يجزيءُ الاستنجاء بهما، كما هو ظاهرُ مذهب أحمد؛ لما روى ابنُ خزيمة، والدارقطني، عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ: نهى أنْ يُستنجى بعظمٍ أو روثٍ، وقال: «إنهما لا يطهران»(٢).

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن سعيد بن جُبير، قال: «مَن قطع تميمةً من إنسان، كان كعدل رقبة»(٣). رواه وكيع.

ش: هذا عند أهلِ العلم، له حكمُ الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يُقال بالرأي. ويكون هذا مرسلاً؛ لأن سعيداً تابعي. وفيه: فضلُ قطع التمائم لأنها شرك.

ووكيع: هو ابنُ الجرَّاح بن وكيع الكوفي، ثقةٌ إمام، صاحبُ تصانيف، منها (الجامع) وغيرُه. روى عنه الإمامُ أحمد، وطبقتُه. مات سنة سبع وتسعين ومائة.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وله عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها، من القرآن وغير القرآن(٤).

ش: إبراهيم، هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي، يكنَّى أبا عمران، ثقةٌ من كبار الفقهاء. قال المِزِّي: دخل على عائشة، ولم يثبت له سماعٌ منها. مات سنة ستٍ وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٥٠).

(٢) إسناده ضعيف: رواه ابن خزيمة (٨٢) والدارقطني في «السنن» (١/ ٥٦) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣٢) من حديث أبي هريرة وفيه إنهما لا تطهران.
وفي إسناده الحسن بن فرات القزاز قال فيه أبوحاتم منكر الحديث كما في «التهذيب» والراوي عنه سلمة بن رجاء متكلم فيه وذكره ابن عدي في «أفراده وغرائبه».

(٣) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي شيبة (٣٥٢٤) قال حدثنا حفص عن ليث عن سعيد بن جبير فذكره وفي الإسناد ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وروي ابن أبي شيبة (٣٥٢٣) قال حدثنا عبدة عن محمد بن سوقة أن سعيد بن جبير رأى إنساناً يطوق في عنقه خرزة فقطعها وإسناده صحيح.

(٤) إسناده ضعيف: رواه ابن أ بي شيبة (٣٥١٨) قال حدثنا هشام عن مغيرة عن إبراهيم قال فذكره وفي الإسناد مغيرة بن مقسم وهو مدلس وقد عنعن وتدليسه عن إبراهيم مشهور وصح عند ابن أبي شيبة (٣٥٢٧) عن وكيع عن ابن عون عن إبراهيم أنه كان يكره المعاذة للصبيان ويقول إنهم يدخلون به الخلاء.

قوله: (كانوا يكرهون التمائم). إلى آخره، مرادُه بذلك: أصحاب عبد الله بن مسعود، كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سُويد، وعَبيدة السلماني، ومسروق، والربيع بن خُثيم، وسُويد بن غُفُلة، وغيرهم. وهم من سادات التابعين. وهذه الصيغةُ: يستعملها إبراهيمُ في حكاية أقوالهم، كما بيَّن ذلك الحفَّاظ، كالعراقي وغيره.

* * *

(٨)

بــاب

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ من تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما.

ش: كبُقعةٍ أو قبر، ونحو ذلك، أي: فهو مُشرك.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٣].

ش: وكانت اللاَّتُ، لثقيف. والعُزَّىٰ، لقريش وبني كِنانة. ومناة لبني هلال. وقال ابنُ هشام: كانت لهُذيل وخُزاعة.

فأمَّا (اللاَّتُ): فقرأ الجمهورُ: بتخفيف التاء. وقرأ ابنُ عباس، وابن الزبير، ومُجاهد، وحُميد، وأبو صالح، ورُوَيْس عن يعقوب: بتشديد التاء.

فعلىٰ الأُولىٰ: قال الأعمش: سمَّوا اللات، من الإله. والعُزَّىٰ، من العزيز. قال ابنُ جرير: وكانوا قد شقُّوا اسمَها من اسم الله تعالىٰ، فقالوا: اللاَّت، مؤنثة منه. تعالىٰ الله عمَّا يقولون، علواً كبيراً. قال: وكذا العُزَّىٰ، من العزيز.

وقال ابنُ كثير: اللاَّت، كانت صخرةً بيضاء منقوشة، عليها بيتٌ بالطائف، له أستار وسَدَنَة. وحوله فناءٌ معظَّمٌ عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون به علىٰ من عداهم من أحياء العرب، بعد قريش. قال ابنُ هشام: فبعث رسولُ الله ﷺ المغيرةَ بن شُعبة، فهدمها وحرَّقها بالنار[١].

---

(١) السيرة لابن هشام (٤/ ١٣٨) وذكره ابن الكلبي كما في «الفتح» (٨/ ٤٧٨).

وعلىٰ الثانية: قال ابنُ عباس: كان رجلاً يلُتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا علىٰ قبره[١]. ذكره البخاريُّ.

قال ابن عباس: كان يبيع السويقَ والسَّمن عند صخرةٍ، ويسلوه عليها، فلمَّا مات ذلك الرجل، عبدت ثقيفُ تلك الصخرة إعظامًا لصاحب السويق. وعن مُجاهد نحوه، وقال: فلما مات عبدوه. رواه سعيدُ بن منصور[٢].

وكذا، روىٰ ابنُ أبي حاتم، عن ابن عباس: أنهم عبدوه[٣]. وبنحو هذا، قال جماعة من أهل العلم.

قلتُ: لا منافاة بين القولين؛ فإنَّهم عبدوا الصخرةَ والقبر، تألُّها وتعظيمًا.

ولمثل هذا بُنيت المشاهدُ والقباب علىٰ القبور، واتخذت أوثانًا. وفيه: بيانُ أنَّ أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين، والأصنام والأوثان.

وأمَّا العُزَّىٰ. فقال ابنُ جرير: كانت شجرةً عليها بناءٌ وأستار، بنخلة بين مكة والطائف كانت قريشٌ يعظمونها؛ كما قال أبو سفيان، يوم أُحد: لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم، فقال رسولُ الله ﷺ: قولوا: «**الله مولانا ولا مولى لكم**»[٤].

وروىٰ النسائي، وابنُ مردويه، عن أبي الطفيل، قال: لما فتح رسولُ الله ﷺ مكة، بعث خالدَ بن الوليد إلىٰ نخلة وكانت بها العُزَّىٰ، وكانت علىٰ ثلاث سَمُرات فقطع السَّمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتىٰ النبي ﷺ، فأخبره. فقال: «**ارجع، فإنك لم تصنع شيئًا**» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة أمعنوا في الجبل، وهم يقولون: يا عزَّىٰ يا عزَّىٰ. فأتاها خالد، فإذا امرأةٌ عُريانة، ناشرةٌ شعرها تحفن التراب علىٰ رأسها! فعمَّمها بالسيف، فقتلها. ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «**تلك العزى**»[٥] قال أبو صالح: كانوا يُعلِّقون عليها السُّيور، والعُهن. رواه

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٨٥٩) دون قوله: «فلما مات عكفوا علىٰ قبره» وانظر «الأثر عند الطبري» (٢٧/ ٥٨) عن قول مجاهد وانظر «ابن كثير» (٤/ ٢٥٣).

(٢) سعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٢).

(٣) راجع «فتح الباري» (٨/ ٤٧٨) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٠٤٣).

(٥) إسناده حسن: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٤٧) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٧٧) وأبو نعيم في =

عبد بن حُميد، وابن جرير.

قلتُ: وكلٌّ هذا، وما هو أعظمُ منه يقعُ في هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات، وفي المشاهد.

وأمَّا مَناة: فكانت بالمشلَّل عند قُديد، بين مكة والمدينة. وكانت خُزاعةُ والأوس والخزرج يعظمونها، يهلُّون منها للحج. وأصلُ اشتقاقها، من اسم الله المنَّان. وقيل لكثرة ما يُمنى أي يُراق عندها من الدماء، للتبرُّك بها.

قال البخاريُّ رحمه الله تعالى في حديث عُروة، عن عائشة رضي الله عنها: إنها صنمٌ بين مكة والمدينة[١].

قال ابنُ هشام: فبعث رسولُ الله ﷺ عليًّا، فهدمها عام الفتح[٢].

وقال العمادُ بن كثير: فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في غزوة بني المصطلق، فكسرها.

فمعنى الآية، كما قال القرطبي: أنَّ فيها حذفًا، تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة: أنفعتْ أو ضرَّت، حتى تكون شركاء لله تعالى؟

وقوله: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ ﴾ قال ابنُ كثير: أتجعلون له ولدًا، وتجعلون ولده أنثى وتختارون لكم الذكور؟.

قوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أي: جورٌ، وباطلة. فكيف تُقاسمون ربكم هذه القسمة، التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهًا. فتنزِّهون أنفسكم عن الإناث، وتجعلونهن لله تعالى.

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ أي: ليس لهم مستندٌ إلاَّ حسن ظنهم بآبائهم، الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم. وإلاَّ حظ

= «الدلائل» (٤٦٣) وأبو يعلى (٩٠٢) وغيرهم من طريق محمد بن فضيل قال حدثنا الوليد بن جميح عن أبي الطفيل فذكره.

(١) رواه البخاري (٤٨٦١).

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ١٥١) و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥٣-٢٥٤).

أنفسهم، في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾. قال ابنُ كثير: ولقد أرسل الله تعالىٰ إليهم الرسل بالحق المنير، والحجة القاطعة. ومع هذا، ما اتبعوا ما جاؤوهم به ولا انقادوا له.

ومطابقةُ الآيات للترجمة: من جهة أنَّ عُبَّاد الأوثان، إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها: بتعظيمها، ودعائها، والاستعانة بها، والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ويؤمِّلونه ببركتها وشفاعتها، وغير ذلك.

فالتبركُ بقبور الصالحين كاللاَّت وبالأشجار والأحجار كالعُزَّىٰ، ومَناة من فعل جملة أولئك المشركين مع تلك الأوثان. فمن فعل مثل ذلك، أو اعتقد في قبرٍ أو حجر أو شجر، فقد ضاهىٰ عُبَّاد هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك. علىٰ أنَّ الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم، أعظم مما وقع من أولئك. فالله المُستعان.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حُدَثاءُ عهد بكفر. وللمشركين سدْرةٌ يَعكفُون عندها، ويَنوطون بها أسلحتَهم، يقالُ لها: ذاتُ أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنَّن. قُلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] **«لتركبُنَّ سُنَن من كان قبلكم»[١] رواه الترمذي وصححه.**

ش: أبو واقد: اسمُه الحارثُ بن عوف. وفي الباب: عن أبي سعيد، وأبي

(١) إسناده صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠) والحميدي (٨٤٨) وأحمد (٥/ ٢١٨) وابن حبان في «صحيحه» (٦٧٠٢) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٤/ ١٢٥) والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٤٤، ٢٤٥) وأبو يعلى (١٤٤١) وابن أبي شيبة (١٥/ ١٠١) وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٨٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٦) وغيرهم من طريق محمد بن شهاب الزهري عن سنان بن أبي سنان أنه سمع أبا واقد الليثي رضي الله عنه يقول فذكره.

هريرة. قاله الترمذي.

وقد رواه أحمدُ، وأبو يعلى، وابنُ أبي شيبة، والنسائي، وابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، بنحوه.

قوله: (عن أبي واقد). تقدم اسمُه، في قول الترمذي. وهو صحابيٌّ مشهور، مات سنة ثمانٍ وستين، وله خمسٌ وثمانون سنة.

قوله: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين). وفي حديث عمرو بن عوف وهو عند ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني قال: غزونا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح، ونحن ألفٌ ونيِّف. حتى إذا كنا بين حُنين والطائف الحديث.

قوله: (ونحن حُدَثاءُ عهد بكفر). أي: قريبٌ عهدُنا بالكفر، ففيه: دليلٌ على أنَّ غيرهم ممن تقدم إسلامُه من الصحابة لا يجهل هذا، وأنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبُه، لا يأمن أنْ يكون في قلبه بقيةٌ من تلك العادة. ذكره المصنف.

قوله: (وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندها). العكوف: هو الإقامةُ على الشيء في المكان، ومنه قولُ الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] وكان عكوفُ المشركين عند تلك السدرة، تَبرُّكًا بها وتعظيمًا لها. وفي حديث عمرو: كان يُناط بها السلاح؛ فسُمِّيت ذاتُ أنواط. وكانت تُعبد من دون الله.

قوله: (وينوطون بها أسلحتهم). أي: يعلِّقونها عليها؛ للبركة.

قلت: ففي هذا، بيانُ أنَّ عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك. و بهذه الأمور الثلاثة، عُبدت الأشجار ونحوها.

قوله: (فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط). قال أبو السعادات: سألوه أنْ يجعل لهم، مثلَها، فنهاهم عن ذلك. وأنواط: جمع نَوْط، وهو مصدرٌ سُمِّي به المَنُوط. ظنوا أنَّ هذا محبوبٌ عند الله، وقصدوا التقرب به. وإلاَّ فهم أجلُّ قدرًا، من أنْ يقصدوا مخالفة النبي ﷺ.

قوله: (فقال رسولُ الله ﷺ «الله أكبر» وفي رواية: «سبحان الله!». والمراد: تعظيم الله تعالى، وتنزيهه عن هذا الشرك بأي نوعٍ كان، مما لا يجوز أن يُطلب

ويُقصد به غير الله .

وكان النبي ﷺ يستعملُ التكبير والتسبيح ، في حال التعجُّب ؛ تعظيمًا لله وتنزيهًا له . إذا سمع من أحدٍ ما لا يليق بالله ، مما فيه هَضْمٌ للربوبية والإلهية .

قوله : «إنها السُّنَن» بضم السين ، أي : الطرق .

قوله : «قلتم والذي نفسي بيده ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾» شبَّه مقالتَهم هذه ، بمقالة بني إسرائيل ؛ بجامع أنَّ كلاً طلب أنْ يُجعل له ما يألهه ويعبُده من دون الله . وإن اختلف اللفظان ، فالمعنىٰ واحد . فتغيير الاسم ، لا يُغير الحقيقة .

ففيه : الخوفُ من الشرك . وأنَّ الإنسان قد يستحسن شيئًا يظنه يقربه إلىٰ الله ، وهو أبعدُ ما يبعده من رحمته ، ويقربه من سخطه .

ولا يعرف هذا علىٰ الحقيقة ، إلاَّ من عرف ما وقع في هذه الأزمان ، من كثيرٍ من العلماء والعُبَّاد مع أرباب القبور . من الغلوِّ فيها ، وصرف جل العبادة لها . ويحسبون أنهم علىٰ شيء ، وهو الذنبُ الذي لا يغفره الله .

قال الحافظُ أبو محمد ، عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي ، المعروف بأبي شامة في (كتاب البدع والحوداث) : ومن هذا القسم ، أيضًا : ما قد عَمَّ الابتلاءُ به ، من تزيين الشيطان للعامة : تخليقُ الحيطان والعُمد ، وسرْجُ مواضع مخصوصة ، في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأىٰ في منامه بها أحدًا ممن شُهر بالصلاح والولاية . فيفعلون ذلك ، ويحافظون عليه ، مع تضييعهم فرائضَ الله تعالىٰ وسننه . ويظنون أنهم متقربون بذلك ، ثم يتجاوزون هذا إلىٰ أن يَعظُمَ وقعُ تلك الأماكن في قلوبهم . فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها ، وهي من عيون وشجرٍ وحائط وحجر .

وفي مدينة دِمَشق من ذلك مواضعُ متعددةٌ ، كعوينة الحُمَّىٰ خارج باب تُوما ، والعمود المخلَّق داخل باب الصغير ، والشجرة الملعونة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق . سَهَّل الله قطعها ، واجتثاثَها من أصلها . فما أشبهها بذات أنواط ، الواردة في الحديث . انتهىٰ .

وذكر ابنُ القيم رحمه الله تعالى: نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: فما أسرعَ أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت. ويقولون: إنَّ هذا الحجر وهذه الشجرة، وهذه العين تقبل النذر. أي: تقبل العبادة من دون الله؛ فإنَّ النذر عبادةٌ وقربة، يتقرب بها الناذرُ إلى المنذور له. وسيأتي ما يتعلّق بهذا الباب، عند قوله: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد»(١).

وفي الجملة من الفوائد: أنَّ ما يفعلهُ من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار، من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها، هو الشرك. ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون الشرك بالله يقع في هذه الأمة.

فإذا كان بعضُ الصحابة ظنوا ذلك حسنًا، وطلبوه من النبي ﷺ حتى بيَّن لهم أنَّ ذلك كقول بني إسرائيل ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والفضل بأضعافٍ مضاعفة، مع غلبة الجهل وبُعد العهد بآثار النبوة؟! . بل خفي عليهم عظائمُ الشرك في الإلهية والربوبية، فأكثروا فعله واتخذوه قُربة

ومنها: أنَّ الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبيُّ ﷺ طلبهم كطلب بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سمَّوها ذاتَ أنواط.

فالمشركُ وإنْ سمَّى شركَه ما سماه كمن يُسمي دعاء الأموات، والذبح لهم والنذر ونحو ذلك تعظيمًا ومحبة فإنَّ ذلك هو الشرك، وإنْ سمَّاه ما سماه. وقس على ذلك.

قوله: «لتركبُن سُنن من كان قبلكم» بضمِّ الموحدَّة وضم السين، أي: طرقهم ومناهجهم. وقد يجوز فتحُ السين على الإفراد، أي: طريقهم. وهذا خبرٌ صحيح، والواقع من كثيرٍ من هذه الأمة يشهدُ له.

وفيه: عَلَمٌ من أعلام النبوة؛ من حيثُ إنه وقع كما أخبر ﷺ.

وفي الحديث: النهيُ عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه،

(١) سيأتي الكلام عليه في الباب العشرين باب ماجاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله.

إلاَّ ما دلَّ الدليلُ على أنه من شريعة محمدﷺ

قال المُصنِّفُ: وفيه: التنبيهُ على مسائل القبر، أمَّا: مَن ربُّك؟ فواضح، وأمَّا: من نبيك؟ فمن إخباره بأنباء الغيب. وأمَّا: ما دينُك؟ فمن قولهم ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا ﴾ إلى آخره.

وفيه: أنَّ الشرك لأبُدَّ أنْ يقع في هذه الأمة، خلافًا لمن ادعى خلاف ذلك، وفيه: الغضبُ عند التعليم، وأنَّ ما ذم الله به اليهود والنصارى فإنه لنا لنحذره. قاله المصنف.

وأمَّا ما ادعاه بعضُ المتأخرين: من أنه يجوز التبركُ بآثار الصالحين، فممنوعٌ من وجوه:

منها: أنَّ السابقين الأولين من الصحابة ومَن بعدهم، لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبيﷺ . لا في حياته، ولا بعد موته. ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

وأفضلُ الصحابة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وقد شهد لهم النبيﷺ فيمن شهد له بالجنة وما فعله أحدٌ من الصحابة والتابعين مع أحدٍ من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين، وهم الأسوة.

فلا يجوز أنْ يُقاس على رسول اللهﷺ أحدٌ من الأمة، وللنبيﷺ في حال الحياة خصائصُ كثيرة لا يصلح أنْ يُشاركه فيها غيره.

ومنها: أنَّ في المنع عن ذلك سداً لذريعة الشرك، كما لا يخفى.

* * *

(٩)

بـاب

ما جاء في الذبح لغير الله

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في الذَّبح لغير الله.

ش: أي: من الوعيد، وأنه شرك.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ش: قال ابن كثير: يأمرُه تعالى، أن يُخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه: بأنه أخلص لله صلاته وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها. فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

قال مُجاهد: النسك: الذبح، في الحج والعُمرة[١].

وقال الثوري، عن السُّدي، عن سعيد بن جُبير: ﴿وَنُسُكِي﴾: ذبحي[٢]. وكذا قال الضحاك[٣].

وقال غيره: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: وما آتيه في حياتي عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالصًا لوجهه ﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن إسلام كل نبي متقدمٌ إسلام أمته. قال

---

(١) رواه الطبري (٨/ ١١٢) من طريق القاسم بن أبي بزة وابن أبي نجيح عن مجاهد به.
(٢) رواه الطبري (٨/ ١١٢) من طريق الثوري عن إسماعيل عن سعيد بن جبير به.
(٣) رواه الطبري (٨/ ١١٢) من طريق جويبر عن الضحاك به وجويبر ضعيف.

قتادة: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من هذه الأمة.

قال ابنُ كثير: وهو كما قال، فإنَّ جميع الأنبياء قبله، كانت دعوتُهم إلى الإسلام. وهو عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وذكر آيات في هذا المعنى.

ووجه مُطابقة الآية للترجمة: أنَّ الله تعالى تعبَّد عباده، بأن يتقربوا إليه بالنّسك. كما تعبَّدهم بالصلاة، وغيرها من أنواع العبادة. فإنَّ الله تعالى أمرهم أن يُخلصوا جميع أنواع العبادة له، دون كلِّ ما سواه. فإذا تقرَّب إلى غير الله بالذبح، أو غيره من أنواع العبادة فقد جعل لله شريكًا في عبادته.

وهو ظاهرٌ في قوله: ﴿لا شَرِيكَ لَهُ﴾ نفى أنْ يكون لله تعالى شريك في هذه العبادات، وهو بحمد الله واضح.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

ش: قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالى: أمره الله أنْ يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنسك. الدالتان على القُرب والتواضع، والافتقار وحُسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدَته.

عكسَ حال أهل الكِبر والنُّفرة، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ الآية.

والنُّسك: الذبيحة لله تعالى، ابتغاء وجهه. فإنهما أجلُّ ما يُتقرب به إلى الله تعالى، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك سببٌ للقيام بشكر ما أعطاه الله تعالى من الكوثر.

وأجلُّ العبادات البدنية: الصلاة، وأجلُّ العبادات المالية: النحر. وما يجتمع للعبد في الصلاة، لا يجتمع له في غيرها؛ كما عرفه أربابُ القلوب الحية. وما يجتمع له في النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحُسن الظن: أمرٌ عجيب، وكان ﷺ، كثير الصلاة، كثير النحر. انتهى.

قلتُ: وقد تضمَّنت الصلاةُ من أنواع العبادة كثيراً، فمن ذلك: الدعاءُ والتكبير، والتسبيح والقراءة، والتسميع والثناء، والقيام والركوع، والسجودُ والاعتدال، وإقامة الوجه لله تعالى، والإقبالُ عليه بالقلب، وغيرُ ذلك مما هو مشروع في الصلاة. وكل هذه الأمور من أنواع العبادة، التي لا يجوز أنْ يُصرف منها شيء لغير الله. وكذلك النسك، يتضمن أموراً من العبادة. كما تقدم في كلام شيخ الإسلام.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن علي بن أبي طالب، قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعنَ الله مَن ذبح لغير الله، لعن الله مَن لعن والديه، لعن الله من آوى مُحْدثًا، لعن الله من غيَّر منار الأرض»[1] رواه مسلم.

ش: رواه مُسلم من طُرق، وفيه قصة.

ورواه الإمام أحمد كذلك، عن أبي الطفيل، قال: قُلنا لعلي: أخبرنا بشيءٍ أسرَّه إليك رسولُ الله ﷺ. فقال: ما أسرَّ إلي شيئًا كتمه الناس، ولكن سمعتُه يقول: **«لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيّر تُخوم الأرض. يعني: المنار»**[2].

وعليٌّ بي أبي طالب: هو الإمام، أمير المؤمنين، أبو الحسن الهاشمي، ابنُ عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمةُ الزهراء.

وكان من أسبق السابقين الأوَّلين، ومن أهل بدر وبَيعة الرضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ورابع الخُلفاء الراشدين، ومناقبهُ مشهورة رضي الله تعالى عنه. قتله ابنُ مُلْجم الخارجي، في رمضان سنة أربعين.

قوله: «لعن الله» اللعنة: البُعد عن مظان الرحمة، ومواطنها. قيل: واللعين والملعون: من حقّت عليه اللعنة، أو دُعي عليه بها. قال أبو السعادات: أصل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١/ ١٠٨، ١١٨، ١٥٢) والبيهقي في «السنن» (٦/ ٩٩) وغيرهما.

اللعن : الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق : السب والدعاء .

قال شيخُ الإسلام: ما معناه : إنَّ الله تعالىٰ يلعن من استحق اللعنة بالقول ؛ كما يصلي سبحانه علىٰ من استحق الصلاة من عباده ، قال تعالىٰ : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٣ ـ ٤٤] وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤] وقال : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٦١]

والقرآن كلامه تعالىٰ ، أوحاه إلىٰ جبرائيل عليه السلام وبلَّغه رسوله محمداً ﷺ ، وجبرائيل سمعه منه ، كما سيأتي في الصلاة إنْ شاء الله تعالىٰ .

فالصلاةُ ثناءُ الله تعالىٰ ، كما تقدَّم . فالله تعالىٰ هو المصلِّي وهو المُثيب ، كما دل علىٰ ذلك الكتابُ والسنة ، وعليه سلف الأمة . قال الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ : لم يزل الله متكلمًا إذا شاء .

قوله : «من ذبح لغير الله» قال شيخُ الإسلام رحمه الله تعالىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣] : ظاهره : أنه ما ذُبح لغير الله ، مثل أن يُقال : هذا ذبيحةٌ لكذا .

وإذا كان هذا هو المقصود ، فسواء لفظ به أو لم يلفظ . وتحريمُ هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم ، وقال فيه : باسم المسيح ونحوه ؛ كما أنَّ ما ذبحناه متقرِّبين به إلىٰ الله كان أزكىٰ وأعظم مما ذبحناه للحم ، وقلنا عليه : بسم الله . فإذا حرُم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزُّهرة ، فَلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزُّهرة أو قصد به ذلك ، أولىٰ ؛ فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله .

وعلىٰ هذا : فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لَحرم ، وإن قال فيه : باسم الله . كما قد يفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة ، الذين قد يتقرَّبون إلىٰ الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك .

وإنْ كان هؤلاء مرتدين ، لا تُباح ذبيحتهم بحال . لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ، الأول : أنه مما أُهلَّ به لغير الله . والثاني : أنها ذبيحة مُرتد .

قلتُ : هذا لا اختلاف فيه ، بين العلماء . وأمَّا إذا ذُبح للحم وذُكر علىٰ الذبيحة

اسمُ المسيح أو الزهرة ونحو ذلك، فهذا الذي فيه خلافُ العلماء. وكلامُ شيخ الإسلام هذا: يدلُّ على أنَّه يقول بتحريمه، ووافقه على ذلك بعضُ العلماء.

وذكر القرطبيُّ في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]: ثم استثنى قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]. يعني: ذبيحة اليهودي والنصراني، وإن كان النصراني يقول عند الذبح بسم المسيح. واليهودي يقول: بسم عُزير. وذكر قول عطاء: كُل من ذبيحة النصراني وإنْ قال: بسم المسيح؛ لأن الله تعالى قد أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون. وذكر مثله عن القاسم بن مُخيمَرة، وهو قول الزهري، وربيعة، والشعبي، ومكحول. وروي عن عُبادة بن الصَّامت، وأبي الدرداء من الصحابة انتهى مُلخصاً.

ثم قال ومن هذا الباب: ما يفعُله الجاهلون بمكة، من الذبح للجن. ولهذا رُوي عن النبي ﷺ: أنه نهى عن ذبائح الجن[1]. انتهى.

قال الزمخشري: كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عينًا، ذبحوا ذبيحة خوفًا أنْ تُصيبهم الجن، فأضيفت إليهم الذبائح لذلك.

وذكر إبراهيم المروزي: أنَّ ما ذُبح عند استقبال السُّلطان تقربًا إليه، أفتى أهلُ بُخارى بتحريمه؛ لأنه مما أُهلَّ لغير الله.

قوله: «لعن الله من لعن والديه» يعني أباه وأُمَّه، وإن عَلَيا. وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شَتْم الرجل والديه»، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجلُ والديه؟ قال: «نعم، يَسبُّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسبُّ أُمَّه فيسب أُمَّه»[2].

---

(١) **ضعيف جداً**: رواه البيهقي في «السنن» (٩/ ٣١٤) من طريق الزهري مرسلاً وفي إسناده عمر بن هارون كذبه ابن معين وغيره. ورواه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٩) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٠٢) من طريق عبدالله بن أذينه عن ثور بن يزيد عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعًا. وفي الإسناد ابن أذينه وهو متروك يروي عن ثور ماليس من حديثه. قال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١/ ٢٧٢) حديث رقم (٢٤٠): لقد علمت أن الحديث غير صحيح فالعمدة في النهي عن هذه الذبائح الأحاديث الصحيحة في النهي عن الطيرة والله أعلم اهـ.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٣١٠) ومسلم (٩٠).

قوله: «لعن الله من آوى مُحْدِثًا». هو بفتح الهمزة، ممدودة: أي ضمَّه إليه، وحماه أنْ يُؤخذ منه الحق الذي وجب عليه.

قال أبو السعادات: أويتُ إلى المنزل، وأويت غيري، وآويته. وأنكر بعضهم المقصور المتعدي. وقال الأزهري: هي لغةٌ صحيحة.

وأما مُحْدِثًا: فقال أبو السعادات: يُروىٰ بكسر الدال وفتحها، على الفاعل والمفعول. فمعنى الكسر: من نَصَرَ جانيًا وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يُقتصَّ منه. والفتح: هو الأمر المُبتدَع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه: الرضى به والصبر عليه. فإنه إذا رضي بالبدعة، وأقرَّ فاعلها ولم يُنكر عليه فقد آواه.

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: هذه الكبيرة، تختلف مراتبُها باختلاف مراتب الحَدَث بنفسه. فكُلَّما كان الحدثُ في نفسه أكبر، كانت الكبيرة أعظم.

قوله: «لعن الله من غيَّر منار الأرض» بفتح الميم: علاماتُ حدودها. قال في (النهاية): أي: معالمها وحدودها، واحدُها تَخم. قيل: أراد حدود الحرم خاصة، وقيل: هو عامٌ في جميع الأرض، وأراد: المعالم التي يُهتدىٰ بها في الطريق. وقيل: هو أن يَدخل الرجلُ في مُلك غيره، فيقتطعه ظُلمًا. قال: وروي: تَخوم. بفتح التاء، على الإفراد. وجمعه تُخُم، بضم التاء والخاء. انتهى.

وتغييرُها: أنْ يُقدِّمها، أو يؤخرها. فيكون هذا من ظُلم الأرض، الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «من ظلم شبراً من الأرض طُوِّقَه يوم القيامة من سبع أرضين»[1] ففيه: جوازُ لعن أهل الظلم، من غير تعيين.

وأمَّا لعنُ الفاسق المعينَّ: ففيه قولان، أحدُهما: أنه جائز. اختاره ابنُ الجوزي، وغيره. والثاني: لا يجوز، اختاره أبو بكر عبدُ العزيز، وشيخ الإسلام.

وقال النوويُّ رحمه الله تعالى: واتفق العلماءُ على تحريم اللعن؛ فإنَّه في اللغة: الإبعادُ، والطرّد. وفي الشرع: الإبعادُ من رحمة الله.

فلا يجوز أنْ يُبعد من رحمة الله، من لا يُعرف حاله وخاتمة أمره معرفةً قطعية.

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٥٢) ومسلم (١٦١٠).

فلهذا قالوا: لا يجوز لعن أحدٍ بعينه، مُسلمًا كان أو كافرًا أو دابة. إلاَّ من علمنا بنصٍّ شرعي أنه مات على الكفر، أو يموت عليه كأي جهل وإبليس.

وأمَّا اللعنُ بالوصف، فليس بحرام. كلعن: الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، وآكلِ الربا وموكله، والمصوِّرين، والظالمين، والفاسقين، والكافرين، ولعنِ من غيَّر منار الأرض، ومن تولّى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدَث في الإسلام حَدَثًا أو آوى محدثًا. وغير ذلك، مما جاءت النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الاعيان والله أعلم.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن طارق بن شهاب: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنةَ رجلٌ في ذُباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذُباب»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجاوزه أحدٌ حتى يُقرِّب له شيئًا. قالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيءٌ أُقرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا، فقرَّب ذُبابًا، فَخلّوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنتُ لأُقرِّب لأحدٍ شيئًا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»[1] رواه أحمد.

ش: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمش، عن سُليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب يرفعه، قال: «دخل

---

(١) صحيح موقوفًا: على سلمان ولم نقف عليه مرفوعًا رواه أحمد في «الزهد» (ص٢٢) وابن أبي شيبة (١٣٠٨٤) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) من طريق طارق بن شهاب عن سلمان به موقوفًا وله طرق أخرى عن سلمان ذكرها أبو نعيم في «الحلية» أما المرفوع فقد ذكره ابن القيم كما ذكره المصنف في الشرح قال ابن القيم: قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال: دخل الجنة رجل في ذباب».

قلت: وهذا إسناد أحمد في «الزهد» ولكن فوق ابن شهاب سلمان وذكره موقوفًا عليه. فلعل ابن القيم كتبه من حفظه فوهم أو وقع في نسخته غلطًا.

وانظر «الدر النضيد في تخريج أحاديث كتاب التوحيد».

وقال الحافظ سليمان بن عبدالله في «تيسير العزيز الحميد» (١٩٤) ذكره المصنف معزوًا لأحمد وأظنه تبع ابن القيم في عزوه لأحمد وقد طالعت المسند فما رأيته فيه.

الجنة رجلٌ في ذباب» الحديث.

وطارق بنُ شهاب: هو البَجَلي الأحْمسي، أبو عبد الله. رأىٰ النبيَّ ﷺ وهو رجل.

قال البغوي: ونزل الكوفة.

وقال أبو داود: رأىٰ النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا. قال الحافظ: إذا ثبت أنه رأىٰ النبي ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايتُه عنه مُرسل صحابي، وهو مقبولٌ علىٰ الراجح.

وكانت وفاتُه علىٰ ما جزم به ابنُ حبان سنة ثلاث وثمانين.

قوله: «دخل الجنة رجلٌ في ذباب» أي: من أجله لأن في تأتي للتعليل.

قوله: (قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟) كأنهم تقالّوا ذلك، وتعجّبوا منه.

فبيَّن لهم النبيَّ ﷺ: ما صَيَّر لهم هذا الأمر الحقير عندهم عظيمًا، يستحق هذا عليه الجنة، ويستوجب الآخر عليه النار.

قوله: فقال: «مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم» الصنم: ما كان منحوتًا علىٰ صورة.

قوله: «لا يُجاوزه»أي: لا يمرُّ به ولا يتعداه أحدٌ، حتىٰ يقرِّب له شيئًا وإن قلّ.

قوله: «قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا، فقرَّب ذُبابًا فخلّوا سبيله، فدخل النار» وفي هذا: بيانُ عظمة الشرك، ولو في شيءٍ قليل، وأنه يوجب النار؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وفي هذا الحديث: الحذرُ من الوقوع في الشرك، وأنَّ الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدري أنه من الشرك الذي يوجبُ النار.

وفيه: أنه دخل النار بسببٍ لم يقصده ابتداءً، وإنما فعله تخلُّصًا من شر أهل الصنم.

وفيه: أنَّ ذلك الرجل كان مسلمًا قبل ذلك، وإلاَّ فلو لم يكن مُسلمًا لم يقل: دخل النار في ذُباب.

وفيه أنَّ عمل القلب هو المقصودُ الأعظم، حتى عند عبَدَة الأوثان. ذكره المصنفُ بمعناه.

قوله: «وقالوا للآخر: قرِّب. قال: ما كنتُ لأقرِّب لأحد شيئًا دون الله عز وجل» ففيه: بيانُ فضيلة التوحيد والإخلاص، والصلابة في الدين.

وفيه معنى قوله في الحديث: «وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر بعد إذْ أنقذه الله منه، كما يكره أنْ يُقذف في النار»[1].

قال المُصنِّفُ: وفيه: معرفةُ قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر على القتل ولم يوافقهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلاَّ العمل الظاهر.

* * *

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

(١٠)

بـاب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ لا يُذبح لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله.

ش: لا: نافية، ويَحتمل أنها للنهي، وهو أظهر.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ش: قال المُفسِّرون: إنَّ الله تعالىٰ نهىٰ رسوله ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار، والأمةُ تبعٌ له في ذلك.

ثم إنه تعالىٰ حثَّه علىٰ الصلاة في مسجد قُباء، الذي أُسِّس من أوَّل يوم بُني علىٰ التقوىٰ، وهي طاعةُ الله ورسوله ﷺ، وجمعًا لكلمة المؤمنين، ومعقلاً ومنزلاً للإسلام وأهله؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «**صلاةٌ في مسجد قُباء كعمرة**»[1]. وفي الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ كان يزور قُباء راكبًا

---

(١) حسن بشواهده:

رواه الترمذي (٣٠٤٣) وابن ماجه (١٤١١) والحاكم (١/ ٤٨٧) وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣) والبيهقي (٥/ ٢٤٨) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٨٩) والبغوي (٢/ ٣٤٤) عن أبي الأبرد عن أسيد بن ظهير به مرفوعًا. وأبو الأبرد مجهول. وله شاهد عن سهيل بن حنيف.

رواه النسائي (٢/ ٣٧) وأحمد (٣/ ٤٨٧) وابن ماجه (١٤١٢) والطبراني (٥٥٥٨، ٥٥٥٩، ٥٥٦١، ٥٥٦٢) وغيرهم من طريق محمد بن سليمان الكرماني سمعت أبا أمامة ابن سهيل بن حنيف يقول قال: أبي فذكره مرفوعًا.

ومحمد بن سليمان ذكره ابن حبان في «ثقاته» وروىٰ عنه غير واحد وله طريق آخر عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣) وعبد بن حميد (٤٦٨) والطبراني (٥٥٦٠) وفي زيادة أربع ركعات وفي إسناده موسىٰ =

وماشيًا[١].

وقد صرَّح أنَّ المسجد المذكور في الآية هو مسجدُ قُباء جماعةٌ من السلف، منهم: ابنُ عباس. وعُروة، والشَّعبي، والحسن وغيرهم.

قلتُ: ويؤيدُه، قوله ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ الآية. وقيل: هو مسجِد رسول الله ﷺ؛ لحديث أبي سعيد، قال: تمارىٰ رجلان في المسجد الذي أُسِّس علىٰ التقوىٰ من أوَّل يوم، فقال رجل: هو مسجد قُباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «هو مسجدي هذا»[٢] رواه مسلم. وهو قولُ عمر، وابنه، وزيد بن ثابت، وغيرهم.

وقال ابنُ كثير: وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية والحديث؛ لأنه إذا كان مسجدُ قباء قد أُسِّس علىٰ التقوىٰ من أوَّل يوم، فمسجدُ رسول الله ﷺ بطريق الأولىٰ. وهذا بخلاف مسجد الضِّرار الذي أُسس علىٰ معصية الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

فلهذه الأمور، نهىٰ الله نبيَّه ﷺ عن القيام فيه للصلاة. وكان الذين بنوه جاؤوا إلىٰ النبي ﷺ قبل خروجه إلىٰ غزوة تبوك، فسألوه أنْ يُصلي فيه، وأنهم إنما بنوه للضعفاء، وأهل العلة في الليلة الشاتية. فقال: «إنَّا على سفر، ولكن إذا رجعنا إنْ شاء الله»[٣] فلمَّا قفل عليه السلام راجعًا إلىٰ المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلاَّ يومٌ أو

= ابن عبيدة الربذي ضعيف وله شاهد ثان عن ابن عمر رواه ابن حبان (١٦٢٧) كما في «الإحسان» من طريق داود بن إسماعيل عن ابن عمر فذكره مرفوعًا وداود بن إسماعيل مجهول. ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣) من طريق سليط بن سعد عن ابن عمر به موقوفًا وسليط مجهول.

وله شاهد ثالث عن كعب بن عجرة.

كما عند الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٤٦) وفي إسناده يزيد بن عبدالملك النوفلي ضعيف وشاهد رابع عن أبي سعيد الخدري رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٦٨٨).

(١) صحيح: رواه البخاري (١١٩٣) ومسلم (١٣٩٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٣٩٨).

(٣) مرسل: رواه ابن إسحاق كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٨) ورواه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٥٩) والطبري (١١/ ٢٣) من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر =

بعضه نزل الوحيُ بخبر المسجد، فبعث إليه، فهدمه قبل قدومه إلىٰ المدينة.

ووجهُ مناسبة الآية للترجمة: أنَّ المواضع المعدَّة للذبح لغير الله يجب اجتنابُ الذبح فيها لله؛ كما أنَّ هذا المسجد لمَّا أُعد للمعصية صار محلَّ غضبٍ لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاةُ فيه لله. وهذا قياسٌ صحيح، ويؤيده حديث ثابت بن الضحاك الآتي.

قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ روىٰ الإمام أحمد، وابنُ خزيمة، وغيرُهما، عن عُويم بن ساعدة الأنصاري: أنَّ النبي ﷺ أتاهم في مسجد قُباء، فقال: «**إنَّ الله قد أحسن عليكم الثناء بالطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟**» فقالوا: يا رسول الله ما نعلم شيئًا، إلاَّ أنه كان لنا جيرانٌ من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا[1]. وفي رواية عن جابر، وأنس،

= وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم فذكره مرسلاً.
وروواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٦).

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (٤٢٢) وابن خزيمة (٨٣) والحاكم (١/ ١٥٥) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٠) و«الصغير» (٢/ ٢٣) من طريق أبي أويس عن شرحبيل بن سعد عن عويم بن ساعدة به وفي الإسناد أبو أويس عبدالله بن عبدالله بن أويس وهو مختلف فيه وشرحبيل بن سعد ضعيف واهٍ. وقال الحافظ في «التهذيب» (٤/ ٣٢٢). وفي سماعه من عويم بن ساعدة نظر لأن عويمًا مات في حياة رسول الله ويقال في خلافة عمر.
وله شاهد من حديث محمد بن عبدالله بن سلام.
رواه أحمد (٦/ ٦) رقم (٢٣٨٣٣) ط. الرسالة وابن أبي شيبة (١/ ١٥٣) ووقع عنده محمد بن يوسف عن عبدالله بن سلام والفسوي (١/ ٣٧، ٣٨) والطبري في «التفسير» (١٧٢٤٢، ١٧٢٤٤) والبخاري في «التاريخ» (١/ ١٨) وغيرهم من طريق شهر بن حوشب عن محمد بن عبدالله بن سلام مرفوعًا. وشهر ضعيف. ورواه شهر عن أبي أمامة مرفوعًا نحوه كما عند الطبراني (٧٥٥٥) ولكن من طريق ليث عنه وإسناده ضعيف واهٍ.
وله شاهد عن آخر عن أبي هريرة رواه أبو داود (٤٤) والترمذي (٣١٠٠) وابن ماجه (٣٥٧) وغيرهم من طريق يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا. ويونس ضعيف وإبراهيم مجهول.
وله طرق أخرىٰ ضعيفة مرسلة ومعضلة انظر ابن أبي شيبة (١/ ١٥٣) والطبري (١٧٢٣٩، ١٧٢٤١) وله طريق آخر عن أنس وجابر وهو الآتي بعده.

«هو ذاك فعليكموه»(١) رواه ابنُ ماجه، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والحاكم.

قوله: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ قال أبو العالية: إنَّ الطهور بالماء لحسن، ولكنَّهم المتطهرون من الذنوب. وفيه: إثباتُ صفة المحبة، خلافًا للأشاعرة ونحوهم.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: عن ثابت بن الضَّحاك، قال: نذر رجلٌ أنْ ينحر إبلاً ببُوانة، فسأل النبي ﷺ، فقال: «هل كان فيها وثَنٌ من أوثان الجاهلية يُعبَد؟» قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أوْفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابنُ آدم»(٢). رواه أبو داود،وإسنادُه على شرطهما.

ش: قوله: (عن ثابت بن الضحاك). أي: ابن خليفة الأشهلي، صحابيٌّ مشهور. روىٰ عنه أبو قلابة وغيره، مات سنة أربع وستين.

قوله: (ببوانة). بضم الباء، وقيل: بفتحها. قال البغوي: موضعٌ في أسفل مكة، دون يَلَمْلَم. قال أبو السعادات: هضبةٌ من وراء يَنْبُع.

قوله: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟**» فيه: المنعُ من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله. قاله المصنف رحمه الله.

قوله: «**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟**» قال شيخُ الإسلام: العيد: اسمٌ لما يعود من الاجتماع العامِّ علىٰ وجهٍ معتاد، عائدٌ: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، والشهر ونحو ذلك.

والمراد به هُنا: الاجتماع المعتاد، من اجتماع أهل الجاهلية. فالعيدُ يجمع أمورًا منها: يومٌ عائد، كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها: اجتماعٌ فيه، ومنها: أعمالٌ تتبع

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن ماجه (٣٥٥) وابن الجارود (٤٠) والدارقطني (١/ ٦٢) والحاكم (١/ ١٠٥، ٢/ ٣٣٤) والبيهقي (١/ ١٠٥) من طريق عتبة بن أبي حكيم عن طلحة بن نافع حدثني أبو أيوب وجابر وأنس به مرفوعًا وعتبة بن أبي حكيم ضعيف وطلحة بن نافع لم يسمع أبا أيوب. كما قال أبو حاتم. وقيل لم يسمع من جابر إلا أربعة أحاديث.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه أبو داود (٣٣١٣) ومن طريقه البيهقي (١٠/ ٨٣) والطبراني (١٣٤١) من طريق داود بن رشيد حدثنا شعيب بن إسحاق عن الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير قال حدثني أبو قلابة قال حدثني ثابت بن الضحاك به. وهذا إسناد صحيح وله شاهد من حديث كرزم بن سفيان =

ذلك، من العبادات والعادات. وقد يختصُّ العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا. وكلٌّ من هذه الأمور يُسمَّىٰ عيدًا[١]. فالزمان، كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «**إنَّ هذا يومٌ جعله الله للمسلمين عيدًا**». والاجتماعُ والأعمال، كقول ابن عباس: شهدتُ العيد مع رسول الله ﷺ[٢].

والمكان، كقوله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»[٣] وقد يكون لفظُ العيد اسمًا لمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب؛ كقول النبي ﷺ: «**دعهما يا أبا بكر؛ فإنَّ لكل قوم عيدًا**». انتهىٰ[٤].

= الثقفي بمعناه رواه أبو داود (٣٣١٤، ٣٣١٥) وابن ماجه (٢١٣١) وغيرهما.

(١) **إسناده ضعيف والصواب فيه الإرسال**: رواه ابن ماجه (١٠٩٨) وبحشل في «تاريخ واسط» (ص٢٥٦) من طريق علي بن غراب عن صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن عبيد بن السباق عن ابن عباس مرفوعًا وعلي بن غراب فيه كلام ومدلس وقد عنعن وصالح ضعيف. ورواه مالك عن الزهري عن عبيد بن السباق مرسلاً كما في الموطأ (١/ ٦٥، ٦٦) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٣) وابن أبي شيبة (٢/ ٩٦). ورواه الطبراني في «الصغير» (١/ ١٢٩) والبيهقي (٣/ ٢٤٣) من طريق يزيد بن سعيد الإسكندراني عن مالك عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة. مرفوعًا ويزيد بن سعيد محله الصدق كما في الجرح والتعديل والصواب عن مالك الإرسال كما سبق في الرواية السابقة ورجح المرسل أبو حاتم كما في «العلل» (١/ ٢٠٥) والبيهقي في «السنن» وغيرها، وله طريق آخر عن أبي هريرة.

رواه أحمد (٢/ ٣٠٣، ٥٣٢) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٤٣) والحاكم (١/ ٤٣٧) وابن خزيمة (٢١٦١) والبزار (١٠٦٩) وفي إسناده سقط، ينظر له «الإصابة» ترجمة عامر بن لدين - من طريق أبي بشر مؤذن مسجد دمشق عن عامر بن لدين عن أبي هريرة مرفوعًا. وأبو بشر مقبول أي إذا توبع وإلا فلين. وعامر بن لدين وثقه ابن حبان والعجلي روىٰ عنه جماعة وترجمته في «التعجيل».

(٢) رواه البخاري (٩٧٧، ٥٤٩٩).

(٣) **حسن لغيره**: رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥) وأبو يعلىٰ (٢٦٩) والبخاري في «التاريخ» (٢/ ١٨٦) والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» (٢٠) والضياء في «المختارة» (٤٢٨) من طريق جعفر بن إبراهيم قال حدثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين عن أبيه عن جده.

وفي الإسناد علي بن عمر بن علي بن الحسين وهو مستور وجعفر بن إبراهيم الجعفري لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلاً وقال ابن حبان يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه كما في «اللسان» وللحديث شواهد من حديث أبي هريرة ومن حديث الحسن بن علي وغيرهما يحسن بهما انظر الكلام عليهما في تحقيقي لكتاب العلامة ابن باز شرح كتاب التوحيد رقم (١٠٩).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٩٥٢) ومسلم (٨٩٢).

قال المُصنِّفُ: وفيه: استفصالُ المفتي، والمنعُ من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية، ولو بعد زواله.

قلتُ: وفيه سدُّ الذريعة، وتركُ مشابهة المشركين، والمنعُ مما هو وسيلة إلى ذلك.

قوله: «**أوف بنذرك**» هذا يدلُّ على أنَّ الذبح لله في المكان الذي يَذبح فيه المشركون لغيره، أو في محل أعيادهم، معصية؛ لأن قوله: «**فأوف بنذرك**» تعقيب للوصف بالحكم بالوفاء، وذلك يدل على أنَّ الوصف سببُ الحكم، فيكون سببُ الأمر بالوفاء خلوَّه عن هذين الوصفين.

فلما قالوا: لا. قال: «**فأوف بنذرك**» وهذا يقتضي أنَّ كون البقعة مكانًا لعيدهم، أو بها وثنٌ من أوثانهم: مانعٌ من الذبح بها، ولو نذره. قاله شيخُ الإسلام.

قوله: «**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**» دليلٌ على أنَّ هذا نذرُ معصيةٍ، لو قد وجد في المكان بعضُ الموانع. وما كان من نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به، بإجماع العلماء.

واختلفوا: هل تجب كفارةُ يمين؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد.

أحدُهما: تجبُ، وهو المذهب. وروي عن ابن مسعود، وابن عباس، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابُه، لحديث عائشة مرفوعًا: «**لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين**»[1] رواه أحمد، وأهل السنن. واحتج به أحمدُ، وإسحاق.

---

(١) **إسناده مُعل:** رواه أبو داود (٣٢٩٠، ٣٢٩١) والترمذي (١٥٢٤) والنسائي (٧/ ٢٦، ٢٧) وابن ماجه (٢١٢٥) والبغوي (١٠/ ٣٣، ٣٤) وأبو يعلى (٤٧٨٣) والبيهقي (١٠/ ٦٩) والفسوي (٣/ ٣) وغيرهم من طريق الزهري عن أبي سلمة عن عائشة مرفوعًا.
قال الحافظ في «التلخيص» (٤/ ١٧٥) إسناده صحيح إلا أنه معلول.
وقد أعله الإمام البخاري والترمذي والدارقطني وغيرهم.
قال أبو عيسى: هذا حديث لايصح لأن الزهري لم يسمع هذا الحديث من أبي سلمة. قال: سمعت محمدًا يقول: روي عن غير واحد منهم موسى بن عقبة وابن أبي عتيق بن الزهري عن سليمان بن أرقم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي ﷺ قال محمدُ: «يعني البخاري» والحديث هو هذا. =

الثاني: لا كفارة عليه. روي ذلك عن مسروق، والشعبي، والشافعي؛ لحديث الباب، ولم يذكر فيه كفارة. وجوابُه: أنه ذكر الكفارةَ في الحديث المتقدم، والمطلقُ يُحمل على المقيَّد.

= وقال النسائي: وقد قيل أن الزهري لم يسمع هذا من أبي سلمة.

وقد قال أبو داود سمعت أحمد بن شبوية يقول: قال ابن المبارك يعني في هذا الحديث حدَّث أبو سلمة فدل ذلك على أن الزهري لم يسمعه من أبي سلمة.

وقد ذكر الدارقطني الخلاف في «العلل» (٥/ ق١٧١أ) ثم قال: والصحيح حديث ابن أبي عتيق وموسى بن عقبة من الزهري.

قلت: ورواية ابن أبي عتيق عن موسى بن عقبة عن الزهري عن سليمان بن أرقم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة رواه أبو داود (٣٢٩٢) والترمذي (١٥٢٥) والنسائي (٧/ ٢٧) والبخاري في «التاريخ» (٤/ ٢) والطبراني في «الأوسط» (٤٦٠١) والبغوي (٢٤٤٧).

وسلميان بن أرقم متروك.

ولكن تابعه حرب بن شداد عن يحيى به كما عند الطيالسي (١٤٨٤) وفي الإسناد يحيى بن أبي كثير وهو مدلس وقد عنعن وجمع السندي في حاشية النسائي أن الزهري سمعه من سليمان بن أرقم عن يحيى عن أبي سلمة عن عائشة مرة وسمعه عن أبي سلمة مرة أخرى لاسيما وقد جاء في بعض الطرق تصريح سماع الزهري من أبي سلمة ولهذا الحديث كما في النسائي (٧/ ٢٧) والفسوي (٣/ ٤) وقوي الخبر بحديث عقبة عند مسلم (١٦٤٥) كفارة النذر كفارة يمين، وحديث عمران وهو الآتي ذكره. وقد أعلت كذلك رواية يحيى بن أبي كثير قال أحمد بن محمد المروزي إنما الحديث حديث علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن الزبير عن أبيه عن عمران بن حصين عن النبي . . . قال أبو داود . روى بقية عن الأوزاعي عن يحيى عن محمد بن الزبير بإسناده علي بن المبارك مثله السنن على إثر حديث (٣٢٩٢).

قلت حديث عمران رواه النسائي (٧/ ٢٨، ٢٩) وأحمد (٤/ ٤٣٣، ٤٤٠) والحاكم (٤/ ٣٠٥) والطيالسي (٨٣٩) والبيهقي (١٠/ ٧٠) وغيرهم وفي الإسناد محمد بن الزبير الحنظلي وهو متروك وقد اضطرب في إسناده. وللحديث شاهد من حديث ابن عباس رواه ابن الجارود (٩٣٥) والبيهقي (١٠/ ٧٢) وفي الإسناد خطاب بن القاسم وهو مختلف فيه وله شاهد نحوه من حديث ابن عباس أيضاً رواه أبو داود (٣٣٤٢) والدارقطني (٤/ ١٥٨، ١٥٩) وفي الإسناد مقال وأعل بالوقف وأشار أبو داود إلى الرواية الموقوفة ورجح الوقف أبوحاتم وأبو زرعة كما في «العلل» (١/ ٤٤١) وله شاهد آخر من حديث عدي بن حاتم عن الدارقطني (٤/ ١٥٨) وفي إسناده محمد بن الفضل بن عطية كذبه غير واحد من أهل العلم.

قوله: «ولا فيما لا يملك ابن آدم» قال في (شرح المصابيح): يعني إذا أضاف النذرَ إلى معيَّن لا يملكه، بأنْ قال: إنْ شفى الله مريضي، فلله عليَّ أنْ أُعتق عبدَ فلانٍ ونحو ذلك. فأمَّا إذا التزم في الذِّمة شيئًا، بأن قال: إنْ شفى الله مريضي فلله عليَّ أنْ أُعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإذا شفى الله مريضه ثبت ذلك في ذمته.

قوله: (رواه أبو داود، وإسنادُه على شرطهما) أي: البخاري ومسلم.

وأبـــو داود: اسمُه سُليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد الأزدي السجستاني، صاحبُ الإمام أحمد، ومصنف (السنن) و (المراسيل) وغيرهما، ثقةٌ إمام حافظ، من كبار العلماء، مات سنة خمسٍ وسبعين ومائتين.

* * *

(١١)

بـاب

من الشرك النذر لغير الله

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ: من الشرك النذرُ لغير الله.

ش: أي: لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره لله، فيكون النذر لغير الله شركًا في العبادة.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تـعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ [الإنسان: ٧].

ش: فالآية دلّت على وجوب الوفاء بالنذر، ومدح من فعل ذلك طاعةً لله، ووفاءً بما تقرب به إليه.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

ش: قال ابنُ كثير: يخبر تعالى بأنه عالمٌ بجميع ما يعلمه العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضمّن ذلك مجازاتَه على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه.

إذا علمت ذلك: فهذه النذورُ الواقعة من عُبَّاد القبور، تقرُّبًا بها إليهم، ليقضوا لهم حوائجهم أو ليشفعوا لهم، هذا شركٌ في العبادة بلا ريب؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[الأنعام: ١٣٦].

قال شيخُ الإسلام: وأمَّا ما نُذر لغير الله، كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك، فهو بمنزلة أنْ يحلف بغير الله من المخلوقات. والحالفُ بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفَّارة، وكذلك الناذر للمخلوقات، فإنَّ كلاهما شرك، ليس له حُرمة. بل عليه أنْ يستغفر الله من هذا، ويقول ما قال النبي ﷺ: «**من حلف باللات والعُزَّى، فليقل: لا إله إلا الله**»(١).

وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دُهْنًا لتُنَوَّر به ويقول: إنها تقبل النذر كما يقوله بعضُ الضالين: وهذا النذر معصيةٌ باتفاق المسلمين، لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالاً للسَّدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البُقعة، فإنَّ فيهم شبهًا من السدنة التي كانت عند اللات والعزىٰ ومناة. يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدُّون عن سبيل الله.

والمجاورون هناك فيهم شبهٌ من الذين قال فيهم الخليلُ عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، والذين اجتاز بهم موسىٰ وقومه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فالنذرُ لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذرُ معصية. وفيه شبهٌ من النذر لسدنة الصُّلبان والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد التي في الهند والمجاورين عندها.

وقال الأذرُعي في (شرح المنهاج): وأمَّا للمشاهد التي على قبر وليّ أو شيخ، أو على اسم من حلَّها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين: فإنْ قصد الناذر بذلك وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة تعظيمَ البقعة والمشهد، أو الزاوية، أو تعظيمَ من دُفن بها، أو نُسبت إليه، أو بنيت على اسمه، فهذا النذر باطلٌ غيرُ منعقد. فإنَّ معتقدهم أنَّ لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يُدفع به البلاء ويُستجلب به النعماء، ويُستشفىٰ بالنذر لها من الأدواء. حتىٰ إنهم ينذرون لبعضِ الأحجار؛ لَمَّا قيل: إنه استند إليها عبدٌ صالح، وينذرون لبعض القبور: السُّرُجَ والشموع، والزيت.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦٥٠) ومسلم (١٦٤٧).

ويقولون: القبرُ الفلاني، أو المكان الفلاني يقبلُ النذر، يعنون بذلك: أنه يحصل به الغرض المأمول: من شفاء مريض، أو قدوم غائب وسلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة. فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه، بل نذرُ الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطلٌ مطلقًا.

ومن ذلك: نذرُ الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء. فإنَّ النذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبرُّكًا وتعظيمًا، ظانًا أنَّ ذلك قربة. فهذا مما لا ريب في بُطلانه، والإيقادُ المذكور محرَّم، سواء انتفع به هناك منتفعٌ أم لا.

وقال الشيخ قاسمُ الحنفي في (شرح دُرر البحار): النذرُ الذي ينذره أكثرُ العوام على ما هو مشاهدٌ: كأن يكون لإنسان غائبٌ أو مريض، أو له حاجة، فيأتي إلى قبر بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سُترة، ويقول: يا سيدي فلان! ، إنْ ردَّ الله غائبي، أو عُوفي مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت كذا.

فهذا النذرُ باطلٌ بالإجماع؛ لوجوه:

منها: أنه نذرٌ لمخلوق، والنذرُ للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أنَّ المنذور له ميتٌ، والميت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أنَّ الميت يتصرفُ في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر.

إلى أنْ قال: إذا علمت هذا، فما يُؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها ويُنقل إلى ضرائح الأولياء، تقربًا إليهم: فحرامٌ بإجماع المسلمين.

نقله عنه ابنُ نُجيم في (البحر الرائق). ونقلة المُرشديُّ في (تذكرته)، وغيرهُما عنه، وزاد: وقد ابتلي الناس بهذا، لا سيَّما في مولد البدوي.

وقال الشيخ صُنع الله الحلبي الحنفي في الرّد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء: فهذا الذبح والنذر إنْ كان على اسم فلانٍ، فهو لغير الله، فيكون باطلاً؛ وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] والنذرُ لغير الله إشراكٌ مع الله، كالذبح لغيره.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن نذر أنْ يُطيع الله فلْيُطعه، ومن نذر أنْ يَعصي الله فلا يعصه»[(١)].

ش: قوله: في (الصحيح). أي: (صحيحُ البخاري).

قوله: (عن عائشة): هي أم المؤمنين، زوجُ النبي ﷺ، وابنة الصديق رضي الله عنهما. تزوَّجها النبي ﷺ وهي ابنةُ سبع سنين، ودخل بها وهي ابنةُ تسع. وهي أفقهُ النساء مطلقًا، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلاَّ خديجة، ففيها خلاف. ماتت سنة سبع وخمسين، على الصحيح.

قوله: «**من نذر أنْ يطيع الله فليطعه**» أي: فليفعل ما نذره من طاعة الله، وقد أجمع العلماءُ على أنَّ من نذر طاعةً بشرط يرجوه، كإنْ شفى الله مريضي فعلي أنْ أتصدَّق بكذا، ونحو ذلك وجب عليه، إنْ حصل على ما علَّق نذرَه على حصوله.

وحُكي عن أبي حنيفة: أنَّه لا يلزمه الوفاء إلاَّ بما جنسُه واجبٌ بأصل الشرع، كالصوم. وأمَّا ما ليس كذلك، كالاعتكاف فلا يوجب عليه الوفاء به.

قوله: «**ومن نذر أنْ يعصي الله فلا يعصه**» زاد الطحاوي «**وليكفِّر عن يمينه**»[(٢)] وقد أجمع العلماء: أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية.

قال الحافظ: اتفقوا على تحريم النذر في المعصية، وتنازعوا: هل ينعقدُ موجبًا للكفارة، أم لا، وتقدم.

وقد يُستدل بالحديث على صحة النذر في المباح، كما هو مذهب أحمد وغيره، يؤيده: ما رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده وأحمد،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠).

(٢) هذه الزيادة رواها الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢١٤٤) وإسنادها ظاهرها الصحة لكنه نقل الحافظ ابن حجر عن ابن القطان أنه قال: عندي شك في رفع هذه الزيادة كما في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٧٥).

والترمذي، عن بُريدة: أنَّ امرأة قالت: يا رسول الله، إني نذرتُ أنْ أضرب على رأسك بالدُّف، فقال: «أوفي بنذرك»(١).

وأمَّا نذرُ اللَّجاجِ والغضب: فهوَ يمينٌ عند أحمد، فيخيَّرُ بين فعله وكفارة يمين؛ لحديث عمران بن حصين مرفوعًا: «لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين»(٢). رواه سعيد بن منصور، وأحمد، والنسائي. فإن نذر مكروهًا كالطلاق استحب أنْ يكفِّر، ولا يفعله.

* * *

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٦٩٠) وأحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٦) والبيهقي (١٠/ ٧٧) وابن حبان كما في «الإحسان» (١٨٩٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩) من طريق حسين بن واقد حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه بريدة فذكره مرفوعًا وهذا إسناده قوي وله شاهد من طريق عبدالله بن عمرو. رواه أبو داود (٣٣١٢) (١٠/ ٧٧) وفي إسناده الحارث بن عبيد أبو قدامة وهو ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف جداً: رواه النسائي (٧/ ٢٨، ٢٩) وأحمد (٤/ ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤٣) والحاكم (٤/ ٣٠٥) والطيالسي (٨٣٩) والبيهقي (١٠/ ٧٠) والخطيب (١٣/ ٥٦) وغيرهم من طريق محمد ابن الزبير الحنظلي وهو متروك. وقد اضطرب فيه فمرة يرويه عن أبيه عن عمران ومرة يرويه عن أبيه عن رجل عن عمران، ومرة يرويه عن رجل صحب عمران عن عمران، ومرة يرويه عن الحسن عمران.

(١٢)

بـاب

من الشرك الاستعاذة بغير الله

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ من الشرك الاستعاذة بغير الله.

ش: الاستعـاذة: الالتجاءُ والاعتـصام؛ ولهذا يُسمَّىٰ المستعاذُ به: مَعاذًا وملجأ. فالعائذُ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يُهلكه، إلىٰ ربه ومالكه، واعتصم به واستجار، والتجأ إليه. وهذا تمثيل، وإلاَّ فما يقومُ بالقلب من الالتجاء إلىٰ الله، والاعتصام به، والإطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل له، أمرٌ لا تحيط به العبارة. قاله ابنُ القيم رحمه الله.

وقال ابنُ كثير: الاستعاذة: هي الالتجاء إلىٰ الله، والالتصاقُ بجنابه من شرِّ كلِّ ذي شر. والعياذُ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير. انتهىٰ.

قلـتُ: وهي من العبادات التي أمر الله تعالىٰ عباده بها، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [فصلت: ٣٦] وأمثالُ ذلك في القرآن كثير، كقوله: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ فما كان عبادة لله فصرْفُه لغير الله شرك.

فمن صرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله فقد جعله لله شريكًا في عبادته، ونازع الرب في إلهيته؛ كما أنَّ من صلَّىٰ لله وصلىٰ لغيره يكون عابدًا لغير الله، ولا فرق، كما سيأتي تقريره قريبًا إن شاء الله.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

ش: قال ابنُ كثير: أي: كنا نرىٰ أنَّ لنا فضلاً علىٰ الإنس، لأنهم كانوا يعوذون

بنا. أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا مُوحشًا من البراري وغيرها كما كانت عادةُ العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أنْ يصيبهم بشيءٍ يسوءهم.

كما كان أحدهم يدخل على بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم - إلى أن قال - قال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم «رهقًا» أي خوفًا[١].

وقال العوفي عن ابن عباس «فزادوهم رهقًا» أي إثمًا[٢]، وكذا قال قتادة[٣]. اهـ.

وذلك أنَّ الرجل من العرب كان إذا أمسى بوادٍ قفر، وخاف على نفسه، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سُفهاء قومه. يريدُ كبير الجن!!.

قال مجاهد: كانوا إذا هبطوا واديًا يقولون: نعوذ بعظيمِ هذا الوادي. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. قال: زادوا الكفار طغيانًا. رواه عبدُ بن حميد، وابنُ المنذر.

كما قال السُّدي: كان الرجلُ يخرج بأهله، فيأتي الأرض فينزلها، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن، أن أُضرَّ فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي. قال: فإذا عاذ بهم من دون الله، رهقَتهم الجنُّ الأذى عند ذلك.

وذكر عن ابن أبي حاتم بسندٍ إلى عكرمة نحو ذلك. انتهى.

وقد أجمع العلماءُ: على أنَّه لا يجوز الاستعاذة بغير الله.

وقال مُلاَّ علي قاري الحنفي: لا تجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذمَّ الله الكافرين على ذلك وذكر الآية وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

فاستمتاعُ الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيءٍ من

(١) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» (٢٩/١٠٨، ١٠٩).
(٢) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٢٩/١٠٨، ١٠٩) بإسناد العوفين عن ابن عباس رضي الله عنه.
(٣) رجاله ثقات: رواه الطبري (٢٩/١٠٨) من طريق سعيد عن قتادة.

المغيَّبات. واستمتاع الجنيُّ بالإنسي: تعظيمُه إياه، واستعاذته به وخضوعه له. انتهىٰ ملخصًا.

قال المصنف: وفيه: أنَّ كون الشيء يحصل به منفعةٌ دنيوية، لا يدلُّ على أنه ليس من الشرك.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن خولةَ بنت حكيم، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً، فقال: أعوذُ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق: لم يضره شيءٌ حتى يرحل من منزله ذلك»[1] رواه مسلم.

ش: هي خولةُ بنتُ حكيمِ بن أمية السُّلمية، يقال لها: أم شَريك، ويقال: إنها هي الواهبة، وكانت قبلُ تحتَ عثمان بن مَظْعون.

قال ابنُ عبد البر: وكانت صالحةً فاضلة.

قوله: **«أعوذ بكلمات الله التامات»** شرع الله لأهل الإسلام أنْ يستعيذوا به، بدلاً عما يفعلُه أهلُ الجاهلية من الاستعاذة بالجن. فشرع الله للمسلمين أن يتعوَّذوا بأسمائه وصفاته.

قال القُرطبي: قيل: معناه: الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل: معناه: الشافيةُ الكافية. وقيل: الكلمات هنا هي القرآن، فإنَّ الله أخبر عنه بأنه ﴿هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، وهذا الأمر علىٰ جهة الإرشاد إلىٰ ما يدفع به الأذىٰ.

ولمَّا كان ذلك استعاذةٌ بصفات الله تعالىٰ، كان من باب المندوب إليه المرغَّب فيه. وعلىٰ هذا، فحقٌّ المستعيذ بالله تعالىٰ وبأسمائه وصفاته: أنْ يَصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويُحضر ذلك في قلبه. فمتىٰ فعل ذلك، وصل إلىٰ منتهىٰ طلبه ومغفرة ذنبه.

قال شيخُ الإسلام: وقد نصَّ الأئمةُ كأحمد وغيره علىٰ أنَّه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلّوا به علىٰ أنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوق، قالوا: لأنه ثبت عن

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨).

النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهىٰ العلماءُ عن التعازيم والتعاويذ التي لا يُعرف معناها، خشية أنْ يكون فيها شرك.

وقال ابنُ القيم: ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به، وتقرَّب إليه بما يُحب فقد عبده، وإنْ لم يسمِّ ذلك عبادة ويسميه استخداماً. وصَدَقَ، هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان. لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة؛ فإنَّ الشيطان لا يخضعُ له، ولا يعبده كما يفعل هو به.

قوله: «**من شر ما خلق**» قال ابنُ القيم: أي: من كلِّ شرٍ، في أيِّ مخلوق قام به الشر: من حيوان أو غيره، إنسيًا أو جنيًا، أو هامَّة أو دابة، أو ريحًا، أو صاعقة. أي نوعٍ كان من أنواع البلاء، في الدنيا والآخرة.

وما: ها هنا موصولة، ليس إلاَّ. وليس المرادُ بها العمومَ الإطلاقي، بل المراد التقييد الوصفي، والمعنىٰ: من شر كلِّ مخلوقٍ فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله، فإنَّ الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر والشرُّ يقال علىٰ شيئين: علىٰ الألم، وعلىٰ ما يُفضي إليه.

قوله: «**لم يضرهُ شيءٌ حتى يرحل من منزله ذلك**» قال القرطبي: هذا خبرٌ صحيح وقول صادق، علمنا صدقه؛ دليلاً وتجربة!

فإني منذُ سمعتُ هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرُّني شيءٌ إلىٰ أنْ تركته، فلدغتني عقربٌ بالمهدية ليلاً. فتفكَّرتُ في نفسي، فإذا بي نسيتُ أنْ أتعوَّذ بتلك الكلمات.

* * *

(١٣)

باب

من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابٌ من الشرك أنْ يَستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

ش: قال شيخُ الإسلام: الاستغاثة: هي طلبُ الغَوث، وهو إزالة الشِّدة؛ كالاستنصار: طلب النصر. والاستعانة: طلب العون.

وقال غيره: الفرقُ بين الاستغاثة والدعاء: أنَّ الاستغاثة لا تكون إلاَّ من المكروب، والدعاءُ أعمُّ من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره. فعطف الدعاء على الاستغاثة، من عطف العامِّ على الخاص.

فبينهما عمومٌ وخصوص مُطلقٍ؛ يجتمعان في مادةٍ، وينفردُ الدعاء عنها في مادة. فكلُّ استغاثةٍ دُعاء، وليس كلُّ دعاءٍ استغاثة.

وقوله: (أو يدعو غيره) اعلم أنَّ الدعاء نوعان: دعاءُ عبادة، ودعاءُ مسألة. ويُراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويُراد به مجموعهما.

فدعاءُ المسألة: هو طلبُ ما ينفع الداعي، من جلب نفعٍ أو كشف ضر ولهذا أنكر الله على من يدعو أحدًا من دونه، ممن لا يملك ضرًا ولا نفعًا؛ كقوله: ﴿ **قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [المائدة: ٧٦] وقوله: ﴿ **قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام: ٧١].

وقال: ﴿ **وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [يونس: ١٠٦].

قال شيخ الإسلام: فكلٌّ دعاء عبادة مستلزمٌ لدعاء المسألة، وكلُّ دعاء مسألة متضمنٌ لدعاء العبادة، قال الله تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥]، وقال ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ٤٠-٤١]، وقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد: ١٤] وأمثالُ هذا في القرآن في دعاء المسألة أكثر من أنْ يُحصر، وهو يتضمّن دعاء العبادة؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك الذاكر لله. والتالي لكتابه ونحوه، طالبٌ من الله في المعنىٰ، فيكون داعيًا عابداً.

فتبيَّن بهذا قول شيخ الإسلام: أنَّ دعاء العبادة مستلزمٌ لدعاء المسألة، كما أنَّ دعاء المسألة متضمنٌ لدعاء العبادة.

وقد قال تعالىٰ عن خليله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨-٤٩] فصار الدعاءُ من أنواع العبادة؛ فإنَّ قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

وقد أمر الله تعالىٰ به في مواضع من كتابه، كقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦] وهذا هو دعاءُ المسألة المتضمن للعبادة، فإنَّ الداعي يرغبُ إلىٰ المدعو، ويخضع له ويتذلل، وغير ذلك.

وضابطُ هذا: أنَّ كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به، ففعلُه لله عبادة. فإذا صرف من تلك العبادة شيئًا لغير الله فهو مشركٌ، مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤] وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالىٰ.

قال شيخُ الإسلام في (الرسالة السَّنية): فإذا كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ ممن انتسب إلىٰ الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فليُعلم أنَّ المنتسب إلىٰ الإسلام

والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام؛ لأسباب، منها: الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح عليه السلام.

فكلُّ من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أنْ يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني أو ارزقني، وأنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال. فكلُّ هذا شركٌ وضلال، يُستتاب صاحبه، فإنْ تاب وإلاَّ قُتل.

فإنَّ الله سبحانه وتعالىٰ إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتُب، ليُعبد وحده لا شريك له، ولا يُدعَىٰ معه إلهٌ آخر. والذين يدعون مع الله آلهةً أُخرىٰ، مثل المسيح والملائكة والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلُق الخلائق أو تُنزل المطر، أو تنبت النبات. وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] فبعث الله سبحانه رسله: تنهىٰ أنْ يُدْعىٰ أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. انتهىٰ.

وقال أيضًا: من جعل بينه وبين الله وسائط، يتوكَّلُ عليهم ويدعوهم ويسألهم، كفرَ إجماعًا.

نقله عنه صاحبُ (الفروع)، وصاحبُ (الإنصاف)، وصاحب (الإقناع)، وغيرهم. وذكره في (مسألة الوسائط)، ونقلتهُ منه في (الرد على ابن جرجيس).

وقال ابنُ القيم رحمه الله: ومن أنواعه أي الشرك طلبُ الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثةُ بهم والتوجه إليهم. وهذا أصلُ شرك العالم؛ فإنَّ الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلاً لمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلىٰ الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده. وسيأتي تتمةُ كلامه في باب الشفاعة إنْ شاء الله تعالىٰ.

وقال الحافظُ محمد بن عبد الهادي، في (ردِّه على السبكي) في قوله: إنَّ المبالغة في تعظيمه أي: الرسول ﷺ واجبة:

إنْ أُريد بها المبالغة بحسب ما يراه كلُّ أحد تعظيمًا، حتىٰ الحج إلىٰ قبره، والسجود له والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن

استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء.

فدعوىٰ وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغةٌ في الشرك، وانسلاخٌ من جُملة الدين.

وفي (الفتاوي البَزازية) من كُتب الحنفية: قال عُلماؤنا: من قال: أرواحُ المشايخ حاضرةٌ تعلم: يكفر.

وقال الشيخ صُنع الله الحلبي الحنفي في كتابه في الرد علىٰ من ادَّعىٰ أنَّ للأولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات علىٰ سبيل الكرامة: هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين، جماعات يدَّعون أنَّ للأولياء تصرُّفات بحياتهم وبعد مماتهم، ويُستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تُكشف المهمات.

فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين علىٰ أنَّ ذلك منهم كرامات، وقالوا: منهم أبدالٌ ونُقباء، وأوتادٌ ونُجباء، وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطبُ: هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوَّزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

قال: وهذا كلامٌ فيه تفريطٌ وإفراط، بل فيه الهلاكُ الأبدي والعذاب السرَّمدي؛ لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومُصادرة الكتاب العزيز المُصدَّق، ومخالفة لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ثم قال: وأمَّا قولهم: إنَّ للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، فيردُّه قوله تعالىٰ ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦١]، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٤٩]، ونحوه من الآيات الدالة علىٰ أنَّ المتفرِّدُ بالخلق والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيءٍ مّا بوجهٍ من الوجوه. فالكلُّ تحت مُلكه وقهره: تصرُّفًا وملكًا، وإحياءً وإماتة وخلقًا.

وتمدَّح الربُ تبارك وتعالىٰ بانفراده بملكه في آيات من كتابه، كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ

خَبِير﴾ [فاطر: ١٣-١٤] وذكر آيات في هذا المعنىٰ.

ثم قال: فقولُه في الآيات كلها ﴿مِن دُونِه﴾ أي: من غيره، فإنه عامٌّ يدخل فيه من اعتقدته، من ولّيٍ وشيطان تستمدُّه؛ فإنَّ من لم يقدر علىٰ نصر نفسه كيف يمدُّ غيره؟

إلىٰ أنْ قال: إنَّ هذا القول وخيمٌ، وشرك عظيم. إلىٰ أن قال: وأمَّا القول بالتصرُّف بعد الممات، فهو أشنَع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة؛ قال جل ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] وفي الحديث: «إذا مات ابنُ آدم انقطع عملُه إلاَّ من ثلاث»[1] الحديث.

فجميعُ ذلك، وما هو نحوه: دالٌّ علىٰ انقطاع الحس والحركة من الميت، وأنَّ أرواحهم ممسَكة، وأنَّ أعمالهم منقطعةٌ عن زيادة أو نقصان. فدلَّ ذلك: علىٰ أنَّ ليس للميت تصرفٌ في ذاته، فضلاً عن غيره. فإذا عجز عن حركة نفسه، فكيف يتصرَّف في غيره؟ فالله سبحانه يُخبر أنَّ الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إنَّ الأرواح مطلقة متصرِّفة ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

قال: وأمَّا اعتقادُهم أنَّ هذه التصرفات لهم من الكرامات، فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيءٌ من عند الله يكرم بها أولياءه، لا قصد لهم فيه ولا تحدِّي، ولا قدرة ولا علم؛ كما في قصة مريم ابنة عمران، وأُسيد بن حُضير، وأبي مُسلم الخولاني.

قال: وأمَّا قولهم: فيستغاثُ بهم في الشدائد. فهذا أقبحُ مما قبله وأبدع؛ لمصادمته قوله جل ذكره ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤] وذكر آياتٍ في هذا المعنىٰ.

ثم قال: فإنه جل ذكره قرَّر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتفرد بإجابة

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١).

المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كلِّه، وأنه القادر على دفع الضر، القادر على إيصال الخير، فهو المنفردُ بذلك، فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي.

قال: والاستغاثَة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية، من الأمور الحسية: في قتال، أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه، كقولهم: يا لَزَيد، يا لَلمسلمين، بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل.

وأمَّا الاستغاثَة بالقوة والتأثير، أو في الأمور المعنوية من الشدائد: كالمرض، وخوف الغرق والضيق والفقر، وطلب الرزق ونحوه: فمن خصائص الله، ولا يُطلب فيها غيره.

قال: وأمَّا كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم، كما تفعله جاهليةُ العرب والصوفية الجهال، وينادونهم ويستنجدون بهم: فهذا من المنكرات؛ فمن اعتقد أنَّ لغير الله من نبيٍ أو ولي أو روح، أو غير ذلك في كشف كُربةٍ أو قضاء حاجة تأثيراً: فقد وقع في وادي جهلٍ خطير، فهو على شفا حُفرة من السعير.

وأمَّا كونهم مستدلين على أنَّ ذلك منهم كرامات، فحاشا لله أنْ تكون أولياءُ الله بهذه المثابة؛ فهذ ظنُّ أهل الأوثان، كذا أخبر الرحمن: ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣].

فإنَّ ذكرَ ما ليس من شأنه النفعُ ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الإمداد منه: إشراكٌ مع الله؛ إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره.

قال: وأمَّا ما قالوه: إنَّ منهم أبدالاً ونقباء، وأوتاداً ونجباء، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعة، والقطب، هو الغوث للناس: فهذا من موضوعات إفكهم. كما ذكره القاضي المحدِّث أبو بكر بن العربي في (سراج المُريدين)، وابنُ الجوزي، وابن تيمية. انتهى باختصار.

والمقصود: أنَّ أهل العلم ما زالوا يُنكرون هذه الأمور الشركية، التي عمَّت بها

البلوى، واعتقدها أهلُ الأهواء. فلو تتبعنا كلامَ العُلماء المنكرين لهذه الأمور الشركية، لطال الكتاب.

والبصيرُ النبيل، يُدرك الحق من أول دليل. ومن قال قولاً بلا بُرهان، فقولُه ظاهرُ البُطلان مخالفٌ ما عليه أهل الحق والإيمان، المتمسكون بمُحكم القرآن، المستجيبون لداعي الحق والإيمان. والله المستعان، وعليه التكلان.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقولُ الله تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

ش: قال ابنُ عطية: معناه: قيل لي ﴿ وَلا تَدْعُ ﴾ فهو معطوفٌ على ﴿ أَقِمْ ﴾. وهذا الأمرُ والمخاطبة للنبيﷺ إذا كانت هكذا، فأحرىٰ أنْ يتحرَّز من ذلك غيره. والخطابُ خرج مخرج الخصوص، وهو عامٌّ للأمَّة.

قال أبو جعفر بن جرير في هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ولاتدْعُ، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعُك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرُّك في دين ولا دنيا، يعني بذلك: الآلهة والأصنام، يقول: لا تعبدها راجيًا نفعها أو خائفًا ضرَّها؛ فإنها لا تنفعُ ولا تضر. فإنْ فَعلت ذلك فدعوتها من دون الله ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ يقول: من المشركين بالله.

قلتُ: وهذه الآية لها نظائر، كقوله: ﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] وقوله: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [القصص: ٨٨].

ففي هذه الآيات: بيانُ أنَّ كلَّ مدعوٍّ يكون إلهًا، والإلهية حقٌّ لله لا يصلح منها شيءٌ لغيره؛ ولهذا قال: ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

وهذا هو التوحيدُ الذي بعث الله به رُسلَه، وأنزل به كتبه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] والدِّين: كلُّ ما يُدان الله به، من العبادات الباطنة والظاهرة. وفسَّره ابنُ جرير في (تفسيره): بالدعاء، وهو فردٌ من

أفراد العبادة، على عادة السَّلف في التفسير: يفسرون الآيةَ ببعض أفراد معناها.

فمن صرف منها شيئًا لقبر، أو صنم، أو وثن، أو غير ذلك: فقد اتخذه معبودًا، وجعله شريكًا لله في الإلهية التي لا يستحقُّها إلاَّ هو، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فتبيَّن بهذه الآية ونحوها: أنَّ دعوة غير الله شركٌ، وكفرٌ وضلال.

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

فإنَّه المتفرِّدُ بالْمُلك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كله ما سواه. فيلزمُ من ذلك أنْ يكون هو المدعوُّ وحده، المعبودُ وحده؛ فإنَّ العبادة لا تصلح إلاَّ لمالك النفع. ولا يملك ذلك ولا شيئًا منه غيره؛ فهو المستحقُّ للعبادة وحده، دون من لا ينفعُ ولا يضرُ.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] وقال: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] فهذا ما أخبر به في كتابه، من تفرُّده بالإلهية والربوبية، ونصب الأدلة علىٰ ذلك.

فاعتقد عُبّادُ القبور والمشاهد، نقيضَ ما أخبر به الله، واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره: بسؤالهم، والالتجاء إليهم بالرغبة والرهبة والتضرع، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا يستحقها إلاَّ الله، واتخذوهم شُركاء الله في ربوبيته، وإلهيته.

وهذا فوقَ شرك كُفار العرب القائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾، ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾، فَإنَّ أولئك يدعونهم ليشفعوا لهم، ويقربوهم إلىٰ الله. وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك؛ لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك!.

وأمَّا هؤلاء المشركون: فاعتقدوا في أهل القبور وفي المشاهد ما هو أعظمُ من ذلك، فجعلوا لهم نصيبًا من التصرف والتدبير، وجعلوهم معاذًا لهم وملاذًا في الرغبات والرَّهبات ﴿سبحان الله عما يشركون﴾.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: لمن تاب إليه.

قال المُصنف رحمه الله تعالى: وقولُه: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

ش: يأمرُ عبادَه بابتغاء الرزق عنده وحده، دون ما سواه، ممن لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا. فتقديمُ الظرف يُفيد الاختصاص.

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ من عطف العام على الخاص؛ فإنَّ ابتغاء الرزق عنده، من العبادة التي أمر بها.

قال العمادُ ابن كثير: ﴿فَابْتَغُوا﴾ أي: فاطلبوا ﴿عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ أي: لا عند غيره؛ لأنه المالكُ له، وغيرُه لا يملك شيئًا من ذلك ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي: على ما أنعم عليكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم القيامة، فيُجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

قال المُصنف رحمه الله تعالى: وقولُه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

ش: فنفي سبحانه أنْ يكون أحدٌ أضل ممن يدعو غيره. وأخبر أنه لا يستجيبُ له ما طلب منه إلى يوم القيامة.

والآيةُ تعمُّ كلَّ من يُدعى من دون الله، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ الإسراء: ٥٦].

وفي هذه الآية: أخبر أنه لا يستجيب، وأنه غافلٌ عن داعيه ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ فتناولت الآيةُ كلَّ داعٍ، وكلَّ مدعوٍّ من دون الله.

قال أبو جعفر بن جرير في قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾: يقول تعالى ذكره: وإذا جُمع الناسُ ليوم القيامة في موقف الحساب، كانت هذه الآلهةُ التي يدعونها في الدنيا لهم أعداءً؛ لأنهم يتبرؤون منهم. ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت آلهتُهم التي يعبدونها في الدنيا، لعبادتهم جاحدين؛ لأنهم

يقولون يوم القيامة: ما أمرنا بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا.

كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفرقان: ١٧-١٨].

قال ابن جرير: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ من الملائكة والإنس والجن، وساق بسنده عن مجاهد، قال: عيسى وعزير والملائكة.

ثم قال: يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيهاً لك يا ربنا وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ نواليهم ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١] انتهى.

قلتُ: وأكثرُ ما يُستعمل الدعاء في الكتاب والسنة، ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء: في السؤال والطلب؛ كما قال العُلماء من أهل اللغة، وغيرهم: الصلاة لغة: الدُّعاء، وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣] وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢] وقال ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت: ٥١] وقال: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩] وقال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وفي حديث أنس، مرفوعًا «الدعاءُ مُخُّ العبادة»(١).

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٣٣٧١) وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال مشهور والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن وصح الحديث بلفظ الدعاء هو العبادة وسبق الكلام عليه تحت باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

وفي الحديث الصحيح «ادعوا الله وأنتم مُوقنون بالإجابة»(١).

وفي آخر« من لم يسأل الله يغضب عليه»(٢).

وحديث «ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء»(٣) رواه أحمد، والترمذي، وابن

(١) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٣٤٧٩) والحاكم (١/ ٤٩٣) والطبراني في «الدعاء» (٦٢) والخطيب (٤/ ٣٥٦) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٧٢) وابن عدي (٤/ ٦٢) من طريق صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا.
وصالح المري ضعيف واهٍ وله شاهد من حديث عبدالله بن عمرو عند أحمد (٢/ ١٧٧) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف مختلط. وشاهد آخر عن ابن عمر. رواه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٨) قال الهيثمي فيه بشر بن ميمون الواسطي وهو مجمع على ضعفه. ومعنى الحديث صحيح، إذ لا بد مع الدعاء من حضور القلب والإيمان بالإجابة قال الإمام الرازي - فيما نقله المناوي في «فيض القدير» (١/ ٢٩) أجمعت الأمة على أن الدعاء اللساني الخالي من الطلب النفساني قليل النفع عديم الأثر قاله محقق مسند أحمد (١١/ ٢٣٦) ط. الرسالة.

(٢) حسن لشواهده: رواه الترمذي (٣٣٧٣) وابن ماجه (٣٨٢٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨) وأحمد (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٧) وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠) والحاكم (١/ ٤٩١) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٠٩٩) والطبراني في «الأوسط» (٢٤٥٢) وفي «الدعاء» (٢٣) وابن عدي (٧/ ٢٩٥) من طرق عن أبي المليح عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة وأبو صالح الخوزي مختلف فيه ضعفه ابن معين وقواه أبو زرعة قال فيه لابأس به. وأبو صالح معروف بهذا الحديث كما في ترجمته عند ابن عدي وفي «التهذيب» وغيرهما ولكن للحديث شواهد منها ما رواه الطبراني في «الدعاء» (٢٤) من طريق هشام بن عمار عن حماد بن عبد الرحمن الكلبي عن المبارك بن أبي حمزة عن الحسن عن أنس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه «يا ابن آدم إن سألتني أعطيتك وإن لم تسألني أغضب عليك» وهذا إسناد ضعيف جدًا فيه هشام بن عمار مختلف فيه وفيه حماد والمبارك وهما ضعيفان، ومنها ما رواه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وابن ماجه (٣٨٢٨) وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠) وابن المبارك في «الزهد» (١٢٩٨) وغيرهم من طريق ذر عن يسيع عن النعمان بن بشير مرفوعًا «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وإسناده صحيح فاستكبارهم عن العبادة وهي الدعاء كان سببًا في دخولهم جهنم وهذا يستلزم غضب الله - عزوجل، قاله الألباني والحديث صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٦٥٤) وانظر «الفتح» (١١/ ٩٧).

(٣) في إسناده ضعف: رواه الترمذي (٣٣٧٠) وابن ماجه (٣٨٢٩) وأحمد (٢/ ٣٦٢) وابن حبان (٨٧٠) «إحسان» والحاكم (١/ ٤٩٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢) والبغوي (٥/ ١٨٧، =

ماجه، وابنُ حبان، والحاكم وصححه.

وقـولـه: «الدعاءُ سـلاحُ المؤمن، وعماد الدين ونور السـموات والأرض»(١) رواه الحاكم وصححه.

وقوله: «سلوا الله كلَّ شيء حتى الشِّسْع إذا انقطع»(٢) الحديث. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أفضلُ العبادة الدعاء، وقرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٣) [غافر: ٦٠]. رواه ابنُ المنذر، والحاكم وصححه.

وحديث «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان»(٤) الحديث.

= ١٨٨) والطيـالسي (٢٥٨٥) والطبـراني في «الدعـاء» (٢٨) وفي «الأوسط» (٢٥٤٤) وابن عـدي (٥/ ٨٨) والعقيلي (٣/ ٣٠١) وقال لا يتابع عليه لا يعرف بهذا إلا عن عمران ـ من طريق عمران بن داود القطان عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا ـ وعمران القطان فيه ضعف.

(١) موضوع: رواه الحاكم (١/ ٤٩٢) وأبو يعلى (٤٣٩) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٣) وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب وفي الإسناد محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو متروك وأخرج الجملة الأولى أبو يعلى (١٨١٢) من حديث جابر. وفي الإسناد محمد بن أبي حميد وهو ضعيف.

(٢) ضعيف والصواب فيـه الإرسال: رواه الترمذي (٣٦٢٣) ط. دار الفكر وسقط من ط. إبراهيم عطوة وانظر «التحفـة» ح (٣٦٨٢) وابن حبـان (٨٦٦، ٨٩٤، ٨٩٥) «إحسان» والطبـراني في «الدعاء» (٢٥) وفي «الأوسط» (٥٥٩١) وابن عدي (٦/ ٥٣) من طريق قطن بن نسير وهو ضعيف واهٍ. والبزار (٣١٣٥) من طريق سيار بن حاتم ـ وفيه ضعف كلاهما «قطن وسيار» عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس مرفوعًا وخالفهما القواريري. كما عند ابن عدي كما في «الكامل» (٦/ ٥٣) ونقله الحافظ في «التهذيب» ترجمة قطن بن نسير (٨/ ٣٨٢، ٣٨٣) وصالح بن عبدالله كما عند الترمذي (٣٦٢٤) ط. دار الفكر كلاهما (القواريري وصالح بن عبدالله) عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً. وقال الترمذي وهذا أصح من حديث قطن.

تنبيه وقع في مطبوعة ابن عدي (٦/ ٥٣)ط. دار الفكر ذكر أنس في الإسناد وهو خطأ. وقد جاء عن عائشة موقوفًا كما عند ابن السني (٣٥٧) وأبي يعلى (٤٥٦٠).

(٣) حسن بطريقيه: رواه الحاكم (١/ ٤٩١) من طريقين أحدهما من طريق حبيب بن ثابت عن ابن عباس فذكره وحبيب بن ثابت مدلس وقد عنعن والثاني من طريق أبي يحيى القتات عن ابن عباس و أبو يحيى القتات لين الحديث. وقد حسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٩) وله شاهد آخر عن أبي هريرة عند ابن عدي (٨٨١٥) وفي الإسناد عمران القطان وفيه ضعف.

(٤) صـحـيح بطرقـه: رواه أحمد (٣/ ٢٦٥) والبخاري في «التاريخ» (٦/ ٢٧) والطحاوي في شرح «مشكل الآثار» (١٧٤) والحاكم (١/ ٥٠٤) من طريق إبراهيم بن عبيـد بن رفاعـة عن أنس ورواه =

وحديث «**اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**»(١).

وأمثالُ هذا في الكتاب والسنة أكثرُ من أنْ يُحصىٰ في الدعاء، الذي هو السؤال والطلب.

فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة: فقد صادم النصوص، وخالف اللغة واستعمال الأمة سلفًا وخلفًا.

وأمَّا ما تقدمَّ من كلام شيخ الإسلام، وتبعه العلاَّمة ابن القيم: من أنَّ الدعاء نوعان: دعاءُ مسألة، ودعاء عبادة، وما ذكر بينهما من التلازم، وتضمُّن أحدهما للآخر: فذلك باعتبار كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك، وغيره طالبًا في المعنىٰ، فيدخلُ في مسمَّىٰ الدعاء بهذا الاعتبار. وقد شرع الله تعالىٰ في الصلاة الشرعية من دعاء المسألة ما لا تصح الصلاة إلاَّ به، كما في الفاتحة وبين السجدتين وفي التشهد، وذلك عبادةٌ كالركوع والسجود. فتدبَّر هذا المقام، يتبيَّن لك جهلُ الجاهلين بالتوحيد.

ومما يُبيِّن هذا المقام، ويزيدُه إيضاحًا: قولُ العلاَّمة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الإسراء: ١١٠]: هذا الدعاءُ، المشهورُ أنه دعاء المسألة، قالوا: كان النبيُّ ﷺ يدعو ربه، مرة يقول: يا الله. ومرة: يا رحمن. وفظن المشركون أنه يدعو إلهين، فأنزل

= الترمذي (٣٥٤٤) من طريق سعيد بن زبي عن عاصم وثابت عن أنس به وسعيد ضعيف ورواه أبو داود (١٤٩٥) وأحمد (٣/ ١٥٨، ٢٤٥) والنسائي (٣/ ٥٢) وابن حبان (٨٩٣) «إحسان» من طريق خلف بن خليفة عن حفص بن عمر عن أنس به. وخليفة اختلط بآخره. ورواه ابن ماجه (٣٨٥٨) وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٧٢) وأحمد (٣/ ١٢٠) من طريق أبي خزيمة عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك به. وأبو خزيمة هو نضر بن مرداس وهوصدوق وإن كان يوسف بن ميمون فهو ضعيف.
وللحديث طرق أخرىٰ ضعيفة واهية انظر «مسند» أحمد ح (١٢٢٠٥) ط. الرسالة.

(١) **إسناده صحيح**: وهو جزء من حديث طويل. رواه أبو داود (١٤٩٣) والترمذي (٣٤٧٥) وابن ماجه (٣٨٥٧) وأحمد (٥/ ٣٤٩، ٣٦٠) والحاكم (١/ ٥٠٤) من طريق مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا. والسند فيه نوع اختلاف لا يضر انظر تحقيقه مسند أحمد (٢٢٩٥١) ط الرسالة).

الله هذه الآية. ذُكر هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما[١].

وقيل: إنَّ الدعاء هُنا بمعنىٰ التسمية، والمعنىٰ: أيُّ اسمٍ سمَّيتموه به من أسماء الله تعالىٰ: إمَّا الله، وإمَّا الرحمن، فله الأسماء الحسنىٰ.

وهذا هو من لوازم المعنىٰ في الآية، وليس هو عينُ المراد. بل المراد بالدعاء: معناه المعهود المطَّردُ في القرآن. وهو دعاء السؤال، ودعاء الثناء.

ثم قال: إذا عُرف هذا، فقوله تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] يتناول نوعي الدعاء، لكنه ظاهرٌ في دعاء المسألة، متضمنٌ لدعاء العبادة؛ ولهذا أُمر بإخفائه. قال الحسن: بين دعاء السر ودعاء العلانية سبعون ضعفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، ولم يُسمع لهم صوت، إنْ كان إلاَّ همسًا بينهم وبين ربهم[٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فُسرت الآية. قيل: أُعطيه إذا سألني، وقيل: أُثيبه إذا عبدني.

وليس هذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعًا. وهذا يأتي في مسألة الصلاة، وأنها هل نُقلت عن مسمَّاها في اللغة وصارت حقيقة شرعية، أو استعملت في هذه العبادة مجازًا للعلاقة بينها وبين المُسمَّىٰ اللغوي، أو هي باقيةٌ علىٰ الوضع اللغوي، وضُمَّ إليها أركانٌ وشرائط.

وعلىٰ ما قررناه: لا حاجة إلىٰ شيء من ذلك؛ فإنَّ المصلي من أول صلاته إلىٰ آخرها لا ينفكُّ عن دعاء: إما دعاء عبادة وثناء، أو دعاء طلب ومسألة، وهو في الحالين داع. انتهىٰ من (البدائع).

---

(١) رواه الطبراني (٢٢٨٠١) عن القاسم عن الحسين عن محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس فذكره.

(٢) روىٰ نحوه الطبري (١٤٧٨٥) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن فذكر نحوه والمبارك ضعيف مدلس وقد عنعن

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].

ش: بين تعالى أنَّ المشركين من العرب ونحوهم، قد علموا أنه لا يُجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده. فذكر ذلك سبحانه محتجًا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه؛ ولهذا قال: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يعني يفعل ذلك.

فإذا كانت آلهتُهم لا تُجيبهم في حال الاضطرار، فلا يصلح أنْ يجعلوها شركاء لله الذي يُجيب المضطر إذا دعاه ويشكف السوء وحده. وهذا أصح ما فُسرت به الآية؛ كسابقتها من قوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦٠-٦١] ولا حقها، إلى قوله: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٣-٦٤].

فتأمَّل هذه الآيات، يتبيَّنُ لك: أنَّ الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه، من قَصرْ العبادة جميعها عليه؛ كما في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قال أبو جعفر بن جرير: قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] يقول تعالى ذكره: أم ما تُشركون بالله خير، أم الذي يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه؟

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾ يقول: يستخلف بعد أمواتكم في الأرض منكم خُلفاء، أحياء يخلفونهم.

وقوله: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يقول: أإلهٌ سواه يفعل هذه الأشياء بكم، ويُنعم عليكم هذه النعم؟

وقوله: ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: تذكُّرًا قليلاً من عظمة الله وأياديه عندكم، تذكرون وتعتبرون حُجج الله عليكم يسيرًا؛ فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: رورى الطبرانَّي، بإسناده: أنَّه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله»(١).

ش: الطبراني: هو الإمام الحافظ، سُليمان بن أحمد بن أيوب اللَّخْمي الطبراني، صاحبُ المعاجم الثلاثة وغيرها. روىٰ عن النسائي، وإسحاق بن إبراهيم الدَّبَري، وخلقٌ كثير. مات سنة ستين وثلاثمائة. روىٰ هذا الحديث، عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قوله: (أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يُؤذي المؤمنين)، لم أقف علىٰ اسم هذا المنافق.

قلتُ: هو عبد الله بن أُبيّ؛ كما صرَّح به ابنُ أبي حاتم، في روايته.

قوله: (فقال بعضهم) أي: الصحابة رضي الله عنهم هو أبو بكر رضي الله عنه.

قوله: (قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق) لأنه ﷺ كان يقدرُ علىٰ كف أذاه.

قوله: «**إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله**» فيه: النصُّ علىٰ أنَّه لا يُستغاث بالنبي ﷺ، ولا مَن دونه.

كره ﷺ أنْ يُستعمل هذا اللفظ في حقه، وإنْ كان فيما يقدر عليه في حياته: حمايةً لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، وأدبًا وتواضعًا لربه، وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك، في الأقوال والأفعال.

فإذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته، فكيف يجوز أنْ يستغاث به بعد

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الطبراني في« الكبير» كما في « مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) وفي إسناده ابن لهيعة كما قال الهيثمي وابن لهيعة فيه مقال مشهور ورواه أحمد (٥/ ٣١٧) وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٩٥) من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح أن رجلاً سمع عبادة بن الصامت يقول: خرج علينا رسول ﷺ فقال أبو بكر قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال رسول ﷺ لا يقام لي إنما يقام لله.
إسناده ضعيف ففيه ابن لهيعة والرجل الراوي عن عبادة مبهم.

وفاته، ويُطلب منه أمورٌ لا يقدر عليها إلاَّ الله؟! كما جرىٰ علىٰ ألسنة كثيرٍ من الشعراء كالبُوصيري، والبُرَعي وغيرهم من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً.

ويُعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر علىٰ كل شيء، الذي له الخلق والأمر وحده، وله الملك وحده، لا إله غيره، ولا رب سواه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٧] في مواضع من القرآن ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١].

فأعرض هؤلاء عن القرآن، واعتقدوا نقيضَ ما دلَّت عليه هذه الآيات المحكمات. وتبعهم علىٰ ذلك الضلال الخلقُ الكثير، والجمُّ الغفير. فاعتقدوا الشرك بالله دينًا، والهدىٰ ضلالاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فما أعظمها من مصيبة عمَّت بها البلوىٰ. فعاندوا أهل التوحيد، وبدَّعوا أهل التجريد؛ فالله المستعان.

* * *

(١٤)

بـاب

قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾

[الأعراف: ١٩١-١٩٢].

ش: قوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ﴾ أي: في العبادة.

قال المفسرون في هذه الآية: هذا توبيخٌ وتعنيف للمشركين، في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلُق شيئًا وهو مخلوق. والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبيَّن أنهم لا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم يَنصرُون، فكيف يُشركون به من لا يستطيع نَصْر عابديه ولا نصر نفسه؟

وهذا برهانٌ ظاهرٌ على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا وصف كلِّ مخلوق، حتى الملائكة والأنبياء والصالحين.

وأشرفُ الخلق محمدﷺ وقد كان يستنصرُ ربه على المشركين، ويقول: **«اللهم أنت عَضُدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل»**(١).

وهذه الآية، كقوله تعالى: **﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴾** [الفرقان: ٣] وقوله:

---

(١) إسناده صحيح: رواه الترمذي (٣٥٨٤) وأبو داود(٢٦٣٢) وأحمد (٣/ ١٨٤) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤، ٦) من طريق المثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس.

﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾ [الجن: ٢١-٢٣].

فكفى بهذه الآيات برهانًا على بُطلان دعوة غير الله، كائنًا من كان. فإنْ كان نبيًا أو صالحًا: فقد شرَّفه الله تعالى بإخلاص العبادة له، والرضى به ربًا ومعبودًا. فكيف يجوز أن يجعل العابد معبودًا، مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك؟ كما قال تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]وقال ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

قد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده، ونهاهم أنْ يعبدوا معه غيره. وهذا هو دينُهُ الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لعباده، وهو الإسلام؛ كما روى البخاريُّ، عن أبي هريرة في سؤال جبرائيل عليه السلام، قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام أنْ تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»[(١)].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

ش: يخبرُ تعالى عن حال المدعوِّين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدلُّ على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي: المُلك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته. فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوتهُ، فكيف إذا عُدمت بالكلية؟

فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ قال ابنُ عباس[(٢)]، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والحسن، وقتادة: القطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمر.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٠) ومسلم(٩).
(٢) انظر بعضًا منه في تفسير الطبري(٢٨٩٦٠-٢٨٩٦٦) وأسانيد ابن عباس رضي الله عنه فيها مقال.

كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل: ٧٣] وقال: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

ونفىٰ عنهم سماع الدعاء، بقوله: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾، لأنهم ما بين ميتٍ، وغائب عنهم مشتغلٍ بما خُلق له، مسخَّرٍ بما أُمر به كالملائكة.

ثم قال: ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ لأن ذلك ليس إليهم؛ فإنَّ الله تعالىٰ لم يأذن لأحدٍ من عباده في دُعاء أحدٍ منهم، لا استقلالاً ولا واسطة، كما تقدَّم بعض أدلة ذلك.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فتبيَّن بهذا، أنَّ دعوة غير الله شرك. وقال تعالىٰ: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١-٨٢] وقوله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ قال ابنُ كثير: يتبرؤون منكم، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

قال: وقوله: ﴿ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها، وما تصيرُ إليه مثلُ خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالىٰ؛ فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

قـلـتُ: والمشركون لم يُسلِّموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم، فقالوا: تملك وتسمع، وتستجيب وتشفع لمن دعاها، ولم يلتفتوا إلىٰ ما أخبر به الخبيرُ: من أنَّ كلَّ معبودٍ يعادي عابده يوم القيامة، ويتبرأ منه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٢٨-٣٠].

أخرج ابنُ جرير، عن ابن جُريج، قال: قال مجاهد ﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾

قال: يقول ذلك كلُّ شيء كان يُعبد من دون الله(١).

فالكيِّس يستقبلُ هذه الآيات التي هي الحجةُ والنور والبرهان بالإيمان، والقبول والعمل. فيجرِّد أعماله لله وحده دون كلِّ ما سواه، ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا دفعًا، فضلاً عن غيره.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن أنس، قال: شُجَّ النبيُّ ﷺ يوم أُحد، فقال: «كيف يُفلحُ قومٌ شجّوا نبيَّهم؟» فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾(٢) [آل عمران: ١٢٨].

ش: قوله: في (الصحيح)، أي: (الصحيحين). علَّقه البخاري، عن حُميد، وعن ثابت: عن أنس ووصله أحمد، والترمذي، والنسائي، عن حُميد، عن أنس به. ووصله مسلمٌ، عن ثابت، عن أنس.

وقال ابنُ إسحاق في (المغازي): حدثني حُميد الطويل، عن أنس، قال: كُسِرت رَباعيَةُ النبيﷺ يوم أُحد، وشُج وجهه، فجعل الدمُ يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم، وهو يقول: كيف يُفلح قومٌ خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟! فأنزل الله الآية(٣).

قوله: (شُجَّ النبيﷺ) قال أبو السعادات: الشجُّ في الرأس خاصة في الأصل، وهو أنْ يضربه بشيء فيجرَحه فيه ويشقه، ثم استُعمل في غيره من الأعضاء.

وذكر ابنُ هشام، من حديث أبي سعيد الخدري: أنَّ عُتْبة بن أبي وَقَّاص، هو الذي كسر رَباعية النبيﷺ السفلي، وجرح شفته السفلي، وأنَّ عبد الله بن شهاب

---

(١) رواه الطبري (١٧٦٦٦، ١٧٦٦٧) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقد عنعن بل طعن القطان في سماعه عن مجاهد التفسير وفي الإسناد إليه المثنى. وهو الأملي ولا يعرف توثيقه وله طريق عند الطبري (١٧٦٦٨) من طريق ابن جريج عن مجاهد وابن جريج مدلس وقد عنعن وراجع روايتهما عن مجاهد في «تحقيقي لحادي الأرواح» ص ٢٦٦ وقد أطلت النفس في ذلك.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري معلقا في المغازي(٧/ ٣٦٥) ووصله مسلم (١٧٩١).

(٣) **إسناده صحيح:** وانظر ابن هشام في «السيرة» (٣/ ٢٨).

الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قَمِيئَة جرحه في وَجْنته، فدخلت حلقتان من حِلَق المِغْفَر في وجنته، وأنَّ مالك بن سنانَ مصَّ الدمَ من وجه رسول الله ﷺ، وازدرده. فقال له: «لن تمسك النار»[1].

قال القرطبي: والرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء وهي كلُّ سنٍ بعد ثنية.

قال النووي: وللإنسان أربعُ رَباعيات.

قال الحافظ: والمراد أنها كُسرت، فذهب منها فلقة، ولم تُقلع من أصلها.

قـال النووي: وقوعُ الأسقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ لينالوا جزيل الأجر والثواب، ولتعرف أُممُهم ما أصابهم، ويأتسوا بهم.

قال القاضي: ليُعلم أنهم من البشر، تُصيبهم محنُ الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر، ليُتيقَّن أنهم مخلوقون مربوبون، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات، ويُلبِّس الشيطانُ من أمرهم ما لبَّسه على النصارىٰ وغيرهم. انتهىٰ.

قلتُ: يعني: من الغلو، والعبادة.

قوله: (يوم أُحد) هو شرقي المدينة. قال ﷺ: «أُحد جبل يحبنا ونحبه»[2].

هو جبلٌ معروف، كانت عنده الوقعة المشهورة. فأُضيفت إليه.

قـوله: «كيف يُفلح قـومٌ شجّوا نبيَّهم؟» زاد مـسلم: «وكسـروا رَباعيتَـهُ وأدموا وجهه».

قوله: فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال ابنُ عطية: كأنَّ النبي ﷺ لَحِقَه في

---

(١) إسناده ضـعيف: رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٠٩٤) من طريث ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده أن أباه مالك بن سنان فذكره. وربيح مجهول متكلم فيه ووقع عنده رمح وهو خطأ قال السيوطي في «المناهل ص٤٣» وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقي من وجه آخر عن عمر بن السائب أنه بلغه أن مالكا والد أبي سعيد الخدري... فذكره. وهذا الأخير حكم عليه الحافظ بالإرسال كما في «تلخيص الحبير» (١/ ٣١) وله شواهد أخرىٰ واهية انظر «العلل المتناهية» (٢٨٥، ٢٨٦) وانظر كلام ابن هشام في سيرته (٣/ ٢٨) ونحوه في البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٦٦) والإصابة (٣/ ٣٤٦-٣٤٧) وانظر تحقيقي الشفا للقاضي عياض رقم (٩٦).

(٢) صحيح: البخاري (١٤٨١) ومسلم (١٣٩٢).

تلك الحال يأسٌ من فلاح كفار قريش؛ فقيل له بسبب ذلك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي: عواقبُ الأمور بيد الله، فَامْضِ أنت لشأنك، ودُمْ على الدعاء لربك.

وقال ابنُ إسحاق: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ في عبادي، إلاَّ ما أمرتُك به فيهم[1].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه: عن ابن عمر، أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فُلانًا وفُلانًا»، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[2].

وفي رواية: يدعو على صَفوان بن أمية، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[3].

ش: قوله: (وفيه)، أي: في (صحيح البخاري)، ورواه النسائي.

قوله: (عن ابن عمر)، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابيٌّ جليل: شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح. مات سنة ثلاثٍ وسبعين في آخرها، أو أول التي تليها.

قوله: (أنه سمع رسول الله ﷺ). هذا القنوتُ على هؤلاء، بعد ما شُجَّ وكُسرت رَبَاعيته يوم أُحد.

قوله: **«اللهم العن فلانًا وفلانًا»** قال أبو السعادات: أصلُ اللعن: الطردُ والإبعاد من الله. ومن الخلق: السب والدعاء. وتقدم كلامُ شيخ الإسلام.

قوله: (فلانًا وفلانًا). يعني صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن

---

(١) السيرة لابن هشام (٣/ ٤٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٠٦٩).

(٣) إسناده ضعيف: رواه البخاري مرسلاً (٤٠٧٠) من طريق سالم بن عبد الله بن عمر مرسلاً ووصله الترمذي (٣٠٠٤) والطبري في «التفسير» (٧٨١٨) وأحمد (٢/ ٩٣) من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه مرفوعًا. وفيه عمر بن حمزة وهو ضعيف وقد صح عن النبي ﷺ أنه سمى في دعائه قبائل يلعنهم انظر البخاري (٤٥٦٠) ومسلم (٦٧٥) واللفظ له وذكر الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله.

هشام، كما بيَّنه في الرواية الآتية.

وفيه: جوازُ الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأنَّ ذلك لا يضرُّ الصلاة.

قوله: (بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده)، قال أبو السعادات: أي أجاب حمدَه وتقبَّله. وقال السُّهيلي: مفعولُ سمع محذوف؛ لأن السمع متعلقٌ بالأقوال والأصوات، دون غيرها. فاللام تُؤذِن بمعنى زائد، وهو الاستجابة للسمع. فاجتمع في الكلمة الإيجاز، والدلالة على الزائد، وهو الاستجابة لمن حمده.

وقال ابنُ القيم ما معناه: عُدِّي، سمع الله لمن حمده، باللام المتضمنة معنى: استجاب له. ولا حَذْف هناك، وإنما هو مضمَّن.

قوله: (ربَّنا ولك الحمد)، في بعض روايات البخاري، بإسقاط الواو. قال ابنُ دقيق العيد: كأنَّ إثباتها دالٌّ على معنى زائد؛ لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد، فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر.

قال شيخ الإسلام: والحمد ضدُّ الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له، كما أنَّ الذم يكون على مساوئه مع البغض له.

وكذا قال ابنُ القيم، وفرَّق بينه وبين المدح: بأنَّ الإخبار عن محاسن الغير: إمَّا أنْ يكون إخباراً مجرَّدًا عن حُبٍّ وإرادة، أو يكون مقرونًا بحبه وإرادته.

فإنْ كان الأول، فهو المدح. وإنْ كان الثاني، فهو الحمد. فالحمدُ: إخبارٌ عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه؛ ولهذا كان خبراً يتضمَّن الإنشاء، بخلاف المدح؛ فإنه خبرٌ مجرد.

فالقائل، إذا قال: الحمدُ لله، أو قال: ربنا ولك الحمد. تضمنَّ كلامُه الخبرَ عن كلِّ ما يُحمد عليه تعالى، باسمٍ محيط متضمِّن لكلِّ فردٍ من أفراد الجملة المحقَّقة والمقدَّرة. وذلك يستلزم إثبات كلِّ كمال يُحمد عليه الرب تعالى؛ ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه، ولا تنبغي إلاَّ لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد.

وفيه: التصريحُ بأنَّ الإمام يجمعُ بين التسميع والتحميد، وهوقول الشافعي وأحمد، وخالف في ذلك مالكُ وأبو حنيفة، فقالا: يقتصرُ على سمع الله لمن

حمده.

قوله: (وفي رواية: يدعو على صفوان بن أُميَّة، وسُهيل بن عمرو، والحارث بن هشام). وذلك لأنهم رؤوسُ المشركين يوم أحد: هم، وأبو سفيان بن حرب. فما استُجيب له ﷺ فيهم، بل أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فتاب عليهم، فأسلموا وحسُن إسلامهم.

وفي هذا كله: معنى شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله، الذي له الأمر كلُّه، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضلُّ من يشاء بعدله وحكمته. فهو المستحق أنْ يُعبد وحده.

وفي هذا من الحجج والبراهين: ما يُبيِّن بُطلان ما يعتقده عبَّادُ القبور، في الأولياء والصالحين بل في الطواغيت من أنهم ينفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم.

فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب. وذلك عدلُه سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحولُ والقوة.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وفيه: عن أبي هريرة، قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: «يا معشر قريش ـ أو كلمةً نحوها ـ اشتروا أنفسكم؛ لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عباسُ بن عبد المطلب، لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفيةُ عمةَ رسول الله، لا أُغني عنك من الله شيئًا. يا فاطمةُ بنت محمد، سَليني من مالي ما شئت، لا أُغني عنكَ من الله شيئًا»[١].

ش: قوله: (وفيه)، أي: (صحيح البخاري).

قوله: (عن أبي هريرة). اختُلف في اسمه.

وصحَّح النوويُّ أنَّ اسمه: عبد الرحمن بن صخر؛ كما رواه الحاكم[٢] في (المستدرك)، عن أبي هريرة، قال: كان اسمي في الجاهلية: عبد شمس بن صخر، فسُمِّيتُ في الإسلام عبد الرحمن.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦).

(٢) الحاكم (٣/ ٥٠٦ـ٥٠٧).

وروى الدُّولابي بإسناده، عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ سماه عبد الله(١).

وهو دَوْسيٌّ، من فُضلاء الصحابة وحفَّاظهم. حفظ عن النبي ﷺ أكثر مما حفظه غيرُه، مات سنة سبعٍ أو ثمان، أو تسع وخمسين، وهو ابنُ ثمانٍ وسبعين سنة.

قوله: (قام رسولُ الله ﷺ) في الصحيح من رواية ابن عباس: صعد رسولُ الله ﷺ على الصفا(٢).

قوله: حين أنزل الله عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. عشيرةُ الرجل: هم بنو أبيه الأدنونَ أو قبيلته؛ لأنهم أحق الناس ببرِّك وإحسانك الديني والدنيوي؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقد أمره الله تعالى أيضًا بالنَّذارة العامة، كما قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس: ٦] ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

قوله: «يا معشرَ قريش» المعشر: الجماعة.

قوله: «أو كلمة نحوها» هو بنصب كلمة؛ عطفًا على ما قبله.

قوله: «اشتروا أنفسكم» أي: بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وطاعته فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه؛ فإنَّ ذلك هو الذي يُنجي من عذاب الله. لا الاعتماد على الأنساب والأحساب؛ فإنَّ ذلك غيرُ نافع عند رب الأرباب.

قوله: «لا أُغني عنكم من الله شيئًا» فيه حجةٌ على من تعلَّق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه.

فإنَّ ذلك هو الشركُ الذي حرَّمه الله تعالى، وأقام نبيه ﷺ بالإنذار عنه؛ كما أخبر تعالى عن المشركين، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فأبطل الله ذلك، ونزَّه نفسه عن هذا الشرك. وسيأتي تقريرُ هذا المقام إن شاء الله تعالى.

---

(١) الدولابي في «الكنى والأسماء» (١/ ٧٧) وانظر ترجمته في «الإصابة» (١٢/ ٦٣) وأسد الغابة (٦/ ٣١٨) والسير (٢/ ٥٧٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٨).

وفي (صحيح البخاري): «يا بني عبد مناف، لا أُغني عنكم من الله شيئًا».

قوله: «يا عباسُ بنَ عبد المطلب» بنصب ابن، ويجوز في عباس الرفعُ والنصب، وكذا في قوله: «يا صفيةُ عمةَ رسول الله»، و «يا فاطمة بنتَ محمد».

قوله: «سَليني من مالي ما شئتِ». بيَّن ﷺ أنه لا يُنجي من عذاب الله إلاَّ الإيمان، والعمل الصالح.

وفيه: أنه لا يجوزُ أنْ يُسأل العبدُ إلاَّ ما يقدر عليه، من أمور الدنيا. وأمَّا الرحمة والمغفرة، والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كلِّ ما لا يقدر عليه إلاَّ الله، فلا يجوز أنْ يُطلب إلاَّ منه.

فإنَّ ما عند الله لا يُنال إلاَّ بتجريد التوحيد، والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أنْ يتقربوا إليه به.

فإذا كان لا ينفع ابنته وعمَّه وعمَّته وقرابته إلاَّ ذلك، فغيرُهم أولىٰ وأحرىٰ. وفي قصة عمه أبي طالب مُعتبر.

فانظر إلىٰ الواقع من كثيرٍ من الناس: من الالتجاء إلىٰ الأموات، والتوجُّه إليهم بالرغبات والرهبات. وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولانفعًا، فضلاً عن غيرهم. يتبينُ لك أنهم ليسوا علىٰ شيء ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

أظهر لهم الشيطانُ الشرك في قالب محبة الصالحين، وكلُّ صالحٍ يبرأُ إلىٰ الله من هذا الشرك في الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أنَّ محبة الصالحين: إنما تحصلُ بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين. لا باتخاذهم أنداداً من دون الله، يُحبونهم كحب الله، إشراكًا بالله وعبادة لغير الله، وعداوةً لله ورسله والصالحين من عباده؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[المائدة: ١١٦-١١٧].

قال العلاَّمة ابنُ القيم في هذه الآية ـ بعدكلام سبق ـ: ثم نفى أنْ يكون قال لهم غيرَ ما أُمر به، وهو محض التوحيد؛ فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ثم أخبر عن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم، وأنَّ الله عز وجل المنفردُ بعد الوفاة بالاطلاع عليهم، فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وصفه سبحانه: بأنَّ شهادته فوق كلِّ شهادة، وأعم. انتهى ملخصاً.

قلتُ: ففي هذا بيانُ أنَّ المشركين خالفوا ما أمر الله به رسله: من توحيده الذي هو دينهم، الذي اتفقوا عليه ودعوا الناس إليه، وفارقوهم فيه إلاَّ من آمن.

فكيف يُقال لمن دان بدينهم، وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده: إنه قد تنقَّصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه، واتبع فيه رسله عليهم السلام، ونزَّه به ربَّه عن الشرك الذي هو هضمٌ للربوبية، وتنقصٌ للإلهية، وسوء ظن برب العالمين؟!.

والمشركون هم أعداءُ الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة، وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرؤوا من كلِّ مشرك، ويكفروا به، ويبغضوه ويعادوه في ربهم ومعبودهم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

* * *

(١٥)

بـاب

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

قال المُصنِّفُ رَحِمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

ش: قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال الفزع عنها. قاله ابنُ عباس، وابن عمر، وأبو عبد الرحمن السُّلمي، والشعبي، و الحسن وغيرهم[١].

وقال ابنُ جرير: قال بعضهم: الذي فُزِّعَ عن قلوبهم: الملائكة. قالوا: وإنما فزِّع عن قلوبهم، من غَشْية تصيبهم عند سماعهم كلام الله بالوحي.

وقال ابنُ عطية: في الكلام حذفٌ يدلُّ عليه الظاهر. كأنه قال: ولا هم شفعاءٌ كما تزعمون أنتم، بل هم عَبَدَةٌ مسلمون أبداً، يعني منقادون. حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم، والمراد: الملائكة. على ما اختاره ابن جرير، وغيره.

قال ابنُ كثير: وهو الحق الذي لا مِرْية فيه؛ لصحة الأحاديث فيه والآثار.

وقال أبو حيَّان: تظاهرت الأحاديثُ عن رسول الله ﷺ، أنَّ قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة، إذا سمعت الوحيَ إلى جبريل يأمره الله به، سمعت كجرِّ سلسلة الحديد على الصَّفوان، فتفزعُ عند ذلك تعظيماً وهيبة.

قال: وبهذا المعنى منْ ذكر الملائكة في صدر الآية تتَّسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أنَّ الملائكة مشارٌ إليهم من أوَّل قوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها.

---

(١) انظر بعضها عند الطبري (٢٨٨٣٨، ٢٨٨٥٤).

قــوله: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ولم يقـولوا: ماذا خلق ربنا؟ ولو كان كـلامُ الله مخلوقًا، لقالوا: ماذا خلق؟! انتهى. من (شرح سُنن ابن ماجه).

ومـثلُه الحـديث «ماذا قـال ربنا يا جبـريل؟» وأمثالُ هذا في الكتاب والسنة كثير.

وقـوله: ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ أي: قالوا: قال الله الحق. وذلك لأنهم إذا سمعـوا كلامَ الله صُعقوا، ثم إذا أفاقوا أخذوا يسألون، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق.

قــوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. علوُّ القدر وعلوُّ القـهر وعلو الذات، فله العلوُّ الكامل من جميع الوجوه؛ كما قال عبدُ الله بن المبارك ـ لما قيل له: بماذا نعرفُ ربَّنا؟ قـال: بأنه علىٰ عـرشـه، بائنٌ من خلقـه. تمسكًا منه بالقـرآن، لقـول الله تعـالىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ...﴾ [الفرقان: ٥٩] في سبعة مواضع في القرآن.

قوله: ﴿الْكَبِيرُ﴾ ذي لا أكبر منه ولا أعظم، تبارك وتعالىٰ.

قـال المُصنِّفُ رحمـه الله تعالى: في الـصحـيح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت المـلائكةُ بأجنحتها خضعانًا لقوله، كـأنه سلسلةٌ على صفـوان، يَنْفُذُهم ذلك، حتى إذا فُـزِّعَ عن قلوبهم. قالوا: مـاذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير، فيسـمعها مُسترقُ السـمع ـ ومسـترقُ السمـع هكذا بعضُـه فوق بعض، وصَـفَه سـفيانُ بكـفه فحرَّفهـا وبدَّد بين أصابعه ـ فيسمعُ الكلمـةَ فيلقيها إلى من تحتـه، ثم يُلقيها الآخرُ إلى من تحتـه، حتى يُلقيهـا على لسان الساحر أو الكـاهن. فربما أدركه الشِّهابُ قبل أنْ يلقيها، وربما ألقاها قـبل أنْ يُدركه، فيكذبُ معها مائة كِذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»[(١)].

ش: قوله: (في الصحيح) ـ أي: (صحيح البخاري).

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٧٠١).

قوله: «**إذا قضى الله الأمر في السماء**» أي: إذا تكلَّم الله بالأمر الذي يوحيه إلىٰ جبرائيل، بما أراده؛ كما صرَّح به في الحديث الآتي.

وكما روىٰ سعيدُ بن منصور، وأبو داود، وابنُ جرير، عن ابن مسعود «**إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أهلُ السموات صلصلة كجرِّ السلسلة على الصفوان**»[1].

وروىٰ ابنُ أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس، قال: لما أوحىٰ الجبارُ إلىٰ محمد ﷺ دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي. فسمعت الملائكةُ صوت الجبار يتكلم بالوحي، فلما كشف عن قلوبهم، سألوا عما قال الله؟ فقالوا: الحق، وعلموا أنَّ الله لا يقول إلاَّ حقًّا[2].

قوله: «**ضربت الملائكةُ بأجنحتها خضعانًا لقوله**» أي: لقول الله تعالىٰ.

قال الحافظ: خضعانًا. بفتحتين، من الخضوع. وفي رواية: بضمٍّ أوله وسكون ثانيه، وهو مصدرٌ بمعنىٰ خاضعين.

قوله: «**كأنه سلسلةٌ على صفوان**» أي: كأن الصوت المسموع سلسلةٌ علىٰ صفوان، وهو الحجرُ الأملس.

قوله: «**ينفُذُهم ذلك**» هو: بفتح التحتية، وسكون النون، وضم الفاء والذال المعجمة. ذلك. أي: القول. والضمير في: ينفُذُهم. للملائكة، أي: ينفذُ ذلك القولُ الملائكة: أي: يخلص ذلك القول، ويمضي فيهم حتىٰ يفزعوا منه.

وعند ابن مردويه، من حديث ابن عباس «**فلا ينزل على أهل سماء إلاَّ**

---

(١) **صحيح موقوفًا**: وقد اختلف في رفعه ووقفه فقد رواه أصحاب الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله موقوفًا منهم شعبة ووكيع والثوري وجرير بن عبد الحميد وعبد الله بن نمير وعبد الله المحاربي وغيرهم كما عند ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٠٣، ٢٠٤)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (٣٠٨) واللالكائي (٥٤٩) ومحمد بن نصر المروزي (١/ ٢٣٧) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٣٦، ٥٣٧) ورواه أبو معاوية عن الأعمش واختلف عليه فرواه بعضهم عنه موقوفًا ورواه آخرون عنه مرفوعًا كما عند أبي داود (٤٧٣٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٣٢، ٤٣٤) وثم طرق أخرىٰ ضعيفة انظرها في البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٠٦-٥٠٨) تحقيق الحاشدي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٧).

صُعقوا»(١).

وعند أبي داود، وغيره مرفوعًا: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهلُ السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل»(٢) الحديث.

قوله: «حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم» تقدم معناه.

قوله: «قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق»أي: قالوا: قال الله الحق، علموا أنَّه لا يقول إلاَّ الحق.

قوله: «فيسمعها مسترقُ السمع» أي: يسمع الكلمة التي قضاها الله، وهم الشياطين يركب بعضهم بعضاً.

وفي (صحيح البخاري)، عن عائشة مرفوعًا «إنَّ الملائكة تنزلُ في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قُضي في السماء، فتسترقُ الشياطين السمع، فتوحيه إلى الكُهَّان»(٣).

قوله: (ومسترق السمع، هكذا وصفه سفيانُ بكفه). أي: وصف ركوب بعضهم فوق بعض.

وسفيان: هو ابنُ عيينة، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، ثقةٌ حافظ، فقيه إمامٌ حجة. مات سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، وله إحدىٰ وتسعون سنة.

قوله: (فحرَّفها). بحاءٍ مهملة، وراء مشدَّدة، وفاء.

قوله: (وبدَّد). أي: فرَّق بين أصابعه.

قوله: «فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته» أي: يسمع الفوقانِّي الكلمة، فُيلقيها إلىٰ آخر تحته، ثم يلقيها إلىٰ من تحته، حتىٰ يُلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن.

قوله: «فربما أدركه الشهابُ قبل أن يلقيها» الشهاب: هو النجم الذي يُرمىٰ. أي: ربما أدرك الشهابُ المسترِقَ.

(١) ابن مردويه كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٣٨).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٢١٠).

وهذا يدلُّ على أنَّ الرمي بالشُّهب كان قبل المبعث؛ لما روى أحمدُ، والسياق له في (المسند)، من طريق معْمر: أنبأنا الزهري، عن علي بن حسين، عن ابن عباس، قال: كان رسولُ الله ﷺ جالسًا في نفر من أصحابه قال عبدُ الرزاق: من الأنصار قال: فرُمي بنجمٍ عظيم، فاستنار، قال: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟» قال: كنا نقول: لعلَّه يولد عظيم أو يموت عظيم - قلتُ للزهري: أكان يُرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكن غلظت حين بُعث النبي ﷺ قال: «فإنه لا يُرمى بها الموت أحد، ولا لحياته. ولكن ربنا تبارك اسمه: إذا قضى أمرًا سبح حملةُ العرش، ثم سبح أهلُ السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا. ثم يستخبر أهلُ السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهلُ كل سماء سماءً، حتى ينتهي الخبرُ إلى هذه السماء، ويخطفُ الجنُ السمعَ فيُرمون. فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يَقْرفون فيه ويزيدون». قال عبدُ الله: قال أبي، قال عبد الرزاق «ويخطف الجنّ ويُرمون» وفي رواية له «لكنهم يزيدون فيه، ويقرفون وينقصون»(١).

قوله: «فيكذب معها مائة كذبة» أي: الكاهن، أو الساحر.

وكذْبة: بفتح الكاف، وسكون الذال المعجمة.

قوله: «فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا» هكذا في نسخةٍ بخط المصنف رحمه الله، كالذي في (صحيح البخاري) سواء.

قال المُصنِّف: وفيه: قبولُ النفوس للباطل. يتعلَّقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة.

وفيه: أنَّ الشيء إذا كان فيه شيءٌ من الحق، فلا يدلُّ على أنه حقٌ كلُّه. فكثيرًا ما يلبس أهلُ الضلال الحقَّ بالباطل، ليكون أقبل لباطلهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

وفي هذه الأحاديث وما بعدها، وما في معناها: إثباتُ علو الله تعالى على خلقه

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢١٨) والحديث رواه مسلم (٢٢٢٩) والترمذي(٣٢٢٢).

على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة. وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفًا وخلفًا، خلافًا للأشاعرة والجهمية، ونُفاة المعتزلة. فإياك أنْ تلتفت إلى ما زخرفه أهلُ التعطيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال المُصنِّفُ رحمه اللهِ تعالى: وعنِ النوّاس بن سمعان، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله تعالى أنْ يُوحي بالأمر تكلَّم بالوحي، أخذت السموات منه رَجفةٌ ـ أو قال رَعدةٌ ـ شديدةٌ، خوفًا من الله عز وجل. فإذا سمع ذلكَ أهلُ السموات صُعِقوا وخرّوا لله سجّداً. فيكون أوّلَ من يرفع رأسه جبريلُ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة، كلَّما مرَّ بسماء سأله ملائكتهُا: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق، وهو العليُّ الكبيّر. فيقولون كلُّهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»[1].

ش: هذا الحديث: رواه ابنُ أبي حاتم، بسنده، كما ذكره العمادُ بن كثير في

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٥)، وابن الأعرابي في «المعجم» (٨٨٤) والآجري في «الشريعة» (٦٦٨) وابن خزيمة في «التوحيد ص١٤٤» وابن جرير في «تفسيره» (٢٨٨٤٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٥) ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٣٦) وأبو الشيخ في «العظمة» «تفسيره» (٣/ ٤٥٨) كما في «تفسير ابن كثير» من طريق نعيم بن حماد حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابرعن عبد الله بن زكريا عن جابر عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان الكلابي به. وفي الإسناد نعيم بن حماد وفيه ضعف والوليد بن مسلم يدلس تدليس تسوية وقد عنعن الإسناد ونقل ابن كثير بعد ذكره للحديث من طريق ابن أبي حاتم أن ابن أبي حاتم قال سمعت أبي يقول ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله ونقل الحاشدي في «تحقيقه للأسماء والصفات» هذه العبارة «ليس الحديث بالتام» عن الوليد بن مسلم وكأنه الصواب. وقد قال أبوزرعة الدمشقي: وعرضت على عبد الرحمن ابن إبراهيم ـ يعني دحيمًا هذا الحديث الذي حدثنا نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم ثم ذكر هذا الحديث فقال: لا أصل له كما في «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (ص ٣١٨) (ط. دار الكتب العلمية)
ونقله الذهبي في «الميزان» ترجمة نعيم بن حماد. ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (١٦٢) من طريق عمرو بن مالك الراسبي حدثنا الوليد بن مسلم به وعمرو بن مالك الراسبي ضعيف اتهم بسرقة الحديث فلعل هذا الحديث من سرقته ووهم فيه نعيم بن حماد.

(تفسيره).

النَّواس بن سِمْعان - بكسر السين - بن خالد الكلابي، ويقال: الأنصاري، صحابي. ويقال: إنَّ أباه صحابيٌّ أيضًا.

قوله: «إذا أراد الله أنْ يُوحي بالأمر» إلىٰ آخره، فيه: النصُّ علىٰ أنَّ الله تعالىٰ يتكلَّم بالوحي. وهذا من حجة أهل السنة علىٰ النفاة - لقولهم: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء.

قوله: «أخذت السموات منه رجفةٌ» السموات مفعول مقدَّم، والفاعل رجفة، أي: أصاب السموات من كلامه تعالىٰ رجفة، أي: ارتجفت.

وهو صريحٌ في أنها تسمع كلامه تعالىٰ؛ كما روىٰ ابنُ أبي حاتم، عن عكرمة، قال: إذا قضىٰ الله أمرًا تكلَّم تبارك وتعالىٰ، رجفت السموات والأرض والجبال، وخرَّت الملائكة كلُّهم سجدًا[1].

قوله: أو قال: «رَعدةٌ شديدة». شكٌّ من الراوي. هل قال النبي ﷺ رجفة، أو قال: رعدة. والراء مفتوحة فيهما.

قوله: «خوفًا من الله عز وجل» وهذا ظاهرٌ في أنَّ السموات تخاف الله، بما يجعل الله تعالىٰ فيها من الإحساس، ومعرفة من خلقها.

وقد أخبر تعالىٰ: أنَّ هذه المخلوقات العظيمة تُسبحهُ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال تعالىٰ: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٩٠] وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقد قرَّر العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: أن هذه المخلوقات، تسبح الله وتخشاه حقيقة، واحتج بهذه الآيات ونحوها.

---

(١) لايصح مرفوعًا: فعكرمة تابعي، وقد عزاه صاحب «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٠) إلىٰ ابن أبي حاتم كما ذكره محقق فتح المجيد د/ الوليد آل فريان.

وفي البخاري: عن ابن مسعود، قال: كنا نسمعُ تسبيحَ الطعام، وهو يُؤكل[١].

وفي حديث أبي ذر: أنَّ النبي ﷺ أخذ في يده حصيات، فسُمع لهن تسبيحًا. الحديث[٢].

وفي الصحيح: قصةُ حنين الجِذْع، الذي كان يخطبُ عليه النبيُّ ﷺ قبل اتخاذ المنبر[٣]. ومثلُ هذا كثير.

وقوله: «**صُعقوا وخرُّوا لله سجداً**» الصَّعق: هو الغشي، ومعه السجود.

وقوله: «**فيكون أوَّلَ من يرفع رأسه جبريل**» بفتح أول؛ خبر يكون تقدم على اسمها. ويجوز العكس.

ومعنى جبريل: عبد الله؛ كما روىٰ ابنُ جرير، وغيره، عن علي بن حسين، قال: كان اسم جبريل: عبدَ الله، واسم ميكائيل: عُبيد الله، وإسرافيل: عبد الرحمن. وكلُّ شيءٍ رجع إلىٰ إيل، فهو مُعبَّدٌ لله عز وجل[٤].

وفيه: فضيلةُ جبريل عليه السلام، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٠].

قال ابنُ كثير رحمه الله: إنه لتبليغُ رسولٍ كريم.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري(٣٥٧٩).

(٢) **ضعيف:** رواه البزار (٢٤١٣ كشف) وأبونعيم في «الدلائل» (٣٣٩) والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٦٤ ـ٦٥) من طريق قريش بن أنس عن صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن سويد بن يزيد عن أبي ذر مرفوعًا. وصالح ضعيف قال الحافظ (٦/ ٥٩٢) وأما تسبيح الحصىٰ فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها.

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٣٥٨٣).

(٤) **حسن بشواهده:** رواه الطبري (١٦٢٩، ١٦٣٠) وأبو الشيخ (٣٨٢) من طريق محمد بن إسحاق عن محمد ابن عمرو بن عطاء عن علي بن حسين فذكره وتابع ابن إسحاق سفيان كما عند الطبري (١٦٢٨، ١٦٢٩) وله شاهد عن ابن عباس عند الطبري (١٦٢٤) ونحوه (١٦٢٣) وشاهد آخر عن عكرمة عند البخاري معلقًا (٨/ ١٦٥) ووصله الطبري (١٦٢٦، ١٦٣١) ونحوه عن عبد الله بن الحارث قال: إيل: الله بالعبرانية كما عند الطبري(١٦٢٦).

قال أبو صالح في الآية قال: جبريلُ يدخلُ في سبعين حجابًا من نور، بغير إذن(١).

ولأحمد بإسنادٍ صحيح عن ابن مسعود، قال: رأىٰ رسولُ الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كلُّ جناح قد سدَّ الأفق. يسقطُ من جناحه من التهاويل والدر والياقوت، ما الله به عليم(٢).

فإذا كان هذا عِظم هذه المخلوقات، فخالقها أعظمُ وأجلُّ وأكبر. فكيف يسوّىٰ به غيره في العبادة: دعاءً وخوفًا ورجاءً وتوكلاً، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره؟ فانظر إلىٰ حال الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالىٰ، وقد قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

قوله: **«فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيثُ أمره الله عز وجل» «من السماء والأرض»** وهذا تمامُ الحديث. والآياتُ المذكورة في هذا الباب، والأحاديث: تُقرِّرُ التوحيدَ، الذي هو مدلولُ شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله.

فإنَّ الملك العظيم، الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفًا منه ومهابة، وترجُف منه المخلوقات. الكامل في ذاته وصفاته، وعلمه وقدرته، وملكه وعِزِّه وغناه عن جميع خلقه، وافتقارهم جميعهم إليه، ونفوذ قَدَره وتصرفه فيهم لعلمه وحكمته: لا يجوز شرعًا ولا عقلاً، أنْ يُجعل له شريكٌ من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم.

فكيف يُجعل المربوب ربًا، والعبد معبودًا؟ أين ذهبت عقولُ المشركين؟! سبحان الله عمَّا يشركون.

(١) **إسناده ضعيف** رواه الطبري (٣٠/ ٨٠) من طريق عمر بن شيب المسلي عن إسماعيل بن أبي خالدعن أبي صالح فذكره عمر بن شبيب ضعيف.

(٢) **إسناده حسن** رواه أحمد (١/ ٣٩٥، ٤١٢) والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٤٢) وأبو يعلىٰ (٣٩٩٣). والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٧٢) وأبوالشيخ (٥٠٢) وأول الحديث في البخاري (٤٨٥٦) ومسلم (١٧٤).

وقال تعالىٰ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

فإذا كان الجميع عبيداً: فَلِمَ يَعبدُ بعضهم بعضًا بلا دليل ولا برهان، بل بمجرَّد الرأي والاختراع والابتداع؟! ثم قد أرسل رسله من أولهم إلىٰ آخرهم، تزجرهم عن ذلك الشرك، وتنهاهم عن عبادة ما سوىٰ الله. (انتهىٰ من شرح سُنن ابن ماجه).

❊ ❊ ❊

(١٦)

بـاب
الشـفاعة

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ الشفاعة.

ش: أي بيانُ ما أثبته القرآن منها وما نفاه، وحقيقةُ ما دلَّ القرآنُ على إثباته.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

ش: الإنذار: هو الإعلامُ بأسباب المخافة، والتحذيرُ منها.

قوله: به. قال ابنُ عباس: القرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهم المؤمنون.

وعن الفُضَيل بن عياض: ليس كلَّ خلْقه عاتب، إنما عاتب الذين يعقلون، فقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: وهم المؤمنون، أصحاب القلوب الواعية.

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ قال الزَّجّاج: موضع ليس: نُصب على الحال، كأنه قال: متخلِّين، من وليّ وشفيع. والعاملُ فيه: يخافون.

وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي: فيعملون في هذه الدار عملاً، ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ .

ش: وقبلها ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣] وهذه الآية، كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] فبيَّن تعالى في هذه الآيات، وأمثالها: أنَّ وقوع الشفاعة على هذا الوجه، منتفٍ وممتنع.

وأنَّ اتخاذهم شفعاء شركٌ، يتنزّه الرب تعالى عنه. وقد قال تعالى: ﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨] فبيَّن تعالى: أنَّ دعواهم أنهم يشفعون لهم بتألُّههم، أنَّ ذلك منهم إفكٌ وافتراء.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مالكها، وليس لمن تُطلب منه شيءٌ منها، وإنما تُطلب ممن يملكُها دون كلِّ ما سواه؛ لأن ذلك عبادةٌ، وتألُّه لا يصلُح إلاَّ لله.

قال البيضاوي: لعله ردٌّ لما عسى أنْ يُجيبوا به، وهو أنَّ الشفعاء أشخاصٌ مقربون.

وقوله: ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ تقريرٌ لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه؛ لأنه مالكُ الملك، فاندرج في ذلك ملكُ الشفاعة. فإذا كان هو مالكها، بطل أنْ تُطلب ممن لا يملكها ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ابنُ جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبدُ أوثاننا هذه، إلاَّ ليقربونا إلى الله زُلفى. قال الله تعالى: ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ش: قد تبيَّن مما تقدم من الآيات: أنَّ الشفاعة التي نفاها القرآن، هي التي تُطلب من غير الله.

وفي هذه الآية: بيانُ أنَّ الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٩].

فبيَّن أنها لا تقع لأحدٍ، إلاَّ بشرطين: إذنُ الرب تعالى للشافع أنْ يشفع، ورضاهُ

عن المأذون بالشفاعة فيه. وهو تعالىٰ لا يرضىٰ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، إلاَّ ما أُريد به وجهه، ولقي العبدُ به مخلصًا غير شاكّ في ذلك؛ كما دلَّ علىٰ ذلك الحديثُ الصحيح[1]. وسيأتي ذلك مقرراً، في كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ: وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

ش: قال ابنُ كثير: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ كقوله: **﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾**، **﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾** إذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها. بل قد نهىٰ عنها علىٰ ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ: وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

ش: قال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ، في الكلام علىٰ هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلّق بها المشركون جميعها. فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلاَّ ممن فيه خصلةٌ من هذه الأربع: إمَّا مالكٌ لما يريدُه عابدُه منه، فإنْ لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإنْ لم يكن شريكًا له كان مُعينًا له وظهيراً، فإنْ لم يكن مُعينًا ولا ظهيراً كان شفيعًا عنده.

فنفىٰ سبحانه المراتب الأربع نفيًا مُرتبًا، منتقلاً من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ. فنفىٰ الملك

---

(١) ومن ذلك حديث أبي أمامة مرفوعًا وفيه« إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه» رواه النسائي (٦/ ٢٥) بإسناد حسن وثبت هذا المعنىٰ في أحاديث كثيرة انظر مسلم(١٩٠٥) حديث أبي هريرة أول من يسعر بهم النار يوم القيامة . وعن أبي موسىٰ الأشعري (١٩٠٤) عند مسلم من قاتل لتكون كلمة الله أعلىٰ فهو في سبيل الله.

والشركة، والمظاهرة والشفاعة التي يطلُبها المشرك. وأثبت شفاعةً لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعةُ بإذنه.

فكفىٰ بهذه الآية: نوراً وبرهانًا، وتجريداً للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك وموادّه لمن عقلها.

والقرآنُ مملوءٌ من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له. ويظنه في نوعٍ وقومٍ قد خلوا من قبلُ، ولم يُعقبوا وارثًا. وهذا هو الذي يحولُ بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله، ، إنْ كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلُهم أو شرٌّ منهم، أو دونهم. وتناولُ القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ثم قال: ومن نوعه أي: الشرك طلبُ الحوائج من الموتىٰ، والاستغاثةُ بهم.

وهذا أصلُ شرك العالم؛ فإنَّ الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً، فضلاً لمن استغاث به وسأله أن يشفع له إلىٰ الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده. فإنه لا يقدر أنْ يشفع له عند الله إلاَّ بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه وإنما السبب كمالُ التوحيد. فجاء هذا المشركُ بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها. وهذه حالةُ كلِّ مشرك.

فجمعوا: بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلىٰ التنقص بالأموات. وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياء الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه. وهؤلاء هم أعداءُ الرسل في كلِّ زمانٍ ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم.

وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلاَّ من جَرَّد توحيده لله، وعادىٰ المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلىٰ الله، واتخذ الله وحده وليه وإلٰهه ومعبوده.

فجرَّد حُبَّه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكُّله علىٰ الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلىٰ الله، واستغاثته بالله، وقصده لله. متبعًا لأمره، مُتطلّبًا لمرضاته.

إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله. فهو لله،

وبالله، ومع الله. انتهىٰ كلامه رحمه الله.

وهذا الذي ذكره هذا الإمام: هو حقيقةُ دين الإسلام، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥].

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال أبو العباس: نفى الله عمَّا سواه، كلَّ ما يتعلق به المشركون. فنفى أنْ يكون لغيره ملكٌ أو قسطٌ منه، أو يكون عونًا لله. ولم يبقَ إلاَّ الشفاعة، فبيَّن أنها لا تنفعُ إلاَّ لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعةُ التي يظنها المشركون: هي مُنتفيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبيُّ ﷺ: أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمدُه. لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: **«ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط واشفع تُشفَّع»**(١).

وقال له أبو هريرة: من أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: **لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»(٢) فتلك الشفاعةُ لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقتُه: أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي يتفضَّل علىٰ أهل الإخلاص، فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أذن له أنْ يشفع، ليُكرمَه وينال المقام المحمود. فالشفاعةُ التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعةَ بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنها لا تكون إلاَّ لأهل التوحيد والإخلاص.

ش: قوله: (قال أبو العباس): هو كُنيةُ شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، إمام المسلمين رحمه الله.

قوله: (وقال له أبو هريرة) إلىٰ آخره. هذا الحديث رواه البخاري، والنسائي، عن أبي هريرة.

---

(١) صحيح: وهو جزء من حديث الشفاعة الطويل رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤).

(٢) صحيح: وهو الآتي تخريجه.

ورواه أحمدُ، وصححه ابنُ حبان، وفيه: «**وشفاعتي لمن قال: لا إله إلاَّ الله مخلصًا، يُصدِّقُ قلبُه لسانَه، ولسانه قلبه**»(١).

وشاهدُه في (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «**لكل نبي دعوةٌ مُستجابة، فتعجَّل كلُّ نبي دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إنْ شاء الله من مات لا يُشرك بالله شيئًا**»(٢).

وقد ساق المُصنِّفُ رحمه الله كلام شيخ الإسلام هنا، فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا الباب من الآيات. وهو كافٍ وافٍ، بتحقيق مع الإيجاز. والله أعلم.

وقد عَرَّف الإخلاص بتعريفٍ حسن، فقال: الإخلاصُ: محبَّةُ الله وحده، وإرادةُ وجهه.

وقال ابنُ القيم رحمه الله في معنى حديث أبي هريرة: تأمل هذا الحديث كيف جعل الأسباب التي تُنال بها شفاعته: تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أنَّ الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم. فقلَب النبيُّ ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أنَّ سبب الشفاعة تجريدُ التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومن جهْل المشرك اعتقادُه أنَّ من اتخذه وليًا أو شفيعًا، أنه يشفعُ له وينفعه عند الله، كما يكون خواصُّ الملوك والولاة تنفع مَن والاهم.

ولم يعلموا أنه لا يشفعُ عنده أحدٌ إلاَّ بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلاَّ لمن رضي قوله وعمله؛ كما قال في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ وفي الفصل الثاني: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ وبقي فصلٌ ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلاَّ توحيده واتباع رسوله ﷺ. فهذه ثلاثةُ فصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها. انتهى.

وذكر أيضًا رحمه الله: أنَّ الشفاعة ستةُ أنواع:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩٩) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٩/ ٤٨٣) وأحمد (٣/ ٣٠٧، ٥١٨) وابن حبان (٢٥٩٤ ـ موارد).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٩).

الأول: الشفاعةُ الكبرىٰ، التي يتأخَّرُ عنها أُولو العزم عليهم الصلاة والسلام، حتىٰ تنتهي إليه ﷺ، فيقول: أنا لها[١]. وذلك حين يرغبُ الخلائقُ إلىٰ الأنبياء، ليشفعوا لهم إلىٰ ربهم حتىٰ يُريحهم من مقامهم في الموقف. وهذه شفاعةٌ يختصُّ بها لا يشركه فيها أحد.

الثاني: شفاعتُه لأهل الجنة، في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة، في حديثه الطويل المتفق عليه[٢].

الثالث: شفاعتُه لقومٍ من العُصاة من أمته، قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفعُ لهم أن لا يدخلوها.

الرابع: شفاعتُه في العُصاة من أهل التوحيد، الذين يدخلون النار بذنوبهم.

والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ، وقد أجمع عليها الصحابةُ وأهلُ السنة قاطبة، وبدَّعوا من أنكرها، وصاحوا به من كلِّ جانب، ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعتُه لقومٍ من أهل الجنة، في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم. وهذه مما لم يُنازع فيها أحد.

وكلها مختصةٌ بأهل الإخلاص، الذين لم يتخذوا من دون الله وليًا ولا شفيعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ** ﴾ [الأنعام: ٥١].

السادس: شفاعتُه في بعض الكُفَّار من أهل النار، حتىٰ يُخفَّف عذابه. وهذه خاصةٌ بأبي طالب وحده[٣].

* * *

(١) **صحيح:** وهو جزء من حديث الطويل في «الشفاعة العظمىٰ» رواه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣).

(٢) **صحيح:** وتقدم تخريجه قريبًا.

(٣) **صحيح:** ذلك عند مسلم (٢٠٩) من حديث العباس بن عبد المطلب،

(١٧)

بـاب

قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

قال المُصنِّفُ رحـمه الله تعالى: باب قـول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

ش: سبب نزول هذه الآية: موتُ أبي طالب على ملَّة عبد المطلب، كـما يأتي بيانُ ذلك في حديث الباب.

قال ابنُ كثير: يقول تعالى لرسوله: إنك يا محمد ﴿لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمةُ البالغة، والحجة الدامغة؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

قلتُ: والمنفيُّ هنا هدايةُ التوفيق والقبول؛ فإنَّ أمر ذلك إلى الله، وهو القادرُ عليه. وأمَّا الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] فإنها هدايةُ الدلالة والبيان. فهو المبيِّنُ عن الله، والدالُّ على دينه وشرعه.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن ابن المسيَّب عن أبيه، قال: لما حضرَتْ أبا طالب الوفاة، جاءه رسولُ الله ﷺ وعنده عبدُ الله بن أبي أُميَّة، وأبو جهل، فقال له: «يا عمِّ، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله». فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبيُّ ﷺ، فأعاد. فكان آخِرُ ما قال: هو على مِلَّة عبد المطلب. وأبى أنْ يقول: لا إله إلا الله.

فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(١).

ش: قوله: في (الصحيح)، أي في (الصحيحين).

وابن المسيب، هو سعيدُ بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزومٍ القُرشي المخزومي، أحدُ العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين. اتفق أهلُ الحديث على أنَّ مراسيله أصحُّ المراسيل. وقال ابنُ المديني: لا أعلمُ في التابعين أوسع علمًا منه. مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين.

وأبوه المسيب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه، وكذا جدُّه حزْن، صحابيٌّ استُشْهِدَ باليمامة.

قوله: (لمَّا حضرت أبا طالب الوفاة). أي: علاماتُها ومقدماتها.

قوله: (جاءهُ رسول الله ﷺ). يُحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين؛ فإنهما من بني مخزوم، وهو أيضًا مخزومي. وكان الثلاثةُ إذ ذاك كفاراً؛ فقُتل أبو جهل على كفره، وأسلم الآخران.

قوله: «يا عمِّ» منادى مُضاف، يجوز فيه إثباتُ الياء وحذفها. حُذفت الياءُ هُنا، وبقيت الكسرة دليلاً عليها.

قوله: «قل: لا إله إلا الله» أمره أنْ يقولها، لِعلم أبي طالب بما دلَّت عليه: من نفي الشرك بالله، وإخلاص العبادة له وحده.

فإنَّ من قالها بعلمٍ ويقين، فقد برئ من الشرك والمشركين ودخل في الإسلام؛ لأنهم يعلمون ما دلَّت عليه. وفي ذلك الوقت، لم يكن بمكة إلاَّ مسلمٌ أو كافر. فلا يقولها إلاَّ من ترك الشرك، وبرئ منه.

ولما هاجر النبيُّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة: كان فيها المسلمون الموحّدون،

---

(١) صحيح: رواه البخاري(١٣٦٠) ومسلم(٢٤).

والمنافقون الذين يقولون بألسنتهم وهم يعرفون معناها لكن لا يعتقدونه، لما في قلوبهم من العداوة والشك والريب، فهم مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن.

وفيها اليهود، وقد أقرَّهم رسولُ الله ﷺ لمَّا هاجر، ووادعهم بأن لا يخونوه ولا يُظاهروا عليه عدواً، كما هو مذكورٌ في كُتب الحديث والسِّير.

قوله: «**كلمةً**» قال القرطبي: بالنصب، على أنه بدلٌ من لا إله إلا الله. ويجوز الرفع، على أنه خبرُ مبتدأ محذوف.

قوله: «**أحاجَّ لك بها عند الله**» هو بتشديد الجيم، من المحاجة.

وفيه: دليلٌ على أنَّ الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها في تلك الحال، معتقداً ما دلَّت عليه مطابقة من النفي والإثبات، لنفعته.

قوله: (فقالا له: أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟). ذكَّراه الحجَّةَ الملعونة، التي يحتج بها المشركون على المرسلين؛ كقول فرعون لموسى: ﴿**فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ**﴾ [طه: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٣].

قوله: (فأعاد عليه النبيُّ ﷺ، فأعادا). فيه: معرفتهُما معنى لا إله إلاَّ الله؛ لأنهما عرفا أنَّ أبا طالب لو قالها لتبرأ من ملَّة عبد المطلب. فإنَّ ملَّة عبد المطلب هي الشرك بالله في إلهيته؛ وأمَّا الربوبيةُ فقد أقروا بها كما تقدم، وقد قال عبدُ المطلب لأبْرهَة: أنا ربُّ الإبل، والبيتُ له ربٌّ يمنعه منك.

وهذه المقالة منهما عند قول النبي ﷺ لعمه «قل: **لا إله إلا الله**» استكباراً عن العمل بمدلولها؛ كما قال الله تعالى عنهما، وعن أمثالهما من أولئك المشركين: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦] فردَّ عليهم بقوله: ﴿**بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الصافات: ٣٧].

فبيَّن تعالى أنَّ استكبارهم عن قول: لا إله إلا الله؛ لدلالتها على نفي عبادتهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله. فإنَّ دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالةُ تضمُّن، ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالةُ مطابقة.

ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام، ليبيِّن لعباده أنَّ

ذلك إليه، وهو القادرُ عليه دون من سواه.

فلو كان عند النبي ﷺ الذي هو أفضلُ خلقه من هداية القلوب وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيءٌ: لكان أحقَّ الناس بذلك وأولاهم به عمُّه، الذي كان يحوطُه ويحميه وينصره ويؤويه. فسبحانه من بَهَرَت حكمتُه العقول، وأرشد العباد إلىٰ ما يدلهم علىٰ معرفته وتوحيده، وإخلاص العمل له وتجريده.

قوله: (فكان آخرُ ما قال)، الأحسن فيه الرفعُ، علىٰ أنَّه اسمُ كان. وجملةُ هو، وما بعدها الخبر.

قوله: (هو علىٰ ملة عبد المطلب). الظاهرُ أنَّ أبا طالب، قال: أنا. فغيَّره الراوي؛ استقباحًا للَّفظ المذكور، وهي من التصرفات الحسنة، قاله الحافظ.

قوله: (وأبىٰ أنْ يقول: لا إله إلاَّ الله)، قال الحافظ: هذا تأكيدٌ من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب.

قال المُصنِّفُ: وفيه الردُّ على من زعم إسلامَ عبد المطلب، وأسلافِه. ومضرَّةُ أصحاب السوء على الإنسان، ومضرَّةُ تعظيمِ الأسلاف.

أي: إذا زاد علىٰ المشروع، بحيثُ تُجعلُ أقوالهم حجةً يُرجع إليها عند التنازع.

قوله: فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**» قال النووي: وفيه جوازُ الحَلِف من غير استحلاف. وكأنَّ الحلف هنا لتأكيد العزم علىٰ الاستغفار، تطييبًا لنفس أبي طالب.

وكانت وفاةُ أبي طالب بمكة، قبل الهجرة بقليل.

قال ابنُ فارس: مات أبو طالب، ولرسول الله ﷺ تسعٌ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا.

وتوفيت خديجةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها، بعد موت أبي طالب بثمانية أيام.

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾. أي: ما ينبغي لهم ذلك. وهو خبرٌ بمعنىٰ النهي، والظاهرُ أنَّ هذه الآية نزلت في أبي طالب؛ فإنَّ الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب، في قوله: فأنزل الله، بعد قوله: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**»

يُفيد ذلك.

وقد ذكر العلماءُ لنزول هذه الآيةِ أسبابًا أُخر، فلا منافاة؛ لأن أسباب النزول قد تتعدد.

قال الحافظ: أمَّا نزولُ الآية الثانية، فواضحٌ في قصة أبي طالب. وأمَّا نزول الآية التي قبلها، ففيه نظر.

ويظهر أنَّ المراد: أنَّ الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالبٍ بمدة، وهي عامةٌ في حقه وحق غيره.

يوضِّحُ ذلك ما يأتي في التفسير: فأنزل الله بعد ذلك ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، ونزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ .

كلُّه ظاهر في أنه مات على غير الإسلام، ويُضَعِّفُ ما ذكره السُّهَيلي: أنه رأى في بعض كُتب المسعودي أنه أسلم؛ لأن مثل ذلك لا يُعارِضُ ما في الصحيح. انتهى.

وفيه: تحريمُ الاستغفار للمشركين، وموالاتهم ومحبتهم؛ لأنه إذا حرُم الاستغفارُ لهم فموالاتهم ومحبتهم أولى.

* * *

(١٨)

بــاب
ما جاء أن سبب كفر بني آدم
وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء أنَّ سبب كُفرِ بني آدم وتركِهم دينَهم هو الغلوُّ في الصالحين.

ش: قوله: (تركهم). بالجر عطفًا على المضاف إليه. وأراد المصنفُ رحمه الله تعالى: بيانَ ما يؤول إليه الغلو في الصالحين، من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظمُ ذنب عُصي الله به، وهو ينافي التوحيد الذي دلَّت عليه كلمةُ الإخلاص، شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقول الله عز وجل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

ش: الغلو: هو الإفراطُ في التعظيم، بالقول والاعتقاد. أي: لا ترفعوا المخلوقَ عن منزلته التي أنزله الله، فتنزِّلوه المنزلةَ التي لا تنبغي إلاَّ لله.

والخطـابُ: وإنْ كان لأهل الكتاب، فإنَّه عامٌّ يتناول جميعَ الأمة؛ تحذيراً لهم أنْ يفعلوا فعل النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام، واليهود في العزير، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»[١] ويأتي.

(١) صحيح: رواه البخاري(٣٤٤٥)وسيأتي.

فكلُّ من دعا نبيًّا، أو وليًّا من دون الله: فقد اتخذه إلهًا، وضاهىٰ النصارىٰ في شركهم، وضاهىٰ اليهود في تفريطهم.

فإنَّ النصارىٰ غلوْا في عيسىٰ عليه السلام، واليهود عادَوه وسبُّوه وتنقَّصوه. فالنصارىٰ أفرطوا، واليهودُ فرَّطوا؛ وقد قال تعالىٰ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ الآية [المائدة: ٧٥] ففي هذه الآية وأمثالها: الردُّ علىٰ اليهود والنصارىٰ.

قال شيخُ الإسلام: ومن تشبَّه من هذه الأمة باليهود والنصارىٰ، وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط، فقد شابههم.

قال: وعليٌّ رضي الله عنه حرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كندة، فقذفهم فيها. واتفق الصحابةُ علىٰ قتلهم، لكنَّ ابن عباس مذهبُه أن يُقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قولُ أكثر العلماء.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، فَفعلوا. ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عُبدت(١).

ش: قوله: في (الصحيح) أي: (صحيح البخاري).

وهذا الأثرُ، اختصره المُصنِّفُ رحمه الله. ولفظ ما في البخاري، عن ابن عباس: صارت الأوثانُ التي في قوم نوحٍ، في العرب بعدُ: أمَّا ودٌّ: فكانت لكلْب، بدَوْمَة الجندَل. وأمَّا سُواعٌ؛ فكانت لهذيل. وأمَّا يَغوثُ: فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجُرف عند سبأ. وأمَّا يعوق: فكانت لهمْدان. وأمَّا نَسْرٌ: فكانت لحِميَر، لآلِ ذي

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠) وعن عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٤٣) وعزاه صاحب «الدر المنثور» إلىٰ ابن مردويه وابن المنذر وهذا الأثر قد تكلم فيه وانظر تحرير ذلك في «فتح الباري» (٨/ ٦٦٧-٦٦٨).

الكَلاع: أسماءُ رجالٍ صالحين، في قوم نوح. إلى آخره.

وروي: عن عكرمة، والضَّحاك، وابن إسحاق، نحو هذا.

وقال ابنُ جرير: حدثَّنا ابنُ حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس: أنَّ يغوث ويعوق ونسراً، كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم. فلمَّا ماتوا، قال أصحابهم: لو صوَّرناهم كان أشوقَ لنا إلى العبادة؛ فصوَّروهم. فلما ماتوا، وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم[1].

قوله: (أن انصِبوا)، هو بكسر الصاد المُهملة.

قوله: (أنصابًا). جمع نُصب، والمراد به هنا: الأصنامُ المصوَّرة على صور أولئك الصالحين، التي نصبوها في مجالسهم، وسمَّوها بأسمائهم.

وفي سياق حديث ابن عباس: ما يدلُّ على أنَّ الأصنام تُسمَّى أوثانًا. فاسمُ الوثن، يتناول كلَّ معبودٍ من دون الله، سواء كان ذلك المعبودُ قبراً أو مَشهداً، أو صورةً أو غير ذلك.

قوله: (حتى إذا هلك أولَئكَ). أي: الذين صوَّروا تلك الأصنام.

قوله: (ونُسي العلم)، ورواية البخاري: وتَنَسَّخ. وللكُشْمِيهَنِيِّ: ونُسِخ العلم. أي: درست آثارُه بذهاب العلماء، وعمَّ الجهلُ حتى صاروا لا يُميِّزون بين التوحيد والشرك. فوقعوا في الشرك، ظنًا منهم أنه ينفعهم عند الله.

قوله: (عُبدت). لما قال لهم إبليس: إنَّ من كان قبلكم كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر.

فهو الذي زيَّن لهم عبادة الأصنام، وأمرهم بها. فصار هو معبودهم في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري(٢٩/ ٩٨، ٩٩) وفي إسناده ابن حميد وهو ضعيف.

وهذا يفيد الحذرَ من الغلوِّ ووسائل الشرك، وإنْ كان القصد بها حسنًا.

فإنَّ الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين، والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثلُ ذلك في هذه الأمة. أظهر لهم البدعَ والغلوَّ في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم، ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك، من عبادتهم لهم من دون الله.

وفي رواية، أنهم قالوا: ما عَظَّم أوّلنا هؤلاء إلاّ وهم يرجون شفاعتهم عند الله. أي: يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوَّروا تلك الأصنام علىٰ صورهم، وسمَّوها بأسمائهم.

ومن هُنا يُعلم أنَّ اتخاذ الشفعاء، ورجاءَ شفاعتهم بطلبها منهم: شركٌ بالله، كما تقدم بيانُه في الآيات المحكمات.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وقال ابنُ القيم: قال غيرُ واحد من السَّلف: لمَّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم. ثم طال عليهم الأمدُ، فعبدوهم.

ش: قوله: (وقال ابن القيم). هو الإمامُ العلاَّمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الدِّمشقي، المعروف بابن قيمِّ الجوزية.

قال الحافظُ السَّخاوي: العلاَّمةُ الحجة، المتقدِّمُ في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان، المجمعُ عليه بين الموافق والمخالف، صاحبُ التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة. مات سنة إحدىٰ وخمسين وسبعمائة.

قوله: (قال غيرُ واحد من السلف). هو بمعنىٰ ما ذكره البخاريُّ، وابنُ جرير. إلاَّ أنه ذكر عكوفَهم علىٰ قبورهم، قبل تصويرهم تماثيلهم.

وذلك من وسائل الشرك، بل هو شرك؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة. فإذا عكفوا علىٰ القبور، صار عكوفهم تعظيمًا ومحبة عبادةً لها.

قوله: (ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوهم). أي: طال عليهم الزمان. وسبب تلك العبادة والموصل إليها: هو ما جرىٰ من الأولين، من التعظيم في العكوف علىٰ قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم. فصارت بذلك أوثانًا تعبدُ من دون الله،

كما ترجم به المصنفُ رحمه الله تعالىٰ.

فإنهم تركوا بذلك دينَ الإسلام، الذي كان أولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا الشرك.

فكفروا بعبادة تلك الصور، واتخاذهم شفعاء. وهذا أوَّلُ شرك حدث في الأرض.

قال القرطبي: وإنما صوَّر أوائلُهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم. ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. انتهىٰ.

قال ابنُ القيم: وما زال الشيطانُ يُوحي إلىٰ عُبَّاد القبور، ويُلقي إليهم أنَّ البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأنَّ الدعاء عندها مُستجاب. ثم ينقلُهم من هذه المرتبة إلىٰ الدعاء به، والإقسام علىٰ الله به، فإن شأن الله أعظمُ من أنْ يُقسم عليه، أو يُسأل بأحدٍ من خلقه.

فإذا تقرَّر ذلك عندهم. نقلهم منه إلىٰ دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تُعلَّقُ عليه القناديلُ والستور، ويُطاف به ويُستلم ويُقبَّل ويُحج إليه ويذبح عنده!.

فإذا تقرَّر ذلك عندهم. نقلهم منه إلىٰ دعاء الناس إلىٰ عبادته، واتخاذِه عيدًا ومنسكًا، ورأوا أنَّ ذلك أنفعُ لهم في دنياهم وأُخراهم.

وكلٌّ هذا مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام، أنه مضادٌّ لما بعث الله به رسول ﷺ: من تجريد التوحيد، وأنْ لا يُعبد إلاَّ الله.

فإذا تقرَّر ذلك عندهم. نقلهم منه إلىٰ أنَّ من نهىٰ عن ذلك فقد تنقَّص أهلَ الرتب العالية، وحطَّهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حُرمة لهم ولا قدر.

وغضب المشركون واشمأزّت قلوبهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]

وسرىٰ ذلك في نفوس كثيرٍ من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلىٰ العلم

والدين. حتىٰ عادَوْا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفَّروا الناس عنهم، ووالَوْا أهلَ الشرك وعظَّموهم، وزعموا أنهم أولياء الله، وأنصار دينه ورسوله، ويأبىٰ الله ذلك ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] انتهىٰ كلامُ ابن القيم رحمه الله تعالىٰ.

وفي القصة فوائدُ ذكرها المصنفُ رحمه الله:

منها: أنَّ من فهم هذا الباب وما بعده، تبينَّ له غربةُ الإسلام، ورأىٰ من قُدرة الله وتقليبه القلوب العجب.

ومنها: أنَّ أوَّلَ شرك حدث في الأرض، سببُه محبةُ الصالحين. أي: المحبة التي فيها غُلوّ.

ومنها: معرفةُ أوَّل شيءٍ غُيِّر به دينُ الأنبياء.

ومنها: معرفةُ سبب قبول البدع، مع كون الشرائع والفِطر تُنكرها، وأنَّ سبب ذلك كلّه مَزْجُ الحق بالباطل، بأمرين:

الأول: محبةُ الصالحين.

والثاني: فِعلُ أُناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيراً، فظنَّ من بعدهم أنهم أرادوا غيره.

ومنها: معرفة جبلّة الإنسان، في كون الحق ينقصُ في قلبه والباطل يزيد. أي: في الغالب.

ومنها: أنَّ فيها شاهداً لما نُقل عن بعض السلف: أنَّ البدعة سببُ الكفر، وأنها أحبُّ إلىٰ إبليس من المعصية؛ لأن المعصية قد يُتابُ منها، والبدعة لا يُتاب منها.

ومنها: معرفةُ الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسُن قصد الفاعل.

ومنها: معرفة القاعدة الكلية، وهي: النهي عن الغلو، ومعرفةُ ما يؤول إليه. أي: من الشرك.

ومنها: النهيُ عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

ومنها: معرفةُ عظم شأن هذه القصة، وشدةِ الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

ومنها: وهي أعجب قراءتُهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتُهم لمعنى الكلام، وكون الله تعالى حال بين قلوبهم، حتى اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح هو أفضل العبادة، واعتقدوا أنَّ نهي الله ورسوله هو الكفر المُبيح للدم والمال.

يعني: لو نهاهم ناهٍ بنهي الله لهم عن الشرك، لكفَّروه واستحلوا دمه وماله بذلك.

ومنها: التصريحُ بأنهم لم يُريدوا إلاَّ الشفاعة.

ومنها: ظنُّهم أنَّ الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك.

ومنها: التصريحُ بأنها لم تُعبد، حتى نُسي العلم. ففيها: معرفةُ قدر وجوده ومضرّة فقده.

ومنها: أن سبب فقد العلم موت العلماء. انتهى.

ومنها: ردُّ الشبه التي يُسمِّيها أهلُ الكلام عقليات، ويدفعون بها ما جاء به الكتابُ والسنة من توحيد الصفات، وإثباتها على ما يليقُ بجلال الله وعظمته وكبريائه.

ومنها: مضرَّةُ التقليد.

ومنها: ضرورة الأمة إلى ما جاء به الرسول ﷺ، علمًا وعملاً بما يدلُّ عليه الكتاب والسنة، فإنَّ ضرورة العبد إلى ذلك فوق كلِّ ضرورة.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لا تُطْرُوني كما أطرَتِ النصارى ابنَ مريم؛ إنما أنا عبدٌ. فقولوا: عبدُ الله ورسوله»[1] أخرجاه.

ش: قوله: (عن عمر)، هو ابنُ الخطاب بن نُفيل - بنون وفاء مصغَّرًا - العَدوي، أميرُ المؤمنين، وأفضلُ الصحابة بعد الصديق رضي الله عنهم. وليَ الخلافة عشر

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٤٥) ولم أقف عليه عند مسلم ولم يعزه المزي في «تحفة الأشراف إلى مسلم واقتصر الشيخ سليمان بن عبد الله في «تفسير العزيز الحميد» على عزوه للبخاري.

سنين ونصفًا، فامتلأت الدنيا عدلاً، وفُتحت في أيامه ممالكُ كسرىٰ وقيصر. واستُشهد في ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين.

قوله: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم**» الإطراء: مجاوزةُ الحدّ في المدح، والكذب فيه. قاله أبو السعادات. وقال غيره: أي: لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحدَّ في مدحي.

قوله: «**إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله**» أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي، كما غلت النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام، فادَّعَوْا فيه الإلهية. وإنما أنا عبدُ الله، فصفوني بذلك كما وصفني ربيّ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله.

فأبىٰ المشركون إلاَّ مخالفة أمره، وارتكاب نهيه. فعظَّموه بما نهاهم عنه وحذَّرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارىٰ في غُلُّوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرىٰ منهم من الغلو والشرك شعراً ونثراً ما يطولُ عدُّه، وصنَّفوا فيه المصنفات.

وقد ذكر شيخُ الإسلام، عن بعض أهل زمانه: أنه جوَّز الاستغاثة بالرسول ﷺ، في كلِ ما يستغاث فيه بالله. وصنَّف في ذلك مصنفًا، ردَّه شيخُ الإسلام، وردُّه موجود بحمد الله.

ويقول: إنه يعلمُ مفاتيح الغيب، التي لا يعلمها إلاَّ الله. وذكر عنهم أشياءَ من هذا النمط. نعوذُ بالله من عمىٰ البصيرة.

وقد اشتهر في نظم البُوصيري، قوله:

يا أكرمَ الخلق ما لي من ألوذُ به ... سواك عند حُلول الحادث العَمم!!

وما بعده من الأبيات، التي مضمونُها: إخلاصُ الدعاء، واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات، وأعظم الاضطرار لغير الله.

فناقضوا الرسول ﷺ في ارتكاب ما نهىٰ عنه أعظم مناقضة، وشاقُّوا الله ورسوله أعظمَ مشاقة.

وذلك أنَّ الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم، في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه. وأظهر لهم التوحيدَ والإخلاص، الذي بعثه الله به في قالب تنقُّصه.

وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشدَّ النهي، وفرَّطوا في متابعته. فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه ولا سلَّموا له. وإنما يحصلُ تعظيمُ الرسول ﷺ: بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنَّته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه.

فعكس أولئك المشركون ما أراده الله ورسوله علمًا وعملاً، وارتكبوا ما نهى الله عنه ورسوله، فالله المستعان.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والـغُلو؛ فإنما أهلك مَنْ كان قبلكم الغلو»[١].

ش: هذا الحديث، ذكره المصنفُ بدون ذكر راويه. وقد رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، من حديث ابن عباس.

وهذا لفظُ أحمد: عن ابن عباس، قال: قال لي رسول الله ﷺ غَداة جَمْعٍ: «هَلُمَّ القُطْ» فلقطتُ له حصيات، هُنَّ حَصَى الخَذْف. فلما وضعهن في يده، قال: «نعم، **بأمثال هؤلاء. وإياكم والغلو في الدين؛ فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»[٢].

---

(١) إسناده حسن: رواه النسائي (٥/ ٢٦٨-٢٦٩) وابن ماجه (٣٠٢٩) وأحمد (١/ ٢١٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٨) وسقط من إسناده زياد بن حصين، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣٨٧١) وابن الجارود في «المنتقى» (٤٧٣) وأبو يعلي الموصلي (٢٤٢٧، ٢٤٧٢) والطبراني (١٢٧٤٧) والحاكم (١/ ٤٦٦) والبيهقي (٥/ ١٢٧) وابن خزيمة (٢٨٦٧) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زياد بن الحصين ثنا أبو العالية الرياص عن ابن عباس به وفي الإسناد زياد بن الحصين روي له مسلم حديثًا واحدًا وروي عنه جماعة من الثقات ووثقه العجلي وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» رقم(١٢٨٣)ورواه البيهقي (٥/ ١٢٧) والطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم (٧٤٢) من نفس الطريق إلا أنه جعله من طريق عبد الله بن عباس عن أخيه الفضل بن عباس وعند أحمد (١/ ٣٤٧) وابن خزيمة (٢٨٦٨) وذكر فيه شك عوف إذ قال لا أدري الفضل أو عبد الله بن عباس قال فذكر الحديث قال الشيخ أحمد شاكر: وشك عوف هنا في أن ابن عباس هو عبد الله او أخوه الفضل لا يؤثر لأن أبا العالية تابعي قديم أدرك الجاهلية وروي عمن هو أقدم من الفضل من الصحابة.

(٢) انظر رواية أحمد في التخريج السابق.

قال شيخُ الإسلام: هذا عامٌّ في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال.

وسببُ هذا اللفظ العام: رميُ الجمار، وهو داخلٌ فيه. مثل الرمي بالحجارة الكبار؛ بناءً على أنه أبلغُ من الصغار.

ثم علله بما يقتضي مجانبةَ هَدْي من كان قبلنا؛ إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به. وأن المشارك لهم في بعض هديهم يُخاف عليه من الهلاك.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلم، عن ابن مسعود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هلك المُتنطِّعون» قالها ثلاثًا[1].

ش: قال الخطَّابي: المتنطِّع: المتعمِّق في الشيء، المتكلِّف البحث عنه، على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولُهم.

ومن التنطع: الامتناع من المباح مُطلقًا، كالذي يمتنعُ من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلاَّ الصوف، ويمتنعُ من نكاح النساء. ويظنُّ أنَّ هذا من الزهد المستحب.

قال الشيخ تقيُّ الدين: فهذا جاهلٌ ضال. انتهى.

وقال ابنُ القيم رحمه الله: قال الغزالي: والمتنطعون في البحث، والاستقصاء!.

وقال أبو السعادات: هم المتعمقون، الغالون في الكلام، المتكلمون بأقاصي حلوقهم. مأخوذ من النطع، وهو الغارُ الأعلى من الفم، ثم استُعمل في كلِّ متعمِّق قولاً وفعلاً.

وقال النووي: فيه: كراهةُ التقعُّر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشي اللغة، ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

قوله: (قالها ثلاثًا). أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغةً في التعليم والإبلاغ، فقد بلَّغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٠).

(١٩)

بـاب

ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء من التغليظ فيمن عبدَ الله عند قبر رجلٍ صالح، فكيف إذا عبده.

ش: أي: الرجل الصالح؛ فإنَّ عبادته هي الشركُ الأكبر، وعبادةُ الله عنده وسيلةٌ إلى عبادته. ووسائلُ الشرك محرمة؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر، وهو أعظمُ الذنوب.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن عائشة: أنَّ أمَّ سلَمة، ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصُّور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصالح أو العبد الصالح، بَنوْا على قبره مَسجدًا، وصوروًّا فيه تلك الصُّور، أولئك شرارُ الخلق عند الله»[1]، فهؤلاء، جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التَّماثيل.

ش: قوله: (في الصحيح). أي: (الصحيحين).

قوله: (أنَّ أمَّ سلمة). هي هندُ بنتُ أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم القُرشية المخزومية. تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة، سنة أربع. وقيل: ثلاث. وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة، ماتت سنة اثنتين وستين.

قوله: (ذكرت لرسول الله ﷺ). وفي (الصحيحين): أنَّ أمَّ حبيبة وأمَّ سلمة،

---

(١) صحيح: رواه البخاري(٤٢٧) ومسلم (٥٢٨).

ذكرتا لرسول الله ﷺ. والكنيسة، بفتح الكاف وكسر النون: معبدُ النصارىٰ.

قوله: «**أولئك**» بكسر الكاف، خطابًا للمرأة.

قوله: «**إذا مات فيهم الرجلُ أو العبدُ الصالح**» هذا والله أعلم شك من بعض رواة الحديث: هل قال النبيُّ ﷺ هذا أو هذا؟ ففيه: التحرّي في الرواية، وجوازُ الرواية بالمعنىٰ.

قوله: «**وصوَّروا فيه تلك الصور**» الإشارةُ إلىٰ ما ذكرت أمُّ سلمة وأمُّ حبيبة، من التصاوير التي في الكنيسة.

قوله: «**أولئك شرارُ الخلق عند الله**» وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد علىٰ القبور، وقد لُعن من فعل ذلك، كما سيأتي.

قال البيضاوي: لمَّا كانت اليهود والنصارىٰ يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم، ويجعلونها قبلةً يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها وأوثانًا، لعنهم النبيُّ ﷺ.

قال القرطبي: وإنما صوَّر أوائلُهم الصُّور ليتأسَّوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم. ثم خلفهم قومٌ جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. فحذَّر النبيُّ ﷺ عن مثل ذلك؛ سداًّ للذريعة المؤدية إلىٰ ذلك.

قوله: (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل). هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ذكره المصنفُ رحمه الله؛ تنبيهًا علىٰ ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل. فإنَّ الفتنة بالقبور، كالفتنة بالأصنام أو أشد.

قال شيخُ الإسلام: وهذه العلَّةُ التي لأجلها نهىٰ الشارعُ ﷺ عن اتخاذ المساجد علىٰ القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم: إمَّا في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك.

فإنَّ النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيلٍ يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك. فإنَّ الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه، أقربُ إلىٰ النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا تجدُ أهلَ الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السَّحَر. ومنهم من يسجدُ لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها

والدعاء ما لا يرجون في المساجد.

فلأجل هذه المفسدة، حسم النبيُّ ﷺ مادَّتها، حتىٰ نهىٰ عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإنْ لم يقصد المصلي البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد. كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقاتٌ يقصد المشركون فيها الصلاة للشمس، فنهىٰ أُمته عن الصلاة حينئذٍ وإن لم يقصد ما قصده المشركون، سدًّا للذريعة. وأمَّا إذا قصد الرجلُ الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عينُ المُحادَّة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله.

فإنَّ المسلمين قد أجمعوا علىٰ ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ: أنَّ الصلاة عند القبور منهيٌّ عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد. فمن أعظم المحدثات، وأسباب الشرك: الصلاةُ عندها، واتخاذها مساجد، وبناءُ المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه. وقد صرَّح عامّةُ الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها؛ متابعةً منهم للسُّنة الصحيحة الصريحة.

وصرَّح أصحابُ أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفةٌ أطلقت الكراهة. والذي ينبغي: أنْ تُحمل علىٰ كراهة التحريم، إحسانًا للظن بالعلماء، وأنْ لا يُظن بهم أنْ يجوِّزوا فعلَ ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه. انتهىٰ كلامُه رحمه الله.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولهما عنها أي: عن عائشة قالت: لما نُزِلَ برسول الله ﷺ، طَفق يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفَهَا، فقال وهو كذلك: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد» يُحذِّر ما صنعوا. ولولا ذلك أُبرز قبُره؛ غير أنه خشي أنْ يُتخذ مسجدًا[1]. أخرجاه.

ش: قوله: (ولهما). أي: البخاري ومسلم. وهو يغني عن قوله، في آخره: أخرجاه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٣١).

قوله: (لما نُزِلَ)، هو بضم النون وكسر الزاي. أي: نزل به مَلَكُ الموت والملائكةُ الكرام عليهم السلام.

قوله: (طَفِق). بكسر الفاء وفتحها. والكسرُ أفصح، وبه جاء القرآن.

ومعناه: جعل.

قوله: (خميصة)، بفتح المعجمة والصاد المهملة: كساءٌ له أعلام.

قوله: (فإذا اغتمَّ بها كشفها). أي: عن وجهه.

قوله: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يبين أنَّ من فعل مثل ذلك، حلَّ عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى.

قوله: (يُحذِّرُ ما صنعوا)، الظاهر: أنَّ هذا من كلام عائشة رضي الله عنها؛ لأنها فهمت من قول النبي ﷺ ذلك تحذير أُمَّته من هذا الصنيع، الذي كانت تفعله اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فإنه من الغلو في الأنبياء. ومن أعظم الوسائل إلى الشرك. ومن غربة الإسلام: أنَّ هذا الذي لعن رسولُ الله ﷺ فاعليه تحذيراً لأمته أنْ يفعلوه معه ﷺ ومع الصالحين من أُمتَّه قد فعله الخلقُ الكثير من متأخري هذه الأمة، واعتقدوه قربةً من القُربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أنَّ ذلك محادَّةٌ لله ورسوله.

قال القُرطبي في معنى هذا الحديث: وكلُّ ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها؛ كما كان السبب في عبادة الأصنام. انتهى.

إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم. وتأمَّل قولَ الله تعالى عن نبيه يوسف بن يعقوب، حيث قال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨] نكرة في سياق النفي، تعمُّ كلَّ شرك.

قوله: (ولولا ذلك)، أي: ما كان يُحَذِّرُ من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجداً، لأُبرز قبرُه مع قبور أصحابه الذين كانت قبورهم في البقيع.

قوله: (غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)، رُوي بفتح الخاء، وضمها. فعلى الفتح: يكون هو الذي خشي ذلك ﷺ، وأمرهم أنْ يدفنوه في المكان الذي قُبض فيه. وعلى رواية الضَّم: يحتمل أنْ يكون الصحابةُ هم الذين خافوا أنْ يقع ذلك من

بعض الأمَّة غُلواً وتعظيمًا بما أبدىٰ وأعاد من النهي والتحذير منه، ولعن فاعله.

قال القُرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذريعة في قبر النبي ﷺ، فأعلوا حيطان تُربته وسدوا المدخل إليها، وجعلوها محدقةً بقبره ﷺ.

ثم خافوا أنْ يُتَّخذ موضعُ قبره قبلةً إذ كان مستقبل المصلين، فتتصوَّر الصلاةُ إليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من رُكني القبر الشماليَّين، وحرفوهما حتىٰ التقيا علىٰ زاوية مثلثة من ناحية الشمال؛ حتىٰ لا يتمكن أحدٌ من استقبال قبره. انتهىٰ.

قال المصنف:وفيه من المسائل: ما ذكر الرسولُ ﷺ فيمن بنى مسجدًا يُعبد الله فيه على قبر رجل صالح، ولو صحَّت نيةُ الفاعل.

ومنها: النهي عن التماثيل، بتغليظ الأمر.

ومنها: نهيه عن فعله عند قبره، قبل أنْ يُوجد القبر.

ومنها: أنه من سُنن اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم.

ومنها: لعنه إيَّاهم علىٰ ذلك.

ومنها: أنَّ مُراده بذلك تحذيره إيانا عن قبره.

ومنها: أنها هي العلة في عدم إبرازه. انتهىٰ.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولمسلمٍ، عن جُنْدُب بن عبد الله، قال: سمعتُ النبي ﷺ قبل أنْ يموت بخمسٍ، وهو يقول: «إنيِّ أبْرَأُ إلى الله أنْ يكونَ لي منكم خليلٌ؛ فإنَّ الله قد اتخَّذني خليلاً، كما اتخذَ إبراهيم خليلاً. ولو كنتُ مُتَّخذًا من أُمتي خليلاً، لاتخَّذتُ أبا بكر خليلاً، ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتَخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[1] فقد نهى عنه في آخر حياته.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٢) وذكر الحديث وفيه ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك.

ثمَّ إنه لعن وهو في السِّياق مَنْ فَعله. والصلاةُ عندها من ذلك، وإنْ لم يُبْنَ مسْجد.

وهو معنى قولها: خشِي أن يتخذ مسجدًا، فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حولَ قبره مسجدًا. وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخذ مسجدًا، بل كلُّ موضع يُصلَّى فيه يُسمَّى مسجدًا؛ كما قال ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا».

ش: قوله: (عن جُندب بن عبد الله). أي: ابن سُفيان البجلي، وينسبُ إلى جده، صحابيٌّ مشهور. مات بعد الستين.

قوله: «إني أبرأ إلى الله أنْ يكون لي منكم خليل» أي: أمتنع عمَّا لا يجوز لي أنْ أفعله. والخُلَّة فوق المحبة، والخليل: هو المحبوب غاية الحب، مشتقٌّ من الخَلَّة بفتح الخاء وهي تَخلُّل المودةِ في القلب، كما قال الشاعر:

قد تخلَّلتَ مسلك الروح مني وبذا سُمِّي الخليلُ خليلا

هذا هو الصحيح في معناه؛ كما ذكره شيخُ الإسلام، وابنُ القيم، وابنُ كثير وغيرهم.

قال القُرطبي: وإنَّما كان ذلك؛ لأنَّ قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته، فلا يسع خُلَّة غيره.

قوله: «فإنَّ الله قد اتخذني خليلاً» فيه: بيانُ أنَّ الخُلَّة فوق المحبة.

قال ابنُ القيم رحمه الله: وأمَّا ما يظنُّه بعض الغالطين من أن المحبة أكملُ من الخُلَّة، وأنَّ إبراهيم خليل الله، ومحمدًا حبيبُ الله، فمن جهلهم.

فإنَّ المحبة عامَّة، والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة. وقد أخبر النبي ﷺ: أنَّ الله قد اتخذه خليلاً، ونفى أنْ يكون له خليلٌ غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها، ولعمر بن الخطاب، وغيرهم. وأيضًا: فإنَّ الله يحبُّ التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين، وخُلَّته خاصةٌ بالخليلين.

قوله: «ولو كنت متخذًا من أُمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً» فيه: بيانُ أنَّ

الصِّدِّيق أفضلُ الصحابة.

وفيه: الردُّ على الرافضة وعلى الجهمية، وهما شرُّ أهل البدع، وأخرجَهم بعضُ السلف من الثنتين والسبعين فرقة. وبسبب الرافضة حدث الشركُ وعبادة القبور، وهم أوَّلُ من بني عليها المساجد. قاله المصنف، وهو كما قال بلا ريب.

وفيه: إشارةٌ إلى خلافة أبي بكر؛ لأن من كانت محبتهُ لشخص أشد، كان أولى به من غيره. وقد استخلفه على الصلاة بالناس، وغضب ﷺ لما قيل: يصلي بهم عمر(١)، وذلك في مرضه الذي توفي فيه، صلواتُ الله وسلامه عليه.

واسمُ أبي بكر: عبد الله بن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة. الصِّدِّيقُ الأكبر، خليفةُ رسول الله ﷺ، وأفضلُ الصحابة بإجماع من يعتدُّ بقوله من أهل العلم. مات في جُمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاثٌ وستون سنة رضي الله عنه.

قوله: «ألا» حرفُ استفتاح «ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد» الحديث.

قال الخلخالي: وإنكارُ النبي ﷺ صنيعهم هذا، يخرَّجُ على وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء، تعظيمًا لهم.

الثاني: أنهم يجوِّزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة، نظرًا منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء. والأول: هو الشرك الجلي.

والثاني: الخفيّ، فلذلك استحقُّوا اللعن.

قوله: (فقد نهى عنه في آخر حياته). أي: كما في حديث جُنْدُب. هذا من كلام شيخ الإسلام، وكذا ما بعده.

قوله: (ثم إنه لعن وهو في السِّياق من فعله). كما في حديث عائشة.

قلتُ: فكيف يسوغُ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين، أنْ تُعظَّم القبور ويُبنى

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦٤) ومسلم (طرف حديث٤١٨).

عليها، ويُصلى عندها وإليها. هذا أعظم مشاقَّة ومحادَّة لله تعالى ولرسوله ﷺ، لو كانوا يعقلون.

قوله: (والصلاةُ عندها من ذلك، وإن لم يُبن مسجد). أي: من اتخاذها مساجد، الملعون فاعله، وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور وإليها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعًا **«الأرضُ كلُّها مسجدٌ إلاَّ المقبرة والحمَّام»**(١) رواه أحمد، وأهل السنن، وصححه ابنُ حبان، والحاكم.

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: وبالجملة، فمن له معرفةٌ بالشرك وأسبابه

---

(١) إسناده صحيح: وقد اختلف في وصل هذا الحديث وإرساله فقد رواه موصولاً حماد بن سلمة عن عمرو ابن يحيىٰ عن أبيه عن أبي سعيد الخدري كما عند أبي داود (٤٩٢) وابن ماجه (٧٤٥) وأحمد (٣/ ٨٣) والبيهقي (٢/ ٤٣٤-٤٣٥) وابن حزم في «المحلىٰ» (٤/ ٢٧) وتابع حماد بن سلمة عبد الواحد بن زياد كما عند أبي داود (٤٩٢)، وأحمد (٣/ ٩٦)، وابن خزيمة (٧٩١)، وابن حبان (٦٩٩ إحسان)، والحاكم (١/ ٢٥١)، والبيهقي (٢/ ٤٣٥) وابن حزم (٤/ ٢٧) وتابعهما ابن اسحاق كما عند أحمد (٣/ ٨٣) وتابعهم عبد العزيز الدراوردي كما عند الترمذي(٣١٧)والدارمي (١/ ٣٢٣) وابن خزيمة (٧٩١)والحاكم (١/ ٢٥١) والبغوي (٥٠٦) والبيهقي (١/ ٤٥٣) وتابعهم سفيان.وكأنه ابن حسين كما يعرف ذلك من المشايخ والتلاميذ ولرواية ابن ماجه له كما في «تهذيب الكمال».كما عند ابن ماجه (٧٤٥) وتابعهم عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري نقله ابن حزم في «المحلىٰ» (٤/ ٢٨) عن البزار وخالفهم سفيان الثوري فرواه عن عمرو ابن يحيىٰ عن أبيه مرسلاً كما عند عبد الرزاق (١/ ٤٠٥) وأحمد (٣/ ٨٣) والبيهقي (٢/ ٤٣٤، ٤٣٥) وتابع الثوري سفيان بن عيينة كما عند الشافعي في «مسنده» (١/ ١٨٢ شفاء العي)

وقال الشافعي: وجدت هذا الحديث في كتابي في موضعين أحدهما منقطع والآخر عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

وقد صحح المرسل الترمذي علي أثر حديث (٣١٧) قال: وكأن رواية الثوري عن عمرو بن يحيىٰ عن أبيه عن النبي ﷺ أثبت وأصح مرسلاً. وقال الدار قطني في «العلل» (ق٤/ ورقة ٣).بعد أن ساق الخلاف والمرسل المحفوظ وقد يرجح الرواية المسندة لأن الذين وصلوا الحديث عدد وأكثرهم ثقات. ثم إنه قد رواه ابن خزيمة (٧٩٢) والحاكم (١/ ٢٥١) والبيهقي (٢/ ٤٣٥) من طريق بشر بن المفضل ثنا عمارة بن غزية عن يحيىٰ بن عمارة الأنصاري عن أبي سعيد الخدري فذكره مرفوعًا.

وقد جاءت بعض الأحاديث تدل علىٰ النهي عن الصلاة في المقبرة والحمام من حديث ابن عمرو. وابن عمرو وعلي وفيها ضعف لكن تشهد للحديث السابق وانظرها في تحقيق مسند أحمد (١١٧٨٤) ط. الرسالة).

وذرائعه، وفَهِمَ عن رسول الله ﷺ مقاصدَه، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أنَّ هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه صيغة «لا تفعلوا» وصيغة «إني أنهاكم عن ذلك» ليس لأجل النجاسة، بل هي لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربَّه ومولاه، وقلَّ نصيبُه أو عُدم من لا إله إلاَّ الله.

فإنَّ هذا وأمثاله من النبي ﷺ: صيانةٌ لحمىٰ التوحيد أن يلحقه الشركُ ويغشاه، وتجريدٌ له وغضبٌ لربه أنْ يعدل به سواه. فأبىٰ المشركون إلاَّ معصيةً لأمره، وارتكابًا لنهيه. وغرّهم الشيطانُ، بأنَّ هذا تعظيمٌ لقبور المشايخ والصالحين، وكلَّما كنتم لها أشد تعظيمًا وأشد فيهم غلوًا كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد. ولعمر الله، من هذا الباب دخل علىٰ عُبَّاد يغوث ويعوق ونسر، ودخل علىٰ عُبَّاد الأصنام، منذ كانوا إلىٰ يوم القيامة.

فجمع المشركون بين الغلو فيهم، والطعن في طريقتهم. فهدىٰ الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها: من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم.

قال الشارح[1]: وممن علَّل بخوف الفتنة بالشرك: الإمامُ الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخُ الإسلام، وغيرهم، وهو الحقُّ الذي لا ريب فيه.

قوله: (فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا)، أي: لما علموا من تشديده في ذلك، وتغليظه ولعن من فعله.

قوله: (وكلُّ موضعٍ قُصدت الصلاةُ فيه فقد اتُّخذ مسجدًا) أي: وإنْ لم يُبن مسجد. بل كلُّ موضع يُصلَّىٰ فيه يسمىٰ مسجدًا.

يعني: وإن لم يُقصد بذلك، كما إذا عرض لمن أراد أن يُصلي، فأوقع الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده من غير أنْ يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجدًا.

قوله: كما قال ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»[2] أي: فسمىٰ الأرض

---

(١) يقصد بالشارح الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب صاحب تيسير العزيز الحميد.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨) ومسلم (٥٢١-٥٢٣).

مسجداً تجوزُ الصلاةُ في كلِّ بقعة منها، إلاَّ ما استثنىٰ من المواضع التيْ لا تجوز الصلاة فيها كالمقبرة ونحوها.

قال البغوي في (شرح السنة): أراد أنْ أهلَ الكتاب لم تُبح لهم الصلاة إلاَّ في بِيَعِهم وكنائسهم، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفًا عليهم وتيسيراً، ثم خص من جميع المواضع الحمَّامَ والمقبرة والمكان النجس. انتهىٰ.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولأحمد بسند جيِّد، عن ابن مسعود مرفوعًا «إنَّ مِن شِرار الناس من تُدركهم الساعَةُ وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»[1] رواه أبو حاتم ابن حبان في (صحيحه).

ش: قوله: «إن من شرار الناس» بكسر الشين، جمعُ شرِّير.

قوله: «من تدركهم الساعةُ وهم أحياء» أي: مقدماتها، كخروج الدَّابة، وطلوع الشمس من مغربها. وبعد ذلك يُنفخُ في الصُّور، نفخة الفَزَع.

قوله: «والذين يتَّخذون القبور مساجد» معطوفٌ علىٰ خبر إنَّ، في محل نصب، علىٰ نية تكرار العامل.

أي: ومن شرار الناس، الذين يتخذون القبور مساجد. أي: بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها.

وتقدَّم في الأحاديث الصحيحة أنَّ هذا من عمل اليهود والنصارىٰ، وأنَّ النبي ﷺ لعنهم علىٰ ذلك، تحذيراً للأمة أنْ يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم فعل اليهود والنصارىٰ. فما رفع أكثرُهم بذلك رأسًا، بل اعتقدوا أنَّ هذا الأمر قربةٌ إلىٰ الله، وهو مما يبعدهم عن الله ويطردهم عن رحمته ومغفرته.

---

(١) **إسناده حسن:** رواه أحمد (١/ ٤٠٥) وابن خزيمة في «الصحيح» (٧٨٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥) والطبراني في «الكبير» (١٠٤١٣) وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٨٤٧) وأبو يعلي (٥٣١٦) والبزار (٣٤٢٠) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٤٢) من طريق عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن ابن مسعود به.. وعاصم حسن الحديث ورواه أحمد (١/ ٤٥٤) بزيادة. والبزار (٣٤٢) من طريق أبي داود عن قيس أخبرنا الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود به. وفي الإسناد قيس بن الربيع وهو ضعيف. وعلق البخاري في «صحيحه» الجزء الأول من الحديث (١٣/ ١٤) الفتح).

والعجب أنَّ أكثر من يدَّعي العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك، بل ربما استحسنوه ورغَّبوا في فعله. فلقد اشتدت غربةُ الإسلام، وعاد المعروفُ منكراً والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

قال شيخُ الإسلام رحمه الله: أمَّا بناءُ المساجد على القبور: فقد صرَّح عامةُ الطوائف بالنهي عنه؛ متابعةً للأحاديث الصحيحة. وصرَّح أصحابُنا، وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه. قال: ولا ريب في القطع بتحريمه.

ثم ذكر الأحاديث في ذلك، إلى أنْ قال: وهذه المساجدُ المبنيةُ على قبور الأنبياء والصالحين أو الملوك وغيرهم، تتعيَّنُ إزالتها بهدم أو بغيره، هذا مما لا أعلمُ فيه خلافًا بين العلماء المعروفين.

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالى: يجبُ هدمُ القباب التي بُنيت على القبور؛ لأنها أُسِّست على معصية الرسول ﷺ.

وقد أفتى جماعةٌ من الشافعية بهدم ما في القرَّافة من الأبنية، منهم ابنُ الجُمَّيزي والظَّهير التِّزْمنتي وغيرهما.

وقال القاضي ابن كَجّ: ولا يجوز أنْ تُجصَّص القبور، ولا أنْ يُبنى عليها قباب، ولا غير قباب، والوصيةُ بها باطلة.

وقال الأذرُعي: وأمَّا بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية، وإنفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه.

وقال القرطبي في حديث جابر «نهى أنْ يُجصص القبر أو يُبنى عليه»(١) وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناءَ والجص على القبور، وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجةٌ عليه.

وقال ابنُ رُشْد: كره مالكُ البناء على القبر، وجَعْلَ البلاطة المكتوبة. وهو من بدع أهل الطَّول، أحدثوه إرادةَ الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف فيه.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٧٠).

وقال الزَّيْلعي في (شرح الكنز): ويُكره أنْ يُبنىٰ علىٰ القبر. وذكر قاضي خان: أنَّه لا يُجصص القبر ولا يُبنىٰ عليه؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن التجصيص والبناء فوق القبر. والمرادُ بالكراهة عند الحنفية كراهة التحريم. وقد ذكر ذلك ابنُ نُجيم في (شرح الكنز).

وقال الشافعيُّ رحمه الله: أكرهُ أنْ يُعظَّم مخلوق، حتىٰ يجعل قبره مسجداً؛ مخافة الفتنة عليه وعلىٰ من بعده من الناس. وكلامُ الشافعي رحمه الله يبين أنَّ مراده بالكراهة: كراهة التحريم.

قال الشارح: وجزم النوويُّ رحمه الله في (شرح المُهذَّب) بتحريم البناء مطلقًا، وذكر في (شرح مسلم) نحوه أيضًا.

وقال أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن قُدامة إمامُ الحنابلة، صاحبُ المصنفات الكبار (كالمغني) و (الكافي): ولا يجوز اتخاذُ المساجد علىٰ القبور؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى**»[1] الحديث.

وقد روِّينا أنَّ ابتداء عبادة الأصنام: تعظيمُ الأموات واتخاذُ صورهم، والتمسُّحُ بها والصلاة عندها، انتهىٰ.

وقال شيخُ الإسلام رحمه الله: وأمَّا المقبرة، فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة، ومن انقلبت تربتُها أو لم تنقلب.

ولا فرق بين أنْ يكون بينه وبين الأرض حائل أو لا؛ لعموم الاسم وعموم العلة، ولأن النبيَّ ﷺ لعن الذين اتخذوا قبور الأنبياء مساجد، ومعلومٌ أنَّ قبور الأنبياء لا تنجس.

وبالجملة، فمن علَّل النهي عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة فهو بعيدٌ عن مقصود النبي ﷺ. ثم لا يخلو أن يكون القبرُ قد بُني عليه مسجد، فلا يُصلَّىٰ في هذا المسجد، سواء كان خلف القبر أو أمامه بغير خلافٍ في المذهب؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**». وخصَّ قبور الأنبياء والصالحين؛

(١) صحيح :رواه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٣١).

لأن عكوف الناس على قبورهم أعظم، واتخاذها مساجد أشد.

وكذلك إنْ لم يكن بُني عليه مسجد، فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التي كان النهيُ عن الصلاة عند القبور من أجلها. فإنَّ كُلّ مكان صُلِّي فيه يُسمىٰ مسجداً، كما قال ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[1] وإنْ كان موضع قبرٍ أو قبرين.

وقال بعضُ أصحابنا: لا يُمنع الصلاة فيها؛ لأنه لا يتناولها اسمُ المقبرة. وليس في كلام أحمد، ولا بعض أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر.

وقد تقدمَّ عن علي، أنه قال: لا أصلي في حمَّامٍ ولا عند قبر[2].

فعلىٰ هذا: يكونُ النهي متناولاً تحريمِ القبر وبنائه، ولا تجوزُ الصلاة في مسجد بُني في مقبرة، سواءٌ كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور أو كان مكشوفًا.

قال في رواية الأثْرم: إذا كان المسجدُ بين القبور لا يُصلَّىٰ فيه الفريضة، وإنْ كان بينها وبين المسجد حاجز فرخَّص أنْ يُصلَّىٰ فيه علىٰ الجنائز، ولا يُصلىٰ فيه علىٰ غير الجنائز.

وذكر حديث أبي مَرْثَد، عن النبي ﷺ «لا تُصلُّوا إلى القبور»[3] وقال: إسنادهُ جيد. انتهىٰ.

ولو تتبَّعنا كلام العلماء في ذلك، لاحتمل عدَّة أوراق. فتبينَّ بهذا أنَّ العلماء رحمهم الله بيَّنوا أنَّ علة النهي، ما يؤدِّي إليه ذلكَ: من الغلوِّ فيها، وعبادتها من دون الله، كما هو الواقع والله المستعان.

وقد حَدَث بعد الأئمة، ومن يُعتدُّ بقولهم: أناسٌ كثُر في أبواب العلم بالله اضطرابُهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدىٰ والعلم حجابُهم. فقيَّدوا نصوصَ الكتاب والسنة بقيودٍ أوهنت الانقياد، وغيرَّوا بها ما قصده الرسولُ ﷺ بالنهي وأراد.

---

(١) صحيح: وسبق تخريجه قريبًا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي موفوعًا.

فقال بعضهم: النهيُ عن البناء على القبور يختصٌّ بالمقبرة المسبَّلة، و النهي عن الصلاة فيها لتنجسها بصديد الأموات. وهذا كلّه باطل، لوجوه:

منها: أنه من القول على الله بلا علم. وهو حرامٌ بنصٍّ الكتاب.

ومنها: أنَّ ما قالوه لا يقتضي لعنَ فاعله، والتغليظ. وما المانع له من أنْ يقول: من صلَّى في بقعة نجسة فعليه لعنة الله. ويلزم على ما قاله هؤلاء أنَّ النبي ﷺ لم يبيِّن العلة، وأحالَ الأمة في بيانها على من يجيء بعده ﷺ، وبعد القرون المُفضَّلة والأئمة.

وهذا باطلٌ قطعًا عقلاً وشرعًا؛ لما يلزمُ عليه من أنَّ الرسول ﷺ عجز عن البيان، أو قصّر في البلاغ. وهذا من أبطل الباطل؛ فإنَّ النبي ﷺ بلَّغ البلاغ المبين، وقدرتُه في البيان فوقَ قدرة كلِّ أحد، فإذا بطل اللازمُ بطل الملزوم.

ويُقال أيضًا: هذا اللعنُ والتغليظ الشديد إنَّما هو فيمن اتخذ قبورَ الأنبياء مساجد، وجاء في بعض النصوص ما يَعمُّ الأنبياء وغيرهم. فلو كانت هذه هي العلة لكانت منتفيةً في قبور الأنبياء؛ لكون أجسادهم طريَّة لا يكون لها صديدٌ يمنع من الصلاة عند قبورهم. فإذا كان النهيُ عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناولُ قبور الأنبياء بالنص، عُلم أنَّ العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين نَقلتُ أقوالهم.

والحمدُ لله على ظهور الحجة وبيان المحجَّة، والحمدُ لله الذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

* * *

(٢٠)

بـاب

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

قال المُصنِّفُ رحـمه الله تعالى: بابُ مـا جاء أنَّ الغلوَّ في قبـور الصالحين يُصيِّرُها أوثانًا تُعبد من دون الله.

روى مالك في (الموطـأ): أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللهمَّ لا تجـعل قبري وثنًا يُعبد. اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1].

ش: هذا الحديثُ رواه مالكُ مرْسلاً، عن زيد بن أسْلم، عن عطاء بن يسار: أنَّ رسول الله ﷺ قال. الحديث.

ورواه ابنُ أبي شيبـة في (مُصنَّفـه)، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، به. ولم يذكر عطاء. ورواه البَّزارُ عن زيد، عن عطاء، عن أبي سعيد الخُدري، مرفوعًا.

وله شاهدٌ عند الإمام أحمـد بسنده، عن سُهيل بـن أبي صـالح، عن أبيه، عن أبي

(١) صـحـيح لشـواهده رواه مـالك في «الموطأ» رقم (٨٥) (١/ ١٧٢) ومـن طريقه ابن سـعد في «الطبـقات» (٢/ ١٨٥) عن زيد بن أسلم عـن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلاً. ورواه عبد الرزاق (١٥٨٧) وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥) من طريق معمر، وابن عـجلان عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ معضلاً لم يذكر عطاء ورواه البزار (٤٤٠) ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٤٣) من طريق عمر بن صهبان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.
وعمر بن محمد بن صهبان ضعيف فرفعه من هذا الطريق منكر لكن للحديث شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن رواه أحمـد (٢/ ٢٤٦) والحـمـيـدي (١٠٢٥) وابن سـعـد في «الطبـقـات» (٢/ ١٨٦) وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٤٣، ٤٤) من طريق حمزة بن المغيرة الكوفي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «اللهم لا تجعل قبري وثنًا لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي إسناده حمزة بن المغيرة قال فيه ابن معين ليس به بأس وذكره ابن حبان في «الثقات».

هريرة، رفعه «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[١].

قوله: (روىٰ مالكٌ في الموطأ). هو الإمامُ، مالكُ بن أنس بن مالك بن أبي عامر ابن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله المدني. إمامُ دار الهجرة، وأحدُ الأئمة الأربعة، وأحد المتقنين للحديث؛ حتىٰ قال البخاري: أصحُّ الأسانيد مالكٌ عن نافع عن ابن عمر، مات سنة تسع وسبعين ومائة. وكان مولده سنة ثلاثٍ وتسعين. وقيل: أربع وتسعين. قال الواقدي: بلغ تسعين سنة.

قوله: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**» قد استجاب الله دعاءه، كما قال ابنُ القيم رحمه الله:

فأجاب ربُّ العالمين دعاءَه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزَّةٍ وحماية وصيان

ودلَّ الحديثُ: علىٰ أنَّ قبر النبي ﷺ لو عُبد لكان وثنًا، لكن حماه الله تعالىٰ بما حال بينه وبين الناس، فلا يُوصلُ إليه.

ودلَّ الحديثُ: علىٰ أنَّ الوثن، هو ما يباشر العابدُ من القبور، والتَّوابيت التي عليها. وقد عظُمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذا لبستكم فتنةٌ يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير. تجري علىٰ الناس يتخذونها سنَّة، إذا غُيرِّت، قيل: غُيِّرت السنة[٢] انتهىٰ.

ولخوف الفتنة، نهىٰ عمر رضي الله عنه عن تتبُّع آثار النبي ﷺ:

قال ابنُ وضَّاح: سمعتُ عيسىٰ بن يُونس، يقول: أمر عمرُ بن الخطاب بقطع الشجرة التي بُويع تحتها النبي ﷺ[٣]. فقطعها؛ لأن النَّاس كانوا يذهبون فيصلُّون

---

(١) **صحيح لشواهده**: وانظر الكلام علىٰ شاهد أحمد في الكلام علىٰ الحديث السابق.

(٢) **إسناده صحيح** رواه الدارمي (٦٤٨) وابن أبي شيبة (١٥/ ٢٤) والحاكم (٤/ ٥١٤) من طريق الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود به وله طريق آخر في إسناده ضعف عند الدارمي (١/ ٦٤) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٣٥).

(٣) البدع والنهي عنها لابن وضاع (ص ٤٩، ٥٠) ثم روي عن عيسي بن يونس عن نافع أن عمر بلغه أن قومًا يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها كما عند ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وابن سعد (٢/ ١٠٠) وهذا منقطع بين نافع وعمر.

تحتها، فخاف عليهم الفتنة.

وقال المعرور بن سُويد: صلَّيتُ مع عمر بن الخطاب بطريق مكة، صلاة الصبح. ثم رأىٰ الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهبُ هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجدٌ صلَّىٰ فيه النبيُّ ﷺ فهم يُصلُّون فيه. فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا؛ كانوا يتَّبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعًا. فمن أدركته الصلاةُ في هذه المساجد، فليصلِّ. ومن لا، فليمض ولا يتعمَّدها(١).

وفي (مغازي) ابن إسحاق، من زيادات يُونس بن بُكير، عن أبي خَلْدة خالد بن دينار، حدَّثنا أبو العالية، قال: لما فتحنا تُسْتَر، وجدنا في بيت مال الهُرمزان سريرًا عليه رجلٌ ميت، عند رأسه مصحف. فأخذنا المصحف فحملناه إلىٰ عمر، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أوَّلُ رجلٍ قرأه من العرب.

قرأته مثل ما أقرأ القرآن. فقلت: لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتُكم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائنٌ بعدُ. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة. فلما كان بالليل دفناه، وسوَّينا القبور كلها لِنُعمِّيه علىٰ الناس لا ينبشونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حُبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون، فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجلٌ يقال له: دانيال، فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة.

قلت: ما كان تغيَّر منه شيء؟ قال: لا، إلاَّ شُعيرات من قفاه. إنَّ لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرض(٢).

= وقد يكون الواسطة عبد الله بن عمر انظر «تحذير الساجد» (ص٩٣) وقد رویٰ البخاري (٢٩٥٨) من حديث نافع عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان علىٰ الشجرة التي بايعت تحتها كانت رحمة من الله.

(١) رجاله ثقات: رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٦) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد قال خرجنا مع عمر فذكره وفي الإسناد الأعمش وهو مدلس وقد عنعن وانظر «تحذير الساجد» للشيخ الألباني (ص٩٣).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧) وهذا إسناد صحيح إلي أبي العالية وذكر له طرقًا أخرىٰ والقصة في الأموال لأبي عبيد (ص٨٧٧)وقد قال ابن تيمية في «الإغاثة» (ص٢٨): وهذا من فعل أهل الكتاب لا من فعل المسلمين فليس فيه حجة، فلا يحتج به محتج كما في هامش فتح المجيد (١/ ٤٠٨ط الصميعي).

قال ابنُ القيم: ففي هذه القصة، ما فعله المهاجرون والأنصار من تَعْمية قبره؛ لئَّلا يُفتتن به. ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبركِ به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله.

قال شيخُ الإسلام: وهو إنكارٌ منهم لذلك، فمن قصد بقعةً يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارعُ قصدها فهو من المنكرات، وبعضه أشدّ من بعض. سواءٌ قصدها ليصلِّي عندها أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسُك عندها. بحيثُ يخصُّ تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يُشرع تخصيصُها به، لا نوعًا ولا عينًا.

إلاَّ أنَّ ذلك قد يجوزُ بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها. كمن يزورها ويسلِّمُ عليها، ويسألُ الله العافية له وللموتىٰ، كما جاءت السنة به.

وأمَّا تحري الدعاء عندها، بحيثُ يستشعر أنَّ الدعاء هناك أجْوَبُ منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه. انتهىٰ مُلخصًا.

قوله: «اشتد غضبُ الله على قوم اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ففيه تحريمُ البناء علىٰ القبور، وتحريمُ الصلاة عندها، وأنَّ ذلك من الكبائر.

وفي (القِرَىٰ) للطبري: عن أصحاب مالك، عن مالك، أنَّه كره أنْ يقول: زرتُ قبرَ النبي ﷺ. وعلَّل ذلك، بقوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد»[1] الحديث. كره إضافة هذا اللفظ إلىٰ القبر؛ لئلا يقع التَّشبُّه بفعل أولئك؛ سدًّا للذريعة.

قال شيخُ الإسلام: ومالكُ قد أدرك التابعين، وهم أعلمُ الناس بهذه المسألة، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّه لم يكن معروفًا عندهم ألفاظُ زيارة قبر النبي ﷺ.

إلىٰ أنْ قال: وقد ذكروا في أسباب كراهته لأن يقول: زرتُ قبر النبي ﷺ؛ لأنَّ هذا اللفظ قد صار كثيرٌ من الناس يريد به الزيارة البدعية، وهي قصدُ الميت لسؤاله ودعائه، والرغبة إليه في قضاء الحوائج، ونحو ذلك مما يفعله كثيرٌ من الناس.

فهم يعنون بلفظ الزيارة: مثل هذا، وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة. فكره مالكُ أنْ يتكلَّم بلفظٍ مجمل يدلُّ علىٰ معنىٰ فاسد، بخلاف الصلاة عليه والسلام،

(١) صحيح لشواهد: وسبق في الكلام تحت حديث عليه أول هذا الباب.

فإنَّ ذلك مما أمر الله به.

أمَّا لفظُ الزيارة في عموم القبور، فلا يُفهم منها مثل هذا المعنى، ألا ترى إلى قوله: «فزوروا القبور فإنَّها تذكركُم الآخرة»[1] مع زيارته لقبر أمه[2]. فإنَّ هذا يتناول قبور الكفار.

فلا يُفهم من ذلك: زيارة الميت لدعائه، وسؤاله والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهلُ الشرك والبدع. بخلاف ما إذا كان المزورُ معظَّمًا في الدين كالأنبياء والصالحين، فإنه كثيرًا ما يُعنى بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية. فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا، وإنْ لم يكره ذلك في موضع آخر، ليس فيه هذه المفسدة. انتهى.

وفيه: أنَّ النبي ﷺ لم يستعذ إلاَّ مما يُخاف وقوعه. ذكره المصنِّف رحمه الله تعالى.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: ولابن جرير بسنده، عن سُفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يَلُتُّ لهم السَّويق فمات، فعكفوا على قبره[3].

وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: كان يلُتُّ السويق للحاج[4].

ش: قوله: (ولابن جرير). هو الإمام الحافظُ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحبُ (التفسير) و(التاريخ) وغيرهما.

قال ابنُ خزيمة: لا أعلمُ على وجه الأرض أعلمَ من محمد بن جرير. وكان من المجتهدين، لا يقلِّدُ أحدًا. وله أصحابٌ يتفقهون على مذهبه، يأخذون بأقواله. ولد

---

(١) صحيح: رواه مسلم من حديث أبي هريرة طرف حديث (٩٧٦) بلفظ «استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي. فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» وانظر الترمذي (١٠٥٤) من حديث بريدة وابن ماجه (١٥٧١) من حديث ابن مسعود.

(٢) صحيح: وهي فقرة من الحديث السابق.

(٣) صحيح: رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٢٥٣٥، ٣٢٥٣٨) من طريق منصور عن مجاهد فذكره.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٨٥٩).

سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة.

قوله: (عن سُفيان)، الظاهر: أنَّه سفيان بن سعيد بن مسرُوق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقةٌ حافظٌ فقيه إمامٌ عابد. كان مجتهداً، وله أتباعٌ يتفقهون على مذهبه. مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربعٌ وستون سنة.

قوله: (عن منصور). هو ابن المعتمر بن عبد الله السُّلمي، ثقةٌ ثبت فقيه. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قوله: (عن مُجاهد) هو ابنُ جَبْر بالجيم والموحَّدة أبو الحجاج المخزُومي مولاهم المكي، ثقةٌ إمامٌ في التفسير، أخذه عن ابن عباس وغيره. مات سنة أربعٍ ومائة، قاله يحيى القطَّان.

وقال ابنُ حبان: مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة، وهو ساجد. ولد سنة إحدى وعشرين، في خلافة عمر.

قوله: (كان يَلُتُّ لهم السَّويق، فمات فعكفوا على قبره)، في رواية: فيُطعمُ من يمرُّ من الناس، فلما مات عبدوه، وقالوا: هو اللاَّت. رواه سعيدُ بنُ منصور. ومناسبتُه للترجمة: أنَّهم غلوا فيه لصلاحه حتى عبدوه، وصار قبره وثنًا من أوثان المشركين.

قوله: (وكذا قال أبو الجوزاء). هو أوسُ بن عبد الله الرَّبَعي، بفتح الراء والباء. مات سنة ثلاثٍ وثمانين.

قال البخاري: حدَّثنا مسلمٌ وهو ابنُ إبراهيم، حدَّثنا أبو الأشهب، حدَّثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس، قال: كان اللاَّتُ رجلاً يَلُتُّ سويق الحاج[1].

قال ابنُ خُزيمة: وكذا العُزَّى، وكانت شجرةً عليها بناءٌ وأستار بنخلة، بين مكة والطائف، كانت قريشُ يعظِّمونها، كما قال أبو سفيان يوم أُحد: لنا العُزَّى ولا عُزّى لكم[2].

(١) صحيح: وهو السابق ذكره.
(٢) سبق تخريجه.

قال المُصنِّفُ رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: لعن رسولُ الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج. رواه أهلُ السنن[١].

شَ: قلتُ: وفي الباب حديثُ أبي هريرة، وحديثُ حسَّان بن ثابت. فأمَّا حديثُ أبي هُريرة: فرواه أحمد، والترمذي وصحَّحه. وحديثُ حسَّان، أخرجه ابنُ ماجه، من رواية عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت، عن أبيه، قال: لعن رسولُ الله ﷺ زوَّارات القبور[٢].

وحديثُ ابنُ عباس هذا: في إسناده أبو صالح مولىٰ أُم هانيء، وقد ضعَّفه

(١) ضعيف واهٍ: رواه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) و النسائي (٤/ ٩٥) وأحمد (١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧) وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٤) والطيالسي (٢٨٥٦ ط. هجر)، والبيهقي (٤/ ٧٨) وابن حبان كما في الإحسان (٣١٧٩) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٧٤١) والحاكم (١/ ٣٧٤) والطبراني (٢٢٧٢٥) وابن الأعرابي في «معجمه» (٦٣٢) والبغوي في «شرح السنة» (٥١٠) والخطيب في «التاريخ» (٨/ ٧٠، ٧١) من طريق أبي صالح عن ابن عباس به وفي الإسناد أبو صالح وهو باذام مولىٰ أم هانئ كما ذكره الترمذي وغيرهما خلافًا لابن حبان في باذام شديد الضعف.
ثم أن أبا صالح باذام لم يسمع ابن عباس كما قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٨٥) و«انظر التهذيب».

(٢) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (١٠٤٦) وابن ماجه (١٥٧٦) وأحمد (٢/ ٣٣٧، ٣٦٥) والبيهقي (٤/ ٧٨) والطيالسي (٤٧٨ ط. هجر)، وابن حبان كما في الإحسان (٣١٧٨) وعنده بلفظ: «زائرات»، وأبو يعلىٰ (٥٩٠٨)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٤٠) من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال: «لعن رسول الله زوارات القبور» وعمر بن أبي سلمة ضعيف فيما يتفرد به وبعد أن ذكر الذهبي في «الميزان» هذا الحديث وغيره من الأحاديث قال: ولعمر عن أبيه مناكير. وله شاهد عند ابن ماجه (١٥٧٤) وأحمد (٣/ ٤٤٣، ٤٤٤) والبيهقي والحاكم (١/ ٣٧٤) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٧١) وابن أبي شيبة (٢/ ٣٤٥) والطبراني (٣٥٩١، ٣٥٩٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٦٥) من طريق عبدالرحمن بن بهمان عن عبدالرحمن بن حسان عن أبيه أن النبي ﷺ لعن زوارات القبور.
وفي الإسناد عبدالرحمن بن بهمان وهو مجهول وعبدالرحمن بن حسان يقال ولد في عهد رسول الله ﷺ. وذكره ابن حبان في «الثقات» كما قال ابن حجر في «التقريب» وروىٰ عبدالرزاق (٦٧٠٤) عن معمر عن أيوب عن عكرمة مولىٰ ابن عباس أن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور وهذا الإسناد ضعيف مرسل. رواية معمر عن أيوب ضعيفة لأن أيوب بصري. ثم إن الحديث مرسل من مراسيل عكرمة.
تنبيه: قال الحافظ الذهبي في «تلخيص المستدرك» (١/ ٣٧٤) أحاديث النهي عندنا منسوخة بحديث بريدة: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها.

بعضُهم ووثقه بعضهم. قال علي بن المديني، عن يحيى القطان: لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ. وما سمعتُ أحداً من الناس يقول فيه شيئاً، ولم يتركه شُعبة، ولا زائدة، ولا عبد الله بن عثمان.

وقال ابنُ معين: ليس به بأس، ولهذا أخرجه ابن السَّكَن في (صحاحه). انتهى من (الذهب الإبريز)، عن الحافظ المِزِّي.

قال شيخُ الإسلام: وقد جاء عن النبي ﷺ، من طريقين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ لعن زوّارات القبور. وذكر حديثَ ابن عباس، ثم قال: ورجالُ هذا ليس رجال هذا، فلم يأخذه أحدُهما عن الآخر، وليس في الإسنادين من يُتَّهم بالكذب، ومثلُ هذا حجةٌ بلا ريب. وهذا من أجود الحسن، الذي شرطه الترمذي؛ فإنه جعل الحسن: ما تعدَّدت طرقُه ولم يكن فيه متَّهم، ولم يكن شاذاً، أي: مُخالفاً لما ثبت بنقل الثقات. وهذا الحديثُ تعددت طرقُه، وليس فيها مُتهم، ولا خالفه أحدٌ من الثقات.

هذا لو كان عن صاحب واحد، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحبٍ، وذاك عن آخر؟ فهذا كلُّه يُبيِّنُ أنَّ الحديث في الأصل معروف.

والذين رخَّصوا في الزيارة، اعتمدوا على ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها: أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن، وقالت: لو شهدتُك ما زُرتُك[1]. وهذا يدلُّ على أنَّ الزيارة ليست مُستحبةً للنساء كما تُستحب للرجال، إذ لو كان كذلك لاستَحبَّت زيارته، سواء شهدته أم لا.

قلتُ: فعلى هذا، فلا حُجَّةَ فيه لمن قال بالرُّخصة.

وهذا السِّياقُ لحديث عائشة: رواه الترمذيُّ، من رواية عبد الله بن أبي مُلَيْكة، عنها، وهو يُخالف سياق الأثرم له، عن عبد الله بن أبي مُليكة أيضاً: أنَّ عائشة رضي الله عنها أقبلت ذاتَ يومٍ من المقابر. فقلتُ لها: يا أُمَّ المؤمنين، أليس نهى

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٠٥٥) وعبدالرزاق (٣/ ٥١٧، ٦٧١١) وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٣) عن عائشة وفي إسناد الترمذي وابن أبي شيبة: ابن جريج وهو مدلس وقد عنعن وله رواية عبدالرزاق (٣/ ٥١٧) بسند صحيح عن عائشة قالت: لو حضرت عبدالرحمن. تعني أخاها . ما دفن إلاحيث مات.

القبور، ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين خرجن إلى زيارة القبور.

ومنها: أنَّ النبي ﷺ علَّل الإذن للرجال، بأنَّ ذلك «**يذكِّرُ الموت، ويرقِّقُ القلب، وتدمع العين**»(١) هكذا في (مُسند أحمد). ومعلومٌ أنَّ المرأة إذا فُتح لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة؛ لما فيها من الضَّعف وقلة الصبر. وإذا كانت زيارة النساء مَظِنَّةً وسببًا للأمور المحرَّمة، فإنه لا يُمكن أنْ يُحدَّد المقدار الذي لا يُفضي إلى ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع.

ومن أصول الشريعة: أنَّ الحكمة إذا كانت خفيَّةً أو مُنتشرة عُلِّق الحكمُ بمظنتها. فيحرمُ هذا الباب سدًّا للذريعة، كما حُرِّم النظرُ إلى الزينة الباطنة، وكما حُرِّم الخلوة بالأجنبية وغير ذلك. وليس في ذلك من المصلحة ما يُعارض هذه المفسدة، فإنَّه ليس في ذلك إلاَّ دعاؤها للميت. وذلك ممكنٌ في بيتها.

ومن العُلماء من قول: التَّشْييعُ كذلك، ويحتجُّ بقوله ﷺ: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنكن تَفتنَّ الحي وتؤذين الميت**»(٢) وقوله لفاطمة: «**أمَا إنَّك لو بلغت**

---

(١) **حسن لشواهده**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٧، ٢٥٠) وأبو يعلى (٣٧٠٥، ٣٧٠٦، ٣٧٠٧) والحاكم (١/ ٣٧٦) من طريق يحيى بن الحارث الجابر عن عبد الوارث مولى أنس وعمرو بن عامر عن أنس به مرفوعًا ويحيى بن عبدالله بن الحارث الجابر لين الحديث وعبد الوارث مجهول ولكن تابعه عمرو بن عامر وله طريق آخر عند البزار (١٢١١) «كشف» من طريق الحارث بن نبهان من حنظلة السدوسي عن أنس. والحارث بن نبهان ضعيف ورواه البيهقي (٤/ ٧٧) من طريق إبراهيم بن طهمان عن عامر بن عمرو وعبدالوارث عن أنس. وثم شواهد وطرق أخرى انظرها في تحقيق مسند أحمد للشيخ شعيب الأرنؤوط برقم (٣٤٨٧) وحسنه الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز» (ص١٨٠).

(٢) **ضعيف واه**: رواه الخطيب في «التاريخ» (٦/ ٢٠١) وابن الجوزي في «الوهيات» رقم (١٥٠٦) من طريق أبي هدبة عن أنَس وقال فيه أبو هدبة وقد أجمعوا على أنه كذاب.
وقد روى الجملة الأولى ابن ماجه (١٥٧٨) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٧٧) وابن شاهين في «ناسخ الحديث» (ص٢٣١) وابن الجوزي في «الواهيات» (١٥٠٧).
من طريق إسماعيل بن سلمان عن دينار أبي عمر عن ابن الحنفية عن علي مرفوعًا وإسماعيل بن سلمان ضعيف ودينار بن عمر أبو عمر وثقه وكيع وقال أبو حاتم ليس بالمشهور وكذبه الخليلي والأزدي.
ورواه أبو يعلى (٤٠٥٦) وابن شاهين (ص٢٣١) وفيه الحارث بن زياد وهو ضعيف وله طريق آخر عند الخطيب (٩/ ١٠٢) وفيه متروك.

رسولُ الله ﷺ عن زيارة القبور؟ فقالت: نعم!، نهىٰ عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها(١).

فأجاب شيخُ الإسلام عن هذا، فقال: ولا حُجّة في حديث عائشة، فإنَّ المُحتجَّ عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأنَّ النهي منسوخ، ولم يَذكُر لها المُحتجّ النهيَ الخاص بالنساء، الذي فيه لعنهن علىٰ الزيارة.

يُبيِّنُ ذلك قولها: قد أمر بزيارتها. فهذا يُبيِّنُ أنه أمرَ به أمرًا يقتضي الاستحباب، والاستحبابُ إنما هو ثابتٌ للرجال خاصة. ولو كانت تعتقدُ أنَّ النساء مأمورات بزيارة القبور، لكانت تفعلُ ذلك كما يفعلُه الرجال، ولم تقل لأخيها: لما زرتك.

واللَّعنُ صريحٌ في التحريم، والخطابُ بالإذن في قوله: «فَزُورُوها»(٢) لم يتناول النساء، فلم يدخلن في الحكم الناسخ. والعامُّ إذا عُرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخًا له عند جمهور العلماء، وهو مذهبُ الشافعي، وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروفُ عند أصحابه. فكيف إذا لم يُعلم أنَّ هذا العام بعد الخاص؟.

إذْ قد يكون قوله: «لعن الله زوَّارات القبور» بعد إذنه للرجال في الزيارة؛ يدلُّ علىٰ ذلك: أنَّه قرنه بالمتَّخذين عليها المساجد والسُّرُج؛ ومعلومٌ أنَّ اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنه مُحكم؛ كما دلَّت عليه الأحاديثُ الصحيحة، وكذلك الآخر.

والصحيح: أنَّ النساء لم يدخُلن في الإذن في زيارة القبور، لعدة أوجه:

أحدُها: أنَّ قوله ﷺ: «فزوروها» صيغةُ تذكير. وإنما يتناول النساء أيضًا علىٰ سبيل التغليب. لكن هذا فيه قولان، قيل: إنَّه يحتاجُ إلىٰ دليل مُنفصل، وحينئذٍ فيحتاج تناول ذلك النساء إلىٰ دليلٍ منفصل، وقيل: إنَّه يحمل علىٰ ذلك عند الإطلاق.

وعلىٰ هذا: فيكونُ دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعامُّ لا يُعارضُ الأدلة الخاصة ولا ينسخها عند جمهور العلماء. ولو كان النساءُ داخلات في هذا الخطاب لاستُحبَّ لهن زيارة القبور، وما علمنا أحدًا من الأئمة استحبَّ لهن زيارة

(١) صحيح رواه الحاكم (١/ ٣٧٦) والبيهقي (٤/ ٧٨) من طريق عبدالله بن أبي مليكة عن عائشة. وأصل هذا الحديث عند ابن ماجه مختصراً (١٥٦٩) عن عائشة أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٩٧٧).

معهم الكُدَى لم تدخُلي الجنة»[١].

يؤيِّدُه: ما ثبت في (الصحيحين)؛ من أنَّه نهىٰ النساء عن اتباع الجنائز[٢] ومعلومٌ أنَّ قوله ﷺ «من صلَّى على جنازة فله قيراط، ومن تبعها حتى تُدفن فله قيراطان»[٣] هو أدلُّ علىٰ العموم من صيغة التذكير؛ فإن لفظ: مَن، يتناولُ الرجالَ والنساء باتفاق الناس، وقد عُلم بالأحاديث الصحيحة أنَّ هذا العموم لم يتناول النساء لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباع الجنائز. فإذا لم يدخُلن في هذا العموم، فكذلك في ذلك بطريق الأولىٰ. انتهىٰ ملخصًا.

قلتُ: وعمَّا استدلَّ به القائلون بالنسخ أجوبةٌ أيضًا:

منها: أنَّ ما ذكروه عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما معارضٌ بما ورد عنهما في هذا الباب، فلا يثبتُ به نسخ.

ومنها: أنَّ قول الصحابي وفعله ليس حجةً علىٰ الحديث، بلا نزاع. وأمَّا تعليمهُ عائشة كيف تقول إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدلُّ علىٰ نسخ ما دلَّت عليه الأحاديثُ الثلاثة من لعن زائرات القبور؛ لاحتمال أنْ يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد والوعيد الشديد. والله أعلم.

قال محمدُ بن إسماعيل في كتاب (تطهير الاعتقاد): والمشاهدُ التي صارت أعظم ذريعةٍ إلىٰ الشرك والإلحاد، غالبُ من يعمرُها الملوكُ والسلاطين: إمَّا علىٰ قريبٍ

---

(١) **ضعيف:** رواه أبو داود (٣١٢٣) والنسائي (٤/ ٢٧، ٢٨) والحاكم (١/ ٣٧٣) والبيهقي (٤/ ٦٠) وأحمد (٢/ ١٦٨، ١٦٩، ٢٢٣) وابن الجوزي في «الواهيات» (١٥٠٨، ١٥٠٩) من طريق ربيعة بن سيف المعافري عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو بن العاص فذكره مرفوعًا. وربيعة المعافري عنده مناكير كما قال البخاري وضعفه النسائي، وعبدالحق الأزدي. لكن ورد عن النسائي قول آخر وهو ليس به بأس. فالراجح فيه الضعف وانظر ترجمته في «التهذيب» و «الميزان». والحديث ضعفه النووي في «المجموع» (٥/ ٢٢٤) وقال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٤٤٤) ربيعة صاحب مناكير وعجائب. وذلك بعد إيراده الخبر المنكر.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٦) من حديث ثوبان وعند مسلم (٩٤٥) من حديث أبي هريرة واللفظ له.

لهم، أو على من يُحسنون الظنَّ فيه من فاضلٍ أو عالم.

ويزوره الناسُ الذين يعرفونه، زيارةَ الأموات من دون توسلٍ به ولا هتفٍ باسمه، بل يدعون له ويستغفرون. حتى ينقرض من يعرفُه أو أكثرهم، فيأتي مَنْ بعدهم من يرى قبراً قد شُيِّد عليه البناء، وسُرجت عليه الشموع، وفُرش بالفراش الفاخر. فيعتقد أنَّ ذلك لنفعٍ أو دفع ضر، وتأتيه السدنةُ يكذبون على الميت بأنه فعلٍ وفعل، وأنزل بفلانٍ الضر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلَّته كلَّ باطل. والأمرُ ما ثبت في الأحاديث النبوية، من لعن من سرج القبور وكتب عليها وبنى عليها، وأحاديثُ ذلك واسعةٌ معروفة؛ فإنَّ ذلك في نفسه منهيٌّ عنه، ثم هو ذريعةٌ إلى مفسدةٍ عظيمة. انتهى.

ومنه تعلم مطابقة الحديثِ للترجمة. والله أعلم.

قوله: (والمتَّخذين عليها المساجد) تقدَّم شرحُه في الباب قبله.

قوله: (والسُّرُج) قال أبو محمد المقدسي: لو أُبيح اتخاذُ السرج عليها لم يُلعن من فعله؛ لأنَّ فيه تضييعًا للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام.

وقال ابنُ القيم رحمه الله تعالى:اتخاذها مساجد وإيقادُ السرج عليها من الكبائر.

قوله: (رواه أهلُ السُّنن). يعني أبا داود، والترمذي، وابن ماجه، فقط، ولم يروه النسائي[1].

* * *

(١) بل رواه النسائي (٤/ ٩٥) كما سبق في تخريج الحديث.

(٢١)

بـاب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.

ش: الجناب: هو الجانب، والمراد حمايته عما يقرب إليه أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ش: قال ابن كثير: يقول تعالى ممتنًا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم، أي: من جنسهم وعلى لغتهم، كما قال إبراهيم عليه السلام **﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾** [البقرة: ١٢٩] وقال تعالى: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾** [آل عمران: ١٦٤] وقال تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾** [التوبة: ١٢٨] أي: منكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي[١]، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا، نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته[٢]، وذكر الحديث.

---

(١) **إسناده حسن:** رواه أحمد (١/ ٢٠١) والبيهقي في «السنن» (٩/ ٩)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١٩٤)، و«الحلية» (١/ ١١٥) من طريق محمد بن إسحاق حدثني محمد بن مسلم بن شهاب عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة به. و أصل الحديث في البخاري رقم (٧)

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٣١٥٩) وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٧٦).

وقال سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية[١].

وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته، ويشق عليها؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه، أنه قال: «**بعثت بالحنيفية السمحة**»[٢] وفي الصحيح: «**إن هذا الدين يسر**»[٣] وشريعته كلها سمحة سهلة كاملة، يسيرة علىٰ من يسرها الله عليه.

قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: علىٰ هدايتكم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم.

وعن أبي ذر، قال: تركنا رسول الله ﷺ، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علمًا[٤]. أخرجه الطبراني، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بقي

---

(١) **إسناده حسن**: رواه البيهقي في «السنن» (٧/ ١٩٠) والطبري في «التفسير» (١٧٥١٨) من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن محمد فذكره. ورواه عبدالرزاق في «تفسيره» (١١٤٧) ومن طريقه الطبري (١٧٥١٩) عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد لم يجاوزه.

(٢) **حسن بشواهده**: رواه أحمد (٦/ ١١٦، ٢٣٣) من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي عروة إن عائشة قالت فذكرته مرفوعًا.
وعبدالرحمن بن أبي الزناد مختلف فيه وحديثه إلىٰ الحسن أقرب.
وله شاهد ثان رواه أحمد (٥/ ٢٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٦٨) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٠٤) من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا. وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف. وقد تكلم في هذه السلسلة ابن حبان في «المجروحين» وله طريق آخر عن أبي أمامة رواه الطبراني (٧٧١٥) وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف وله شاهد ثالث. رواه الخطيب في «تاريخه» (٧/ ٢٠٩) من حديث جابر والإسناد فيه مسلم بن عبد ربه. ضعفه الأزدي وقال الذهبي: لا أدري من ذا. وأبو الزبير مدلس وقد عنعن.
وله شاهد رابع. رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٥١) من طريق برد الحريري عن حبيب بن أبي ثابت مرسلاً وبرد الحريري لم يذكر بتوثيق ولا تخريج ولا ترجمته عند ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٣٩، ٥٦٧٣، ٦٤٦٣، ٧٢٣٥)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٧/ ١٢١)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٦٩) من حديث أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٥/ ١٥٤، ١٦٢)، والطيالسي (٤٧٩) من طريق ابن نمير وشعبة عن الأعمش عن منذر عن أشياخ لهم عن أبي ذر به وأشياخ منذر الثوري مبهمون.
ورواه فطر بن خليفة واختلف عليه.
فرواه أحمد (٥/ ١٦٢) من طريق حجاج عن فطر عن منذر عن أبي ذر. وهذا منقطع بين فطر ومنذر الثوري. =

شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم»(١).

قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، كما قال تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٥-٢١٦] وهكذا أمره تعالى في هذه الآية الكريمة.

قلت: فاقتضت هذه الأوصاف التي وصف الله بها رسوله ﷺ، في حق أمته: أن أنذرهم وحذرهم الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وبين لهم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها. ومن ذلك تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها، كما تقدم، وكما سيأتي في أحاديث الباب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً. وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، رواته ثقات(٢).

ش: قوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» قال شيخ الإسلام: أي: لا تعطلوها من

= وتابع حجاجًا وكيع كما في «الزهد» له(٢٥٢٢). ورواه ابن حبان (٦٥) «إحسان» والبزار (٣٨٩٧) (١٤٧) «كشف»، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٧) من طريق سفيان بن عيينة عن فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر به وإسناده صحيح ورواه أبويعلى (٥١٠٩) من طريق يحيى القطان عن فطر عن عطاء بن أبي رباح عن أبي الدرداء به وبين عطاء وأبو الدرداء انقطاع.

فلو رمت الجمع لقلت ما سقط بين منذر الثوري وأبي ذر قد جاء ذكره بإبهام ثم ذكر هذا المبهم وهو أبو الطفيل. ولو رمت الترجيح لقلت إن الذين رووه بإسقاط الواسط أوثق فهو الراجح والله تعالى أعلم.

وللحديث شاهد عند الحاكم (٢/ ٤) من طريق يونس بن بكير عن ابن مسعود مرفوعًا وفي الإسناد إليه سعيد ابن أبي أمية وهو مجهول. وقال الشيخ مقبل الوادعي في تعليقه على «مستدرك الحاكم» (٢/ ٦) في يونس بن بكير الظاهر أنه تصحيف لم نهتد لترجمته.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٦٤٧) وإسناده صحيح ولكن في الحديث علة وسبق الكلام عليه في الحديث الذي فوقه.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٢٦) والبيهقي في «حياة الأنبياء» رقم (١٤)، وابن فيل في «جزئه»، كما في «القول البديع» (ص١٥٤) و«جلاء الأفهام» (ص١٠٧)، من طريق عبدالله بن نافع عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة به في الإسناد عبدالله بن نافع، مختلف فيه، قال الحافظ ثقة، صحيح الكتاب، في حفظه لين، وحسن الحديث ابن عبد =

الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور. فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهىٰ عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارىٰ ومن تشبه بهم من هذه الأمة.

وفي «الصحيحين»، عن ابن عمر، مرفوعًا **«اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً»**(1).

وفي «صحيح مسلم»، عن ابن عمر، مرفوعًا **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه»**(2).

قوله: «ولا تجعلوا قبري عيداً».

قال شيخ الإسلام: العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام علىٰ وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر ونحو ذلك.

وقال ابن القيم: العيد: ما يعتاد مجيئه وقصده، من زمان ومكان. مأخوذ من المعاودة، والاعتياد.

فإذا كان اسمًا للمكان فهو المكان الذي يقصد في الاجتماع، وانتيابه للعبادة أو لغيرها؛ كما أن المسجد الحرام ومنىٰ ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً

= الهادي، كما في «فتح المجيد» (١/ ٤٢٩)، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٥٤)، و «فتح المجيد» وصححه النووي في «الأذكار» (ص٩٣) و «المجموع» (٨/ ٣٧٥)، وحسنه ابن حجر في «الفتوحات الربانية» (٣/ ١١٣) والشيخ الألباني كما في «تحذير الساجد» «ص٩٧» وللحديث شواهد منها حديث علي رضي الله عنه، وهو الآتي ذكره في هذا الباب، ومنها شاهد عن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ مرسلاً رواه سعيد بن منصور في «السنن»، كما في «فتح المجيد»، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥)، وعبد الرزاق (١٧٢٦) من طريق سهيل بن أبي سهيل، عن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب. فذكره عن النبي ﷺ مرسلاً، وسهيل ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحًا ولاتعديلاً، وذكره ابن حبان في «ثقاته» وشاهد آخر رواه سعيد بن منصور كما في «فتح المجيد»، قال. حدثنا حبان بن علي، حدثنا محمد بن عجلان، عن أبي سعيد مولىٰ المهدي، عن النبي ﷺوهذا إسناد ضعيف مرسل، حبان ابن علي أبو علي ضعيف، وأبو سعيد مولىٰ المهدي مجهول، ولفقرات الحديث شواهد.
منها ما أخرجه البخاري (٤٣٢، ١١٨٧) ومسلم (٧٧٧) من حديث ابن عمر مرفوعًا «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» وعند مسلم (٧٨٠) «لاتجعلوا بيوتكم مقابر..» الحديث.

(١) صحيح رواه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).
(٢) صحيح رواه مسلم (٧٨٠).

للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام التعبد فيها عيداً.

وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر، وأيام منىٰ. كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية، الكعبة ومنىٰ ومزدلفة وعرفة والمشاعر.

قوله: «وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

قال شيخ الإسلام: يشير بذلك إلىٰ أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة بكم إلىٰ اتخاذه عيداً.

انتهىٰ.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن علي بن الحسين، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو. فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم»[(١)] رواه في المختارة.

ش: هذا الحديث والذي قبله جيدان، حسنا الإسنادين.

أما الأول: فرواه أبو داود، وغيره، من حديث عبد الله بن نافع الصائغ، قال: أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، فذكره.

ورواته ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع، قال فيه أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، تعرف وتنكر. وقال ابن معين: هو ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به.

---

(١) **حسن لغيره:** رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥)، وأبويعلىٰ (٢٦٩)، والبخاري في «التاريخ» (٢/ ١٨٦) والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» رقم (٢٠) والضياء في «المختارة» (٤٢٨) من طريق جعفر بن إبراهيم قال حدثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين عن أبيه عن جده وفي الإسناد علي بن عمر بن علي بن الحسين وهو مستور وجعفر بن إبراهيم الجعفري. لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحًا ولاتعديلاً وقال ابن حبان: يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه كما في «اللسان» وأخرج المتن ابن أبي عاصم في كتاب «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» كما في «اللسان» ترجمة جعفر بن إبراهيم الجعفري، وإسناده ضعيف ويشهد لهذا الحديث الحديث السابق من حديث أبي هريرة.

قال شيخ الإسلام: ومثل هذا إذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة. وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي: هو حديث حسن، جيد الإسناد، وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلىٰ درجة الصحة.

وأما الحديث الثاني: فرواه أبو يعلىٰ، والقاضي إسماعيل، والحافظ الضياء في «المختارة».

قال شيخ الإسلام: فانظر هذه السنة، كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلىٰ ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط. انتهىٰ.

وقال سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا عبد العزيز بن محمد، أخبرني سهيل بن أبي سهيل، قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشىٰ، فقال: هلم إلىٰ العشاء: فقلت: لا أريده. فقال مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت علىٰ النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** ما أنتم عليٍّ فإن من بالأندلس إلا سواء[(١)].

وقال سعيد أيضاً: حدثنا حبان بن علي، حدثنا محمد بن عجلان، عن أبي سعيد مولىٰ المهري، قال: قال رسول الله ﷺ **«لا تتخذوا بيتي عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني»**[(٢)].

قال شيخ الإسلام: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين، يدلان علىٰ ثبوت الحديث. لا سيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده. هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسنداً؟.

---

(١) **ضعيف مرسل:** رواه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥) وعبد الرزاق (١٧٢٦) وسعيد بن منصور في «سننه» كما هنا من طريق سهيل بن أبي سهل عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ مرسلاً وسهيل ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولاتعديلاً. وذكره ابن حبان في ثقاته.

(٢) **ضعيف مرسل:** رواه سعيد بن منصور في «سننه» كما هنا. وفي الإسناد حبان بن علي أبو علي ضعيف وأبو سعيد مولىٰ المهدي مجهول.

قوله: «عن علي بن الحسين». أي: ابن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين رضي الله عنه، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم. قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين، على الصحيح. وأبوه الحسين، سبط رسول الله ﷺ وريحانته. حفظ عن النبي ﷺ، واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وله ست وخمسون سنة.

قوله: «أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة». بضم الفاء وسكون الراء، وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما.

قوله: «فيدخل فيها فيدعو، فنهاه». هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسلام: ما علمت أحدًا رخص فيه؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا، ويدل أيضًا: أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه؛ لأن ذلك لم يشرع.

وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها(١).

وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل.

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو الصلاة أو الدعاء، فلم يشرعه لهم. بل نهاهم، في قوله: «**لا تتخذوا قبري عيدًا وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني**»، فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد، وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد.

وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب، إذا كانت عائشة فيها، وبعد

---

(١) نقله القاضي عياض في «الشفا» بتحقيقي في فصل حكم زيارة قبره عليه السلام ونسبه. للمبسوط «محمد بن الحسن الشيباني».

ذلك، إلىٰ أن بُني الحائط الآخر. وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلىٰ قبره لا يدخلون إليه، لا لسلام ولا لصلاة، ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم. ولا كان الشيطان يطمع فيهم -حتىٰ يسمعهم كلامًا أو سلامًا، فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج- كما طمع الشيطان في غيرهم، فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتىٰ ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتىٰ خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها، كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج.

والمقصود: أن الصحابة لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره، كما يفعله من بعدهم من الخلوف. وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفره، كما كان ابن عمر يفعله.

قال عبيد الله بن عمر، عن نافع: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتىٰ قبر النبي ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا أبا بكر. السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف[1]. قال عبيد الله: ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر. وهذا يدل علىٰ أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم، كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام: لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة، فكان بدعة محضة.

وفي «المبسوط»: قال مالك: لا أرىٰ أن يقف عند قبر النبي ﷺ، ولكن يسلم ويمضي. ونص أحمد أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره؛ لئلا يستدبره.

وبالجملة، قد اتفق الأئمة علىٰ أنه إذا دعا لا يستقبل القبر، وتنازعوا: هل يستقبله عند السلام عليه أم لا؟

وفي الحديث: دليل علىٰ منع شد الرحال إلىٰ قبره ﷺ، وإلىٰ غيره من القبور

---

(١) نحو هذا الأثر رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١٦٦) والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٤٥) عن عبدالله بن دينار قال رأيت ابن عمر فذكره بإسناد صحيح.

ونحو ذلك رواه البيهقي في «الشعب» (٤١٦١) إسناده صحيح، وابن بطة بإسناد صححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٦٨، ٦٦٩).

والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعياداً. بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها.

وهذه هي المسألة التي أفتىٰ فيها شيخ الإسلام ـ أعني من سافر لمجرد زيادة قبور الأنبياء والصالحين ـ ونقل فيها اختلاف العلماء. فمن مبيح لذلك، كالغزالي، وأبي محمد المقدسي. ومن مانع لذلك، كابن بطة، وابن عقيل، وأبي محمد الجويني، والقاضي عياض.

وهو قول الجمهور؛ نص عليه مالك، ولم يخالفه أحد من الأئمة. وهو الصواب؛ لما في «الصحيحين»، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ ـ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»(١) فدخل في النهي: شدها لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيًا، وإما إن يكون نفيًا. وجاء في رواية، بصيغة النهي، فتعين أن يكون للنهي.

ولهذا فهم منه الصحابة المنع؛ كما في «الموطأ»، «والمسند» «والسنن»، عن بصرة ابن أبي بصرة الغفاري، أنه قال لأبي هريرة ـ وقد أقبل من الطور ـ: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت، سمعت رسول الله يقول: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»(٢).

وروىٰ الإمام أحمد، وعمر بن شبة في «أخبار المدينة» بإسناد جيد، عن قزعة، قال: أتيت ابن عمر، فقلت: إن أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة والمسجد الأقصىٰ. فدع عنك الطور ولا تأته(٣).

فابن عمر، وبصرة بن أبي بصرة، جعلا الطور مما نهي عن شد الرحال إليه؛ لأن اللفظ الذي ذكراه: في النهي عن شدها إلىٰ غير الثلاثة، مما يقصد به القربة. فعلم أن المستثنىٰ منه عامٌ في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصًا بالمساجد؛ ولهذا نهيا

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٨٢٧).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه النسائي (٣/ ١١٣، ١١٤)، وأحمد (٦/ ٧)، والحميدي (٩٤٤)، والموطأ (١/ ١٠٨، ١٠٩) وابن حبان (٢٧٧٢) كما في «الإحسان» من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به.

(٣) **إسناده ضعيف والحديث حسن لما سبق**: رواه أحمد (٣/ ٦٤، ٩٣)، وأبو يعلىٰ (١٣٢٦) من طريق شهر عن أبي سعيد الخدري قال «شهر» وذكره عنده صلاة في الطور فذكر الحديث. وشهر ضعيف.

عن شدها إلى الطور مستدلين بهذا الحديث.

والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة؛ فإن الله سماه الوادي المقدس والبقعة المباركة، وكلم كليمه موسى هناك، وهذا هو الذي عليه الأئمة الأربعة، وجمهور العلماء.

- ومن أراد بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه، فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيبًا لابن الأخنائي فيما اعتراض به على ما دلت عليه الأحاديث، وأخذ به العلماء وفي «الجواب الباهر» الذي نقل عنه ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى - وقياس الأولى؛ لأن المفسدة في ذلك ظاهرة.

وأما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة، فغاية ما فيها: أنها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال، ولا مزية تدعو إليه.

وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب «الصارم المنكي» في رده على السبكي، وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ. وذكر هو، وشيخ الإسلام رحمه الله: أنه لا يصح منها حديث عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه. مع أنها لا تدل على محل النزاع؛ إذ ليس فيها إلا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شد الرحال. فيحمل على الزيارة الشرعية، التي ليس فيها شرك ولا بدعة.

قوله: « رواه في المختارة»، المختارة: كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على «الصحيحين».

ومؤلفه: هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد المقدسي، الحافظ ضياء الدين الحنبلي، أحد الأعلام. قال الذهبي: أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين، والورع والفضيلة التامة والإتقان، فالله يرحمه ويرضى عنه.

وقال شيخ الإسلام: تصحيحه في «مختارته» خير من تصحيح الحاكم بلا ريب. مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

* * *

(٢٢)

بــاب

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

قـال المصنف رحمـه الله تعـالى: باب ما جـاء أن بعض هذه الأمـة يعبـد الأوثان. وقـول اللـه تعـالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

ش: الوثن: يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله، من القبور والمشاهد وغيرها؛ لقول الخليل عليه السلام ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ [الشعراء: ٧١] وقوله: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥] فبذلك يعلم أن الوثن يطلق على الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله، كما تقدم في الحديث.

وقوله: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ روى ابن أبي حاتم، عن عكرمة، قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج. ومحمد صنبور، قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[1].

وفي «مسند أحمد»، عن ابن عباس، نحوه[2].

---

(١) صحيح مرسلاً: رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٥١٣) من طريق سفيان عن عمر وعن عكرمة فذكره.

(٢) إسناده صحيح: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢٤٠)، والطبري (٨/ ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨) وأحمد كما =

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[١]. وكذا قال ابن عباس وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وغيرهم.

وعن ابن عباس، وعكرمة، وأبي مالك: الجبت: الشيطان ـ زاد ابن عباس: بالحبشية. وعن ابن عباس أيضًا: الجبت: الشرك. وعنه، الجبت: الأصنام. وعنه، الجبت: حيي بن أخطب.

وعن الشعبي، الجبت: الكاهن.

وعن مجاهد، الجبت: كعب بن الأشرف.

قال الجوهري: الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر، ونحو ذلك[٢].

قال المصنف: وفيه: معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع: هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها، معرفة بطلانها؟

= في «تفسير ابن كثير» (١/ ٥١٣) والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٩) من طريق ابن أبي عدي عن داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس فذكره. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٤١) من طريق عمرو عن عكرمة مرسلاً.

وقد قال شيخنا مصطفى بن العدوي حفظه الله في «التسهيل سورة النساء» (٢/ ٨٠) لهذه الآية سبب نزول مختلف في وصله وإرساله. ثم ساق الحديث. ثم قال: وقد صوب شيخنا مقبل. حفظه الله تعالى. الإرسال في تعليقه على ابن كثير والله أعلم.

(١) إسناده ضعيف: رواه البخاري معلقًا كما في «الفتح» (٨/ ٢٥١) ووصله الطبري في «تفسيره» (٥٨٣٥، ٥٨٣٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦١٨، ٥٤٤٣، ٥٤٤٩) وأبو القاسم البغوي كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٩) وعبد بن حميد في «تفسيره» ومسدد في «مسنده» وعبد الرحمن بن رسته في كتاب «الإيمان» كما في «الفتح» (٨/ ٥٠٢) كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر فذكره. وقال الحافظ: وإسناده قوي وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق من حسان بن فائد وسماع حسان من عمر في رواية رسته. اهـ.
قلت: ورواه شعبة عن أبي إسحاق به في رواية الطبري وبعض روايات ابن أبي حاتم وفي رواية مسدد وذكر الأخير الحافظ في «التهذيب» في ترجمة حسان بن فائد وفي الإسناد حسان بن فائد قال أبو حاتم شيخ ذكره ابن حبان في «الثقات» وروى عنه أبو إسحاق السبيعي فالأثر لايرتقي للحسن لهذا الرجل فالأقرب فيه الجهالة والله أعلم.

وروي الأثر الفريابي وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٤) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) هذه الآثار خرجها الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٢٤) وما بعدها، وانظر «ابن كثير في التفسير» (١/ ٥١٢)، و«التسهيل» لشيخنا (٢/ ٨١) سورة النساء.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

ش: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: أبعده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ أي: غضبًا لا يرضى بعده أبدًا ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾.

وقد قال الثوري: عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد الله، عن المعرور بن سويد: إن ابن مسعود، قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير: أهي مما مسخ الله؟ فقال: «**إن الله لم يهلك قومًا ـ أو قال: لم يمسخ قومًا ـ فيجعل لهم نسلاً ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك**» ورواه مسلم(١).

قال البغوي في «تفسيره»: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعني، قولهم: لم نر أهل دين أقل حظًا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شر من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء؛ كقوله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

قوله: ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابًا وجزاءً، نصب على التفسير ﴿عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى. عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير(٢).

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سوله.

وقرأ ابن مسعود ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ وقرأ حمزة: «وعبد الطاغوت» بضم الباء وجر التاء، أراد العبد. وهما لغتان: عبد بجزم الباء، عبد بضمها، مثل سبع وسبع، قرأ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٣).
(٢) إسناده ضعيف: لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

الحسن ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ علىٰ الواحد.

وفي «تفسير الطبرسي»: قرأ حمزة وحده ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ بضم الباء وجر التاء، والباقون ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ بنصب الباء وفتح التاء. وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، وإبراهيم النخعي، والأعمش، وأبان بن تغلب ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ بضم العين والباء، وفتح الدال وخفض التاء. قال: وحجة حمزة في قراءته ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أنه يحمله علىٰ ما عمل فيه ﴿جعل﴾. كأنه: وجعل منهم عبد الطاغوت. ومعنىٰ ﴿جعل﴾: خلق، كقوله: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ وليس عبد لفظ جمع؛ لأنه ليس من أبنية الجموع شيء علي هذا البناء، ولكنه واحد يراد به الكثرة. ألا ترىٰ أن في الأسماء المفردة المضافة إلىٰ المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع، كما في قوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤] ولأن بناء فَعُلٌ يُراد به المبالغة والكثرة نحو يَقُظَ ودَنُسَ، وكأن تقديره: أنه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب.

وأما من فتح فقال: ﴿وَعَبَدَ الطاغوتَ﴾ فإنه عطفه علىٰ بناء المُضيِّ الذي في الصلة، وهو قوله: ﴿لعنه الله﴾. وأفرد الضمير في عبد، وإن كان المعنىٰ فيه الكثرة؛ لأن الكلام محمول علىٰ لفظه دون معناه. وفاعله ضمير من، كما أن فاعل الأمثلة المعطوف عليها ضمير من، فأفرد لحمل ذلك جميعًا علىٰ اللفظ. وأما قوله: ﴿وعبدَ الطَّاغُوتَ﴾ فهو جمع عبد.

وقال أحمد بن يحيىٰ: عُبُد جمع عابد؛ كبازل وبُزل، وشارف وشرف، كذلك عُبَّد جمع عابد. ومثله عباد وعبَّاد. انتهىٰ.

وقال شيخ الإسلام - في قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ - والصَّواب: أنه معطوف علىٰ ما قبله من الأفعال، أي: من لعنه وغضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت. قال: والأفعال المتقدمة، الفاعل فيها اسم الله تعالىٰ، مظهراً ومضمراً. وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت، وهو الضمير في عبد. ولم يعد سبحانه من؛ لأنه جعل هذه الأفعال صفة لصنف واحد، وهم اليهود.

قوله: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة، كقوله: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤] قاله العماد ابن كثير في «تفسيره».

وهو الظاهر.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

ش: والمراد: أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله؛ لأن النبي ﷺ قال: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**(١) أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن» أخرجاه.

ش: وهذا سياق مسلم(٢).

قوله «سنن» بفتح المهملة، أي: طريق من كان قبلكم. قال المهلب: الفتح أولىٰ.

قوله: **«حذو القُذَّة بالقذة»** بنصب حذو، علىٰ المصدر. والقذة ـ بضم القاف ـ واحدة القذاذ، وهو ريش السهم. أي: لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرىٰ، فوقع كما أخبر ﷺ. وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة. وقد وقع كما أخبر، وهو علم من أعلام النبوة.

قوله: **«حتى لو دخلوا جُحْر ضب لدخلتموه»** وفي حديث آخر **«حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك»**(٣).

أراد ﷺ أن أمته لا تدع شيئًا مما كان يفعله اليهود والنصارىٰ إلا فعلته كله، لا تترك منه شيئًا؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النصارىٰ. انتهىٰ.

---

(١) **صحيح:** وسبق تخريجه.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٣) **إسناده ضعيف:** رواه الترمذي (٢٦٤٣)، والحاكم (١/ ١٢٨)، واللالكائي (١٤٧) من طريق عبدالرحمن بن زياد عن عبدالله بن يزيد عن عبدالله بن عمر مرفوعًا وفي الإسناد عبدالرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف.

قلت: فما أكثر الفريقين، لكن من رحمة الله تعالىٰ ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة؛ كما في حديث ثوبان الآتي قريبًا.

قوله: قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فمن» هو برفع اليهود؛ خبر مبتدأ محذوف، أي: أهم اليهود والنصارىٰ الذين نتبع سننهم؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني.

قوله: قال: «فمن» استفهام إنكار. أي: فمن هم غير أولئك؟

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولمسلم عن ثوبان: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها. وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنَة بعامَّة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامَّة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. ولَو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»(١).

ورواه البرقاني في «صحيحه»، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تَعْبُدَ فئَامٌ من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نَبي. وأنا خاتم النبيين، ولا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، تبارك وتعالى»(٢).

ش: هذا الحديث رواه أبو داود في «سننه»، وابن ماجه، بالزيادة التي ذكرها

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) إسناده صحيح: رواه بهذه الزيادة أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤) =

المصنف.

قوله عن «**ثوبان**». هو مولى النبي ﷺ. صحبه ولازمه، ونزل بعده الشام. ومات بحمص سنة أربع وخمسين.

قوله: «**زوى لي الأرض**» قال التُّوربِشْتي: زَوَيتُ الشيء، جمعته وقبضته. يريد تقريب البعيد منها، حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب.

وحاصله: أنه طوى له الأرض، وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره. قال الطيبي: أي: جمعها لي، حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها.

قوله: «**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**».

قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته. وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة - بالنون والجيم - الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد الهند والسند والصغد. ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال؛ ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أُريه، ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه.

قوله: «**زوي لي منها**» يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل، وأن يكون مبنيًا للمفعول.

قوله: «**وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض**» قال القرطبي: يعني بها كنز كسرى، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما.

وقد قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»[1] وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة.

ووجد ذلك في خلافة عمر، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت

= والحاكم (٤/ ٤٤٩)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٢/ ٦٨٨، ٦٨٩)، وفي «الحلية» (٢/ ٢٨٩)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٨١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٥٦)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢٣٨) من طريق أبي قلابة الجرحي حدثني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان حدثه فذكره مرفوعًا.

وروى الجزء الأخير «ولاتزال طائفة..» البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٩٢٠).

(١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٦٦٣٠)، ومسلم (٢٩١٨).

أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر والأبيض والأحمر منصوبان على البدل.

قوله: «**وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة**» هكذا ثبت في أصل المصنف رحمه الله تعالى: بعامة. بالباء، وهي رواية صحيحة في «صحيح مسلم» وفي بعضها بحذفها.

قال القرطبي: وكأنها زائدة؛ لأن عامة صفة السنة، والسنة: الجدب الذي يكون به الهلاك العام. ويسمى الجدب والقحط: سنة. ويجمع على سنين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي: الجدب المتوالي.

قوله: «**وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم**» أي: من غيرهم من الكفار: من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، كما هو مبسوط في التاريخ فيما قبل، وإلى زماننا هذا. نسأل الله العفو والعافية.

قوله: «**فيستبيح بيضتهم**» قال الجوهري: بيضة كل شيء: حوزته. وبيضة القوم: ساحتهم. وعلى هذا فيكون معنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض، وهي جوانبها. وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم، وإن قلوا.

قوله: «**حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**» والظاهر أن حتى عاطفة، أو تكون لانتهاء الغاية. أي: أن أمر الأمة ينتهي إلى أن «**يكون بعضهم يهلك بعضًا**» الحديث. وقد يسلَّطُ بعضهم على بعض، كما هو الواقع؛ وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم.

قوله: «**وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد**» قال بعضهم: أي: إذا حكمت حكمًا مبرمًا نافذًا فإنه لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد على رده؛ كما قال النبي ﷺ: «**ولا راد لما قضيت**»[1].

قوله: «ورواه البرقاني في صحيحه». هو الحافظ الكبير، أبو بكر أحمد بن

---

(١) **إسناده حسن**: رواه عبدالرزاق (١٩٦٣٨)، وعبد بن حميد (٣٩١)، والطبراني في «الدعاء» (٦٨٦) والبزار (٣٠٩٨) «كشف» عن معمر عن عبدالملك بن عمير حدثني ورَّاد كاتب المغيرة عن المغيرة بن شعبة وأصل الحديث بدون هذا اللفظ عند البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

محمد «بن أحمد» بن غالب الخوارزمي الشافعي. ولد سنة ستٍ وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمسٍ وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه. كثير التصانيف، صنف «مسندًا» ضمنه ما اشتمل عليه «الصحيحان»، وجمع حديث الثوري، وحديث شعبة، وطائفة.

وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه، بسنده إلىٰ أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله - أو قال: إن ربي - زوى لي الأرض، فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، ولا يسلط عليها عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وأن ربي قال لي: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال: بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضًا، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وضع السيف في أمتي لم يرتفع عنها إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق - قال ابن عيسى: ظاهرين، ثم اتفقا - لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»[(١)].

وروىٰ أبو داود أيضًا، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عامًا**»، قال: قلت: إمما بقي أو مما مضىٰ؟ قال: «**مما مضى**»[(٢)].

---

(١) **إسناده صحيح**: ومضىٰ تخريجه قريبًا.

(٢) **صحيح بطرقه**: رواه أحمد (١/ ٣٩٠، ٤٥١)، وأبو يعلىٰ (٥٠٠٩، ٥٢٩٨)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٢٣٥، ٢٣٦)، وابن حبان كما في الإحسان» (٦٦٦٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٦) من طريق القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبدالله بن مسعود مرفوعًا، وإسناده حسن وفي سماع عبد الرحمن بن =

وروىٰ في «سننه» أيضًا، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويُلقى الشُحُّ، ويكثر الهرج**» قيل: يا رسول الله، أيه هو؟ قال: «**القتل القتل**»(١).

قوله: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» أي: الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم فيضلوهم، كما قال تعالىٰ ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا**﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة فليأت إلىٰ قبري فإني أقضيها له، ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، أو نحو هذا.

وهذا هو الضلال البعيد؛ يدعو أصحابه إلىٰ أن يعبدوه من دون الله، ويسألوه مالا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿**يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ**﴾ [الحج: ١٢-١٣] وقال تعالىٰ: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا**﴾ [الفرقان: ٣] وقال تعالىٰ: ﴿**فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [العنكبوت: ١٧] وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين تعالىٰ الهدىٰ من الضلال.

ومن هذا الضرب: من يدعي أنه يصل مع الله إلىٰ حال تسقط عنهم التكاليف، أو يدعي أن الأولياء يدعون أو يستغاث بهم في حياتهم ومماتهم. وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور علىٰ سبيل الكرامة، أو أنه يطلع علىٰ اللوح المحفوظ،

= عبد الله بن مسعود من أبيه خلاف والصواب سماعه.
وله طريق آخر رواه وأبو داود (٤٢٥٤) وأبويعلىٰ (٥٢٨١) والبغوي (٤٢٢٥) وأحمد (١/ ٣٩٣) والحاكم (٤/ ٥٢١) وغيرهم من طريق منصور عن ربعي بن حراش عن البراء بن ناجية عن عبدالله بن مسعود به. وفي الإسناد البراء بن ناجية ولم يوثقه إلا العجلي وابن حبان فهو إلىٰ الجهالة أقرب. وانظر ترجمته في «الميزان» وقال البخاري في «التاريخ» (٢/ ١١٨) في ترجمة البراء بن ناجية ولم يذكر سماعًا من ابن مسعود.
وله طريق ثالث. رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢٣١) والطبراني في «الكبير» (١٠٣١١) من طريق شريك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود. ومجالد وشريك كلاهما ضعيف.
وله طريق آخر موقوف عند الطبراني (٩١٥٩) وإسناده ضعيف وانظر «الصحيحة» (٩٧٤).

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٠٦١)، ومسلم (٢١٥٧)، وأبو داود (٤٢٥٥).

ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم.

أو يُجوِّز بناء المساجد على قبور الأولياء والصالحين، وإيقادها بالسرج، ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله. فما أكثر هذا الهذيان والكفر، والمحادة لله ولكتابه ولرسوله

وقوله ﷺ «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» أتى بإنما، التي قد تأتي للحصر، بيانًا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال. وما وقع في خلد النبي ﷺ من ذلك، إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أن سيقع نظير ما في الحديث قبله من قوله: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» الحديث.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**إن أخوف ما أخاف علي أمتي الأئمة المضلون**»[١] رواه الطيالسي. وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»[٢] رواه الدارمي.

وقد بين الله تعالى في كتابه صراطه المستقيم، الذي هو سبيل المؤمنين. فكل من أحدث حدثًا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فهو ملعون، وحدثُه مردود؛ كما قال ﷺ «**من أحدث حدثًا، أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً**»[٣].

وقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٤].

---

(١) **صحيح لغيره** رواه الطيالسي (٩٧٥) وأحمد (٦/ ٤٤١) والطبراني كما في «المجمع» (٥/ ٢٣٩) وقال «فيه راويان لم يسميا» قلت لأنه مروي من طريق أخ لعدي بن أرطاة عن رجل عن أبي الدرداء مرفوعًا. قلت ويشهد له حديث ثوبان السابق الذي رواه البرقاني وغيره وإسناده صحيح بلفظ «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين». وشاهد من حديث أبي ذر عند أحمد (٥/ ١٤٥) وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال مشهور وآخر من حديث عمر بن الخطاب عند أحمد (١/ ٤٢) وفي إسناده ضعف وثالث عن شداد بن أوس عند أحمد (٤/ ١٢٣) وغيرهم انظر «النهج السديد» (ص٣٣٧، ٣٣٨).

(٢) **إسناده صحيح** رواه الدارمي (١/ ٧٠، ٢/ ٣١١)، وأبو داود (٤٢٥٢) وسبق الكلام على تخريج حديث ثوبان قريبًا في هذا الباب.

(٣) **صحيح** رواه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

(٤) **صحيح** رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

وقال «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»(١).

وهذه أحاديث صحيحة، مدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها. وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز، كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية [الجاثية ١٨-١٩] ونظائرها في القرآن كثيرة.

وعن زياد بن حُدير، قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحُكمُ الأئمة المضلين(٢). رواه الدارمي.

وقال يزيد بن عميرة: كان معاذ بن جبل لا يجلسُ مجلسًا للذكر إلا قال: الله حكم قسط، هلك المرتابون. وفيه: واحذروا زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت لمعاذ: وما يدريني -رحمك الله- أن الحكيم قد يقول كلمة الضلال، والمنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: قال لي: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال: ما هذه؟ ولا يثنينك عنه، فإنه لعله يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورًا(٣). رواه أبو داود، وغيره.

وقوله: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة» وكذلك وقع، فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة، ويقل أخرى. ويكون في جهة، ويرتفع عن أخرى.

---

(١) صحيح: وهو قطعة من حديث العرباض رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) مختصرًا وابن ماجه (٣٤) وأحمد (٤/ ١٢٧) من طرق عن العرباض بن سارية به مرفوعًا. ورواه النسائي (٣/ ١١٨) من حديث جابر وابن ماجه (٤٦) من حديث ابن مسعود.

(٢) إسناده صحيح: رواه الدارمي (٢١٩) والفريابي في «صفة النفاق» رقم (٢٩) وابن عبد البر (٢/ ١١٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٦) وغيرهم من طريق زياد بن حدير به.

(٣) إسناده صحيح: رواه أبو داود (٤٦١١) والحاكم «حديث» (٨٤٨٨) ط. دار الحرمين وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٢، ٢٣٣) والفريابي في «صفة النفاق» رقم «٤٠» وغيرهم من طريق الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن يزيد بن عميرة عن معاذ به.

قوله: «**ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**» الحي واحد الأحياء، وهي القبائل. وفي رواية أبي داود «**حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**».

والمعنى: أنهم يكونون معهم، ويرتدون؛ برغبتهم عن أهل الإسلام، ولحوقهم بأهل الشرك.

قوله: «**وحتى تعبد فِئَامٌ من أمتي الأوثان**» والفئام ـ مهموز ـ: الجماعات الكثيرة: قاله أبو السعادات.

وفي رواية أبي داود «**وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**»[(١)].

وهذا هو شاهد الترجمة. ففيه: الرد على من قال بخلافه من عباد القبور، الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان. وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد، فالتوحيد هو أعظم مطلوب، والشرك هو أعظم الذنوب.

وفي معنى هذا الحديث: ما في «الصحيحين»، عن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعًا «**لا تقومُ الساعةُ حتى تضطرب أَلْيَاتُ نساء دَوْس على ذي الخَلَصة**». قال: وذو الخلصة، طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية[(٢)]. وروى ابن حبان، عن معمر، قال: إن عليه الآن بيتًا مبنيًا مغلقًا[(٣)].

قال العلامة ابن القيم ـ في قصة هدم اللات لما أسلمت ثقيف ـ: فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها، يومًا واحدًا.

وكذلك حكم المشاهد التي بنيت على القبور، والتي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله. والأحجار التي تقصد للشرك والنذر، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها. وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة، وأعظم شركًا عندها وبها. فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القُذَّة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لظهور الجهل وخفاء العلم. فصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة. وطمست الأعلام،

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٥٢) وتقدم الكلام عليه قريبًا في أول الباب.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧١١٦) ومسلم (٢٩٠٦).

(٣) عند ابن حبان (٦٧٤٩) «إحسان».

واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. انتهىٰ ملخصًا.

قلت: فإذا كان هذا في القرن السابع وقبله، فما بعده أعظم فسادًا [كما هو الواقع].

قوله: «وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي».

قال القرطبي: وقد جاء عددهم معينًا في حديث حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ **«يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون، منهم أربع نسوة»** (١) أخرجه أبو نعيم. وقال: هذا حديث غريب. انتهىٰ.

وحديث ثوبان أصح من هذا.

قال القاضي عياض: عُدَّ من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلىٰ الآن ـ ممن اشتهر بذلك، وعرف واتبعه جماعة علىٰ ضلالته ـ فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا.

وقال الحافظ: قد ظهر مصداق ذلك في زمن النبي ﷺ: فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن. وفي خلافة أبي بكر: طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح في بني تميم.

وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. وتاب طليحة ومات علىٰ الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه، ونقل أن سجاح تابت أيضًا.

ثم خرج المختار ابن أبي عبيد الثقفي، وغلب علىٰ الكوفة في أول خلافة ابن الزبير. فأظهر محبة أهل البيت، ودعا الناس إلىٰ طلب قتلة الحسين، فتتبعهم فقتل

---

(١) **رجاله ثقات**: رواه أحمد (٥/ ٣٩٦)، وأبو نعيم (٤/ ١٧٩) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٩٥٣) والطبراني في «الكبير» (٣٠٢٦) و«الأوسط» (٥٤٤٦) من طريق معاذ بن هشام قال وجدت في كتاب أبي بخط يده ولم أسمعه منه عن قتادة عن أبي معشر عن إبراهيم النخعي عن همام عن حذيفة فذكره وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٩٩٩).

كثيراً ممن باشر ذلك وأعان عليه، فأحبه الناس. ثم ادعىٰ النبوة، وزعم جبريل عليه السلام يأتيه. ومنهم الحارث الكذاب، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل. وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

وليس المراد بالحديث من ادعىٰ النبوة مطلقًا، فإنهم لا يحصون كثرة؛ لكون غالبهم ينشأ عن جنون أو سوداء. وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدا له شبهة كمن وصفنا. وقد أهلك الله تعالىٰ من وقع منهم ذلك، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه، وآخرهم الدجال الأكبر.

قوله: «**وأنا خاتم النبيين**» قال الحسن: خاتم: الذي ختم به، أي: أنه آخر النبيين كما قال تعالىٰ: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وإنما ينزل عيسىٰ ابن مريم في آخر الزمان، حاكمًا بشريعة محمد ﷺ مصليًا إلىٰ قبلته. فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة؛ قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابنُ مريم حكمًا مقسطًا. فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية**»[(١)].

قوله: «**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم**».

قال يزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟[(٢)]

قال ابن المبارك، وعلي بن المديني، وأحمد بن سنان، والبخاري وغيرهم: إنهم أهل الحديث[(٣)].

وعن ابن المديني، رواية: هم العرب. واستدل برواية من روىٰ: هم أهل الغرب[(٤)]. وفسر الغرب بالدلو العظيمة؛ لأن العرب هم الذين يستقون بها.

---

(١) **صحيح** رواه البخاري (٢٢٢٢) ومسلم (١٥٥).

(٢) انظر «المحدث الفاصل» للرامهرمزي رقم (٢٧) و«شرف أصحاب الحديث» للخطيب رقم (٤٦، ٤٨) و «المعرفة» للحاكم (٢).

(٣) انظر «شرف أصحاب الحديث» للخطيب (٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١).

(٤) بهذا اللفظ رواه مسلم في «صحيحه» رقم (١٩٢٥).

قــال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة، من أنواع المؤمنين ما بين شجاعٍ وبصير بالحرب، وفقيهٍ ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهدٍ وعابد. ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولاً فأولاً، إلىٰ أن لا يبقىٰ إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله.

انتهىٰ ملخصاً، مع زيادة فيه. قاله الحافظ.

قـال القـرطبي: وفيه دليل علي أن الإجماع حجة؛ لأن الأمة إذا اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة.

قال المصنف: وفيه: الآية العظيمة، أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية.

قلت: واحتج به الإمام أحمد علىٰ أن الاجتهاد لا ينقطع، ما دامت هذه الطائفة موجودة.

قــوله: «حتى يأتي أمر الله» الظاهر أن المراد به ما روي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام.

ثم لا يبقىٰ إلا شرار الناس؛ كما رویٰ الحاكم: أن عبد الله بن عمرو، قال لا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الخلق، هم شر أهل الجاهلية. فقال عقبة بن عامر لعبد الله: أُعلمُ ما تقول، وأما أنا فسمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علىٰ أمر الله، ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتي تأتيهم الساعة وهم على ذلك**» فقال عبد الله: ويبعث الله ريحاً ريحها المسك، ومسها مسُّ الحرير، فلا تترك أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقىٰ شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة[1].

وفي «صحيح مسلم» «**لاتقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»[2].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٤)، والحاكم (٤/ ٤٥٦).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٨).

وعلىٰ هذا: فالمراد بقوله في حديث عقبة، وما أشبهه «**حتى تأتيهم الساعة**» ساعتهم، وهي وقت موتهم بهبوب الريح. ذكره الحافظ.

وقد اختُلف في محل هذه الطائفة، فقال ابن بطال: إنها تكون في بيت المقدس؛ كما رواه الطبراني، من حديث أبي أمامة، قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس**»(١) وقال معاذ بن جبل: هم بالشام(٢).

وفي كلام الطبري ما يدل علىٰ أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائمًا، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة.

قلت: ويشهد له الواقع، وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس. [فإنهم] من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه، في القرن السابع وأول الثامن.

فإنهم علىٰ الحق يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه. وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلىٰ الحق والتمسك بالسنة، والله علىٰ كل شيء قدير.

ومما يؤيد هذا: أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة، وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده، لم يكونوا في محل واحد. بل هم في غالب الأمصار: في الشام منهم أئمة، وفي الحرمين، وفي مصر، وفي العراق، وفي اليمن.

وكلهم علىٰ الحق يناضلون ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلامًا لأهل السنة، وحُجَّةً علىٰ كل مبتدع.

فعلىٰ هذا: فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام، وقد تكون في غيره.

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبراني (٧٦٤٣) وأحمد (٥/ ٢٦٩) من طريق يحيىٰ بن عمرو الشيباني عن عمرو ابن عبد الله بن الحضرمي عن أبي أمامة به.
وعمرو بن عبدالله الحضرمي وثقه العجلي وابن حبان وقال الذهبي ما علمت روىٰ عنه سوىٰ يحيىٰ. قلت: فهو مجهول والعجلي وابن حبان متساهلان في توثيق المجاهيل. وضعف سنده الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٥٩٩) وقال: وهذا السند ضعيف لجهالة عمرو بن عبدالله الحضرمي.

(٢) رواه البخاري (٣٦٤) وانظر الكلام على هذه اللفظة في تحقيقي «لشرح كتاب التوحيد» للشيخ ابن باز (ص١٢٢، ١٢٣).

فإن حديث أبي أمامة، وقول معاذ، لا يفيد حصرها بالشام، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلها.

وقوله: «**تبارك وتعالى**».

قال ابن القيم:

البركة نوعان: أحدهما: بركة هي فعله، والفعل منها باركَ. ويتعدَّىٰ بنفسه تارة، وبأداة علىٰ تارة، وبأداة في تارة. والمفعول منها مبارك. وهو ما جعل منها كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالىٰ.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك. ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له عزوجل. فهو سبحانه المبارك، وعبده ورسوله المبارك، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ**﴾ [مريم: ٣١] فمن بارك الله فيه وعليه، فهو المبارك.

وأما صفته تبارك فمختصة به، كما أطلقها علىٰ نفسه في قوله: ﴿**تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الملك: ١]. أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جاريةً عليه مختصة به، لا تطلق علىٰ غيره؟.

وجاءت علىٰ بناء السعة والمبالغة، كتعالىٰ وتعاظم ونحوه. فجاء بناء ﴿**تَبَارَكَ**﴾ علىٰ بناء: تعالىٰ، الذي هو دال علىٰ كمال العلو ونهايته، فكذلك ﴿**تَبَارَكَ**﴾ دال علىٰ كمال بركته وعظمتها وسعتها. وهذا معنىٰ قول من قال من السلف ﴿**تَبَارَكَ**﴾: تعاظم. وقال ابن عباس: جاء بكل بركة.

* * *

(٢٣)

بـاب
ما جاء في السحر

قال المصنف رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في السِّحر.

ش: أي والكهانة. السِّحرُ في اللغة: عبارةٌ عما خفي ولطُف سببه؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن من البيان لسحراً**»(١) وسُمِّي السَّحَرُ سَحراً؛ لأنه يقع خفيًا آخر الليل.

قال أبو محمد المقدسي في (الكافي): السحرُ: عزائمٌ ورُقًى وعُقد، تُؤثّرُ في القلوب والأبدان، فيُمرض ويقتل، ويفرِّقُ بين المرء وزوجه؛ قال الله تعالى: ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال سبحانه: ﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ [الفلق: ٤].

يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن. ولولا أن للسحر حقيقةً لم يأمر بالاستعاذة منه.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ سُحر، حتى إنه ليُخيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأن قال لها ذات يوم: «**أتاني مَلكان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلَيَّ، فقال: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومَن طَبَّه؟ قال: لَبيد ابن الأعصم، في مشط ومِشاطة، في جُفِّ طلْعة ذكر في بئر ذَرْوان**»(٢) رواه البخاري.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقوة: ١٠٢].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥١٤٦) من حديث ابن عمر، ومسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).

ش: قال ابن عباس: من نصيب[١]. قال قتادة: وقد علم أهل الكتاب فيما عُهد إليهم: أن الساحر لا خلاق له في الآخرة[٢]. وقال الحسن: ليس له دين[٣].

فدلَّت الآية على تحريم السِّحر، وكذلك هو محرَّم في جميع أديان الرسل عليهم السلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

وقد نص أصحاب أحمد: أنه يكفر بتعلُّمه وتعليمه.

وروى عبدُ الرزاق، عن صفوان بن سليم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلَّم شيئًا من السِّحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخرُ عهده من الله**»[٤] وهو مرسل.

وقد اختلفوا: هل يكفر الساحرُ أو لا؟ فذهب طائفةٌ من السلف [إلى] أنه يكفر، وبه قال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد. قال أصحابه: إلا أن يكون سِحرُه بأدوية وتدخين وسقي شيء لا يضر، فلا يكفر.

وقال الشافعي: إذا تعلم السحر، قلنا له: صف لنا سحرك! فإنْ وصف ما يُوجب الكفر - مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها - فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر: فإنْ اعتقد إباحته كفر. انتهى.

وقد سماه الله كفراً في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن عباس، في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٢٦) من طريق أبي جعفر ثنا الربيع بن أنس عن قيس ابن عباد عن ابن عباس به وفي الإسناد أبو جعفر الرازي وفيه ضعف.

(٢) **رجاله ثقات:** رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٢٩) من طريق سعيد عن قتادة به. وقد نفى يحيى القطان سماع سعيد من قتادة التفسير كما في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٢٤٠) ولكن قوى أحمد رواية سعيد عن قتادة في التفسير. انظر سؤالات أبي داود (ص٣٣٦، ٣٤٧).

(٣) **إسناده صحيح:** رواه الطبري في «تفسيره» (١٧١٦) من طريق عبد الرزاق عن معمر قال: قال الحسن فذكره.

ورواية معمر عن البصريين فيها ضعف والحسن البصري ولكن الضعف هنا أبعد لأنه ينقل قوله. والله أعلم.

(٤) **موضوع:** رواه عبدالرزاق (١٠/ ١٨٤) وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٣٩٦) من طريق إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم عن النبي ﷺ. وفي الإسناد إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي كذبه ابن معين وقال النسائي والدارقطني متروك وانظر ترجمته في «التهذيب».

وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان، فعرفا أن السحر من الكفر[١].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

ش: تقدم الكلام عليهما في الباب قبله. وفيه: أن السحر من الجبت. قاله المصنف.

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[٢].

ش: هذا الأثر، رواه ابن أبي حاتم، وغيره.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقال جابر: الطواغيت: كُهَّانٌ، كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حيٍّ واحد[٣].

ش: هذا الأثر، رواه ابنُ أبي حاتم بنحوه مُطولاً، عن وهب بن مُنبِّه، قال:

---

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠١٠) من طريق أبي جعفر ثنا الربيع بن أنس عن قيس ابن عباد عن ابن عباس مرفوعًا وأبو جعفر الرازي ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف: رواه البخاري معلقاً كما في «الفتح» (٨/ ٢٥١) ووصله الطبري في «تفسيره» (٥٨٣٥، ٥٨٣٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦١٨، ٥٤٤٣، ٥٤٤٩) وأبو القاسم البغوي كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٩) وعبد بن حميد في «تفسيره» ومسدد في مسنده وعبد الرحمن بن رسته في كتاب «الإيمان» كما في «الفتح» (٨/ ٢٥٠٢) كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر فذكره. وقال الحافظ: وإسناده قوي وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق من حسان بن فائد وسماع حسان من عمر في رواية رسته. اهـ.
قلت: ورواه شعبة عن أبي إسحاق به في رواية الطبري وبعض روايات ابن أبي حاتم وفي رواية مسدد وذكر الأخير الحافظ في «التهذيب» في ترجمة حسان بن فائد وفي الإسناد حسان بن فائد قال أبو حاتم شيخ وذكره ابن حبان في «الثقات» وروى عنه أبو إسحاق السبيعي فالأثر لا يرتقي للحسن لهذا الرجل فالأقرب فيه الجهالة والله أعلم.
وروى الأثر الفريابي وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٤ ط. دار الكتب).

(٣) إسناده صحيح: رواه البخاري معلقًا (٨/ ٢٥١) وصله الطبري في «تفسيره» (٥٨٤٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٥٢) من طريق حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله فذكره.

سألت جابر بن عبد اللّه عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، قال: إن في جُهينة واحداً، وفي أسلم واحداً، وفي هلال واحداً، وفي كل حي واحداً، وهم كُهَّان تنزل عليهم الشياطين.

قوله: (قال جابر)، هو ابن عبد اللّه بن عمرو بن حرام الأنصاري[١].

قوله: (الطواغيت: كهان)، أراد أن الكهان من الطواغيت، فهو من أفراد المعنى.

قوله: (كان ينزل عليهم الشيطان)، أراد الجنس، لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين، ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع، فيصدقون مرة ويكذبون مائة.

قوله: (في كل حي واحد). الحيُّ واحد الأحياء، وهم القبائل، أي: في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي ﷺ. فأبطل اللّه ذلك بالإسلام، وحُرست السماء بكثرة الشُّهُب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[٢].

ش: [كذا أورده المصنف غير معزو]، وقد رواه البخاري، ومسلم.

قوله: «اجتنبوا» أي: ابعدوا، وهو أبلغ من قوله: «دعوا أو اتركوا»؛ لأن النهي عن القُربان أبلغ، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قوله: «الموبقات» بموحَّدة وقاف. أي: المُهلكات. وسُمِّيت هذه موبقات؛ لأنها تُهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

وفي حديث ابن عمر - عند البخاري في (الأدب المفرد)، والطبري في (التفسير)، وعبد الرزاق، مرفوعًا وموقوفًا - قال: الكبائر تسع - وذكر السبعة المذكورة - والإلحاد

---

(١) علقه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٢٥١) وقال الحافظ «ووصله ابن أبي حاتم من طريق وهب ..»

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

في الحرم. وعقوق الوالدين.

ولابن أبي حاتم، عن علي، قال: الكبائر - فذكر السبع، إلا مال اليتيم - وزاد: العقوق، والتعرُّب بعد الهجرة، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة[(١)].

قال الحافظ: ويُحتاج عندي هذا، إلى الجواب عن الحكمة في الاقتصار على سبع.

ويُجاب: بأن مفهوم العدد ليس بحُجة، وهو ضعيف، أو بأنه أعلم أولا بالمذكورات. ثم أعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل.

وقد أخرج الطبراني، وإسماعيل القاضي، عن ابن عباس، أنه قيل له: الكبائر سبع، قال: هن أكثر من سبع وسبع[(٢)]. وفي رواية: هي إلى السبعين أقرب[(٣)]. وفي رواية: إلى السبعمائة[(٤)].

قوله: قال: «الشرك بالله» هو أن يجعل للّه نداً، يدعوه كما يدعو اللّه ويرجوه

---

(١) **صحيح موقوفًا:** رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨) والطبري في «تفسيره» (٩١٨٨) من طريق زياد عن طيلة بن مياس عن ابن عمر فذكره موقوفًا وإسناده صحيح فإن طيلة بن مياس ويقال ابن علي وثقه ابن معين كما في الجرح والتعديل (٤/ ٥٠١) وقد رواه أيوب بن عتبة واختلف عنه فرواه عن طيلة بن علي وهو ابن مياس عن ابن عمر مرفوعاً عند البيهقي (٣/ ٤٠٩)، ورواه أيوب عن طيلة به إلا أنه أوقفه على ابن عمر كما عند البغوي في «الجعديات» (٣٤٢٦) والطبري في التفسير (٩١٨٩) ورواه أيوب بن عتبة عن يحيى عن عبيد بن عمير عن أبيه عن النبي ﷺ وأيوب بن عتبة ضعيف.

وللمرفوع شاهد عن أبي داود (٢٨٧٥) والنسائي (٧/ ٨٩) والحاكم (١/ ٥٩، ٤/ ٢٥٩) والبيهقي (٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩) وغيرهم من طريق يحيى بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير عن أبيه عن النبي ﷺ فذكر نحوه وفي الإسناد عبد الحميد بن سنان مجهول وقد قال البخاري في حديثه نظر كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤١٤) عند آية النساء (٣١) ويحيى بن أبي كثير مدلس وقد عنعن وله طريق آخر موقوف عن ابن عمر عند عبد الرزاق (١٩٧٠٥) بإسناد ضعيف.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه الطبري في «تفسيره» (٩٢٠٤, ٩٢٠٥) من طريق طاووس عن ابن عباس.

(٣) **إسناده صحيح:** رواه الطبري (٩٢٠٧، ٩٢٠٩، ٩٢٣٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٦٠)، واللالكائي (١٩١٨) من طرق عن ابن عباس به.

(٤) رواه الطبري (٩٢٠٨) عن المثنى عن أبي حذيفة قال حدثنا شبل عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وهذا الإسناد فيه المثنى الآملي لا يعرف له توثيق وأبو حذيفة موسى بن مسعود صدوق سيئ الحفظ كان يصحف ولكن للأثر طريق آخر رواه اللالكائي (١٩١٩) أنا أحمد بن محمد بن موسى أنا محمد بن جعفر قال نا علي بن حرب نا القاسم بن يزيد نا شبل بن عباد به وانظر «فتح الباري» (١٢/ ١٨٢).

كما يرجو اللَّه، ويخافه كما يخاف اللَّه.

وبدأ به؛ لأنه أعظم ذنب عُصي اللَّه به، كما في (الصحيحين)، عن ابن مسعود: سألت النبي ﷺ أيُّ الذنب أعظم عند اللَّه؟ قال: **«أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»** الحديث[١].

وأخرج الترمذي - بسنده - عن صفوان بن عسَّال، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال له صاحبه: لا تقل: نبي، إنه لو سمعك لكان له أربع أعين، فأتيا رسول اللَّه ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا مُحصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف. وعليكم خاصةً اليهود أن لا تعتدوا في السبت»** قال: فقبَّلا يديه ورجليه. وقالا: نشهد أنك نبي. الحديث[٢]. وقال: حسن صحيح.

قوله: **«والسحر»** تقدم معناه. وهذا وجه مناسبة هذا الحديث للترجمة.

قوله: **«وقتلُ النفس التي حرم الله»** أي: حرَّم قتلَها.

«إلا بالحق» أي: بأن تفعل ما يوجب قتلها، كالشرك، والنفس بالنفس، والزاني بعد الإحصان. قوله: **«وقتل النفس التي حرم الله»** أي: نفس المسلم المعصوم، وقتل المُعاهد؛ كما في الحديث: **«من قتل مُعاهدًا لم يرح رائحة الجنة»**[٣] الحديث.

واختلف العلماء فيمن قتل مؤمنًا متعمِّدًا، هل له توبة أم لا؟ فذهب ابن عباس، وأبو هريرة، وغيرهما: إلى أنه لا توبة له؛ استدلالاً بقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾ [النساء: ٩٣].

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية وهي آخر ما نزل، وما نسخها شيء. **وفي رواية:** لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء حتى قُبض رسول اللَّه ﷺ وما نزل

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٤٧٦١) ومسلم(٨٦).

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه الترمذي (٢٧٣٣، ٣١٤٤) وابن ماجه (٣٧٠٥) وأحمد(٤/ ٢٣٩) وغيرهم من طريق عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال وعبد الله بن سلمة المرادي الراجح فيه ضعفه وانظر مسند احمد (١٨٠٩٢) تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٣١٦٦)

وحي[(١)].

ورُوي في ذلك آثار تدل لما ذهب إليه ؛ كما عند الإمام أحمد، والنسائي، وابن المنذر، عن معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**»[(٢)].

وذهب جمهور الأمة - سلفًا وخلفًا - إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب وعمل صالحًا بدل الله سيئاته حسنات؛ كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

قوله: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا**﴾ فقد قال أبو هريرة، وغيره: هذا جزاؤه إن جازاه[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري(٤٥٩٠) ومسلم(٣٠٢٣).

(٢) رواه النسائي (٧/ ٨١) وأحمد (٤/ ٩٩) والحاكم (٤/ ٣٥١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٦٤، ٣٦٥) عن طريق أبي عون عن أبي إدريس قال سمعت معاوية يخطب فذكره.
وأبو عون لم يوثقه غير ابن حبان . وقد ترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً وانظر ترجمته في التهذيب.
وله شاهد عند أبي داود (٤٢٧٠) وابن حبان (٥٩٨٠) والحاكم (٤/ ٣٥١) من طريق خالد بن دهقان قال حدثنا عبد الله بن أبي زكريا قال سمعت أم الدرداء تقول سمعت أبا الدرداء فذكره. وهذا إسناد صحيح أما قول الحافظ في خالد بن دهقان مقبول فهو قصور منه فقد وثقه أبو مسهر وأبو زرعة ودحيم ووثقه الذهبي في كاشفه. وله طريق آخرعند البزار(٣٣٥٢ كشف) من طريق خالد قال حدثني هانئ بن كلثوم عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت مرفوعاً.
وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥١١) وانظر فيها التوفيق بينه وبين قول الله عز وجل ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ لأن القتل دون الشرك قطعًا ووفق المناوي تبعًا لغيره بحمل الحديث على ما إذا استحل وإلا فهو تهويل تغليظ .
وذكر توفيقًا آخر للسندي في حاشيته على النسائي ، وانظر التسهيل لشيخنا مصطفى العدوي سورة النساء (٢/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٣) قال السيوطي في« الدر المنثور» (٢/ ٣٥٢ط . دار الكتب) وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وأبو القاسم بن بشران في أماليه بسند ضعيف عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾ قال : هو جزاؤه إن جازاه.

[وقد رُوي عن ابن عباس ما يُوافق قول الجمهور، فروى عبد بن حميد، والنحاس، عن سعيد بن عبيد: أن ابن عباس رضي اللَّه عنهما كان يقول: لمن قتل مؤمنًا توبة(١). وكذلك ابن عمر رضي اللَّه عنهما(٢). ورُوي مرفوعًا: أن جزاءه جهنم إن جازاه](٣).

قوله: «**وأكل الربا**» أي: تناوله بأي وجه كان؛ كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ الآيات [البقرة: ٢٧٥-٢٨٠] قال ابن دقيق العيد: وهو مجرَّبٌ لسوء الخاتمة، نعوذ باللَّه من ذلك.

قوله: «**وأكل مال اليتيم**» يعني: التعدي فيه. وعبَّر بالأكل؛ لأنه أعم وجوه الانتفاع، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ [النساء: ١٠].

قوله: «**والتولي يوم الزحف**» أي: الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال. وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة، أو غير متحرف لقتال، كما قُيِّد به في الآية.

قوله: «**وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» وهو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: الحافظات فروجهن منه. والمراد: الحرائر العفيفات، والمراد: رميهن بزنا أو لواط. والغافلات: أي: عن الفواحش، وما رُمين به. فهو كناية عن البريئات؛ لأن الغافل بريء عما بُهت به، والمؤمنات: أي باللَّه تعالى، احترازًا من قذف الكافرات.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن جُندب مرفوعًا: «حد الساحر: ضربه بالسيف»(٤) رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

ش: قوله: (عن جُندب) ظاهرُ صنيع الطبراني في (الكبير): أنه جُندب بن

---

(١) عبد بن حميد والنحاس منطريق سعد بن عبيدة عن ابن عباس فذكره كما في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٣ط. دار الكتب).

(٢) النحاس من طريق نافع وسالم عن ابن عمر كما في «الدر المنثور» (٢/ ٣٥٣ط دار الكتب).

(٣) **ضعف إسناده**: السيوطي وسبق قريبًا قبل الأثرين السابقين والأثر عند ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥٨١٩).

(٤) **ضعيف والصواب وقفه**: رواه الترمذي (١٤٦٠) وابن قانع في « معجم الصحابة » (١٥٠) والطبراني في «الكبير» (١٦٦٥) والدار قطني في «السنن» (٣/ / ١١٤) والحاكم (٤/ ٣٦٠) والبيهقي (٨/ ١٣٦) =

عبد اللَّه البَجلي. لا جُندب الخير الأزدي، قاتل الساحر؛ فإنه رواه في ترجمة جُندب البجلي، من طريق خالد العبد، عن الحسن، عن جندب، عن النبي ﷺ، وخالد العبد: ضعيف.

قال الحافظ: والصواب أنه غيره، وقد رواه ابن قانع، والحسن بن سفيان من وجهين، عن الحسن، عن جُندب الخير: أنه جاء إلىٰ الساحر، فضربه بالسيف حتىٰ مات، وقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: فذكره.

وجُندب الخير: هو جندب بن كعب ـ وقيل: جندب بن زهير، وقيل: هما واحد؛ كما قاله ابن حبان ـ أبو عبد اللَّه الأزدي الغامدي، صحابي. روىٰ ابن السكن من حديث بُريدة: أن النبي ﷺ قال: «**يضرب ضربة واحدة فيكون أمة وحده**»[1].

قوله: «حدُّ الساحر: ضربُه بالسيف» ورُوي بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح.

وبهذا الحديث: أخذ أحمد، ومالك، وأبوحنيفة، فقالوا: يُقتل الساحر. وروي

= والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (رقم ٥٩٠) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٨٥) وابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ٥٦٨) والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ١٤٧ ـ ١٤٨) من طريق إسماعيل بن مسلم المكي عن الحسن البصري عن جندب بن كعب الخير به مرفوعًا، وإسناده ضعيف والحديث معل بالوقف قال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث. . . والصحيح عن جندب موقوفًا.

وقال ابن الأثير وقد اختلف في رفع هذا الحديث فمنهم من رفعه بهذا الإسناد ومنهم من وقفه.

قلت وقد اضطرب فيه إسماعيل: فمرة رواه كما تقدم موصولاً ومرة رواه عن الحسن مرسلاً.

وأخرجه من هذا الوجه الأخير عبد الرزاق (١٠/ ١٨٤) وابن حزم في «المحلىٰ» (١١/ ٣٩٦) ورواه الطبراني في «الكبير» (١٦٦٦) من طرق خالد العبدي عن الحسن عن جندب عن النبي ﷺ فذكره.

وخالد بن عبد الرحمن العبدي متهم بالوضع وأشار الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٣٦) إلىٰ ضعف الحديث (١٠/ ٢٣٦) ورجح الذهبي في «الكبائر» (ص ٣٦) وقفه وقد توهم الطبراني فأخرج حديث الساحر في ترجمة جندب بن عبد الله البجلي والصواب أنه غيره وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلىٰ ساحر فضربه بالسيف حتىٰ مات وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك. وانظر «الإصابة» ترجمة جندب والكلام علىٰ حديث جندب بعد ثلاثة أحاديث.

(١) **إسناده ضعيف:** عزاه الحافظ في «الإصابة» (١/ ٦١٦) من طريق يحيىٰ بن كثير صاحب البصري حدثني أبي حدثنا الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبيه فذكره مرفوعًا.

وفي الإسناد يحيىٰ بن كثير ضعيف وأبوه مجهول والجريري مختلط.

ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز.

ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر، إلا إنْ عمل في سحره ما يبلغ الكفر. وبه قال ابن المنذر، وهو رواية عن أحمد.

والأول أولى؛ للحديث ولأثر عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وفي (صحيح البخاري)، عن بَجالة بن عَبَدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أنِ اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاثة سواحر[1].

ش: هذا الأثر رواه البخاري؛ كما قال المصنف، لكن لم يذكر قتل السواحر.

قوله: (عن بَجالة) بفتح الموحَّدة بعدها جيم. ابن عبدة - بفتحتين - التميمي العنبري، بصري ثقة.

قوله: (كتب إلينا عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)، وظاهره أنه يُقتل من غير استتابة. وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم الساحر لا يزول بالتوبة. وعن أحمد يُستتاب فإن تاب قُبلت توبته، وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يُستتاب وتقبل توبته. ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وصح عن حفصة: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرَتها فقُتلت[2]. وكذا صح عن جندب.

ش: هذا الأثر، رواه مالك في «الموطأ».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري(٣١٥٦) مختصراً بغير ذكر موضع الشاهد وأحمد (١/ ١٩١) واللفظ له وأبو داود (٣٠٤٣) وعبد الرزاق (١٠/ ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤) وأبو عبيد القاسم بن سلام رقم(٧٧) وابن أبي شيبة (١٠/ ١٩٦) والبيهقي(٨/ ١٣٦) وعبد الله بن أحمد في «مسائل أبيه» (١٥٤٢) وسعيد بن منصور في«سننه» (٢١٨٠، ٢١٨١) وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٣٩٧) وابن عبد البر في«التمهيد» (٢/ ١٢٨) من طريق سفيان عن عمر سمع بجالة به.

(٢) **صحيح**: رواه عبد الرزاق (١٠/ ١٨٠) وعبد الله بن أحمد في «مسائله» (١٥٤٣) والبيهقي (٨/ ١٣٦) وابن =

وحفْصة، هي أم المؤمنين، بنت عمر بن الخطاب، تزوجها النبي ﷺ بعد خُنَيس ابن حُذافة، وماتت سنة خمس وأربعين.

قوله: (وكذا صح عن جندب)، أشار المصنف بهذا إلى قتله الساحر؛ كما رواه البخاري في (تاريخه)، عن أبي عثمان النهدي، قال: كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا وأبان رأسه، فعجبنا! فأعاد رأسه. فجاء جُندب الأزدي فقتله.

ورواه البيهقي في (الدلائل) مطولاً. وفيه: فأمر به الوليد، فسُجن. فذكر القصة بتمامها، ولها طرق كثيرة[1].

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

ش: أحمد، هو الإمام، أحمد بن محمد بن حنبل.

قوله: (عن ثلاثة) أي: صحَّ قتلُ الساحر عن ثلاثة، أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من (أصحاب النبي ﷺ)، يعني: عمر، وحفصة، وجندبًا. واللّه أعلم.

* * *

= أبي شيبة (٩/ ٤١٦) و (١٠/ ١٣٦) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره عنها ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٧١) عن محمد بن عبد الرحمن بلاغًا.

(١) صحيح بطرقه: رواه البخاري في «التاريخ» (٢/ ٢٢٢) والدارقطني (٣/ ١١٤) والبيهقي (٨/ ١٣٦) والطبراني في «الكبير» (١٧٢٥) والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ١٤٣) من طريق خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي عن جندب به وفي الإسناد خالد الحذاء: قال الإمام أحمد: لم يسمع من أبي عثمان النهدي.
ورد هذا بإخراجها في الصحيح ورواه البخاري في «التاريخ» (٢/ ٢٢٢) من طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي بالقصة.
وأخرجه البيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٦) وفي «الدلائل» كما في «الإصابة»، (١/ ٦١٦) وعلقه المزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ١٤٣) من طريق عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود وذكر القصة وابن لهيعة فيه مقال مشهور ولكن رواية ابن وهب عنه مستقيمة وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ثيم عروة أظنه لم يدرك القصة ورواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١٥٠) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب به وفي الإسناد إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف ورواه ابن السكن كما في «الإصابة» (١/ ٦١٦) وابن منده كما في «الإصابة» (٢/ ٥٣٢-٥٣٣) من طريق الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبيه فذكر قصة قتل جندب للساحر وفي إسناده ضعف.
وقد ذكر بعض الطرق أنه جندب البجلي وهو خطأ فإن قاتل الساحر هو جندب بن كعب وهو جندب الخير.

(٢٤)

بـاب
بيان شيء من أنواع السحر

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب بيان شيء من أنواع السحر.

ش: قلتُ: ذكر الشارح هنا شيئًا من الخوارق وكرامات الأولياء، وذكر ما اغتر به كثير من الناس من الأحوال الشيطانية التي غرَّت كثيراً من العوام والجهال، وظنوا أنهـا تدل على ولاية مَنْ جرت على يده، ممن هو من أوليـاء الشـيطان لا من أوليـاء الرحمـن، ثم قـال: ولشـيخ الإسـلام كـتـاب (الفرقـان بين أوليـاء الرحـمـن وأوليـاء الشيطان) فراجعه. انتهى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال أحمد: حـدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، حـدثنا حيـان بن العلاء، حدثنا قَـطَن بن قبيـصة، عن أبيـه: أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة، والطَّرْق، والطِّيَرة من الجبت» قال عوف: العيافة: زَجـر الطيـر، والطَّرقُ: الخط يُخط في الأرض. والجبت: قـال الحـسن: رنَّة الشـيطان[1]. إسناده جيـد. ولأبي داود، [والنسـائي]، وابن حبـان في (صحيحه): المسند منه.

ش: قوله: (قال أحمد) هو الإمام، أحمد بن محمد بن حنبل.

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه أبوداود (٣٩٠٧) والنسائي في «الكبرى» (١١٠٨) وأحمد (٣/ ٤٧٧، ٥/ ٦٠) وعبد الرزاق (١٩٥٠٢) وابن أبي شيبة (٩/ ٤٢ـ ٤٣)
وأبو إسحاق الحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١١٧٧) والدولابي في «الكنى» (١/ ٨٦) وابن حبان كما في «الإحسان» (٦١٣١) والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٣٩) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٥٨) والبيهقي في «السنن» (٨/ ٣٩) والخطيب في «التاريخ» (١٠/ ٤٢٥) والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ١٧٧) والخطيب =

ومحمد بن جعفر: هو المشهور بغُندر الهُذلي البصري، ثقة مشهور. مات سنة ست ومائتين.

وعوف: هو ابنُ أبي جَميلة ـ بفتح الجيم ـ العبدي البصري، المعروف بعوف الأعرابي، ثقة. مات سنة ستٍ ـ أو سبع ـ وأربعين، وله ست وثمانون سنة.

وحيان بن العلاء: هو بالتحتية، ويقال: حيان بن مُخارق، أبو العلاء البصري، مقبول. وقَطَن ـ بفتحتين ـ أبو سهل البصري، صدوق.

قوله: (عن أبيه) هو قَبيصة ـ بفتح أوله ـ ابن مُخارق ـ بضم الميم ـ أبو عبد اللّه الهلالي، صحابي نزل البصرة.

قوله: **«إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»** قال عوف: العيافة: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها. وهو من عادة العرب، وكثُر في أشعارهم. يقال: عاف يعيف عيفًا: إذا زجر وحدس وظن.

قوله: **«والطرق»**: الخط يُخط بالأرض. كذا فسره عوف، وهو كذلك.

وقال أبو السعادات: هو الضربُ بالحصى، الذي يفعله النساء.

وأما الطيرة: فيأتي الكلام عليها، في بابها إن شاء اللّه تعالى.

قوله: **«من الجبت»** أي: السِّحر، قال القاضي: والجبتُ في الأصل: الفشل

= رقم(٣٢٥٦) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢-٣١٣) والهروي في «غريب الحديث» (١/ ٢٣٣) والمزي في «تهذيب الكمال» (٧/ ٤٧٥) من طريق عوف بن أبي جميلة عن حيان أبي العلاء عن قطن بن قبيصة عن أبيه به. وفي الإسناد حيان وهو مجهول وقد اختلف الرواة في إسناده عن عوف فقال بعضهم: حيان لم ينسبه وقال بعضهم: حيان أبي العلاء، وقال بعضهم حيان بن عمير وقال بعضهم حيان ابن مخارق وانظر «تهذيب الكمال» لاختلاف الوارد فيه قال الشيخ الألباني رحمه الله في كتاب« غاية المرام» (ص١٨٤): وهذا اضطراب شديد يدل على أن بعض هذه الوجوه من الاضطراب يمكن ارتجاعه إلى وجه واحد، فحيان أبو العلاء هو حيان بن عمير أبو العلاء البصري القيسي وهو ثقة كما قال النسائي وابن حبان، لكن قال إسحاق بن منصور عن أحمد ويحيى. ليس هو ابن عمير: يعني راوي هذا الحديث.

قلت: «الشيخ الألباني» والآخرون لا يعرفون.

تنبيه: المذكور عن الحسن في تفسيره للجبت: الشيطان كما في التخرجات السابقة وليس رنة الشيطان كما في المتن.

الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يُعبد من دون اللَّه، وللساحر والسحر.

قوله: (قال الحسن: رنة الشيطان). قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مُفلح: أن في (تفسير بَقيّ بن مَخْلَد): أن إبليس رنَّ أربع رنات: رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين ولد رسول اللَّه ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب[1].

قال سعيد بن جُبير: لما لعن اللَّه إبليس، تغيَّرت صورته عن صورة الملائكة، ورنَّ رنة، فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة. رواه ابن أبي حاتم[2].

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما فتح رسول اللَّه ﷺ مكة، رن إبليس رنة اجتمعت عليه جنوده[3]. رواه الحافظ الضياء في (المختارة).

الرنين: الصوت. وقد رن يرنُّ رنينًا. وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه اللَّه.

قوله: (ولأبي داود، وابن حبان في صحيحه: المسند منه). ولم يذكر التفسير الذي فسره عوف. وقد رواه أبو داود بالتفسير المذكور، بدون كلام الحسن.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شُعبةً من النجوم، فقد اقتبس شعبةً من السحر، زاد ما زاد» رواه أبو داود[4]، بإسناد صحيح.

ش: وكذا صححه النووي، والذهبي. ورواه أحمد، وابن ماجه.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٨٥) من طريق أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة «أن إبليس رنَّ حين انزلت فاتحة الكتاب..».

وعزاه السيوطي في «الدر» (١/ ٢٠ ط. دار الكتب) إلى ابن أبي شيبة وأبي سعيد الأعرابي من طريق مجاهد عن أبي هريرة ورجاله ثقات وفي سماع مجاهد من أبي هريرة خلاف انظر المراسيل للعلائي.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في «العظمة» عن سعيد بن جبير رضي الله عنه. قال: فذكره كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٥) سورة الحجر: آية (٤٢).

(٣) الحافظ الضياء في المختارة.

(٤) إسناده صحيح: رواه أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٣٦) وأحمد (١/ ٢٢٧، ٣١١) وعبد بن حميد (٧١٣) والطبراني في «الكبير» (١١٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٩٧). والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٨) وابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٧٧) من طريق الوليد ابن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس به.

قوله: «من اقتبس» قال أبو السعادات: قبستُ العلم واقتبسته: إذا علمته. انتهى.

قوله: «شعبة» أي: طائفة من علم النجوم. والشعبة الطائفة، ومنه الحديث «الحياء شعبة من الإيمان»[(١)] أي: جزء منه.

قوله: «فقد اقتبس شعبة من السحر»، المحرم تعلُّمه.

قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

قوله: «زاد ما زاد» أي: كلما زاد من تعلم علم النجوم، زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه؛ فإن ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل، كما أن تأثير السحر باطل. والله أعلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وللنسائي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من عقد عقدةً ثم نفَث فيها فقد سَحر، ومن سَحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وُكِلَ إليه»[(٢)]

ش: هذا الحديث ذكره المصنف من حديث أبي هريرة، وعزاه النسائي. وقد رواه النسائي مرفوعًا، وحسنه ابن مفلح.

قوله: (وللنسائي). هو الإمام الحافظ، أحمد بن شُعيب بن علي بن سنان بن بحر ابن دينار، أبو عبد الرحمن، صاحب (السنن) وغيرها. روىٰ عن محمد بن المُثنىٰ،

(١) صحيح: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) ضعيف: رواه النسائي (٧/ ١٢) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٤٢) والمزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ١٦٩) من طريق عبادة بن ميسرة المنقري عن الحسن البصري عن أبي هريرة وفي الإسناد عباد بن ميسرة وهو ضعيف والحسن لم يسمع من أبي هريرة قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٧٨) ترجمة عباد هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه. اهـ.

قلت: والحديث معل بالإرسال.

فقد رواه ابن وهب في «جامعه» (٦٧٤) ومن طريقه البيهقي في «سننه» (٩/ ٣٥١) من طريق جرير بن حازم عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً وهو الصواب وله طريق آخر عن الحسن مرسلا وإسناده ضعيف كما عند عبد الرزاق (١١/ ١٧).

وابن بشار، وقتيبة، وخلق. وكان إليه المنتهىٰ في العلم بعلل الحديث. مات سنة ثلاث وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنة.

قوله: «**من عَقَد عُقدةً ثم نفث فيها فقد سَحر**» اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر، عقدوا الخيوط ونفثوا علىٰ كل عقدة، حتىٰ ينعقد كل ما يريدون من السحر، قال تعالىٰ: ﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ يعني: السواحر اللاتي يفعلن ذلك. والنفثُ: هو النفخ مع ريق، وهو دون التفل. والنفث فعل الساحر، فإذا تكيَّفت نفسه بالخبث والشر ـ الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة ـ نفخ في تلك العقدة نفخًا معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذىٰ، مقترن للريق الممازج لذلك، وقد تساعد هو والروح الشيطانية علىٰ أذىٰ المسحور، فيصيبه السحر بإذن اللَّه الكوني القدري، لا الشرعي، قاله ابن القيم.

قوله: «**ومن سحر فقد أشرك**» نص في أن الساحر مُشرك؛ إذ لا يتأتىٰ السحر بدون الشرك، كما حكاه الحافظ عن بعضهم.

قوله: «**ومن تعلق شيئًا وُكِل إليه**» أي: من تعلق قلبه شيئًا ـ بحيث يعتمد عليه ويرجوه ـ وكَلَه اللَّه إلىٰ ذلك الشيء.

فمن تعلق علىٰ ربه وإلهه وسيده ومولاه ربِّ كل شيء ومليكه، كفاه ووقاه وحفظه وتولاه، فنعم المولىٰ ونعم النصير؛ قال تعالىٰ: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [الزمر: ٣٦]. ومن تعلَّق علىٰ السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين وكله اللَّه إلىٰ من تعلقه، فهلك. ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق، ونظر بعين البصيرة رأىٰ ذلك عيانًا، وهذا من جوامع الكلم. واللَّه أعلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أُنبئُكم ما العَضْهُ؟ هي النميمة: القالة بين الناس» رواه مسلم(١)

ش: قوله: «**ألا أُنبئكم**» أي أُخبركم، و«**العَضْهُ**» بفتح المهملة وسكون المعجمة.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٠٦).

قال أبو السعادات: هكذا يُروىٰ في كتب الحديث.

والذي في كتب الغريب: **«ألا أُنبئكم ما العِضَه»** بكسر العين وفتح الضاد.

قال الزمخشري: أصلُها: العضْهَة، فِعْلة من العَضْه وهو البَهت، فحُذفت لامُه، كما حُذفت من السَّنَة والشَّفَة. وتُجمع علىٰ عِضِين.

ثم فسره بقوله: **«هي النميمة: القالة بين الناس»** فأطلق عليها: العَضْهُ؛ لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالبًا. ذكره القُرطبي.

وذكر ابن عبد البر، عن يحيىٰ بن أبي كثير، قال: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة[1].

وقال أبو الخطاب في (عيون المسائل): ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس.

قال في (الفروع): ووجهه: أنه يقصد الأذىٰ بكلامه وعمله، علىٰ وجه المكر والحيلة، أشبه السحر. وهذا يعرف بالعرف والعادة أنه يؤثر، وينتج ما يعمله السحر أو أكثر. فيُعطىٰ حكمه؛ تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين. لكن يقال: الساحر إنما يكفر لوصف السحر، وهو أمر خاص ودليله خاص. وهذا ليس بساحر، وإنما يؤثر عمله ما يؤثره فيُعطىٰ حكمه، إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة. انتهىٰ ملخصًا. وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة. وهو يدل علىٰ تحريم النميمة، وهو مجمع عليه.

قال ابن حزم: اتفقوا علىٰ تحريم الغيبة والنميمة، في غير النصيحة الواجبة.

وفيه: دليل علىٰ أنها من الكبائر.

قوله: **«القالة بين الناس»** قال أبو السعادات: أي: كثرة القولْ، وإيقاع الخصومة بين الناس. ومنه الحديث: **«ففَشَت القالة بين الناس»**[2].

---

(١) عزاه إليه ابن مفلح في الفروع (٦/ ١٨٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٢٣).

قال المصنف رحمـه الله تعالى: ولهما، عن ابن عـمر: «أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحرًا»(١) .

ش: البيانُ: البلاغة والفصاحة.

قال صَعْصعةُ بنُ صُوْحان: صدق نبي اللّه، فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق.

وقال ابن عبد البر: تأولته طائفة على الذم؛ لأن السحر مذموم.

وذهب أكثر أهل العلم، وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح؛ لأن اللّه تعالى مدح البيان.

قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله قال: هذا واللّه السحر الحلال. انتهى.

والأول أصح.

والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس، كما قال بعضهم: شعرًا.

في زُخرف القول تـزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوءُ تعبير

[مأخوذ من قول الشاعر:]

تقـول: هذا مُجاج النحل تمدحه ... وإن تشأ قلت: ذا قيء الزنابير

مدحًا وذمًا، وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

وقوله: «إن من البيان لسحرًا» هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق. فيستميل به قلوب الجهال، حتى يُقبل الباطل ويُنكر الحق. نسأل اللّه الثبات، والاستقامة على الهُدى.

وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، [ويبطل الباطل] ويبينه. فهذا هو الممدوح، وهكذا حال الرسل وأتباعهم؛ ولهذا علت مراتبهم في الفضائل،

(١) صحيح: وتقدم تخريجه.

وعظمت حسناتهم.

وبالجملة: فالبيان لا يحمد إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب، وتغطية الحق وتحسين الباطل. فإذا خرج إلى هذا فهو مذموم؛ وعلى هذا تدل الأحاديث، كحديث الباب، وحديث: «**إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**» رواه أحمد، وأبو داود[1].

* * *

(١) حسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨٨٠) ورواه أبو داود (٥٠٠٥) والترمذي (٢٨٥٣) وأحمد (٢/ ١٦٥، ١٨٧) وابن أبي شيبة (٩/ ١٥) والبيهقي في «الشعب» (٤٩٧١، ٤٩٧٢) من طريق عاصم بن سفيان عن أبيه عن عبد الله بن عمرو

وفي الإسناد عاصم بن سفيان روي عنه جمع وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الحافظ في التقريب صدوق.

وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيقه مسند أحمد» (٦٥٤٣) وذكر للحديث شاهدين أحدهما عن سعد بن أبي وقاص والآخر عن عبد الله بن عمرو وهما ضعيفان.

(٢٥)

باب
ما جاء في الكهان ونحوهم

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

ش: الكاهن: هو الذي يأخذ عن مُسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيرًا. وأما بعد المبعث فإنهم قليل؛ لأن اللَّه تعالىٰ حرس السماء بالشُّهُب.

وأكثر ما يقع في هذه الأمة: ما يُخبر به الجن مواليهم من الإنس، عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة. وقد اغتر بذلك كثير من الناس، يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليًا للَّه، وهو من أولياء الشيطان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال المصنف رحمه الله تعالى: روى مسلم في (صحيحه) عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى عرَّافًا فسأله عن شيء ـ فصدقه بما يقول ـ لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»(١)

ش: قوله: (عن بعض أزواج النبي ﷺ) هي حفصة، ذكره أبو مسعود الدِّمشقي؛ لأنه ذكر هذا الحديث في (الأطراف) في مسندها.

قولُه: «من أتى عرافًا» سيأتي بيان العراف إن شاء اللَّه تعالىٰ.

وظاهر الحديث: أن الوعيد مرتب علىٰ مجيئه وسؤاله، سواء صدقه أو شك في خبره؛ فإن [في] بعض روايات الصحيح: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٠) بدون «فصدقه بما يقول» وأحمد (٤/ ٦٨، ٥/ ٣٨٠) واللفظ له بسند صحيح.

صلاة أربعين ليلة» .

قوله: «لم تقبل له صلاة» إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

قال النووي وغيره: معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه. ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة. انتهى ملخصًا.

وفي الحديث: النهي عن إتيان الكاهن ونحوه.

قال القرطبي: يجب على من قدر على ذلك من مُحتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئًا من ذلك من الأسواق، ويُنكر عليهم أشد النكير، وعلى من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم؛ فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزِلَ على محمد ﷺ» رواه أبو داود.

ش: وفي رواية أبي داود: «**أو أتى امرأة** - قال مسدد: امرأته - **حائضًا، أو أتى امرأة** - قال مسدد: امرأته - **في دبرها، فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ**»[1] **فناقل هذا**

---

(١) **ضعيف مطولاً:** ويشهد لبعض الأحاديث الآتية رواه أبو داود (٣٩٠٤) والترمذي (١٣٥) والنسائي في «الكبرى» (٩٠١٧) وابن ماجه (٦٣٩) وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦) والدارمي (١١٣٦) وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٧) والبيهقي في «السنن» (٧/ ١٩٨) وإسحاق في «مسنده» (١/ ٤٢٣) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٤٤، ٤٥) والعقيلي (١/ ٣١٨) وابن عدي (٢/ ٢٢٠) وابن أبي شيبة (٤/ ٢٥٢ - ٢٥٣) والبخاري في «التاريخ» (٣/ ١٧٢١٦) من طريق حكيم الأشرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة به.
وذكر الحديث مطولاً وفي الإسناد حكيم الأشرم وإن كان صدوقًا قليل الحديث إلا أنه أنكر عليه هذا الحديث.
وأبو تميمة لم يسمع من أبي هريرة قال البخاري في «التاريخ» هذا حديث لا يتابع عليه. يعني حكيما. ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين وقال الترمذي في «العلل الكبير» (ص٩) سألت محمدا عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من هذا الوجه، وضعف هذا الحديث جدًا . . . والحديث ضعفه البزار والنسائي وأبو علي النيسابوري كما في «تلخيص الحبير» (٣/ ١٨٠) وضعفه البغوي والذهبي وابن سيد الناس والصدر المناوي كما في «فيض القدير» (٦/ ٢٣) ثم إنه فعل بالوقف انظر العقيلي في «الضعفاء» =

الحديث من (السنن) حذف منه هذه الجملة، واقتصر على ما يناسب الترجمة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وللأربعة، والحاكم ـ وقال: صحيح على شرطهما ـ عن ... من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ»(١).

ش: هكذا بيض المصنف لاسم الراوي. وقد رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم،

= (١/ ٣١٨، ١٤٩) والنسائي في «الكبرى» (٩٠١٨، ٩٠١٩) ورواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٤٤) من طريق إسماعيل بن عياش عن سهيل بن أبي صالح المدني عن الحارث بن مخلد عن أبي هريرة به.

وإسماعيل في رواية عن غير الشاميين ضعيفة وهذا منها والحارث بن مخلد مجهول.

وقد اضطرب فيه إسماعيل في إسناده ولفظه.

فرواه كما سبق ورواه عن سهيل عن محمد بن المنكدر عن جابر به كما عند الطحاوي(٣/ ٤٥) والدارقطني (٣/ ٢٨٨).

ورواه عن سهيل عن الحارث عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ «ملعون من أتى امرأة في دبرها» كما عند أبي داود (٢١٦٢) وابن ماجه (٨٣٢) وأحمد (٢/ ٤٤٤، ٤٧٩) والنسائي في عشرة النساء (١٢٦-١٢٩).

(١) حسن بشواهده: رواه أحمد (٢/ ٤٢٩) حدثنا يحيى بن سعيد ورواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٢/ ١٨٧/ ١) ومن طريقة أبو بكر بن خلاد في «الفوائد» (٢/ ٢٢١/ ١) كما في «الإرواء» (٧/ ٦٩) عن روح به (يحيى بن سعيد وروح) كلاهما عن عوف الأعرابي عن خلاس عن أبي هريرة به.

ورواه الحاكم (١/ ٨) ومن طريقه البيهقي (٨/ ١٣٥) من طريقين أحدهما من طريق أحمد بن مهران الأصبهاني عن عبيد الله بن موسى عن عوف به إلا أنه قال خلاس ومحمد بن سيرين عن أبي هريرة به. وفي الإسناد أحمد بن مهران لا أعلم فيه توثيقًا وذكره أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٩٥).

والطريق الثاني رواه من طريق الحارث بن أبي أسامة عن روح عن عوف به مثل رواية أحمد بن مهران بجمع خلاس ومحمد وكأن هذه الرواية وهم فإن أصل رواية الحارث في مسنده بدون ذكر محمد كما سبق.

فالصحيح في هذه الرواية عوف عن خلاس عن أبي هريرة به.

وخلاس بن عمرو لم يسمع من أبي هريرة. ورواه أحمد (٢/ ٤٢٩) من نفس الطريق عن الحسن مرسلاً.

وله شاهد من حديث جابر مرفوعًا رواه البزار (١٧١) مختصراً كما في «زوائد ابن حجر» و(٣٠٥٤ كشف) حدثنا عقبة بن سنان ثنا غسان بن مضر ثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله مرفوعاً «من أتى كاهناً فصدقه ... » الحديث.

تنبيه: عقبة بن سنان في بعض النسخ عقبة بن سيار والصواب الأول قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١١٧) رجاله =

عن أبي هريرة مرفوعًا.

قوله: «**من أتى كاهنًا**» قال بعضهم: لا تعارض بين هذا وحديث: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**» هذا على قول من يقول: هو كفر دون كفر. أما على قول من يقول بظاهر الحديث، فيُسأل عن وجه الجمع بين الحديثين!

وظاهر الحديث: أنه يكفر، متى اعتقد صدقه بأي وجه كان. وكان غالب الكهان قبل النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين.

قوله: «**فقد كفر بما أُنزل على محمد**» قال القرطبي: المراد بالمنزل: الكتاب والسنة. انتهى.

وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يُتوقف فلا يقال: يُخرج عن الملة ولا ما يخرج؟ وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولأبي يعلى ـ بسند جيد ـ عن ابن مسعود، مثله موقوفًا[1]

ش: أبو يعلى: اسمه: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، الإمام صاحب التصانيف [كالمسند] وغيره، روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة، وأبي بكر بن أبي شيبة، وخلق. وكان من الأئمة الحفاظ. مات سنة سبع وثلاثمائة.

وهذا الأثر: رواه البزار أيضًا، ولفظه: من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول:

= رجال الصحيح خلا عقبة بن سنان وهذا ضعيف. ووصف ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢١٧) إسناده بأنه جيد.

وفي الإسناد عقبة بن سنان قال فيه أبو حاتم صدوق كما في «الجرح والتعديل» (٦/ ٣١١) وقال فيه ابن حجر وهو ثقة كما في اختصار زوائد البزار ويشهد له الحديث السابق والأحاديث الآتية.

(١) صحيح موقوفًا: رواه البغوي في «الجعديات» (٢/ ٧٧٠. ٧٧٣) والطيالسي (٣٨١، ٣٨٢ط. هجر) وأبو يعلى (٥٤٠٨) وابن عدي (٧/ ٢٣٩) والطبراني في «الكبير» (١٠٠٠٥) والأوسط (١٤٥٣) والبزار (٢٠٦٧كشف) والبيهقي (٨/ ١٣٦) والخطيب (٨/ ٦٠) وعبد الرزاق (١١/ ٢١٠) من طرق عن عبد الله موقوفًا وروي مرفوعا من هذا الوجه ولا يصح انظر ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٠٤) وانظر العلل للدارقطني (٥/ ٢٨١، ٢٨٢، ٣٢٨، ٣٢٩)، والعلل المتناهية لابن الجوزي (١٣١٢) وقال المنذري (٤/ ٣١) رواه البزار وأبو يعلى بإسناد جيد موقوفًا وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٧) إسناده جيد ومثله لايقال بالرأي.

فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ(١).

وفيه: دليل على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يدَّعيان علم الغيب، وذلك كفر. والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به، وذلك كفر أيضًا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن عمران بن حُصين، مرفوعًا: «ليس منا مَن تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سحر، أو سُحر له. ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ» رواه البزار بإسناد جيد.

ورواه الطبراني بإسناد حسن، من حديث ابن عباس، دون قوله: «ومن أتى كاهنًا» إلى آخره(٢).

ش: قوله: «ليس منا» فيه: وعيد شديد، ويدل على أن هذه الأمور من الكبائر؛ وتقدم: أن الكهانة والسحر كفر.

قوله: «من تطير» أي: فعل الطيرة، أو «تُطير له» أي: قَبِل قولَ المتطيِّر له وتابعه، وكذا معنى «أو تكهن أو تُكهن له» كالذي يأتي الكاهن ويصدقه ويتابعه، وكذلك من عمل الساحر له السحر.

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه البزار (٣/ ٣٩٩-٤٠٠) من طريق أبي حمزة العطار عن الحسن عن عمران فذكره مرفوعًا، ورواه الدولابي في «الكنى» (٢/ ١٦٦) وسقط من إسناده الحسن. والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢) من طريق أبي حمزة به بدون قوله ومن أتى كاهنًا ... والحسن لم يسمع عمران وأبو حمزة ضعفه عمرو بن علي وقال أبوحاتم يكتب حديثه وكان حسن الحديث وقال ابن عدي ومع ضعفه يكتب حديثه. وقال البزار لا باس به.

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه البزار (٣/ ٣٩٩) والطبراني في «الأوسط» (٤١٨٥) كما في «مجمع البحرين» من طريق زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ به. «ليس منا من تطير...» الحديث ولم يذكر ومن أتى... إلى آخره، وفي الإسناد زمعة بن صالح وهو ضعيف وللحديث شاهد عن علي رضي الله عنه رواه أبونعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٥) والطبراني في «الأوسط» (٥٠٩٨ مجمع البحرين) وإسناده ضعيف واهٍ في إسناده مختار بن غسان وهو مجهول وعيسى بن مسلم وعبد الأعلى بن عامر وكلاهما ضعيف.

فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ لكونها: إما شرك كالطيرة، أو كفر كالكهانة والسحر. فمن رضي بذلك وتابع فهو كالفاعل؛ لقبوله الباطل واتباعه.

قوله: (رواه البزار). هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزار البصري، صاحب (المسند الكبير). وروىٰ عن ابن بشار، وابن المثنىٰ، وخلق. مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال البغوي: العرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدِّمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يُخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يُخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرَّمَّال ونحوهم، وممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

ش: البَغَوي ـ بفتحتين ـ هو الحسين بن مسعود بن الفرَّاء الشافعي، صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان. كان ثقة فقيهًا زاهدًا. مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة.

قوله: (العرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور). ظاهره، أن العراف: الذي يُخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها، والضالة ومكانها.

وقال شيخ الإسلام: إن العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، كالحازر الذي يدعي علم الغيب، أو يدعي الكشف!

وقال أيضًا: والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو في معناه.

وقال أيضًا: والمنجم يدخل في اسم الكاهن، عند الخطابي وغيره من العلماء، وحُكي ذلك عن العرب.

وعند آخرين: هو من جنس الكاهن، وأسوأ حالاً منه، فيُلحق به من جهة المعنىٰ.

وقال الإمام أحمد: العراف: طرف من السحر. والساحر أخبث.

وقال أبو السعادات: العراف: المنجم والحازر الذي يدعي علم الغيب، وقد استأثر اللَّه تعالىٰ به.

وقال ابن القيم: من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفًا، وعرافًا.

والمقصود من هذا: معرفة من يدعي معرفة علم شيء من المُغيَّبات، فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنىٰ، فيُلحق به. وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة، في بعض الأحيان يكون بالكشف. ومنه ما هو من الشياطين، ويكون: بالفأل، والزجر، والطيرة، والضرب بالحصىٰ، والخط في الأرض، والتنجيم، والكهانة، والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية.

ونعني بالجاهلية: كل من ليس من أتباع الرسل عليهم السلام، كالفلاسفة والكُهَّان والمنجمين، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ؛ فإن هذه علوم القوم، ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام.

وكل هذه الأمور يُسمَّىٰ صاحبها كاهنًا وعرّافًا، أو في معناهما. فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد. وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام، فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر اللَّه تعالىٰ بعلمه، وادعوا أنهم أولياء، وأن ذلك كرامة!!

ولا ريب أن من ادعىٰ الولاية، واستدل بإخباره ببعض المغيبات فهو من أولياء الشيطان، لا من أولياء الرحمن! إذ الكرامة: أمر يجريه اللَّه علىٰ يد عبده المؤمن المتقي: إما بدعاء، أو أعمال صالحة لا صُنع للولي فيها، ولا قدرة له عليها. بخلاف من يدعي أنه ولي للَّه، ويقول للناس: اعلموا أني أعلم المغيبات؛ فإن مثل هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب، وإن كانت أسبابًا محرمة كاذبة في الغالب.

ولهذا قال ﷺ في وصف الكهان: «فيكذبون معها مائة كذبة»[1] فبيَّن أنهم يصدقون مرة ويكذبون مائة.

وهكذا حال من سلك سبيل الكهان، ممن يدعي الولاية والعلم بما في ضمائر الناس، مع أن نفس دعواه دليل علىٰ كذبه؛ لأن في دعواه الولاية تزكية النفس المنهي

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٣٢٨٨) ومسلم (٢٢٢٨).

عنها بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] وليس هذا من شأن الأولياء، بل شأنهم الإزراءَ علىٰ نفوسهم وعيبهم لها، وخوفهم من ربهم. فكيف يأتون الناس، يقولون: اعرفوا أنا أولياء، وأنا نعلم الغيب؟ ومن ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق، واقتناص الدنيا بهذه الأمور.

وحسبك بحال الصحابة والتابعين، وهم سادات الأولياء رضي اللّه عنهم، أفكان عندهم من هذه الدعاوي والشطحات شيء؟! لا واللّه، بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن، كالصديق رضي اللّه عنه[1]. وكان عمر يُسمع نشيجه من وراء الصفوف يبكي في صلاته[2]، وكان يمرُّ بالآية في ورده بالليل فيمرض منها ليالي يعودونه[3]. وكان تميم الداري يتقلب في فراشه لا يستطيع النوم إلا قليلاً، خوفًا من النار، ثم يقوم إلىٰ صلاته!

ويكفيك في صفات الأولياء، ما ذكره اللّه تعالىٰ من صفاتهم: في سورة الرعد، والمؤمنين، والفرقان، والذاريات، والطور. فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء، لا أهل الدعوىٰ والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب، بل مجرد دعواه علم الغيب كفر.

فكيف يكون المدعي لذلك وليًا للّه؟ وقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المغترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولبسوا بها علىٰ خفافيش القلوب. نسأل اللّه السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٧١٦) ومسلم (٤١٨).

(٢) إسناده صحيح: رواه البخاري معلقًا (٢/ ٢٠٦) ووصله ابن أبي شيبة (١/ ٣٥٥) وسعيد بن منصور في «السنن» والبيهقي في «الشعب» كما في التعليق (٢/ ٣٠٠) من طريق سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن محمد ابن سعد سمع عبدالله بن شداد يقول سمعت نشيج عمر. . الأثر)وصحح إسناده الحافظ ابن حجر. ووقع في مطبوعة ابن أبي شيبة إسماعيل بن محمد عن سعد وهو خطأ والصواب إسماعيل بن محمد بن سعد وهو ابن أبي وقاص.

(٣) إسناده منقطع: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٦٩)، وأبونعيم في «الحلية» (١/ ٥١) من طريق هشام عن الحسن فذكره عن عمر.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقال ابن عباس - في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم[1] -: ما أرى مَن فعلَ ذلك له عند الله من خلاق.

ش: هذا الأثر، رواه الطبراني عن ابن عباس، مرفوعًا. وإسناده ضعيف، ولفظه: رُبَّ مُعَلِّم حروف أبي جاد دارس في النجوم. ليس له عند الله خلاق يوم القيامة.

ورواه حُميد بن زَنْجويه عنه، بلفظ: رُبَّ ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد، ليس له عند الله خلاق.

قوله: (ما أرىٰ). يجوز فتح الهمزة، بمعنىٰ: لا أعلم. ويجوز ضمها: بمعنىٰ: لا أظن.

وكتابة أبي جاد، وتعلُّمها - لمن يدعي بها علم الغيب - هو الذي يُسمَّىٰ علم الحرف، وهو الذي فيه الوعيد. فأما تعلُّمها للتهجي وحساب الجمل، فلا بأس به.

قوله: (وينظرون في النجوم)، أي: ويعتقدون أن لها تأثيرًا؛ كما سيأتي في باب التنجيم.

وفيه من الفوائد: عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [غافر: ٨٣].

* * *

(١) **صحيح موقوفًا:** رواه عبد الرزاق (١١/ ٢٦) وابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩) وفي «شعب الإيمان» (٥١٩٦) والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٧٨٦) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٧٨) من طريق ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس به. ورواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤١) رقم (١٠٩٨٠) مرفوعًا وإسناده موضوع ففي إسناده خالد بن يزيد العمري كذاب.

(٢٦)

بـاب

ما جاء في النشرة

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب ما جاء في النُّشرة.

ش: بضم النون؛ كما في (القاموس). قال أبو السعادات: النُّشْرة: ضرب[١] من العلاج والرُّقية، يُعالَج به من كان يُظنُّ أن به مسًا من الجن، سُمِّيت نُشرة؛ لأنه يُنشَر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يُكشف ويزال.

قال الحسن: النُّشرة من السحر[١]. وقد نشرت عنه تنشيراً، ومنه الحديث: «**فلعل طَبًّا أصابه**» ثم نشره بـ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ أي: رقاه.

وقال ابن الجوزي: النُّشْرة: حلُّ السحر عن المسحور. ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر.

قال المصنف رحـمه الله تعالى: عن جـابر. أن رسول الله ﷺ سُـئل عن النُّشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان»[٢] رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود. وقال: سُئل أحمد عنها؟ فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كله.

ش: هذا الحديث رواه أحمد، ورواه عنه أبوداود في (سننه). والفضل بن زياد

---

(١) **إسناده ضعيف جداً**: رواه الخطابي في «معالم السنن» (٤/ ٢٠٤) من طريق عبد الله بن شبيب حدثنا زكريا ابن يحيى المنقري حدثنا الأصمعي حدثنا الحكم بن عطية عن الحسن فذكره وعبد الله بن شبيب: ضعيف واهٍ.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود(٣٨٦٨) وأحمد (٣/ ٢٩٤)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٣٥١) والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٢٤١-٢٤٢) عن عبد الرزاق، أخبرنا عقيل بن معقل، سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر؟ قال: سئل النبي عن النشرة فقال: «من عمل الشيطان» ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٧٦٢) به، إلا أنه أوقفه على جابر. ورجال الحديث رجال الشيخين سوى عقيل بن معقل، وهو ثقة، وفي الإسناد وهب =

في كتاب (المسائل)، عن عبد الرزاق، عن عقيل بن معقل بن مُنَبّه، عن عمه وهب ابن منبه، عن جابر، فذكره. قال ابن مفلح: إسناده جيد. وحسن الحافظ إسناده.

قوله: (سُئل عن النُّشرة)، الألف واللام في النُّشرة للعهد. أي: النُّشرة المعهودة، التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان.

قوله: (وقال: سُئل أحمد عنها؟ فقال: ابن مسعود يكره هذا كله)، أراد أحمد رحمه الله: أن ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان؛ كما يكره تعليق التمائم مُطلقًا[١].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وللبخاري، عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طِبٌّ أو يُؤَخَّذُ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يُريدون به الإصلاح؛ فأما ما ينفع فلم يُنه عنه[٢].

= ابن منبه قال ابن معين: لم يلق جابر إنما هو كتاب، وقال في موضع آخر: هي صحيفة ليست بشيء. اهـ.

قلت: والرواية عن الصحيفة معتبرة، وللحديث شاهد رواه الحاكم (٤/ ٤١٨) والبزار (٣٠٣٤) «كشف» والطبراني في «الأوسط» (٤١٨٣) «مجمع البحرين» من طريق مسكين بن بكير، ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، قال: سئل أنس عن النشرة، فقال: ذكر لي أن رسول الله ﷺ سئل عنها قال: «هي من عمل الشيطان».

وفي رواية الطبراني في «الأوسط» فقال: ذكروا أنها من عمل الشيطان.

وقال البزار: لا نعلم أسنده عن شعبة إلا مسكين، وهو حراني مشهور، وفي الإسناد مسكين بن بكير، وهو وإن كان ثقة إلا أنه له مناكير، وفي حديثه بعض الخطأ، وقد خالفه علي بن الجعد. فرواه عن شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن مرسلاً، كما في «مراسيل أبي داود» (٤٥٣)، وفي الإسناد أبو رجاء وقد اختلف في اسمه، قال البزار: هو محمد بن سيف الأزدي، وكذا ذكر المزي في «التحفة» وقال الحاكم: هو مطر الوراق، والأول ثقة و الثاني كثير الخطأ.

وقد قال البيهقي: وروي عن النبي ﷺ مرسلاً، وهو مع إرساله أوضح، ولكن قال ذلك بعد روايته لحديث جابر.

(١) ثبت كراهية ابن مسعود لتعليق التمائم وانظر أثره في تحقيقي شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن باز رقم (٥/ ٥٢).

(٢) إسناده صحيح: رواه البخاري معلقًا (١٠/ ٢٣٢) «الفتح» ووصله ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٢٤٣-٢٤٤) من طريق الأثرم، حدثنا حفص بن عمر النمري، حدثنا هشام، عن قتادة، عن سعيد به، قال الحافظ في «تغليق التعليق» (٥/ ٤٩): هكذا ذكره الأثرم في «السنن» وقال في «الفتح» ووصله أبو بكر الأثرم في =

ش: قوله: (عن قتادة). هو ابن دِعامة - بكسر الدال - السَّدوسي، ثقة فقيه، من أحفظ التابعين. قالوا: إنه ولد أكْمه. مات سنة بضع عشرة ومائة.

قوله: (رجل به طب). بكسر الطاء. أي: سِحْر، يُقال له: طُبَّ الرجل - بالضم - إذا سُحر، ويقال: كَنَّوا عن السحر بالطب؛ تفاؤلاً. كما يُقال للديغ: سليم.

وقال ابنُ الأنباري: الطِّبُّ من الأضداد. يقال لعلاج الداء: طبٌّ، والسحر من الداء، ويقال له: طب.

قوله: (يُؤخَّذُ) - بفتح الواو مهموز، وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة - أي: يُحبس عن امرأته، ولا يصل إلىٰ جماعها. والأُخذة - بضم الهمزة - الكلام الذي يقوله الساحر.

قوله: (أيُحل)، بضم الياء وفتح الحاء، مبني للمفعول.

قوله: (أو يُنشَّر) بتشديد المعجمة.

قوله: (لا بأس به) يعني: أن النُّشرة لا بأس بها؛ لأنهم يريدون بها الإصلاح. أي: إزالة السحر، ولم يُنه عما يُراد به الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يُحمل علىٰ نوع من النُّشرة، لا يُعلم أنه سحر.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ويُروى عن الحسن، أنه قال: «لا يَحُلُّ السحر إلا ساحر»[1].

ش: هذا الأثر، ذكره ابن الجوزي في (جامع المسانيد).

والحسن: هو ابن أبي الحسن، واسمه يسار - بالتحتية والمهملة - البصري الأنصاري، مولاهم. ثقة فقيه، إمام من خيار التابعين. مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين.

= كتاب «السنن» من طريق أبان، عن قتادة ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة. قال حدثنا حميد بن مسعدة ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد نحوه، كما في «تغليق التعليق» (٥/ ٤٩).

(١) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» كما في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣)، وعزاه لصاحب «فتح المجيد» (٢/ ٥٠٢) إلى ابن الجوزي في «جامع المسانيد» وكذا عزاه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٧٧).

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال ابن القيم: النُّشرة: حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرَّب الناشرُ والمنتشر إلى الشيطان بما يُحب، فيبطل عملُه عن المسحور.

والثاني: النُّشرة بالرُّقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

ش: ومما جاء في صفة النُّشْرة الجائزة: ما رواه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ليث بن أبي سُليم، قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن اللّه، ـ تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يُصبُّ على رأس المسحور ـ الآية التي في يونس ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢]، وقوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر الآيات الأربع، وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

وقال ابنُ بطال: في (كتاب وهب بن مُنبه): أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقَّه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسوا منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله.

قلت: قول العلامة ابن القيم: (والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة. فهذا جائز). يشير إلى مثل هذا، وعليه يُحمل كلام من أجاز النُّشرة من العلماء.

[والحاصل: أن ما كان منه بالسحر فيحرُم، وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة، فجائز]. واللّه أعلم.

* * *

(٢٧)

باب
ما جاء في التطيُّر

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب ما جاء في التطيُّر.

ش: أي: من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تطيَّر يتطيَّر [تطيُّرًا]، والطِّيرة - بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسكَّن -: اسم مصدر من تطيَّر [طيرة].

وأصله: التطيرُ بالسوانح والبوارح، من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدُّوهم عن مقاصدهم. فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر.

قال المدائني: سألت رُؤبة بن العجاج: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: وما ولاك مياسره. والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد! ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب - لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته - ذكرها المصنف في (كتاب التوحيد)؛ تحذيرًا مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

ش: ذكر تعالىٰ هذا الآية في سياق قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١].

المعنى: أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة، أي: الخصب والسعة والعافية - كما فسره مجاهد وغيره[1] - قالوا: لنا هذه، أي: نحن الجديرون والحقيقون به، ونحن

(١) انظر الطبري في «التفسير» (١٤٩٩٢، ١٤٩٩٣) نحوه من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به.
وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقد عنعن وقد نفىٰ بعض أهل العلم سماعه التفسير من مجاهد.

أهله. وإن تُصبهم سيئة، أي: بلاء وقحط، يطَّيروا بموسىٰ ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسىٰ وأصحابه، أصابنا بشؤمهم، فقال اللَّه تعالىٰ: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: طائرهم: ما قضىٰ عليهم وقدَّر لهم. وفي رواية: شؤمهم عند اللَّه ومن قِبله. أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله؛ بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله[١].

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسىٰ عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩].

ش: المعنى - واللَّه أعلم - حظُّكم وما نابكم من شر معكم، بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعداوتكم.

فطائرُ الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء اللَّه وقدره وحكمته وعدله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

ويحتمل أن يكون المعنىٰ: طائركم معكم. أي: راجع عليكم. فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم؛ وهذا من باب القصاص في الكلام، ونظيره قوله عليه السلام: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**»[٢] ذكره ابن القيم.

وقوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد اللَّه قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ وقال قتادة: أئن ذكرناكم باللَّه تطيَّرتم بنا؟![٣].

ومناسبة الآيتين للترجمة: أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم

---

(١) انظر الطبري في التفسير (١٤٩٩٥) نحوه بإسناد ضعيف فيه المثنىٰ ولا يعرف له توثيق وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولم يسمع منه وانظر تفسير البغوي (٢/ ١٩٠).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٦٢٥٨) ومسلم (٢١٦٣).

(٣) **رجاله ثقات:** رواه الطبري في تفسيره (٢٩٠٩٢) من طريق سعيد عن قتادة وقد سبق الكلام علىٰ هذا الإسناد مراراً

اللَّه به ومقتهم. وقد نهىٰ رسول اللَّهﷺ عن التطير، وأخبر أنه شرك؛ كما سيأتي في أحاديث الباب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا عَدوى ولا طِيرة ولا هامة ولا صَفَر» أخرجاه[١]. زاد مسلم: «ولا نَوْء، ولا غُول»[٢].

ش: قال أبو السعادات: العَدوىٰ: اسم من الإعداء. كالرَّعوىٰ. يقال: أعداه الداء، يعديه إعداءً: إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء.

وفي رواية لمسلم: أن أبا هريرة، كان يُحدِّث بحديث: **«لا عدوى»**، ويحدث عن النبيﷺ أنه قال: **«لا يُورِدُ مُمرِضٌ على مُصِح»**.

ثم إن أبا هريرة اقتصر علىٰ حديث: **«لا يُورِدُ مُمرضٌ على مصح»**[٣] وأمسك عن حديث: **«لا عدوى»** فراجعوه، وقالوا: سمعناك تُحدثه، فأبىٰ أن يعترف به.

قال أبو سلمة ـ الراوي عن أبي هريرة ـ: فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر؟.

وقد روىٰ حديث: **«لا عدوى»** جماعة من الصحابة: أنس بن مالك[٤]، وجابر ابن عبد اللَّه[٥]، والسائب بن يزيد[٦]، وابن عمر[٧] وغيرهم[٨]، وفي بعض روايات هذا الحديث **«وفِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد»**[٩].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (طرف حديث٢٢٢٠/ ١٠٧) من حديث أبي هريرة بزيادة «ولا نوء» ومن حديث جابر(٢٢٢٢/ ١٧٠) بزيادة «لولا».

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٢١).

(٤) **صحيح:** رواه البخاري(٥٧٥٦) ومسلم (٢٢٢٤).

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٢٢).

(٦) **صحيح:** رواه مسلم (طرف حديث ٢٢٢٠).

(٧) **صحيح:** رواه البخاري(٥٧٧٢) ومسلم (٢٢٢٥).

(٨) انظر أحمد (١/ ٢٦٩، ٣٢٨، ٢/ ٢٢٢) وغيره من حديث ابن عباس وابن عمر وغيرهما.

(٩) **إسناده صحيح:** رواه البخاري (٥٧٠٧) تعليقًا وقال عفان حدثنا سليم بن حبان حدثني سعيد بن دينار قال =

وقد اختلف العلماء في ذلك، وأحسنُ ما قيل فيه: قولُ البيهقي - و تبعه ابنُ الصلاح، وابن القيم، وابن رجب، وابن مفلح، وغيرهم - . أن قوله: «**لا عدوى**» على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية، من إضافة الفعل إلى غير اللَّه تعالى، وأن هذه الأمور تُعدي بطبعها. وإلا فقد يجعل اللَّه بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك؛ ولهذا قال: «**وفرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد**» وقال: «**لا يُوردُ مُمرضٌ على مُصح**» وقال في الطَاعون: «**من سمع به في أرض فلا يقدُم عليه**»[1] وَكل ذلك بتقدير اللَّه تعالى .

ولأحمد، والترمذي ، عن ابن مسعود، مرفوعًا: «**لا يعدي شيء شيئًا**» - قالها ثلاثًا - فقال أعرابي: يا رسول اللَّه النُّقْبَةُ من الجرَب تكون بِمشفَر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتَجرَبُ كلُّها؟ فقال رسول اللَّه ﷺ «**فمن أجرب الأول؟ لا عدوى ولا طِيرة ولا هامة ولا صَفَرَ، خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصائبها ورزقها**»[2].

فأخبر ﷺ أن ذلك كله بقضاء اللَّه وقدره، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية. فكما أنه يؤمر أن لا يُلقي نفسه في الماء وفي النار، مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر. فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد

= سمعت أبا هريرة الحديث. قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٥٨) وقد وصله أبو نعيم من طريق أبي داود والطيالسي، وأبي قتيبة سالم بن قتيبة كلاهما عن سليم بن حبان شيخ عفان وأخرجه أيضا من طريق عمرو ابن مرزوق عن سليم لكن موقوفًا ولم يستخرج الإسماعيلي وقد وصله ابن خزيمة أيضًا اهـ.

وقد وصله البيهقي في «السنن» (٧/ ١٣٥) من طريق عمرو بن مرزوق عن سليم بن حبان به مرفوعًا.

وله طريق آخر عند أحمد (٢/ ٤٤٣) من طريق آخر وفي إسناده ضعف.

(١) **صحيح** رواه البخاري (٥٧٢٨) ومسلم (٢٢١٨).

(٢) **إسناده صحيح** رواه أحمد (٢/ ٣٢٧) وابو يعلى (٦١١٢) وابن حبان (٦١١٩) والبغوي (٣٢٤٩) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٠٨).

من طريق عبد الله بن شبرمة عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن أبي هريرة مرفوعًا ورواه الترمذي. (٢١٤٣) وأحمد (١/ ٤٤٠) وأبو يعلى (٥١٨٢) وغيرهم من طريق عمارة بن القعقاع قال حدثنا أبو زرعة صاحب لنا عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا. وقد رواه الطحاوي (٤/ ٣٠٨) من طريق سعيد بن مسروق عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن ابن مسعود مثله.

وأجمع الشيخ الألباني بأن هذا الرجل الذي لم يسم من أصحابه هو أبو هريرة كما في الرواية الأولى وانظر «الصحيحة» (١١٥٢) ولبعضه شواهد عند البخاري (٥٧٧٠) ومسلم (٢٢٢٠) وانظر «تحقيق مسند أحمد» (٤١٩٨، ٨٣٤٣ ط. الرسالة).

الطاعون؛ فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فاللّه سبحانه هو خالق الأسباب ومُسبباتها، لا خالق غيره ولا مقدر غيره.

وأما إذا قوي التوكل على اللّه، والإيمان بقضاء اللّه وقدره - فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب، اعتماداً على اللّه، ورجاءً منه أن لا يحصل به ضرر - ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لاسيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة.

وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود، والترمذي: أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: **«كُل بسم الله، ثقةً بالله وتوكلاً عليه»**[(١)] وقد أخذ به الإمام أحمد. ورُوي ذلك عن عمر[(٢)]، وابنه[(٣)]، وسلمان[(٤)] رضي اللّه عنهم.

ونظير ذلك: ما رُوي عن خالد بن الوليد من أكل السُّم[(٥)]، ومنه: مَشْيُ سعد بن أبي وقاص، وأبي مُسلم الخولاني على متن البحر. قاله ابن رجب رحمه اللّه.

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه أبو داود (٣٩٢٥) والترمذي (١٨١٨) وابن ماجه (٣٥٤٢) وأبو يعلى (١٨٢٢) وغيرهم من طريق المفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا. والمفضل ابن فضالة ضعيف.

وبعد أن أشار الترمذي لتضعيفه قال: وقد روى شعبة هذا الحديث عن حبيب بن الشهيد عن ابن بريدة أن ابن عمر أخذ بيد مجزوم. وحديث شعبة أثبت عندي وأصح. ورجحه العقيلي (٤/ ٢٤٢) ولكن جاء عنده من طريق سلمان موقوفًا.

(٢) قال الشيخ جاسم الدوسري في «النهج السديد» عمر بن الخطاب رواه عنه ابن جرير في «التهذيب» (٧٥) وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١١٧) بسند حسن وله طرق أخرى عند ابن سعد (٤/ ١١٨) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢٦٠) وعبد الرزاق (١٠/ ٤٠٥، ١١/ ٢٠٥) وابن جرير (٧٦، ٧٧).

(٣) قال في النهج السديد عبد الله بن عمر. ورواه عنه ابن جرير في «التهذيب» (٨١، ٨٢) من طريقين في الأول مجهولان وفي الآخر ضعيف ومبهم.

(٤) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٤٢) وأبونعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٠) من طريق شعبة عن حبيب بن الشهيد قال سمعت عبد الله بن بريدة يقول كان سلمان فذكره.

وهذا إسناد جيد إن ثبت سماع ابن بريدة من سلمان.

(٥) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٨١، ١٤٨٢) من طريق سفيان عن إسماعيل عن قيس عن خالد فذكره وللحديث طرق أخرى عند أبي يعلى (٧١٨٦) والطبراني في «الكبير» (٣٨٠٨، ٣٨٠٩) وابن أبي شيبة (١٥٥٧٧) وصححه شيخنا في «فضائل الصحابة».

قوله: «**ولا طيرة**» قال ابن القيم: يحتمل أن يكون نفيًا أو نهيًا، أي: لا تطَّيروا، ولكن قوله في الحديث: «**ولا عدوى ولا صفَر ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه.

وفي (صحيح مسلم)، عن معاوية بن الحكم: أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: ومنا أناس يتطيرون، قال: «**ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**» فأخبر أن تأذِّيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المُتطيَّر به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يُطيِّره ويصده، لا ما رآه وسمعه.

فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبيَّن لهم فساد الطيرة ليعلموا أن اللَّه سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نَصَبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد. فقطع ﷺ عِلَق الشرك من قلوبهم؛ لئلا يبقى فيها علقة منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال [أهل] النار البتة.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على اللَّه، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر[1]. فبادره بالإنكار عليه، لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاوس: وأيُّ خير عند هذا؟ لا تصحبني[2]. انتهى ملخصًا.

---

(١) عزاه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٥) إلى الطبري.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه عبد الرزاق (١٩٥١٣) من طريق معمر عن ابن طاوس عن طاوس فذكره ولكن يخشى من الإبهام في «السند» (أوغيره).

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة؛ كقوله ﷺ: **«الشؤم في ثلاث: في المرأة، والدابة، والدار»**[1] ونحو هذا.

قال ابن القيم رحمه الله: إخباره ﷺبالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر.

وهذا كما يُعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه، ويُعطي غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يُعطاه العبدُ من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس.

والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نُحوسًا يتنحس بها من قاربها.

وكل ذلك بقضاء الله وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة. كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذَّذ بها من قاربها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس.

والفرق بين هذين النوعين مُدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة الشركية لون. انتهى.

قوله: **«ولا هامة»** بتخفيف الميم، على الصحيح. قال الفرَّاء: الهامة: طير من طيور الليل. كأنه يعني البُومة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعتْ على بيت أحدهم، يقول نَعَتْ إليّ نفسي أو أحدًا من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

قوله: **«ولا صفَر»** بفتح الفاء. روى أبو عبيدة في (غريب الحديث)، عن رُؤْبة، أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٥٨)، ومسلم (٢٢٢٥).

عند العرب !

وعلىٰ هذا: فالمراد بنفيه: ما كانوا يعتقدونه من العدوىٰ. وممن قال بهذا سفيان بن عيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابن جرير.

وقال آخرون: المراد به: شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهو قول مالك.

وروىٰ أبو داود، عن محمد بن راشد، عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك.

قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام، كيوم الأربعاء، وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

قوله: «**ولا نَوْءَ**» النوء: واحد الأنواء، وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء اللَّه تعالىٰ.

قوله: «**ولا غُول**» هو بالضم، اسمه. وجمعه أغوال وغيلان. وهو المراد هنا.

قال أبو السعادات: الغول: واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين.

كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءىٰ للناس، تتلوَّن تلونًا [في صور] شتىٰ، وتَغُولُهم: أي: تُضلُّهم عن الطريق وتُهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

فيكون المعنىٰ بقوله: «**لا غول**» أنها لا تستطيع أن تُضل أحدًا مع ذكر اللَّه والتوكل عليه. ويشهد له الحديث الآخر: «**لا غُول ولكن السَّعالي**»(١) [السعالي](٢): سحرة الجن. أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل.

ومنه الحديث: «**إذا تغوَّلت الغيلان فبادروا بالأذان**»(٣) أي: ادفعوا شرها بذكر

---

(١) **مرسل:** رواه الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٤٦٣) من طريق عمرو عن الحسن بن محمد رفعه وجاء نحوه عن عمر موقوفًا كما عند عبد الرزاق (٥/ ١٦٢).

(٢) إضافة من «النهاية في غريب الحديث» للخطابي.

(٣) **ضعيف وقد اضطرب فيه الحسن:** رواه أحمد (٣/ ٣٠٥، ٣٨١، ٣٨٢)، وأبو يعلىٰ (٢٢١٩)، وابن خزيمة (٢٥٤٨، ٢٥٤٩) والنسائي في «عمل اليوم والليلة»(٩٥٥) وابن السني في عمل «اليوم والليلة» =

اللَّه . وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها .

ومنه : حديث أبي أيوب : كان لي تمر في سهوة ، فكانت الغول تجيء فتأخذ[١]

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولهما، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طِيرة، ويُعْجِبُني الفألُ» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»[٢] .

ش: قوله : **«ويُعجبني الفأل»** قال أبو السعادات : الفأل - مهموز - فيما يسرُّ ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، وربما استُعملت فيما يسر . يقال : تفاءلت بكذا وتفاولت ، على التخفيف والقلب . ولقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفًا ، وإنما أحب الفأل ، لأن الناس إذا أملوا فائدة اللَّه ، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير ، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من اللَّه تعالى كان ذلك من الشر .

وأما الطيرة: فإن فيها سوء الظن باللَّه وتوقُّع البلاء ، والتفاؤل : أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول : يا سالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد ، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته ؛ ومنه الحديث ، قيل : يا رسول اللَّه ما الفأل؟ قال : **«الكلمة الطيبة»** .

قَوله : قالوا : وما الفأل؟ قال : **«الكلمة الطيبة»** بيَّن ﷺ أن الفأل يُعجبه ، فدل على

---

(٥٢٣) من طريق الحسن عن جابر والحسن لم يسمع من جابر، ورواه عبدالرزاق (٥/ ١٦٣) والبزار (٣١٢٩ كشف) من طريق الحسن عن سعد بن أبي وقاص .
وقال البزار لا نعلمه يروىٰ عن سعد إلا من هذا الوجه ولا نعلم سمع الحسن من سعد شيئاً .
ورواه عبد الرزاق (٥/ ١٦٠) من طريق الحسن مرسلاً ورواه الطبراني في الدعاء (٢٠٠٩) من طريق آخر عن أبي هريرة ولكن في إسناده عدي بن الفضل وهو متروك .

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الترمذي (٢٨٨٠) وأحمد (٥/ ٤٢٣) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار (٧٨٧) والطبراني (٤٠١١) وأبو الشيخ في «العظمة» (١١٠٨) والحاكم (٣/ ٤٥٩) وأبو نعيم في «الدلائل» (٥٤٥) من طريق ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب فذكره . وابن أبي ليلى ضعيف لسوء حفظه وله طرق أخرىٰ نحو هذه القصة لا تخلو من مقال عند الطبراني (١٤٠١٢ ـ ٤٠١٤) وأبي الشيخ في «العظمة»(١١١٠) والحاكم (٣/ ٤٥٩) وانظر مسند أحمد حديث (٢٣٥٩٢ ط. الرسالة) .

(٢) **صحيح**: رواه البخاري(٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤) .

أنه ليس من الطيرة المنهي عنها .

قال ابن القيم: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، وموجب الفطرة الإنسانية، التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها؛ كما أخبرهم ﷺ أنه حُبِّب إليه النساء والطيب[1] ، وكان يحب الحلواء والعسل[2] ،

(١) فيه ضعف: رواه النسائي في «السنن» (٧/ ٦١) وفي عشرة النساء (١) وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥) ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٢٢، ٣٢٣) وأبو يعلى (٣٤٨٢) والطبراني في «الأوسط» (٥١٩٩) والبيهقي (٧/ ٧٨) والضياء في «المختارة» (١٧٣٧) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ص٩٨، ٢٢٩». والعقيلي (٢/ ١٦٠) من طرق عن سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس به مرفوعًا.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٣٥) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٠٥) وأبو الشيخ (ص٩٨) من طريق سلام بن أبي الصهباء عن ثابت عن أنس به. فقد اختلف في نسبة سلام هل الصحيح في الإسناد سلام أبي المنذر أم سلام بن أبي الصهباء فقد فرق بينهما البخاري وابن أبي حاتم والعقيلي وخالفهم في ذلك ابن عدي (٣/ ٣٠٥) فجعلهما واحدًا والتفريق أصح وابن أبي الصهباء منكر الحديث والآخر مختلف فيه ففيه كلام لا يرتضي حديثه إلى درجة الاحتجاج خاصة وأن العقيلي أورد حديثه ضمن مناكيره.
ورواه النسائي (٧/ ٦١-٦٢) والحاكم (٢/ ١٦٠) من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان عن ثابت به وسيار ضعيف ولجعفر بعض المناكير عن ثابت ونقل الضياء في «المختارة» (٥/ ١١٣) عن الدارقطني قوله. رواه سلام أبو المنذر وسلام بن أبي الصهباء وجعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس وخالفهم حماد بن زيد عن ثابت مرسلاً والمرسل أشبه بالصواب. قال ابن عدي (٣/ ٣٠٥) وقد رواه عن ثابت مع سلام بن أبي خبزة جعفر بن سليمان الضبعي من رواية سيار فيه قلت وسلام بن أبي خبزة ضعيف جداً. ورواه عبد الرزاق (٤/ ٣٢١) عن ابن التيمي عن أبيه وعن ليث قال: قال رسول الله ﷺ فذكره مرسلاً. وإسناده ضعيف مرسل.. ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٦٨) وفي الصغير (١/ ٢٦٢) والخطيب في التاريخ (١٤/ ١٩٠) والضياء في «المختارة» (١٥٣٢، ١٥٣٣) من طريق هقل بن زياد عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس مرفوعًا فذكره... قال الخطيب بعد ذكره تفرد برواية هذا الحديث هكذا موصولاً هقل بن زياد عن الأوزاعي ولم أره إلا من رواية يحيي بن عثمان عن هقل. وخالفه الوليد بن سلم فرواه عن الأوزاعي عن إسحاق عن النبي ﷺ مرسلاً لم يذكر فيه أنسا ثم ساقه من طريقه بهذا الإسناد مرسلًا. وله شاهد عند ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٩٨) من طريق أبي إسحاق السبيعي عن رجل حدثه عن عائشة فذكرت نحوه وفي إسناده مبهم.
تنبيه. قال المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٣٧٠) ومن زاد كا لزمخشري والقاضي لفظ ثلاث فقد وهم قال الحافظ العراقي في أماليه لفظ «ثلاث» ليست في شيء من كتب الحديث وهي تفسد المعني وقال: الزركشي لم يرد فيه لفظ ثلاثة وزيادتها مخلة للمعنى فإن الصلاة ليست من الدنيا وقال ابن حجر في تخريج الكشاف لم يقع في شيء من طرقه وهي تفسد المعني..

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٤٣١) وانظر (٤٩١٢) ومسلم (١٤٧٤).

ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه[١]، ويحبُّ معالي الأخلاق ومكارم الشِّيَم[٢].

وبالجملة: يُحبُّ كل كمال وخير، وما يُفضي إليهما. واللّه سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن، ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة، والبُشرىٰ والفوز والظفر ونحو ذلك. فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماعَ استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب. وإذا سمعت أضدادَها أوجب لها ضد هذه الحَال، فأحزنها ذلك وأثار لها خوفًا وطيرة وانكماشًا وانقباضًا عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا ونقصًا في الإيمان ومقارفة الشرك.

وقال الحليمي: وإنما كان ﷺ يُعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن باللّه تعالىٰ بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن باللّه تعالىٰ على كل حال.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولأبي داود ـ بسند صحيح ـ عن عُقبة بن عامر، قال: ذُكرت الطيرةُ عند رسول الله ﷺ، فقال: «أحسنُها الفألُ، ولا تَردُّ مسلمًا، فإذا رأى أحدُكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[٣].

ش: قوله: (عن عقبة بن عامر) هكذا وقع في نُسخ (التوحيد)، وصوابُه: عن

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠٤٩) ومسلم (٨٠٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٦١) ومسلم (٢٤٧٤).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه أبو داود (٣٧١٩) وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٦٢-٢٦٣) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٣) وابن أبي شيبة (٦٤٤٣، ٩٥٩٠، ٩٥٩١) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩) وفي «الشعب» (١١٧١) من طريق الأعمش، وسفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن عامر الجهني به.

ووقع عند ابن السني عقبة بن عامر، وهو خطأ، وهو الذي اعتمد عليه المصنف، وهو خطأ، والصواب: عروة بن عامر، كما في بقية الطرق، ثم إنه مشهور بهذا الحديث كما في ترجمته.

عروة بن عامر[1] . كذا أخرجه أحمد، وأبو داود، وغيرهما. وهو مكي، اختلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القُرشي . وقال غيره: الجهني، واختلف في صحبته، فقال الباوردي : له صُحبة. وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. وقال المِزي: لا صُحبة له تصح .

قول: فقال: «**أحسنها الفأل**» قد تقدم أنهﷺ كان يُعجبه الفأل.

وروىٰ الترمذي وصححه، عن أنس: أن النبيﷺ كان إذا خرج لحاجته، يُحبُّ أن يسمع: يا نجيح، يا راشد[1] .

وروىٰ أبو داود، عن بُريدة: أن النبيﷺ كان لا يتطيَّر من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رُئي كراهية ذلك في وجهه[2] . وإسناده حسن. وهذا فيه استعمال الفأل.

= وقد قال الشارح قوله: «عن عقبة بن عامر» هكذا وقع في نسخ «التوحيد» وصوابه عروة بن عامر. وفي الإسناد حبيب بن أبي ثابت، وهو مدلس، وقد عنعن، وقال الحافظ في «التهذيب»، : أثبت غير واحد له صحبة وشك فيه بعضهم قلت: وقد ذكره ابن حبان في «ثقات التابعين» (٥/ ١٩٥)، وجزم أبو حاتم في «المراسيل» (ص ١٤٩) أنه تابعي.

وقال ابن قانع في «معجم الصحابة»: إن عروة بن عامر عندي أنه ليس له لُقي، وقال قوم منه «كذا بالاصل» وليس بصحيح. اهـ.

وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٦١٩).

ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥١٢) عن معمر، عن الأعمش، عن النبيﷺ مرسلاً.

وهذا لا يقوي الإسناد السابق إذا المخرج واحد، لأن الراوي عن حبيب الأعمش، ثم إن رواية معمر عن الأعمش فيها ضعف انظر «التقريب» ترجمة معمر بن راشد. ولبعضه شاهد مرسلاً بإسناد حسن. رواه أبو داود في «المراسيل» (٢٥٣٩) عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي، عن النبي ﷺ مرسلاً.

(١) **إسناده صحيح**: رواه الترمذي (١٦١٦) والطبراني في «الصغير» (١/ ١٩٩) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٠٦) من طريق حماد بن سلمة عن حميد عن أنس مرفوعًا. وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ١٢١) وعزاه للروض النضير (٨٦).

(٢) **رجاله ثقات**: رواه أبوداود (٣٩٢) وأحمد (٥/ ٣٤٧-٣٤٨) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٤٠) والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٨٢٢) وغيرهم من طريق هشام عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا.

وفي الإسناد قتادة وهومدلس. وقد قال الترمذي: قال بعض أهل العلم لا نعرف لقتادة سماعًا من عبد الله بن بريدة كما في «المراسيل» للعلائي (ص ٢٥٦) والحديث حسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢١٥)، وصححه =

قال ابن القيم: أخبرﷺ أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها. فأبطل الطِّيرة، وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها. ففصل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما، ومضرة الآخر، ونظير هذا: منعه من الرُّقى بالشرك، وإذنُه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك، لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة.

قوله: «**ولا تردُّ مسلمًا**» قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.

قوله: «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت**» أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات، وتدفع السيئات.

ففيه: نفيُ تعلّق القلب بغير اللَّه في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد. وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضَراً، ويُعدُّ من اعتقدها سفيهًا مشركًا.

قوله: «**ولا حول ولا قوة إلا بك**» استعانة باللَّه تعالىٰ علىٰ فعل التوكل، وعدم الالتفات إلىٰ الطيرة التي قد تكون سببًا لوقوع المكروه عقوبةً لفاعلها. وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل، الذي هو أقوىٰ الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

والحولُ والتحول: الانتقال من حال إلىٰ حال، والقوة علىٰ ذلك باللَّه وحده.

ففيه: التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول اللَّه وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل علىٰ توحيد الإلهية الذي هو إفراد اللَّه تعالىٰ بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة. وقد تقدم بيان ذلك بحمد اللَّه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود، مرفوعًا: «الطيرة شرك، الطيرة شرك» وما منا إلا! ولكن الله يُذهبه بالتوكل»[1]. رواه أبو داود، والترمذي، وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

= الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٧٦٢)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد (٢٢٩٤٦).

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٩١٠) والترمذي (١٦١٤) وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠)، والحاكم (١/ ١٧-١٨)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩)، وفي «الشعب» (١١٦٧)، والطيالسي =

ش: ورواه ابن ماجه، وابن حبان. ولفظ أبي داود: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيـرة شـرك**» ثلاثًا. وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلُّق القلب على غير اللّه تعالىٰ.

قال ابنُ حمدان: تُكره الطيرة، وكذا قال غيرُه من أصحاب أحمد.

قـال ابن مـفلح: والأولىٰ القطعُ بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟!!

قال في (شـرح السنن): وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلبُ لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوا مع اللّه تعالىٰ.

قوله: (وما منا إلا) قال أبو القاسم الأصبهاني، والمُنذري: في الحديث إضمار، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. انتهىٰ.

وقال الخلخالي: حذف المستثنىٰ؛ لما يتضمنه من الحالة المكروهة. وهذا من أدب الكلام.

قوله: (ولكن اللّه يُذهبه بالتوكل). أي: لكن لما توكلنا على اللّه في جلب النفع أو دفع الضر، أذهبه اللّه عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: (وجعل آخره من قول ابن مسعود)، قال ابن القيم: وهو الصواب؛ فإن الطيرة نوع من الشرك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولأحمد، من حديث ابن عمرو: «من ردَّته

= (٣٥٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار»(٨٢٧)، وابن حبان كما في«الإحسان» (٦١٢٢) وغيرهم من طريق مسلمة بن كهيل، عن عيسىٰ بن عاصم، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ فذكره.
ولفظ «وما منا إلا» مدرج في الخبر من كلام ابن مسعود كما وضحه سليمان بن حرب شيخ البخاري وغيره من العلماء، انظر: «علل الترمذي» (ص ٢٦٦) والفتح (١٠/ ٢٢٤) «والشعب» للبيهقي (٢/ ٦٢)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ٦٤) و«مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٣٤)، والهيثمي في «موارد الظمآن» (ص٣٤٥) «وعون المعبود »(٤/ ٢٤) وتفسير العزيز الحميد (ص ٤٣٨ـ ٤٣٩). وهوالصواب خلافاً لابن القطان كما في «الفيض» (٤/ ٢٩٤)، والألباني في«الصحيحة » (رقم ٤٣٠) وانظر: « الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد».

الطِّيرة عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرُك، ولا طير إلا طيرُك، ولا إله غيرك» .

ش: هذا الحديث رواه أحمد، والطبراني، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابنُ لَهيعة، وبقيةُ رجاله ثقات .

قوله: (من حديث ابن عمرو). هو عبد اللَّه بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي، أبو محمد ـ وقيل: أبو عبد الرحمن ـ أحد السابقين المُكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة، ليالي الحرَّة ـ على الأصح ـ بالطائف .

قوله: «**من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**» وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع. فإذا ردَّه شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها ـ كإرادة السفر ونحوه ـ فمنعه عما أراده وسعى فيه ما رأى وسمع تشاؤمًا، فقد دخل في الشرك؛ كما تقدم. فلم يُخلص توكّلَه على اللَّه بالتفاته إلى ما سواه، فيكون للشيطان منه نصيب .

قوله: (فما كفارة ذلك؟) إلى آخره. فإذا قال ذلك، وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت إليه: كفَّر اللَّه عنه ما وقع في قلبه ابتداءً؛ لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمِّن للاعتماد على اللَّه وحده، والإعراض عما سواه .

وتضمن الحديث: أن الطيرة لا تضرُّ من كرهها ومضى في طريقه، وأما من لم يُخلص توكله على اللَّه، واسترسل مع الشيطان في ذلك، فقد يُعاقب بالوقوع فيما يكره؛ لأنه إعراض عن واجب الإيمان باللَّه، وأن الخير كله بيده. فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولُطفه وإحسانه. فلا خير إلا منه، وهو الذي يدفع الشرَّ عن عبده، فما أصابه من ذلك فبذنبه؛ كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وله، من حديث الفَضل بن عبَّاس: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك» .

ش: هذا الحديث: عند الإمام أحمد، من حديث الفضل بن عباس، قال: خرجت مع رسول اللَّه ﷺ يومًا، فبرح ظبيٌ، فمال في شقه فاحتضنته، فقلت: يا

رسول الله، تطيرت، فقال: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»(١).

وفي إسناده انقطاع، أي: بين مسلمة راويه، وبين الفضل. وهو الفضل بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ. قال ابن معين: قُتل يوم اليرموك. وقال غيره: [قُتل يوم مَرْج الصُّفَّر سنة ثلاث عشرة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. وقال أبو داود]: قتل بدمشق، كان عليه درع النبي ﷺ.

قوله: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» هذا حدُّ الطيرة المنهي عنها، لأنها: ما يحمل الإنسان على المُضي فيما أراده، ويمنعه من المضي فيه كذلك.

وأما الفأل الذي كان يُحبه النبي ﷺ: فيه نوع بشارة، فيُسرُّ به العبد ولا يعتمد عليه؛ بخلاف ما يُمضيه أو يرده؛ فإن للقلب عليه نوع اعتماد، فافهم الفرق، والله أعلم.

* * *

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (٢/ ٢٢٠) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٢) وابن وهب في «جامعه» (٦٥٨)، ولم يسق لفظه من طريق ابن لهيعة، عن عبيد الله بن هبيرة، عن أبي عبد الرحمن المعافري، عن عبد الله بن عمرو به.

وفي الإسناد ابن لهيعة، وفيه مقال مشهور، لكن الراوي عنه ابن وهب وروايته عنه مستقيمة، وقد صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٦٥).

وله شاهد من حديث بريدة رواه البزار (٣٠٤٨) «كشف» والطبراني في الدعاء (١٢٧٠) من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن محمد بن جمادة، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، فذكره عن النبي مرفوعًا، والحسن بن أبي جعفر ضعيف.

وله شاهد مختصر من حديث فضالة بن عبيد، رواه ابن وهب في «جامعه» (٦٥٦) بلفظ: «أنه قال: من ردته الطيرة، فقد قارف الشرك».

قال ابن وهب: وحدثني ابن لهيعة، عن عياش بن عياش، عن أبي الحصين، عن فضالة به مرفوعًا، وإسناده حسن. وقال وأخبرنيه الليث بن سعد عن عياش بن عياش، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن فضالة بن عبيد مثله، وإسناده صحيح.

ورواه بهذا اللفظ البزار (٣٠٤٦) «كشف» وفي إسناده ضعف، وله شاهد مختصر كذلك من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «لا طائر إلا طائرك ثلاث مرات» رواه البزار (٣٠٤٩) وفي إسناده عمر بن أبي سلمة، وفيه كلام.

(٢٨)

بـاب
ما جاء في التنجيم

قال المصنف رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في التنجيم.

ش: قـال شـيخ الإسـلام: التنجيـم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية، على الحوادث الأرضية.

وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه: ما يدعيه أهل التنجيم، من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مُستقبل الزمان، كأوقات هبوب الريح ومجيء المطر، وتغيُّر الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تُدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها، يدَّعون أن لها تأثيراً في السُّفليات. وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاط لعلم قد استأثر اللَّه به، لا يعلم الغيب سواه.

قال المصنف رحمه الله تعـالى: قال البخاري في (صحيحـه): قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثـلاث: زينةً للسماء، ورجـومًا للشياطين، وعـلامات يُهتـدى بها. فمن تأول فيـها غير ذلـك أخطأ، وأضاع نصيبـه، وتكلَّف ما لا علم له به[1]. انتهى.

ش: هذا الأثر علقه البخاري في (صحيحه) وأخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وغيرهم.

وأخرجه الخطيب في (كتاب النجوم)، عن قتادة، ولفظه، قال: إنما جعل اللَّه

---

(١) صحيح: رواه البخاري معلقا (٦/ ٢٩٥)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٣٤٤٩٠)، عبد بن حميد في «تفسيره»، كما في «تغليق التعليق»، والحافظ كما في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٨٩) من طريق شيبان، وسعيد كلاهما عن قتادة به، وعزاه السيوطي في «الدر» (٣/ ٦٣ دار الكتب) إلى عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهتدىٰ بها، وجعلها رجومًا للشياطين. فمن تعاطىٰ فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. وإن ناسًا جهلة بأمر اللَّه، قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير، والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب. ولو أن أحدًا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه اللَّه بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء. انتهىٰ[(١)] .

وتأمل ما أنكره هذا الإمام، مما حدث من هذه المنكرات في عصر التابعين. ومازال الشر يزداد في كل عصر بعدهم، حتىٰ بلغ الغاية في هذه الأعصار، وعمت به البلوىٰ في جميع الأمصار، فمقل ومستكثر. وعزَّ في الناس من ينكره، وعظمت المصيبة في الدين. فإنا للَّه وإنا إليه راجعون .

قوله: (خلق اللَّه هذه النجوم لثلاث). قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وفيه إشارة إلىٰ أن النجوم في السماء الدنيا؛ كما روىٰ ابن مردويه، عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّهﷺ : **«أما السماء الدنيا: فإن الله خلقها من دخان، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وزينها بمصابيح، وجعلها رجومًا للشياطين، وحفظًا من كل شيطان رجيم»**[(٢)] .

قوله: (وعلامات). أي: دلالات علىٰ الجهات. يُهتدىٰ بها، أي: يهتدي بها الناس في ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] أي: ليعرفوا بها جهة قصدهم ، وليس المراد أنه يهتدىٰ بها في علم الغيب، كما يعتقده المنجمون.

---

(١) الخطيب البغدادي في كتاب «النجوم» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٣-٦٤) ط. دار الكتب العلمية.
(٢) لم أقف علىٰ إسناده.

وقد تقدم بطلانه وأنه لا حقيقة له؛ كما قال قتادة: فمن تأول فيها غير ذلك - أي: زعم فيها غير ما ذكر اللَّه في كتابه من هذه الثلاث - فقد أخطأ، حيث زعم شيئًا ما أنزل اللَّه به من سلطان، و أضاع نصيبه من كل خير، لأنه أشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه

فإن قيل: المنجم قد يصدق!! قيل: صدقه كصدق الكاهن، يصدق في كلمة ويكذب في مائة. وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا فيكون فتنة في حق من صدقه.

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ﴾ [النحل: ١٥، ١٦].

فقوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ معطوف على ما تقدم، مما ذكره في الأرض، ثم استأنف، فقال: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ذكره ابن جرير، عن ابن عباس بمعناه[(١)].

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم؛ كقوله: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر. زاد ما زاد**»[(٢)].

وعن رجاء بن حَيْوة، أن النبي ﷺ قال: «**مما أخاف على أمتي: التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة**»[(٣)] رواه عبد بن حميد.

وعن أبي محجن، مرفوعًا: «أخاف على أمتي ثلاثًا: حيف الأئمة، وإيمانًا بالنجوم، وتكذيبًا بالقدر»[(٤)] رواه ابن عساكر، وحسنه السيوطي.

وعن أنس، مرفوعًا: «أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وإيمانًا

---

(١) ذكر نحوه الطبري في تفسيره (٢١٥٤٤) عن ابن عباس بإسناد العوفين عنه فالإسناد ضعيف.

(٢) **إسناده صحيح**: وقد سبق تحت باب بيان شيء من أنواع السحر.

(٣) حديث رجاء بن حيوة مرسل حيث أن رجاء بن حيوة من التابعين من الطبقة الثالثة.

(٤) **إسناده ضعيف**: رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٤٨٢) وعزاه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣/ ١١٩) إلى ابن عساكر (١٦٠/ ٣٠٨/ ١) من طريق علي بن يزيد الصدائي نا أبو سعد البقال عن أبي محجن فذكره وعلي بن يزيد الصدائي فيه لين. وأبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان ضعيف مدلس وقد عنعن.

وعزاه الحافظ في «الإصابة» (٧/ ٢٩٩) إلى أبي أحمد الحاكم وأبي نعيم من هذا الوجه. وقال: وأبو سعد ضعيف ولم يدرك أبا محجن وله شواهد منها ما رواه ليث بن أبي سليم واختلف عنه فرواه أبو عمر الداني في «السنن الواردة في الفتنة» (٢٨٢) من طريق ليث عن طلحة بن مصرف رفعه ورواه الطبراني في «الكبير» =

بالنجـوم»[١]. رواه أبو يعلىٰ، وابن عدي، والخطيب في (كتاب النجوم)، وحسنه السيوطي أيضًا.

والأحاديث في ذم التنجيم والتحذير منه كثيرة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وكره قتادة تعلُّم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد، وإسحاق.

ش: قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر، الذي يُعرف به الزوال، وتعلم به جهة القبلة: فإنه غير داخل فيما نهيٰ عنه؛ وذلك أن معرفة رصد الظل، ليس شيئًا بأكثر من أن الظل ما دام متناقصًا، فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي. وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوا له من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدَّته ومراصدته.

وأما ما يُستدل به من النجوم علىٰ جهة القبلة: فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة بها من الأئمة، الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا به عنها. مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة، ويشاهدها علىٰ حال الغيبة عنها. فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم انتهىٰ.

وروىٰ ابن المنذر، عن مجاهد: أنه كان لا يرىٰ بأسًا أن يتعلم الرجل منازل القمر[٢].

= (٨١١٣) من طريق ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة به. وفيه ليث بن أبي سليم ضعيف مختلط. وثم شواهد لبعض فقراته ضعيفة واهية انظر «الصحيحة» (١١٢٧) و«جامع بيان العلم وفضله» (١٤٨٢ ط. الزهيري) وسيأتي بعضها.

(١) **ضعيف واه:** رواه أبو يعلىٰ (٤١٣٥) وابن عدي (٤/ ٣٤) عن طريق شهاب بن خراش عن يزيد الرقاشي ثنا أنس مرفوعاً. ويزيد الرقاشي ضعيف واهٍ. وشهاب بن خراش صدوق تكلم فيه.

(٢) رواه الخطيب البغدادي كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٤) ط. دار الكتب العلمية.

وروي عن إبراهيم: أنه كان لايرىٰ بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به[١].

قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه[علم] التسيير لا علم التأثير؛ فإنه باطل محرم، قليله وكثيره. وأما علم التسيير، فيتعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق. جائز عند الجمهور. انتهىٰ.

قوله: (ذكره حرب عنهما)[٢]. هو الإمام الحافظ، حرب بن إسماعيل، أبو محمد الكرماني، الفقيه، من جلة أصحاب الإمام أحمد. روىٰ عن أحمد، وإسحاق، وابن المديني، وابن معين، وغيرهم. وله كتاب (المسائل) التي سُئل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين.

وأما إسحاق: فهو ابن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه. روىٰ عن ابن المبارك، وأبي أسامة، وابن عيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين. روىٰ عنه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود وغيرهم، وروىٰ هو أيضًا عن أحمد. مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»[٣] رواه أحمد، وابن حبان في (صحيحه).

ش: هذا الحديث رواه أيضًا الطبراني، والحاكم، وقال: صحيح. وأقره

---

(١) **إسناده صحيح:** رواه ابن أبي شيبة (٥٦٩٩٠) وابو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٢٥) من طريق منصور عن إبراهيم به.

(٢) انظر فضل علم السلف (ق ٢٣) لابن رجب.

(٣) **في إسناده ضعف:** رواه أحمد (٤/٣٩٩)، وابن حبان (٥٣٤٦)، وأبو يعلىٰ (٧٢٤٨) والحاكم (٤/١٤٦)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص١٦١)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ٧٤) من طريق فضيل بن ميسرة، عن أبي حريز، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ به، وأبو حريز عبد الله بن حسين الأزدي مختلف فيه، وهو إلىٰ الضعف أقرب.

الذهبي. وتمامه: «ومن مات هو مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن»[(١)].

قوله: عن (أبي موسى). هو عبد اللَّه بن قيس بن سليم بن حضَّار - فتح المهملة وتشديد الضاد - أبو موسى الأشعري، صحابي جليل، مات سنة خمسين.

قوله: «ثلاثة لا يدخلون الجنة» هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويليها، وقالوا: أمروها كما جاءت، ومن تأولها فهو على خطر من القول على اللَّه بلا علم.

وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام فإنه يرجع إلى مشيئة اللَّه، فإن عذبه به[(١)] فقد استوجب العذاب، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته.

قوله: «مدمن الخمر» أي: المداوم على شربها.

= ويخشى أن تكون هناك واسطة بين فضيل بن ميسرة، وأبي حريز فقد قال ابن المديني سمعت يحيى بن سعيد يقول: قلت للفضيل بن ميسرة: أحاديث. أبي حريز؟ قال: سمعتها فذهب كتابي فأخذته بعد ذلك من إنسان. وانظر: «ضعيف الجامع» (٢٥٩٧) وللحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، «لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا كاهن، ولا منان» رواه أحمد (٣/ ١٤، ٨٣)، والبزار (٢٩٣٢) «كشف» والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٢٩٥) من طريق الأعمش عن سعد الطائي، عن عطية بن سعد، عن أبي سعيد الخدري به، وفي إسناده عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف، ورواه البزار (٢٩٣٣) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن عطية به، إلا أنه أسقط سعدًا الطائي فوهم.

قال الدار قطني في «العلل» رقم (٢٢٩٢): وسئل عن حديث عطية، عن أبي سعيد، وخالفهم أبو إسحاق الفزاري، ومندل بن علي، وعمار بن زريق، فرووه عن الأعمش، عن سعد الطائي عن عطية، عن أبي سعيد، وهو الصواب. اهـ.

ولبعض فقرات الحديث شواهد فجملة: «قاطع رحم» يشهد لها حديث: «لا يدخل الجنة قاطع رحم». رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، وجملة: «مدمن الخمر» يشهد لها عدة أحاديث من عبد الله بن عمر وعند النسائي (٨/ ٣١٨)، وأحمد (٢/ ٤٠١)، وأبي سعيد الخدري عند أحمد (٣/ ٢٨) وأبي الدرداء عند أحمد (٦/ ٤٤١)، وابن عباس عند الطبراني (١١١٦٨، ١١١٧٠) وأبي قتادة الأنصاري عند الطحاوي في «مشكل الآثار» (٩١٥) وغيرها وكلها لا تخلو من مقال، ولكن بمجموعها تحسن.

(١) **إسناده ضعيف**: وهذه رواية الحاكم (٤/ ١٤٦) وانظر الحديث السابق.

قوله: «**وقاطع الرحم**» يعني القرابة؛ كما قال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٢٢] الآية.

قوله: «**ومصدق بالسحر**» أي: مطلقًا، ومنه التنجيم؛ لما تقدم من الحديث، وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

قال الذهبي في (الكبائر): ويدخل فيه تعلم السِّيميا وعملها، وعقد المرء على زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. قال: وكثير من الكبائر - بل عامتها إلا الأقل - يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه. انتهى.

* * *

(٢٩)

بـاب
ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

قال المصنف رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

ش: أي من الوعيد، والمراد: نسبة السُّقيا ومجيء المطر إلىٰ الأنواء - جمع نَوْء وهي منازل القمر.

قال أبو السعادات: وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩].

يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرىٰ مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا. وإنما سُمِّي نَوْءاً؛ لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

ش: روىٰ الإمام أحمد، والترمذي - وحسنه - وابن جرير، وابن أبي حاتم، والضياء في (المختارة)، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شُكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا، نجم كذا وكذا»[1] وهذا أولىٰ ما فسرت به الآية.

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٢٩٥) وأحمد (١/ ٨٩، ١٠٨) وعبد الله في «زوائد المسند» (١/ ١٣١) والبزار (٥٩٣ البحر الزخار) والطبري في «التفسير» (٣٣٥٥٥، ٣٣٥٥٦) من طريق إسرائيل عن عبد الأعلى بن عامر الثعلبي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي نحوه مرفوعاً.
=

وروي ذلك: عن علي، وابن عباس، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالآية.

قال ابن القيم: أي: وتجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم: التكذيب به، يعني القرآن.

[قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن] أنكم تكذبون[1]. قال: وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي مالك الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»[2] رواه مسلم.

ش: أبو مالك، اسمه: الحارث بن الحارث الشامي. صحابي، تفرد عنه بالرواية أبو سلام، وفي الصحابة أبو مالك الأشعري، اثنان غير هذا.

قوله: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن»** ستفعلها هذه الأمة: إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك، مع كونها من أعمال أهل الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة.

والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث؛ سموا بذلك لفرط جهلهم، وكل ما يُخالف ما جاء به رسول اللَّه ﷺ فهو جاهلية. فقد خالفهم رسول اللَّه ﷺ في كثير من أمورهم أو أكثرها، وذلك يُدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة.

قال شيخ الإسلام: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذمًّا لمن لم

= وخالف إسرائيل سفيان فرواه عن عبدالأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي نحوه ولم يرفعه قاله الترمذي عقب الحديث، ورواه الطبري (٣٣٥٦٢) وفي الإسناد عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وهو ضعيف.

(١) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٥) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٩٣٤).

يتركه، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هؤلاء المنكرات إلىٰ الجاهلية ذم لها. ومعلوم أن إضافتها للجاهلية خرج مخرج الذم؛ وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

[فإن في ذلك ذمًا للتبرج، وذمًا لحال الجاهلية الأولىٰ] وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.

قوله: «الفخر بالأحساب» أي: التعاظم علىٰ الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهل عظيم، إذ لا كرم إلا بالتقوىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

ولأبي داود، عن أبي هريرة، مرفوعًا: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية، وفخرها بالآباء. إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي. الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام ـ إنما هم فحم من فحم جهنم ـ أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»[1] الحديث.

قوله: «والطعن في الأنساب» أي: الوقوع فيها، بالعيب والتنقص.

ولما عيَّر أبو ذر رضي الله عنه رجلاً بأمه، قال النبي ﷺ: «أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية» متفق عليه[2].

فدلَّ علىٰ أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه. قاله شيخ الإسلام.

---

(١) **محتمل للتحسين**: رواه أبو داود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٠) وأحمد (٢/ ٣٦١، ٥٢٣-٥٢٤) والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٣٢) وفي «الشعب» (٥١٢٦، ٥١٢٧، ٥١٢٨) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٤٥٨) من طريق هشام بن سعد عن سعيد المقبري مرة عن أبي هريرة. ومرة عن أبيه عن أبي هريرة. وفي الإسناد هشام بن سعد. وقد اختلف في توثيقه وقال عنه: الحافظ في التقريب صدوق وله أوهام وصححه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٢٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠) ومسلم (١٦٦١).

قوله: «**والاستسقاء بالنجوم**» أي: نسبة المطر إلى النوء، وهو سقوط النجم؛ كما أخرج الإمام أحمد، وابن جرير، عن جابر السوائي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أخاف على أمتي ثلاثًا: استسقاء بالنجوم، وحَيْفَ السلطان، وتكذيبًا بالقدر**»[(١)].

فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا، فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيراً في نزول المطر، فهذا شرك وكفر. وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضراً، أو أنه يشفع بدعائهم إياه، فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنه وقتال من فعله؛ كما قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: ٣٩] والفتنة الشرك.

وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلاً، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم.

والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم، ولو على طريق المجاز، فقد صرح ابن مفلح في (الفروع)، بأنه يحرم قول: مُطرنا بنوء كذا. و جزم في (الإنصاف) بتحريمه، ولم يذكر خلافًا.

وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى ـ الذي لا يقدر عليه غيره ـ إلى خلق مسخر، لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء، فيكون ذلك شركًا أصغر، والله أعلم.

قوله: «**والنياحة**» أي: رفع الصوت بالندب على الميت؛ لأنها تسخط لقضاء الله، وذلك ينافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر، لشدة الوعيد والعقوبة.

قوله: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها**» فيه: تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب وإن عظُم، هذا مجمع عليه في الجملة. وتكفر أيضًا بالحسنات الماحية والمصائب، ودعاء

---

(١) **ضعيف جداً:** رواه أحمد (٥/ ٩٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٤) وأبو يعلى (١٤٦٢) والطبراني في «الكبير» (١٨٥٣) وفي «الأوسط» (١٨٧٣)، والبزار (٢١٨١ كشف) من طريق محمد بن القاسم الأزدي حدثنا مطر عن أبي خالد الوالبي عن جابر بن سمرة مرفوعًا.
ومحمد بن القاسم ضعيف جداً وبعضهم كذبه.
وله شواهد واهية سبق بيانها.

المسلمين بعضهم لبعض، وبالشفاعة بإذن اللّه وعفو اللّه عمن شاء ممن لا يشرك باللّه شيئًا.

وفي الحديث، عن ابن عمر، مرفوعًا: **«إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغِر»**[(١)] رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان.

قوله: **«تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»**.

قال القرطبي: السربال، واحد السرابيل، وهي الثياب والقمص، يعني أنهن يُلطَّخن بالقطران، فيكون لهن كالقُمص، حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وألمُها بسبب الجرب أشد.

ورُوي عن ابن عباس: أن القطران هو النحاس المذاب[(٢)].

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولهما، عن زيد بن خالد، قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديَبية، على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما مَن قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنَوْء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[(٣)].

ش: زيد بن خالد الجُهني، صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وقيل: غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة.

قوله: (صلى لنا رسول اللّه ﷺ) أي: بنا، فاللام بمعنى الباء. قال الحافظ: وفيه

---

(١) **إسناده حسن**: رواه الترمذي (٣٥٣٧) وابن ماجه (٤٢٥٣) وأحمد (٢/ ١٣٢)، ١٥٣) وابن حبان (٦٢٨)، وأبو يعلى (٥٦٠٩) والحاكم (٤/ ٢٥٧) وغيرهم من طريق عبدالرحمن بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن ابن عمر. وعبد الرحمن بن ثوبان حسن الحديث.
وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٣٧٥).

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٢٠٩٩٧) من طريق عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره وعبدالله بن صالح ضعيف وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٨٤٦ وأطرافه) ومسلم (٧١).

إطلاق ذلك مجازًا. وإنما الصلاة للَّه.

قوله: (بالحديبية) بالمهملة وتخفيف يائها، وتُثقَّل.

قوله: (على إثر) بكسر الهمة وسكون المثلثة على المشهور، وهو ما يعقب الشيء.

قوله: (سماء) أي: مطر؛ لأنه ينزل من السحاب، والسماء يطلق على كل ما ارتفع.

قوله: (فلما انصرف) أي: من صلاته، أي: التفت إلى المأمومين؛ كما يدلُّ عليه قوله: (أقبل على الناس). ويُحتمل أنه أراد السلام.

قوله: «**هل تدرون**» لفظُ استفهام، ومعناه التنبيه.

وفي النسائي: «**ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟**»[1] وهذا من الأحاديث القدسية.

وفيه: إلقاء العالم المسألة على أصحابه، ليختبرهم.

قوله: (قالوا: اللَّه ورسوله أعلم) فيه حسن الأدب للمسؤول إذا سئل عما لا يعلم: أن يَكِلَ العلم إلى عالمه. وذلك يجب.

قوله: «**أصبح من عبادي**» الإضافة هنا للعموم؛ بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

قوله: «**مؤمن بي وكافر**» إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر، فهذا كفر؛ لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر. وإن لم يعتقد ذلك، فهو من الشرك الأصغر؛ لكونه نسب نعمة اللَّه إلى غيره، ولأن اللَّه لم يجعل النوءَ سببًا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من اللَّه ورحمة. يحبسه إذا شاء، ويُنزله إذا شاء.

ودلَّ هذا الحديث: أنه لا يجوز لأحد أن يُضيف أفعال اللَّه إلى غيره، ولو على سبيل المجاز. وأيضًا، الباء تحتمل معاني، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية ولا للاستعانة؛ لما عرفت من أن هذا باطل. ولا تصدق أيضًا على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه. وإنما يجيء المطر في الوقت الذي أراد اللَّه مجيئه فيه، برحمته وفضله. فكلُّ معنى تُحمل عليه الباء

---

(١) صحيح رواه مسلم (٧٣) قال الشيخ سليمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد» (ص ٤٦١) الحديث لمسلم فقط.

في هذا اللفظ المنهي عنه فاسد.

فيظهر على هذا: تحريم هذه اللفظة مطلقًا؛ لفساد المعنى. وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب (الفروع) و(الإنصاف).

قال المصنف: وفيه التفطُّن للإيمان في هذا الموضع. يشير إلى أنه الإخلاص.

قوله: «**فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته**» فالفضل والرحمة صفتان للَّه، ومذهبُ أهل السنة والجماعة: أن ما وصف اللَّه به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات: كالحياة، والعلم. وصفات الأفعال: كالرحمة التي يرحم بها عباده، كلها صفات للَّه قائمة بذاته، ليست قائمة بغيره، فتفطَّن لهذا؛ فقد غلط فيه طوائف.

وفي هذا الحديث: أن نعم اللَّه لا يجوز أن تُضاف إلا إليه وحده، وهو الذي يُحمد عليها، وهذه حال أهل التوحيد.

قوله: «**وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا**» إلى آخره، قد تقدم ما يتعلق بذلك.

قال المصنف: وفيه: التفطُّن للكفر في هذا الموضع.

يُشير: أن نسبة النعمة إلى غير اللَّه كفر؛ ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه، وإن لم يعتقد تأثير النوء في إنزال المطر. فيكون من كفر النعم؛ لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها ونسبتها إلى غيره، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[النحل: ٨٣].

قال القرطبي في شرح حديث زيد بن خالد: وكانت العرب إذا طلع نجم من المشرق وسقط آخر من المغرب فحدث عند ذلك مطرٌ أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب؛ نسبة إيجاد واختراع، ويُطلقون ذلك القول المذكور في الحديث. فنهى الشارع من إطلاق ذلك؛ لئلا يعتقد أحد اعتقادهم، ولا يشتبه بهم في نطقهم. انتهى.

قوله: فمنهم من ينسبه نسبة إيجاد. يدلُّ على أن بعضهم لا يعتقد ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]. فدل على أن منهم من يعرف ويقرُّ بأن اللَّه هو الذي أوجد المطر،

و[قد] يعتقد هؤلاء أن للنوء فيه شيئًا من التأثير.

والقرطبي في شرحه لم يُصرِّح أن العرب كلهم يعتقدون ذلك المعتقد الذي ذكره، فلا اعتراض عليه بالآية؛ للاحتمال المذكور.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولهما، من حديث ابن عباس، معناه. وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نَوءُ كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات[١]: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢].

ش: وبلفظه، عن ابن عباس، قال: مُطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**أصبح من الناس شاكرٌ، ومنهم كافر**». قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نَوْءُ كذا وكذا، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾[١].

هذا قسم من الله عز وجل، يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء، وجواب القسم ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ فتكون: لا صلة لتأكيد النفي، فتقدير الكلام: ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر، أو كهانة، بل هو قرآن كريم.

قال ابن جرير: قال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ فليس الأمر كما تقولون، ثم استؤنف القسم بعد، فقيل: أُقسم.

ومواقع النجوم، قال ابن عباس: يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العُليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُفرَّقًا في السنين بعد[٢]، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية.

ومواقعها: نزولها شيئًا بعد شيء. وقال مجاهد: مواقع النجوم: مطالعها

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه النسائي (٣/ ١٦٤-١٦٥) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح النسائي» (١/ ٣٣٣).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه الطبري في تفسيره (٣٣٥٢٤) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

ومساقطها[1]. واختاره ابن جرير.

وعلى هذا: فتكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه ـ وهو القرآن ـ من وجوه:

أحدها: أن النجوم جعلها الله يُهتدىٰ بها في ظُلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدىٰ بها في ظلمات الغي والجهل. فتلك هداية في الظلمات الحسية، والقرآن هداية في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهدايتين.

مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة، وفي القرآن من الزينة الباطنة، ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن.

والنجوم آياته المشهودة العيانية، والقرآن آياته المتلوة السمعية؛ مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية، ومواقعها عند النزول. ذكره ابن القيم

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ قال ابن كثير: أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظَّمتم المقسم به عليه.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ هذا هو المقسَم عليه، وهو القرآن، أي: وإنه وحي الله وتنزيله وكلامه، لا كما يقول الكفار: إنه سحر أو كهانة، أو شعر. بل هو قرآن كريم: أي: عظيم كثير الخير، لأنه كلام الله.

قال ابن القيم: فوصفه بما يقتضي حُسنَه، وكثرة خيره ومنافعه وجلالته؛ فإن الكريم هو البهيُّ الكثير الخير العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله.

والله سبحانه وتعالىٰ وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثُر خيره وحسن منظره من النبات وغيره؛ ولذلك فسر السلف، الكريم: بالحسَن؛ قال الأزهري: الكريم اسمٌ جامع لما يُحمد، والله تعالىٰ كريم جميل الفعال. وإنه لقرآن كريم يُحمد؛ لما فيه من الهدىٰ والبيان والعلم والحكمة.

وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي: معظَّم، في كتاب معظم محفوظ موقَّر، قاله ابن كثير.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٣٥٢٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقد طعن القطان في سماع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد.

وقال ابن القيم: اختلف المفسرون في هذا، فقيل: هو اللوح المحفوظ. والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة، وهو المذكور في قوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦].

ويدلُّ على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة؛ قوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه.

قوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال: الكتاب الذي في السماء[١]. وفي رواية: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني الملائكة[٢].

وقال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون. فأما في الدنيا: فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس[٣]. واختار هذا القول كثيرون. منهم ابن القيم، ورجحه.

وقال ابن زيد: زعمت قريش أن هذا القرآن تنزَّلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢].

قال ابن كثير: هذا قول جيد، وهو لا يخرج عن القول قبله. وقال البخاري في (صحيحه)-في هذه الآية-لا يجد طعمه إلا من آمن به.

قال ابن القيم: هذا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يتلذذ به، وبقراءته، وفهمه، وتدبره، إلا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقًا، وأنزله على رسوله وحيًا. لا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه منه حرج، بوجه من الوجوه.

وقال آخرون: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي: من الجنابة والحَدَث. قالوا: ولفظ الآية خبر، ومعناه الطلب.

وقالوا: والمراد بالقرآن هاهنا المصحف؛ واحتجوا على ذلك بما رواه مالك في

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في تفسيره (٣٣٥٣٣) من طريق شريك عن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره وشريك سيىء الحفظ.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٣٣٥٥٢) بإسناد العوفي عن ابن عباس فذكره.

(٣) **حسن بطريقين**: رواه الطبري (٣٣٥٤٨، ٣٣٥٤٩) من طريق سعيد ومعمر عن قتادة فذكره.

(الموطأ)، عن عبد اللَّه بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: إن في الكتاب الذي كتبه رسول اللَّه ﷺ لعمرو بن حزم: «**أن لا يمس القرآن إلا طاهر**»[1].

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال ابن كثير: أي: هذا القرآن منزل من اللَّه رب العالمين، وليس كما يقولون: إنه سحر وكهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حق نافع. وفي هذه الآية: أنه كلام اللَّه تكلم به.

قال ابن القيم: ونظيره ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] هو إثبات علو اللَّه تعالىٰ علىٰ خلقه؛ فإن النزول والتنزيل الذي تعقله العقول، وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلىٰ إلىٰ أسفل. ولا يرد عليه قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦] لأنا نقول: إن الذي أنزلها فوق سمواته، فأنزلها لنا بأمره.

قال ابن القيم: وذكر التنزيل مُضافًا إلىٰ ربوبيته للعالمين المستلزمة لملْكه لهم وتصرفه فيهم، وحكمه عليهم، وإحسانه وإنعامُه عليهم، وأن من هذا شأنه مع الخلق، كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سُدًىٰ، ويدعهم هملاً، ويخلقهم عبثًا. لا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يُثيبهم ولا يُعاقبهم؟ فمن أقر بأنه رب العالمين، أقر بأن القرآن تنزيله علىٰ رسوله، واستدل بكونه رب العالمين علىٰ ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به. وهذا الاستدلال أقوىٰ وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق، وإن كانت دلالتها أقرب إلىٰ أذهان عموم الناس، وتلك إنما تكون لخواص العُقلاء.

(١) **مرسل:** رواه النسائي (٨/ ٦٠) وابن خزيمة (٢٢٦٩) والدار قطني في «السنن» (١/ ١٢١، ١٢٢) والبيهقي في «الكبرىٰ» (١/ ٨٧) والبغوي في «شرح السنة» (٢٥٣٨) ومالك في «الموطأ» (١/ ١٩٩) وأبو داود في «المراسيل» (٩٣) وأبو عبيد في «الفضائل» (٥٧ ـ ٥٨ و٢٤٤) وابن أبي داود في «المصاحف» (٧٣٦) وغيرهم من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مرة عن أبيه ومرة بدون ذكره أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله لعمرو بن حزم لا يمس القرآن إلا طاهر. وهذا مرسل. وذكر مرة مختصراً بدون ذكر الشاهد ومرة مطولاً وثم طرق أخرىٰ موصولة فيها ضعف انظرها في تحقيق كتاب المصاحف عند حديث (٧٣٦) لأخي محمد بن عبده ـ حفظه الله.

قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ قال مجاهد: أي: تريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم[(١)].

قال ابن القيم: ثم وبَّخهم سبحانه على وضعهم الادهان في غير موضعها، وأنهم يداهنون فيما حقه أن يُصدع به ويُفرق به، ويُعضَّ عليه بالنواجذ، وتُثنى عليه الخناصر، وتعقد عليه القلوب والأفئدة، ويُحارب ويسالم لأجله، ولا يلتوي عنه يمنة ولا يسرة، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره، ولا محاكمة إلا إليه، ولا مخاصمة إلا به، ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره، ولا شفاء إلا به. فهو روح الوجود، وحياة العالم، ومدار السعادة، وفائدة الفلاح، وطريق النجاة، وسبيل الرشاد، ونور البصائر.

فكيف تُطلب المداهنة بما هذا شأنه، ولم ينزل للمداهنة، وإنما نزل بالحق وللحق، والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا تُمكن إزالته، أو في حق ضعيف لا تمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل. فأما الحق الذي قام به كل حق، فكيف يداهن به؟

وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقدم الكلام عليها أول الباب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

(١) رواه الطبري في« تفسيره »(٣٣٥٥١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره. وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس وقد عنعن وطعن بعض أهل العلم في سماعه التفسير من مجاهد.

(٣٠)

بـاب

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ش: لما كانت محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان [نبه المصنف على ذلك بهذه الترجمة].

قوله: باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ الآية. قال في (شرح المنازل): أخبر تعالى أن من أحب من دون اللَّه شيئًا كما يحب اللَّه تعالى، فهو ممن اتخذ من دون اللَّه أندادًا. فهذا ند في المحبة، لا في الخَلْق والربوبية؛ فإن أحدًا من أهل الأرض لا يُثبت هذا الند. بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون اللَّه أندادًا في الحب والتعظيم.

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حبًا للَّه من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم، التي يُحبونها ويعظمونها من دون اللَّه.

وروى ابن جرير، عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾: مُباهاةً ومضاهاة للحق بالأنداد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من الكفار لأوثانهم[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤١٥، ٢٤١٦) من طريق ابن أبي نجيح عن قتادة وانظر الكلام عليه في الأثر السابق.

ثم روي: عن ابن زيد، قال: هؤلاء المشركون أندادهم آلهتهم التي عبدوا مع اللَّه، يحبونهم كما يحب الذين آمنوا اللَّه، والذين آمنوا أشد حبًا للَّه من حبهم آلهتهم(١). انتهى.

والثاني: والذين آمنوا أشد حبًا للَّه، من المشركين بالأنداد للَّه؛ فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة. والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾؛ فإن فيها قولين أيضًا:

أحدهما: يحبونهم كما يحبون اللَّه. فيكون قد أثبت لهم محبة اللَّه، ولكنها محبة شركوا فيها مع اللَّه تعالى أندادهم.

والثاني: أن المعنى: يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون اللَّه، ثم بين تعالى أن محبة المؤمنين للَّه أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى يُرجح القول الأول، ويقول: إنما ذُمُّوا بأن شركوا بين اللَّه وبين أندادهم في المحبة، ولم يخلصوها للَّه كمحبة المؤمنين له.

وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم، وهم في النار، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨].

ومعلوم أنهم لم يُسوّوهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم.

وهذا أيضًا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. أي: يعدلون به غيره في العبادة، التي هي المحبة والتعظيم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وهذه

---

(١) إسناده صحيح: إلى ابن زيد رواه الطبري (٢٤١٨) عن يونس. قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فذكره.

تُسمَّىٰ آية المحنة . قال بعض السلف : ادَّعىٰ قوم محبة اللَّه ، فأنزل اللَّه عز وجل آية المحنة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ إشارة إلىٰ دليل المحبة ، وثمرتها وفائدتها . فدليلها وعلامتها : اتباع الرسول ﷺ ، وفائدتها وثمرتها : محبة المُرسل لكم ، فما لم تحصل المتابعة فلا محبة له حاصلة ، ومحبته لكم منتفية .

وقال تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة : ٥٤] وذكر لهم أربع علامات :

أحـــدها: أنهم أذلة علىٰ المؤمنين ، قيل معناه : أرقَّاء رُحماء مشفقين عليهم ، عاطفين عليهم . فلما ضمن أذلة هذا المعنىٰ عدَّاه بأداة علىٰ ، قال عطاء رحمه اللَّه : للمؤمنين كالولد لوالده ، والعبد لسيده .

وعلىٰ الكافرين كالأسد علىٰ فريسته ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : ٢٩] .

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل اللَّه تعالىٰ ، بالنفس واليد واللسان والمال .. وذلك يُحقِّق دعوىٰ المحبة .

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذهم في اللَّه لومة لائم ، وهذا علامة صحة المحبة .

فكل محب أخذه اللوم علىٰ محبوبه فليس بمحب علىٰ الحقيقة .

وقال تعالىٰ : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، فذكر المقامات الثلاثة : الحب . وهو ابتغاء القُرب إليه ، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة . والرجاء والخوف يدلُّ علىٰ أن ابتغاء الوسيلة أمرٌ زائد علىٰ رجاء الرحمة وخوف العذاب .

ومن المعلوم قطعًا أنه لا يتنافس إلا في قرب من يحب قربه ، وحبُّ قربه تبع لمحبة ذاته ، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه .

وعند الجهمية والمعطِّلة : ما من ذلك كله شيء ؛ فإنه عندهم لا تقربُ ذاته من شيء ، ولا يقرب من ذاته شيء ، ولا يُحبُّ لذاته ولا يُحب . فأنكروا حياة القلوب ، ونعيم الأرواح ، وبهجة النفوس ، وقرَّة العيون ، وأعلىٰ نعيم الدنيا والآخرة . ولذلك ضُربت قلوبهم بالقسوة ، وضُرب دونهم ودون اللَّه حجاب علىٰ معرفته

ومحبته. فلا يعرفونه ولا يحبونه، ولا يذكرونه إلا عند تعطيل أسمائه وصفاته. فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم، بل يُعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله، ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها.

وحسْبُ ذي البصيرة وحياة القلب، ما يرىٰ علىٰ كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة اللَّه تعالىٰ ومعرفته وتوحيده. واللَّه المستعان.

وقال رحمه اللَّه أيضًا: لا تُحدُّ المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً.

فحدُّها وجودُها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها.

وأجمع ما قيل في ذلك، ما ذكره أبو بكر الكتّاني رحمه اللَّه، عن الجُنَيد:

قال أبو بكر: جرت مسألة في المحبة بمكة - أعزها اللَّه - في أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجُنيد أصغرهم سنًا، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه. أحرق قلبَه نورُ هيبته، وصفا شِربُه من كأس مودته، وانكشف له الجبار من أستار غيبه. فإن تكلم فباللَّه، وإن نطق فعن اللَّه، وإن تحرك فبأمر اللَّه، وإن سكن فمع اللَّه. فهو باللَّه وللَّه، ومع اللَّه. فبكىٰ الشيوخ، وقالوا: ما علىٰ هذا مزيد، جبرك اللَّه يا تاج العارفين!

وذكر رحمه اللَّه: أن الأساليب الجالبة للمحبة عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به.

الثاني: التقرُّب إلىٰ اللَّه بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكره علىٰ كل حال باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة علىٰ قدر هذا.

الرابع: إيثار محابِّه علىٰ محابِّك عند غلبات الهوىٰ.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدة برّه وإحسانه، ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: ـ وهو أعجبُها ـ: انكسار القلب بين يديه.

الثامن: الخلوةُ وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه ثم ختمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب كلماتهم، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين اللّه عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المُحبُّون إلىٰ منازل المحبة، ودخلوا علىٰ الحبيب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ش: أمر اللّه نبيه ﷺ أن يتوعد من أحب أهله وماله وعشيرته، وتجارته ومسكنه، فآثرها أو بعضها علىٰ فعل ما أوجبه اللّه عليه من الأعمال، التي يُحبها اللّه تعالىٰ ويرضاها، كالهجرة والجهاد ونحو ذلك.

قال العماد ابن كثير: أي: إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا ماذا يحلُّ بكم من عقابه. روىٰ الإمام أحمد، وأبو داود ـ واللفظ له ـ من حديث أبي عبد الرحمن الخُراساني، عن عطاء الخراساني، عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تُراجعوا دينكم**»(١).

---

(١) أسانيده ضعيفة: رواه أحمد (٢/٢٨) والطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٣، ١٣٥٨٥) وأبو يعلىٰ (٥٦٥٩) =

فلابد من إيثار ما أحبه اللَّه من عبده وأراده، علىٰ ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه اللَّه، ويبغض ما يبغضه اللَّه، ويُوالي فيه ويُعادي فيه، ويُتابع رسوله ﷺ، كما تقدم في آية المحنة، ونظائرها.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحَدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه[1].

ش: أي: البخاري، ومسلم. قوله: **«لا يؤمن أحدكم»** أي: الإيمان الواجب، والمراد كماله، حتىٰ يكون الرسول أحب إلىٰ العبد من ولده ووالده والناس أجمعين. بل ولا يحصل هذا الكمال إلا بأن يكون الرسول أحب إليه من نفسه؛ كما في الحديث: أن عمر قال: لأنت يا رسول اللَّه أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي، فقال: **«والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»** فقال له عمر: فإنك الآن أحب إليّ من نفسي، فقال: **«الآن يا عمر»**[2]. رواه البخاري.

فمن قال: إن المنفي هو الكمال؛ فإن أراد الكمال الواجب الذي يُذمُّ تاركه

= والبيهقي في «الشعب» (٤٢٢٤، ١٠٨٧١) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣ـ٣ـ٣١٤) وغيرهم من طريق عطاء عن أبي رباح عن ابن عمر مرفوعًا وعطاء لم يسمع ابن عمرورواه أبو داود (٣٤٦٢) والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٨ـ٢٠٩) والدولابي في «الكنىٰ» (٢/ ٦٥) وغيرهم من طريق إسحاق أبي عبد الرحمن عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا وإسحاق أبي عبد الرحمن فيه جهالة. وعطاء الخرساني ضعيف ويرسل ويدلس.

ورواه أحمد (٢/ ٤٢، ٨٤) من طريق أبي جناب عن شهر بن حوشب عن ابن عمر فذكره مرفوعًا.

وأبو جناب وهو يحيىٰ بن أبي دحية الكلبي ضعيف وشهر بن حوشب. الراجح فيه الضعف.

وله شاهد من حديث جابر رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٢) من طريق بشير بن زياد الخرساني عن ابن جريج عن عطاء عن جابر فذكره مرفوعًا.

وبشير مجهول بل قال الذهبي منكر الحديث ولم يترك وابن جريح مدلس وقد عنعن.

وانظر النظرات في «السلسلة الصحيحة» الحديث الأول لأبي عبد الله مصطفىٰ بن العدوي وأبي لؤي خالد المؤذن. وتحقيق مسند أحمد للشيخ شعيب الأرنؤوط حديث (٤٨٢٥).

(١) **صحيح**: رواه البخاري(٢١٥) ومسلم (٤٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٣٢).

ويعرِّض للعقوبة، فقد صدق. وإن أراد أن المنفي الكمال المُستحب، فهذا لم يقع قط في كلام اللَّه ورسوله ﷺ. قاله شيخ الإسلام.

فمن ادعىٰ محبة النبي ﷺ بدون متابعة، وتقديم قوله علىٰ قول غيره فقد كَذَب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

فنفىٰ الإيمان عمن تولىٰ عن طاعة الرسول ﷺ، لكن كل مسلم يكون محبًا بقدر ما معه من الإسلام، وكل مسلم لابد أن يكون مؤمنًا وإن لم يكن مؤمنًا الإيمان المطلق؛ لأن ذلك لا يحصل إلا لخواص المؤمنين.

قال شيخ الإسلام: وعامةُ الناس إذا أسلموا بعد كُفْر، أو وُلِدوا علىٰ الإسلام والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة للَّه ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مُجْمل. لكن دخول حقيقة الإيمان إلىٰ قلوبهم يحصل شيئًا فشيئًا، إن أعطاهم اللَّه ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلىٰ اليقين، ولا إلىٰ الجهاد. ولو شُكِّكوا لشكوا، ولو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا؛ إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأُ الريب، ولا عندهم من قوة الحب للَّه ورسوله ما يُقدِّمونه علىٰ الأهل والمال. فهؤلاء إن عوفوا من المحنة، وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يُدخل عليهم شبهات تُوجب ريبتهم، فإن لم يُنعم اللَّه عليهم بما يُزيل الريب، وإلا صاروا مُرتابين، وانتقلوا إلىٰ نوع من النفاق. انتهىٰ.

وفي الحديث: أن الأعمال من الإيمان؛ لأن المحبة عمل القلب.

وفيه: أن محبة الرسول ﷺ واجبة، تابعة لمحبة اللَّه ولأجله، تزيد بزيادة محبة اللَّه في قلب المؤمن وتنقص بنقصها. وكل من كان محبًا للَّه فإنما يُحب في اللَّه ولأجله، كما يُحبُّ الإيمان والعمل الصالح. وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك، كالاعتماد عليه ورجائه في حصول مرغوب منه أو دفع مرهوب. وما كان فيها ذلك، فمحبة مع اللَّه؛ لما فيها من التعلق علىٰ غيره، والرغبة إليه من دون اللَّه.

فبهذا يحصل التمييز بين المحبة في اللَّه ولأجله ـ التي هي من كمال التوحيد ـ وبين المحبة مع اللَّه التي هي محبة الأنداد من دون اللَّه؛ لما يتعلق بقلوب المُشركين من

الإلهية، التي لا تجوز إلا للَّه وحده لا شريك له[1] .

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولهما عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف في النار».

وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى» إلى آخره[1].

ش: قوله: (ولهما عنه). أي: البخاري ومسلم، عن أنس.

قوله: **«ثلاث»** أي: ثلاث خصال.

قوله: **«من كن فيه»** أي: وجدت فيه تامة.

قوله: **«وجد بهن حلاوة الإيمان»** الحلاوة هنا: هي التي يُعبَّر عنها بالذوق؛ لما يحصل به من لذة القلب، ونعيمه وسروره وغذائه، وهو شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم.

قال السيوطي في (التوشيح): وجد حلاوة الإيمان. فيه: استعارة تخييلية. شبَّه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه.

وقال النووي: معنىٰ حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات وتحمُّل المشاق، وإيثار ذلك علىٰ أغراض الدنيا، ومحبة العبد للَّه بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ.

قال يحيىٰ بن معاذ: حقيقة الحب في اللَّه: أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء.

قوله: **«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»** يعني بالسِّوىٰ: ما يحبُّه الإنسان بطبعه، كمحبة الولد والمال والأزواج ونحوها، فتكون: أحب هنا علىٰ بابها.

[وقال الخطابي: والمراد بالمحبة هنا: حُبُّ الاختيار لا حب الطبع. كذا قال].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١) ومسلم (٤٣).

وأما المحبة الشركية ـ التي قد تقدم بيانها ـ فقليلها وكثيرها ينافي محبة اللَّه ورسوله. وفي بعض الأحاديث: «أحبوا الله بكل قلوبكم»[١].

فمن علامات محبة اللَّه ورسوله: أن يحب ما يحبه اللَّه ويكره ما يكرهه اللَّه، ويؤثر مرضاته على ما سواه، ويسعى في ما يرضيه ما استطاع، [ويبعد عما حرمه ويكرهه أشد الكراهة]، ويتابع رسوله ويمتثل أمره ويترك نهيه؛ كما قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

فمن آثر أمر غيره على أمره، وخالف ما نهى عنه، فذلك عَلَمٌ على عدم محبة اللَّه ورسوله؛ فإن محبة الرسول من لوازم محبة اللَّه. فمن أحب اللَّه وأطاعه أحب الرسول وأطاعه، ومن لا فلا؛ كما في آية المحنة ونظائرها، واللَّه المستعان.

قال شيخ الإسلام: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له. فمن أحب شيئًا واشتهاه، إذا حصل له مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب والمشتهى.

قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح، تتبع كمال محبة العبد للَّه. وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة، وتفريغها، ودفع ضدها. فتكميلها: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ [فإن محبة اللَّه ورسوله لا يُكتفى فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما].

قلت: ومحبة اللَّه تعالى تستلزم محبة طاعته؛ فإنه يحب من عبده أن يطيعه والمحبُّ يحب ما يحبه محبوبه ولابد.

ومن لوازم محبة اللَّه أيضًا: محبة أهل طاعته، كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده. فمحبة ما يحبه اللَّه، ومن يحبه اللَّه من كمال الإيمان؛ كما في حديث ابن عباس الآتي.

قال: وتفريغها: أن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، قال: ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان، كما يكره أن يُقذف في النار. انتهى.

(١) مرسل: رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٢٤) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف مرسلاً.

قوله: «**أحب إليه مما سواهما**» فيه جمع ضمير الرب سبحانه وتعالى وضمير رسوله ﷺ، وفيه قولان.

أحدهما: أنه ثنى الضمير هنا، إيماءً إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين. لا كل واحدة، فإنها وحدها لاغية. وأمر بالإفراد في حديث الخطيب[١]، إشعاراً بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية؛ إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم.

الثاني: حملُ حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا على الجواز.

وجواب ثالث: وهو أن هذا ورد على الأصل، وحديث الخطيب ناقل فيكون أرجح.

قوله: «**كما يكره أن يُقذف في النار**» أي: يستوي عنده الأمران. وفيه: رد على الغلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقًا، وإن تاب منه.

والصواب: أنه إن لم يتب كان نقصًا، وإن تاب فلا؛ ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضل هذه الأمة، مع كونهم في الأصل كفاراً، فهداهم اللّه إلى الإسلام. والإسلام يمحو ما قبله وكذلك الهجرة، كما صح الحديث بذلك[٢].

قوله: وفي رواية: «**لا يجد أحد**» هذه الرواية أخرجها البخاري في الأدب من (صحيحه). ولفظه: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتى أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**».

وقد تقدم أن المحبة هنا: عبارة عما يجده المؤمن من اللذة والبهجة والسرور،

---

(١) يشير إلى حديث مسلم (٨٧٠) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوىٰ. فقال رسول الله ﷺ بئس خطيب القوم أنت، قل ومن يعص الله ورسوله. . . .

(٢) يشير إلى حديث مسلم (١٢١) من حديث ابن عمرو مرفوعًا وفيه أما علمت أن الإسلام يهدم ماكان قبله وأن الهجرة تهدم ماكان قبلها وأن الحج يهدم ماكان قبله.

والإجلال والهيبة، ولوازم ذلك، قال الشاعر:

أهابك إجلالاً. وما بك قدرة علـيَّ، ولكن ملءُ عينٍ حبيبُها

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئًا[1]. رواه ابن جرير.

ش: وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، الجملة الأولىٰ منه فقط.

قوله: (من أحب في اللَّه) أي: أحب أهل الإيمان باللَّه وطاعته؛ من أجل ذلك.

قوله: (وأبغض في اللَّه) أي: أبغض من كفر باللَّه وأشرك به، وفَسَق عن طاعته؛ لأجل ما فعلوه مما يسخط اللَّه، وإن كانوا أقرب الناس إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢].

قوله: (ووالىٰ في اللَّه) هذا والذي قبله، من لوازم محبة العبد للَّه تعالىٰ. فمن أحب اللَّه أحب فيه، ووالىٰ أولياءه، وعادىٰ أهل معصيته وأبغضهم، وجاهد

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، وابن أبي الدنيا في«الإخوان» (٢٢) وابن ابي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٦٨) من طريق ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس به موقوفاً، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٣٧) من طريق ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر موقوفًا، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣١٢) من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعًا في الإسناد ليث بن ابي سليم وهو ضعيف، ثم إنه قد اضطرب في هذا الإسناد. وقد صح حديث أبي أمامة مرفوعًا بلفظ: «من أحب لله وابغض لله، واعطىٰ لله، ومنع لله، فقد استكمل الايمان

رواه أبو داود(٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣، ٧٧٣٧، ٧٧٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٥٤)، والبيهقي في الاعتقاد (ص٢٢٨)، وفي« شعب الإيمان» (٩٠٢١)، واللالكائي (١٦١٨) وغيرهم من طريق القاسم عن أبي أمامة به، وإسناده حسن وله شاهد آخر من طريق معاذ بن أنس انظر الكلام عليه وعلىٰ الطريق السابق في تحقيق« الاعتقاد» للبيهقي (ص ٢٢٨ـ٢٢٩) لشيخنا أبي عبدالله أحمد ابن أبي العينين. حفظه الله.

أعداءه ونصر أنصاره. وكلما قويت محبة العبد للّه في قلبه قويت هذه الأعمال المرتبة عليها، وبكمالها يكمل توحيد العبد، ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه؛ فمقلٌّ، ومستكثر، ومحروم!

قوله: (فإنما تنال ولاية اللّه بذلك) أي: تولِّيه لعبده. ووَلاية: بفتح الواو لا غير، أي: الأخوة والمحبة والنُّصرة، وبالكسر الإمارة، والمراد هنا الأول.

ولأحمد، والطبراني، عن النبي ﷺ قال: **«لا يجدُ العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله، فقد استحق الوَلاية لله»**[١].

وفي حديث آخر: **«أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله عز وجل»** رواه الطبراني[٢].

قوله: (ولن يجد عبد طعم الإيمان) إلى آخره. أي: لا يحصل له ذوق الإيمان

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٤٣٠) من طريق رشدين بن سعد عن عبد الله بن الوليد عن أبي منصور مدلس الأنصار عن عمرو بن الجموح مرفوعًا، ورشدين ضعيف.

(٢) **صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٩٩٨)**: رواه ابن أبي شيبة (١٠٤٩٢) والطبراني في «الكبير» (١٠٥٣١) والأوسط (٤٤٧٦) والصغير (١/ ٢٢٣ـ٢٢٤) والطيالسي (٣٧٦ هجر) والبيهقي في «الشعب» (٩٥١) والحاكم (٢/ ٤٨٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٧٧) من طريق الصعق بن حزن عن عقيل الجعدي عن أبي اسحاق عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا.
وفي الإسناد عقيل الجعدي وهو منكر الحديث كما قال البخاري ونقله الذهبي في تلخيصه علي الحاكم ونكر الحديث أبو حاتم كما في علل ولده (١٩٧٧) وله طريق آخر رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٧) وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٥سورة الحديد آية ٢٧) مختصراً من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه عن جده مرفوعًا وبكير بن معروف فيه ضعف وله شاهد من حديث البراء عند أحمد (٤/ ٢٨٦) والطيالسي (٧٨٣ ط. هجر) والروياني (٣٩٩)، والبيهقي في «الشعب» (١٤، ٩٥١١) وغيرهم من طريق ليث عن عمرو بن مرة عن معاوية بن سويد ابن مقرن عن البراء مرفوعًا وليث بن أبي سليم ضعيف ورواه ابن أبي شيبة (١١/ ٤١) و (١٣/ ٢٢٩) من طريق ابن فضيل عن ليث بن أبي سليم عن عمرو بن مرة عن البراء لم يذكر معاوية بن سويد.
وثم أوجه أخرى على ليث انظر وكيع في «الزهد» (٣٢٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣) وهذا يدل على اضطراب ليث في هذا الإسناد.
وله شاهد من حديث ابن عباس عند البغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٨) والطبراني (١١٥٣٧) من طريق حنش عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا وحنش ضعيف جداً.

ولذته وسروره وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، أي: حتى يحب في اللَّه، ويبغض في اللَّه، ويعادي في اللَّه، ويوالي في اللَّه.

وفي حديث أبي أمامة، مرفوعًا: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[1]. رواه أبو داود.

قوله: (وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا) أي: لا ينفعهم بل يضرهم؛ كما قال تعالى: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٦٧].

فإذا كانت البلوى قد عمت بهذا في زمن ابن عباس في خير القرون، فما زاد الأمر بعد ذلك إلا شدة. حتى وقعت الموالاة: على الشرك، والبدع، والفسوق، والعصيان. وقد وقع ما أخبر به ﷺ، بقوله: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[2].

وقد كان الصحابة رضي اللَّه عنهم في عهد نبيهم ﷺ، وعهد أبي بكر وعمر [يؤثر بعضهم بعضًا على نفسه، محبةً في اللَّه وتقربًا إليه]؛ كما قال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩].

وعن ابن عمر، قال: لقد رأيتُنا على عهد رسول اللَّه ﷺ، وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم[3]. رواه ابن ماجه.

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أبو داود (٤٦٨١) والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣، ٧٧٣٧، ٧٧٣٨) والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٥٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص٢٢٨)، وفي «شعب الإيمان» (٩٠٢١) واللالكائي (١٦١٨) وغيرهم من طريق القاسم عن أبي أمامة به، وإسناده حسن، وله شاهد آخر من طريق معاذ بن أنس انظر الكلام عليه، وعلى الطريق السابق في تحقيق «الاعتقاد» للبيهقي (ص ٢٢٨-٢٢٩) لشيخنا أبي عبد الله ابن أحمد بن أبي العينين حفظه الله.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٥).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه أحمد (٢/ ٨٤) من طريق أبي جناب يحيى بن أبي حية عن شهر بن حوشب سمعت عبد الله بن عمر وأبو جناب ضعيف وشهر بن حوشب الراجح فيه الضعف.
ورواه الطبراني (١٣٥٨٣) من طريق أبي بكر بن عباس عن الأعمش عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر فيه مرفوعًا. وفي الإسناد الأعمش وهو مدلس وقد عنعن وعطاء لم يسمع ابن عمر واختلف فيه على الأعمش فقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الأخوان» (١٥٧) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن نافع عن ابن عمر =

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقال ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة[١].

ش: هذا الأثر رواه عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.

قوله: (قال: المودة)، أي: التي كانت في الدنيا، خانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال العلامة ابن القيم -في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

فهؤلاء المتبعون كانوا على الهُدى، وأتباعهم ادَّعوا أنهم على طريقهم ومنهاجهم وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم. ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم، فيتبرءون منهم يوم القيامة؛ فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله.

وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجةً وأولياء، يوالي لهم ويُعادي لهم، ويرضى لهم، ويغضب لهم. فإن أعماله كلها باطلة، يراها يوم القيامة حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونَصَبه؛ إذ لم يجرد موالاته ومعاداته، ومحبته وبغضه، وانتصاره وإيثاره لله ورسوله. فأبطل الله عز وجل ذلك العمل كله، وقطع

= به. وفيه الأعمش وهومدلس وقد عنعن ورواه الطبراني (١٣٥٨٥) وأبو نعيم في«الحلية» (١/ ٣١٣-٣١٤) و (٣/ ٣١٨-٣١٩) من طريق ليث بن أبي سليم عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن عمر به.

وقد سقط عبد الملك بن أبي سليمان من طريق أبي نعيم في«الحلية».

وفي الإسناد ليث وهو ضعيف و عطاء لم يسمع ابن عمر.

ولم أقف عليه عند ابن ماجه.. ولم أقف فيه على لفظ: على عهد رسول الله ﷺ.

(١) **إسناده صحيح:** رواه الحاكم (٢/ ٢٧٢)، والطبري في«تفسيره» (٢٤٣١)، وابن أبي حاتم في«تفسيره» (١٤٩٢) من طريق عيسى، عن قيس بن سعد، عن عطاء، عن ابن عباس به، وعيسى هو عيسى بن ميمون الجرشي؛ كما جاء في رواية ابن أبي حاتم، ولأنه هو صاحب التفسير كما قال المزي في ترجمته. وقيس بن سعد هو المكي. وكلاهما ثقة.

تلك الأسباب .

فينقطع يوم القيامة كل سبب ووصلة ووسيلة ومودة كانت لغير اللَّه ، ولا يبقىٰ إلا السبب الواصل بين العبد وربه . وهو حظُّه من الهجرة إليه وإلىٰ رسوله ، وتجريده عبادته وحده ولوازمها : من الحب والبغض ، والعطاء والمنع ، والموالاة والمعاداة ، والتقريب والإبعاد ، وتجريد متابعة رسوله ﷺ تجريداً محضًا ، بريئًا من شوائب الالتفات إلىٰ غيره ، فضلاً عن الشرك بينه وبين غيره ، فضلاً عن تقديم قول غيره عليه .

فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه ، وهذه هي النسبة التي بين العبد وبين ربه ، وهي نسبة العبودية [المحضة] . وهي أخيتُه التي يجول ما يجول وإليها مرجعه ، ولا تتحقق إلا بتجريد متابعة الرسل صلوات اللَّه وسلامه عليهم ؛ إذ هذه العبودية إنما جاءت علىٰ ألسنتهم ، وما عُرفت إلا بهم ، ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم .

وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [العنكبوت : ٢٣] . فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا علىٰ غير سنة رسله وطريقتهم ، ولغير وجهه ، يجعلها اللَّه هباءً منثوراً ، لا ينتفع منها صاحبها بشيء أصلاً . وهذا من أعظم الحسرات علىٰ العبد يوم القيامة ، أن يرىٰ سعيه ضائعًا ، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم . انتهىٰ ملخصًا .

* * *

(٣١)

بـاب

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قوله الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ش: الخوفُ من أفضل مقامات الدين[وأجلّها] ، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها للّه تعالى.

قال اللّه تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿**وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ [المائدة: ٤٤]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

والخوف من حيث هو، ثلاثة أقسام:

أحدها: خوف السر، وهو أن يخاف من غير اللّه، من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره؛ كما قال تعالى عن قوم هود، إنهم قالوا له: ﴿**إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ**﴾ [هود: ٥٤، ٥٥]، وقال تعالى: ﴿**وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ**﴾ [الزمر: ٣٦] وهذا هو الواقع عن عُبَّاد القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوِّفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة للّه، وهذا ينافي التوحيد.

الثـاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفًا من بعض الناس. فهذا مُحرَّم، وهو نوع من الشرك باللّه المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نزول هذه الآية،

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ـ١٧٥].

وفي الحديث: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيتَ المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: ربِّ خشيتُ الناس. فيقول: إياي كُنتَ أحقُّ أن تخشى»[(١)] .

الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبُع أو غير ذلك، فهذا لا يُذم؛ كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوِّفكم أولياءه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى، فلا يخافون إلا إياه.

وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده، ورضيه منهم. فإذا أخلصوا له الخوف، وجميع العبادة: أعطاهم ما يرجون، وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]

قال العلامة ابن القيم: ومن كيد عدو الله: أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائهم؛ لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف

---

(١) إسناده حسن: رواه ابن ماجه (٤٠١٧) وأحمد (٣/ ٢٧) والحميدي (٧٣٩) وعبد بن حميد (٩٧٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٧٤) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن أبي طوالة عن نهار بن عبدالله العبدي قال سمعت أبا سعيد الخدري فذكره مرفوعًا. وانظر الصحيحة (٩٢٩) وله طرق أخرى عن أبي سعيد انظر ابن ماجه (٤٠٠٨) وأبي نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٤) وفي إسناده انقطاع.

إيمانه قوي خوفُه منهم. فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

ش: أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون من سواه.

فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين؛ لأن عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح، والمشرك وإن عمل فعمله: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]، أو: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] وما كان كذلك فالعدم خير منه، فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد، مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع. وذلك كله داخل في مسمى الإيمان المطلق، عند أهل السنة والجماعة.

قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية. وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه.

قال ابن القيم رحمه الله: الخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء، وغيرها من عبودية القلب.

قوله: ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: إن أولئك هم المُهتدون؛ وكل ﴿عَسَىٰ﴾ في القرآن فهي واجبة[1].

وفي الحديث: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**» قال الله

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٥٦٩) من طريق علي عن ابن عباس به وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس وفي الإسناد إلى عبد الله بن صالح ضعيف.

تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(١). رواه أحمد، والترمذي، والحاكم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الآية [العنكبوت: ١٠].

ش: قال ابن كثير: يقول تعالىٰ مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدَّعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت في قلوبهم: إنهم إذا جاءتهم محنةٌ وفتنة في الدنيا، اعتقدوا أنها من نقمة اللَّه بهم، فارتدوا عن الإسلام. قال ابن عباس: يعني: فتنته، أن يرتد عن دينه إذا أُوذي في اللَّه.

وقال ابن القيم: الناس إذا أُرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنا، وإما أن لا يقول ذلك، بل يستمر علىٰ السيئات والكفر. فمن قال: آمنا، امتحنه ربه وابتلاه وفَتَنه. والفتنة: الابتلاء والاختبار، ليتبين الصادق من الكاذب. ومن لم يقل: آمنا. فلا يحسب أنه يُعجزُ اللَّه ويفوته ويسبقه.

فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه، فابُتلي بما يؤلمه. ومن يؤمن بهم ولم يُطعهم، عُوقب في الدنيا والآخرة، وحصل له ما يؤلمه، وكان هذا الألم أعظم وأدوم من ألم أتباعهم.

فلابد من حصول الألم لكل نفس آمنت، أو رغبت عن الإيمان. لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة.

والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداءً، ثم يصير في الألم الدائم.

والإنسان لا بد أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات. فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه وعذَّبوه، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم.

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الترمذي (٢٦١٧، ٣٠٩٣) وابن ماجه (٨٢) وأحمد (٣/ ٦٨) والدارمي (١/ ٢٧٨) وابن خزيمة (١٥٠٢) وابن حبان (١٧٢١) والحاكم (١/ ٢١١-٢١٣) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٦٦) من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به مرفوعًا ورواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ضعيفة نص عليها غير واحد من أهل العلم

كمن عنده دين وتُقًى حلَّ بين قوم فُجّار ظلمة، ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم أو سكوته عنهم. فإن وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء، ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذىٰ أضعاف ما كان يخافه ابتداءً لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلِم منهم فلابد أن يُهان ويعاقب علىٰ يد غيرهم.

فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها لمعاوية رضي اللَّه عنه: «من أرضىٰ اللَّه بسخط الناس كفاه اللَّه مؤونة الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط اللَّه لم يُغنوا عنه من اللَّه شيئًا»[(١)] .

فمن هداه اللَّه وألهمه رُشده، ووقاه شر نفسه، امتنع من الموافقة علىٰ فعل المحرم، وصبر علىٰ عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة؛ كما كانت للرسل وأتباعهم.

ثم أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة، وأنه إذا أُوذي في اللَّه جعل فتنة الناس له، وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه، وهو الألم الذي لابد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك - في فراره منه وتركه السبب الذي يناله به - كعذاب اللَّه الذي فر منه المؤمنون بالإيمان.

فالمؤمنون لكمال بصيرتهم، فرُّوا من ألم عذاب اللَّه إلىٰ الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المُفارق عن قُرب.

وهذا من ضعف بصيرته، فرَّ من ألم أعداء الرسل إلىٰ موافقتهم ومتابعتهم. ففر من ألم عذابهم إلىٰ ألم عذاب اللَّه، فجعل ألم فتنة الناس - في الفرار منه - بمنزلة عذاب اللَّه. وغُبن كل الغبن؛ إذ استجار من الرَّمضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلىٰ ألم الأبد، وإذا نصر اللَّه جنده وأولياءه، قال: إني كنت معكم، واللَّه أعلم بما انطوىٰ عليه صدره من النفاق. انتهىٰ.

وفي الآية: ردٌّ علىٰ المرجئة والكَرَّامية، ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: آمنا باللَّه. مع عدم صبرهم علىٰ أذىٰ من عاداهم في اللَّه، فلا ينفع القول والتصديق

---

(١) **صحيح موقوفًا**: رواه الترمذي (٢٤١٤) وأحمد في «الزهد» (ص٢٠٥) وغيرهما وقد اختلف في رفعه ووقفه والصواب الوقف كما فصلته في تحقيقي لشرح كتاب التوحيد لابن باز رقم (١٧٨) ط. دار الضياء بطنطا.

بدون العمل، فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان. وهذا قول أهل السنة والجماعة، سلفًا وخلفًا. واللّٰه سبحانه أعلم.

وفيه: الخوف من مداهنة الخلق، والمعصوم من عصمه اللّٰه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: عن أبي سعيد مرفوعًا: «إن من ضَعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تَذُمَّهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»[1].

ش: هذا الحديث رواه أبو نعيم في (الحلية)، والبيهقي. وأعله محمد بن مروان

(١) **ضعيف**: رواه أبونعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٦، ١٠/ ٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٧) من طريق أبي عبد الرحمن محمد بن مروان السدي، عن عمر بن قيس عن عطية، عن أبي سعيد به. وفي الإسناد محمد بن مروان وهو متهم بالوضع، وعطية العوفي ضعيف، ورواه البيهقي في «الشعب» (٢٠٨) وفي «الأربعين الصغرى» (٦٦، ٦٧)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٢٣) من طريق جعفر بن شعيب الشاشي، ثنا أبو حمة، ثنا أبو قرة، عن سفيان الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن خيثمة، عن ابن مسعود به. مرفوعاً نحوه وخيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، لم يسمع ابن مسعود. وجعفر بن شعيب الشاشي لم يذكر بجرح ولا تعديل، وترجمته في «التاريخ» للخطيب (٧/ ١٩٥-١٩٦) وخالف أبا قرة-موسى بن طارق-خالد ابن يزيد العمري، فرواه عن الثوري، وسفيان بن عيينة، وشريك، عن الأعمش، عن خيثمة، عن ابن مسعود به مرفوعًا نحوه، كما عند الطبراني في «الكبير» (١٠٥١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢١، ٧/ ١٣٠)، والبيهقي في «الأربعين» (٦٩) وخالد بن زيد العمري متهم بالوضع، ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٩٤٧) من طريق خالد بن نجيح، عن الثوري، عن سليمان الأعمش، عن خيثمة، عن ابن مسعود به، وخالد قال فيه أبو حاتم: كذاب، كما في «الميزان» ووقع في الإسناد سليمان بن خيثمة، وهو خطأ والصواب سليمان، عن خيثمة. وقد أخطأ فيه خالد العمري.

قال البيهقي في «الأربعين الصغرى» (ص٨٢) هكذا رواه خالد العمري عنهم، وإنما رواه الثقات عن سفيان، عن أبي هارون المدني، قال: قال ابن مسعود، فذكره موقوفًا مرسلاً. ثم رواه البيهقي في «الأربعين» (ص ٨٣)، وفي الشعب (٢٠٩)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣٢) من طريق سفيان، عن أبي هارون المدني، عن ابن مسعود موقوفًا، والإسناد منقطع بين أبي هارون، وعن ابن مسعود، وهذا الذي سماه البيهقي مرسلاً، فالمنقطع يطلق عليه بعض العلماء مرسلاً.

السُّديُّ، وقال: ضعيف. وفي إسناده أيضًا: عطية العوفي، ذكره الذهبي في (الضعفاء). وموسى بن بلال، قال الأزدي: ساقط.

وتمام الحديث: «**وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط**».

والحديث وإن كان في إسناده من ذُكر، فمعناه صحيح.

قوله: «**إن من ضعف اليقين**» [الضعيف: يُضمُّ ويحرك، ضد القوة، ضعف ككرم ونصر، ضعفًا، وضعفة، وضعافية، فهو ضعيف وضعوف وضعفان، والجمع: ضعاف وضعفاء وضعفة وضَعْفَى وضعافى.

أو الضَّعف ـ بالفتح ـ في الرأي، وبالضم في البدن، فهي ضعيفة وضعوف].

واليقين: المراد به الإيمان كله؛ كما قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان[1]. رواه الطبراني بسند صحيح، [وأبو نعيم في (الحلية)، والبيهقي في (الزهد) من حديثه مرفوعًا.

قال: ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق؛ كما في حديث ابن عباس مرفوعًا: «**فإن استطعت أن تعمل بالرضا في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً**»[2]، وفي رواية: قلت: يا رسول الله كيف أصنع

---

(١) **صحيح موقوفًا**: رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ٤٥) ووصله الطبراني في «الكبير» (٨٥٤٤) والحاكم (٢/ ٤٤٦) والبيهقي في «الشعب» (٤١٨) ووكيع في «الزهد» (٢٠٢) من طريق وكيع وأبي معاوية عن الأعمش عن أبي ظبيان عن علقمة عن ابن مسعود موقوفًا. وقال البيهقي وقد روي هذا من وجه آخر غير قوي مرفوعًا. وقال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٨) ووصله الطبراني بسند صحيح.... وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الزهد» من حديثه مرفوعًا ولا يثبت رفعه.

والطريق المرفوع خرجه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٩٩) وحكم عليه بالنكارة.

(٢) **إسناده ضعيف جداً**: رواه الحاكم (٣/ ٥٤١) من طريق عبد الله بن ميمون القداح عن شهاب بن خراس عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال الذهبي في «التلخيص» لم يخرج الشيخان لابن خراس ولا القداح قلت «الذهبي» لأن القداح قال أبو حاتم متروك والآخر مختلف فيه. وعبد الملك لم يسمع من ابن عباس فيما أرى. اهـ.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٤) من طريق الحجاج بن فرافصة عن رجلين سماهما عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس مرفوعًا وفي الإسناد الحجاج بن فرافصة مختلف فيه ورجلين مبهمين.

باليقين؟ قال: «أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[(١)] .

قوله: «أن تُرضي الناس بسخط الله» أي: تؤثر رضاهم على رضا اللَّه، بأن توافقهم على ترك ما أمر اللَّه به، وفعل ما نهى عنه؛ استجلابًا لرضاهم.

وهذا ينافي قوة اليقين، وكمال الإيمان في إيثار ما يُرضي اللَّه على ما تهواه النفوس، والصبر على مخالفة هواها؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

[وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام اللَّه وإجلاله وهيبته، ما يمنعه من استجلاب رضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه، الذي يتصرف في القلوب ويفرِّج الكروب، ويغفر الذنوب.

وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رضا المخلوق على رضا اللَّه، وتقرب إليه بما يسخط اللَّه، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه اللَّه، ووفقه لمعرفته، ومعرفة ما يجوز على اللَّه من إثبات صفاته على ما يليق بجلاله، وتنزيهه تعالى عن كل ما يُنافي كماله، ومعرفة توحيده في ربوبيته وإلهيته، وباللَّه التوفيق] .

قوله: «وأن تحمدهم على رزق الله» أي: على ما وصل إليك على أيديهم، بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه؛ فإن المتفضل في الحقيقة هو اللَّه وحده، الذي قدره لك وأوصله إليك، وإذا أراد أمرًا قيَّض له أسبابًا.

ولا ينافي هذا حديث: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[(٢)] ؛ لأن شكرهم إنما هو في الدعاء لهم، لكون اللَّه ساقه على أيديهم، فتدعو لهم أو تكافئهم، لحديث:

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الآجري في «الشريعة» (٤١٢ ط. دار الوطن) من طريق أبي عبد السلام الشامي عن يزيد بن أبي حبيب عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعًا.

وأبو عبد السلام صالح بن رستم مجهول، وأصل الحديث عند الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (١/ ٢٩٣) وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ١٨٤).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه الترمذي (١٩٥٤) وأبو داود (٤٨١١) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨) وأحمد (٢/ ٢٥٨) وابن حبان (٣٤٠٨) والبيهقي في «السنن» (٦/ ١٨٢) والبغوي (٣٦١٠) من طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة مرفوعًا.

«مَنْ صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[1] فإضافة الصَّنيعة إليهم لكونهم صاروا سببًا في إيصال المعروف إليك، والذي قدره وساقه هو اللَّه وحده.

قوله: «**وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله**» لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قُدِّر لك لساقته المقادير إليك. فمن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو اللَّه وحده، وأنه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب، لم يمدح مخلوقًا على رزق، ولم يذمه على منع، ويفوِّض أمره إلى اللَّه، ويعتمد عليه في أمور دينه ودنياه.

وقد قرر هذا المعنى بقوله في الحديث: «**إن رزق الله لا يجرُّه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**»؛ كما قال تعالى: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [فاطر: ٢].

قال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر اللَّه وما وعد اللَّه أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر اللَّه وخلقه وتدبيره. فإذا أرضيتهم بسخط اللَّه لم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك: إما ميل إلى ما في أيدي الناس، فيترك القيام فيهم بأمر اللَّه لما يرجوه منهم. وإما ضعف تصديقه بما وعد اللَّه أهل طاعته، من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة. فإنك إذا أرضيت اللَّه، نصرك ورزقك وكفاك مؤونتهم.

وإرضاؤهم بما يَسخَطُه إنما يكون خوفًا منهم ورجاءً لهم، وذلك من ضعف اليقين. وإذا لم يُقدَّر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك، فالأمر في ذلك إلى اللَّه لا لهم؛ فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يُقدَّر كان ذلك من

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٧٢، ٥١٠٩) والنسائي (٥/ ٨٢) وأحمد (٢/ ٦٨) والحاكم (١/ ٤١٢) وابن حبان (٣٤٠٨) من طرق عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر. والأعمش مدلس وقد عنعن. وقد رواه مختصرًا ابن حبان بإثبات واسطة بين الأعمش ومجاهد وهو إبراهيم التيمي حديث (٣٤٠٩).

وله طريق آخر رواه أحمد (٢/ ٩٥-٩٦) من طريق ليث عن مجاهد عن ابن عمر به وليث هو ابن أبي سليم وهو ضعيف.

وللحديث وجه اختلاف آخر لا يضر انظر «الصحيحة» (٢٥٤).

ضعف يقينك.

فلا تَخَفهم ولا ترجهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك. ولكن من حَمدَه اللَّه ورسوله فهو المحمود، ومن ذمَّه اللَّه ورسوله منهم فهو المذموم.

ولما قال بعض وفد بني تميم: أي محمد، أعطني! فإن حَمْدي زين، وذَمِّي شين، قال ﷺ: «ذاك الله»[١] انتهى.

ودل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمَّى الإيمان.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سَخِطَ الله عليه وأسخط عليه الناس»[٢] رواه ابن حبان في (صحيحه).

ش: هذا الحديث: رواه ابن حبان بهذا اللفظ، ورواه الترمذي عن رجل من أهل المدينة، قال: كتب معاوية، إلى عائشة: أن اكتبي لي كتابًا توصيني فيه، ولا تُكثري عليَّ، فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد: فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكَلَه الله إلى الناس»** والسلام عليك. ورواه أبو نعيم.

قوله: «من التمس»: أي: طلب.

قال شيخ الإسلام: وكتبت عائشة إلى معاوية، وروي أنها رفعته: «من أرضا اللَّه

---

(١) **حسن لغيره:** رواه أحمد (٣/ ٤٨٨، ٦/ ٣٩٣) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١١٧٨) والطبراني في «الكبير» (٨٧٨) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن الأقرع مرفوعًا.
قال الحافظ في التعجيل «ترجمة الأقرع»: ورواية أبي سلمة عن الأقرع منقطعة وجاءت عند أحمد (٣/ ٣٩٤) من نفس الطريق مرسلة عن أبي سلمة أن الأقرع فذكر مثله وله شاهد عند الترمذي (٣٢٦٧) والنسائي في «الكبرى» (١١٥١٥) من طريق الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء مرفوعاً وفيه أبو إسحاق وهو مدلس وقد عنعن.

(٢) اختلف في رفع هذا الحديث ووقفه على عائشة والراجح فيه الوقف وقد فصلت القول في ذلك في تحقيقي لشرح كتاب «التوحيد» لابن باز رقم (١٧٨) (ص ١٧١-١٧٦).

بسخط الناس كفاه اللّه مؤونة الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط اللّه لم يُغنوا عنه من اللّه شيئًا» هذا لفظ المرفوع.

ولفظ الموقوف: من أرضىٰ اللّه بسخط الناس رضي اللّه عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن أرضىٰ الناس بسخط اللّه عاد حامدُه من الناس له ذامًا[1].

وهذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإن من أرضىٰ اللّه بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، واللّه يتولىٰ الصالحين، واللّه كافٍ عبده ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] واللّه يكفيه مؤونة الناس بلا ريب!

وأما كون الناس كلهم يرضون عنه، فقد لا يحصل ذلك، لكن يرضون عنه إذا سَلِموا من الأغراض، وإذا تبين لهم العاقبة. «**ومن أرضى الناس بسخط الله لم يُغنوا عنه من الله شيئًا**» كالظالم الذي يَعضُّ علىٰ يديه.

وأما كون حامده ينقلب ذامًا، فهذا يقع كثيراً، ويحصل في العاقبة. فإن العاقبة للتقوىٰ، لا تحصل ابتداءً عند أهوائهم. انتهىٰ.

وقد أحسن من قال:

إذا صح منك الودُّ يا غاية المُنى ... فكلُّ الذي فوق التراب تُراب

قال ابن رجب: فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب، فكيف يقدِّم طاعةَ من هو تراب علىٰ طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يُرضي التراب بسخط الملك الوهاب؟ إن هذا لشيء عجاب.

وفي الحديث: عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم علىٰ اللّه، وأن العقوبة قد تكون في الدين. عياذًا باللّه من ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

* * *

---

(١) انظر الحديث السابق.

(٣٢)

بـاب

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ش: قال أبو السعادات: يقال: توكَّل بالأمر: إذا ضمن القيام به، ووكَّلتُ أمري إلىٰ فلان: إذا اعتمدت عليه، ووكَّل فلانٌ فلانًا: إذا استكفاه أمرَه ثقةً بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. انتهىٰ.

وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية: بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه للّه تعالىٰ؛ فإن تقديم المعمول يُفيد الحصر، أي: وعلىٰ اللّه فتوكلوا لا علىٰ غيره، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها، لما ينشأُ عنه من الأعمال الصالحة. فإنه إذا اعتمد علىٰ اللّه في جميع أموره الدينية والدنيوية، دون كل ما سواه، صح إخلاصه ومعاملته مع اللّه تعالىٰ.

فهو من أعظم منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فلا يحصل كمالُ التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل علىٰ اللّه؛ كما في هذه الآية، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقوله: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل: ٩]، والآيات في الأمر به كثيرة جداً.

قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب.

وقال ابن القيم في معنى الآية المترجم بها: فجعل التوكل علىٰ اللّه شرطًا في الإيمان، فدل علىٰ انتفاء الإيمان عند انتفائه، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وكلما قوي توكل العبد كان إيمانه أقوىٰ، وإذا ضعف الإيمان ضعف

التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفًا كان دليلاً على ضعف الإيمان ولابد. والله تبارك وتعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية.

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس؛ فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته؛ وأعماله إلا على ساق التوكل.

قال شيخ الإسلام: وما رجا أحد مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه؛ فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

قال الشارح: قلت: لكن التوكل على [غير] الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذي يتوكل على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم: من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة، فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه: من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر.

والوكالة الجائزة: هي توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكله عليه، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها، بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ش: قال ابن عباس في الآية: المنافقون، لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يُصلُّون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم. فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم

وصف المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه[1]. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

ووَجَلُ القلب من الله يستلزم القيام بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه.

قال السدي: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هو الرجل يريد أن يظلم، أو قال يَهِمّ بمعصية، فيقال له: اتق الله، فيجل قلبه[2]، رواه ابن أبي شيبة وابن جرير.

قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة، بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.

قال عُمير بن حبيب، الصحابي: إن الإيمان يزيد وينقص. فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه، فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيَّعنا، فذلك نقصانه[3]. رواه ابن سعد.

وقال مجاهد: الإيمان يزيد وينقص، وهو قول وعمل[4]. رواه ابن أبي حاتم. وحكى الإجماع على ذلك الشافعي، وأحمد، وأبو عبيد، وغيرهم.

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون عليه بقلوبهم، مفوِّضين إليه أمورهم. فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه، يعلمون أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده، والمعبود وحده

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (١٥٦٩٦) واللالكائي (١٦٠٢) وابن أبي حاتم (٨٧٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وعلي لم يسمع ابن عباس وفي الإسناد إليه عبد الله بن صالح وهو ضعيف.

(٢) **إسناده صحيح:** رواه ابن أبي حاتم (٨٧٧٨)، والطبري (١٥٧٠٢) من طريق ابن المبارك عن سفيان سمعت السدي فذكره.

(٣) **إسناده ضعيف:** رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٦٢٤، ٦٨٠) واللالكائي (١٧٢١) والآجري في «الشريعة» (٢١٥، ٢١٦) وابن أبي شيبة (١١/ ١٣) والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ٢٦٥-٢٦٦ ط. العاصمة، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٨١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦) وغيرهم من طريق أبي جعفر الخطمي. ويزيد بن عمير لم نقف له على ترجمة.
وفي بعض الطرق عن جده بدون ذكر أبيه ولم نقف له على رواية عن جده مباشرة.

(٤) **إسناده ضعيف:** رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٦١١) والبيهقي في «الشعب» (٦٠) واللالكائي في «شرح أصول السنة» (١٧٢٨) من طريق يزيد يعني بن أبي زياد عن مجاهد فذكره ويزيد بن أبي زياد ضعيف.

لا شريك له.

وفي الآية: وصف المؤمنين حقًا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده. وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان، وحصول أعماله الباطنة والظاهرة. مثال ذلك: الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها، وأدى الزكاة كما أمره الله، استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات، وترك جميع المحرمات؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ش: قال ابن القيم: أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد. وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقيل: المعنى: حسبك الله، وحسبك المؤمنون.

قال ابن القيم: وهذا خطأ محض، لا يجوز حمل الآية عليه؛ فإن الحسب والكفاية لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].

فتأمل كيف جعل الإيتاء لله والرسول، وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه؛ كما قال: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ فجعل الرغبة إليه وحده، كما قال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٨] فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده؛ كما أن العبادة والتقوى والسجود والنذر والحلف لا يكون إلا له سبحانه وتعالى. انتهى.

وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة؛ فإذا كان هو الكافي لعبده، وجب ألا يتوكل إلا عليه. ومتىٰ التفت بقلبه إلىٰ سواه، وُكِل إلىٰ من التفت إليه؛ كما في الحديث: «مَنْ تَعَلَّق شيئًا وُكل إليه»(١).

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

[الطلاق: ٣]

ش: قال ابن القيم: أي: كافيه. ومن كان اللَّه كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلا أذىً لابد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش. وأما أن يضره بما يبلغ به مراده، فلا يكون أبدًا. وفرق بين الأذىٰ الذي هو في الظاهر إيذاء، وفي الحقيقة إحسان وإضرار بنفسه، وبين الضر الذي يتشفىٰ به منه.

قال بعض السلف: جعل اللَّه لكل عمل جزاءً من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ولم يقل: فله كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال. بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد علىٰ اللَّه حق توكله، وكادته السموات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجًا، وكفاه ونصره. انتهىٰ.

وفي أثر رواه أحمد في (الزهد)، عن وهب بن منبه، قال اللَّه عز وجل في بعض كتبه: بعزتي، إنه من اعتصم بي فكادته السموات بمن فيهن والأرضون بمن فيهن، فإني أجعل له من ذلك مخرجًا. ومن لم يعتصم بي، فإني أقطع يديه من أسباب السماء، وأخسف من تحت قدميه الأرض، فأجعله في الهواء، ثم أكِلُه إلىٰ نفسه، كفىٰ بي لعبدي مآلاً، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيه قبل أن يسألني، وأستجيب له قبل أن يدعوني، فأنا أعلم بحاجته التي ترفق به منه(٢).

---

(١) **إسناده ضعيف:** وسبق تحت باب ماجاء في الرقىٰ والتمائم.

(٢) قد جاء نحو هذا حديثا مرفوعًا من طريق كعب بن مالك وعزاه الشيخ الألباني في «الضعيفة» إلىٰ تمام في «الفوائد»(٥/ ٥٨/ ٢) وحكم عليه بالوضع لأن في إسناده يوسف بن السفر وهو ممن يضع الحديث. ثم قال الشيخ ولعله من الإسرائيليات التي تلقاها كعب بن مالك من بعض مسلمة أهل الكتاب. ثم نسبه هذا الكذاب إلىٰ الرسول ﷺ.

وفي الآية: دليل على فضل التوكل، وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأن الله علّق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط، فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه؛ لأنه تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له، فعُلم أن توكله هو سبب كون الله حسبًا له.

وفيه: تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل؛ لأنه تعالى ذكر التقوى، ثم ذكر التوكل، كما قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١] فجعل التوكل مع التقوى، الذي هو قيام بالأسباب المأمور بها، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مشوبًا بنوع من التوكل.

فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا، ولا عجزه توكلاً، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها، ذكره ابن القيم بمعناه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1] [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري.

ش: قوله: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، أي: كافينا، فلا نتوكل إلا عليه؛ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

قوله: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: أي: نعم الموكول إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] ومخصوص نعم، محذوف تقديره: هو.

قال ابن القيم: هو حسبُ من توكّل عليه وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمِّن خوف الخائف، ويجير المستجير. فمن تولاه واستنصر به وتوكّل عليه، وانقطع بكليته إليه، تولاه وحفظه وحرسه وصانه. ومن خافه واتقاه، أمنه مما يخاف ويحذر، ويجلب إليه ما يحتاج إليه من المنافع.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٥٦٣).

قوله: (قالها إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار). قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

قوله: (وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

وذلك بعد مُنصرف قريش والأحزاب من أُحد: بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكَرَّة عليهم، فخرج النبي ﷺ في سبعين راكبًا حتى انتهى إلى حمراء الأسد، فألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان. فرجع إلى مكة بمن معه، ومر به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: فهل أنتم مبلغون محمداً عني رسالة؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان. فقال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»[1].

ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة وأنها قول الخليلين عليهما الصلاة والسلام في الشدائد. وجاء في الحديث: «إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل»[2].

* * *

(١) جاء ذكر هذه القصة عند الطبري (٨٢٤٣) من وجه طويل مرسل وفي إسناده محمد بن أبي حميد وهو ضعيف.

(٢) **ضعيف**: رواه ابن مردويه في «تفسيره» من طريق أبي خثيمة بن مصعب ابن سعد أنبأنا موسى بن أعين عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مرفوعًا. وأبو خثيمة بن مصعب بن سعد لم أقف له على ترجمة سوى ما ذكره الدولابي في «الكنى» (١/ ١٦٦) والذهبي في «المقتنى» (١/ ٢٥١) وضعف الحديث العلامة المناوي في «فيض القدير» (١/ ٤٥٥) والعلامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٨٢٩) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره بعد ذكره. هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٣٣)

بـــاب

قول اللَّه تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ش: قصد المصنف رحمه اللَّه تعالى بهذه الآية: التنبيه على أن الأمن من مكر اللَّه من أعظم الذنوب، وأنه ينافي كمال التوحيد، كما أن القنوط من رحمة اللَّه كذلك. وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى اللَّه بين الخوف والرجاء؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وأرشد إليه السلف والأئمة.

ومعنى الآية: أن اللَّه تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل، بين أن الذي حملهم على ذلك، هو الأمن من مكر اللَّه، وعدم الخوف منه، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩] أي: الهالكون.

وذلك أنهم أمنوا مكر اللَّه؛ لما استدرجهم بالسراء والنعيم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا.

قال الحسن: من وسَّع اللَّه عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له![1].

وقال قتادة: بَغتَ القوم أمر اللَّه، وما أخذ اللَّه قومًا قط إلا عند سَلْوتهم وغرتهم

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٩٣) من طريق رجل كوفي عن الحسن به والرجل مبهم.

ونعمتهم. فلا تغتروا بالله[١].

وفي الحديث: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا وهو مقيم على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج**»[٢]. رواه أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

وقال إسماعيل بن رافع: من الأمن من مكر الله: إقامة العبد على الذنب، يتمنى على الله المغفرة[٣]. رواه ابن أبي حاتم.

وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف: يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه، ويُملي لهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك. ذكره ابن جرير بمعناه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ش: [القنوط: استبعاد الفرج، واليأس منه. وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم]. وتقدم ما فيه؛ لمنافاته لكمال التوحيد.

وذكر المصنف رحمه الله، هذه الآية مع التي قبلها؛ تنبيهًا على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفًا راجيًا، يخاف ذنوبه، ويعمل بطاعة

(١) **إسناده صحيح**: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٢٩٤) من طريق شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة به.

(٢) **حسن**: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٤٥) وفي «الزهد» (ص١٢) والطبري في «التفسير» (١٣٢٤٢، ١٣٢٤٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٢١) وفي «الشعبي» (٤٥٤٠) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٣١) و«الأوسط» (٩٢٦٨) من طريق أبي الصلت الشامي وحجاج بن سليمان الرعين وعبدالله بن صالح ورشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر مرفوعًا.
والرواة عن حرملة فيهم مقال ولكن يقوي بعضهم بعضاً. وتابع حرملة بن عمران، ابن لهيعة عن عقبة بن مسلمة به كما عند الطبري (١٣٢٤٤) وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٢) وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص ٢٩٣) كما عزاها الشيخ شعيب الارنؤوط في تحقيق مسند أحمد عند حديث (١٧٣١١) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧٢٨٨) من طريق ابن وهب ثنا حرملة وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر مرفوعًا.
وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤١٣).

(٣) **إسناده ضعيف واهٍ**: رواه ابن أبي حاتم (٨٧٧٣) من طريق أيوب بن سويد عن إسماعيل بن رافع فذكره.
من طريق أيوب بن سويد ضعيف واهٍ.

اللَّه، ويرجو رحمته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فالرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان؛ ليوقع العبد في المخاوف مع ترك الأسباب المنجية من المهالك. بخلاف حال أهل الإيمان الذين أخذوا بأسباب النجاة خوفًا من اللَّه، وهربًا من عقابه، وطمعًا في المغفرة، والرجاء لثوابه.

والمعنى: أن اللَّه تعالىٰ حكىٰ قولَ خليله إبراهيم عليه السلام، لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]؛ لأن العادة أن الرجل إذا كبر سنه وسن زوجته، استبعد أن يولد له منها. واللَّه علىٰ كل شيء قدير، فقالت الملائكة: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الذي لا ريب فيه؛ فإن اللَّه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ أي: من الآيسين، فقال عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ فإنه يعلم من قدرة اللَّه وحكمته ما هو أبلغ من ذلك وأعظم؛ لكنه - واللَّه أعلم - قال ذلك علىٰ وجه التعجُّب.

قوله: ﴿إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ قال بعضهم: إلا المخطئون طريق الصواب، أو إلا الكافرون؛ كقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر فقال: «الشركُ بالله، واليأس من رَوْحِ الله، والأمن من مكر الله»[(١)].

ش: هذا الحديث رواه البزار، وابن أبي حاتم، من طريق شبيب بن بشر عن

(١) **في إسناده ضعف:** رواه البزار (١٠٦) «كشف»، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢٠١) من طريق شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وفي الإسناد شبيب بن بشر، وهو مختلف فيه، قال الدوري عن ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: يخطئ كثيرًا، والأقرب فيه الضعف والله أعلم.

وقال ابن كثير في «تفسيره» سورة النساء آية ٣١: وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا، فقد روي عن ابن مسعود نحو ذلك. اهـ. وسيأتي أثر ابن مسعود في الحديث الآتي.

عكرمة، عن ابن عباس. ورجاله ثقات، إلا شبيب بن بشر. فقال ابن معين: ثقة. وليَّنه أبو حاتم. وقال ابن كثير: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا.

قوله: «**الشرك بالله**» هو أكبر الكبائر.

قال ابن القيم رحمه اللّه: الشرك باللّه هضم للربوبية، وتنقُّص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين. انتهى.

ولقد صدق ونصح؛ قال تعالى: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣] ولهذا لا يغفره اللّه إلا بالتوبة منه.

قوله: «**واليأس من رَوْح الله**» أي: قطع الرجاء والأمل من اللّه، فيما يخافه ويرجوه؛ وذلك إساءة ظن باللّه، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته.

قوله: «**والأمن من مكر الله**» أي: من استدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ باللّه من ذلك. وذلك جهل باللّه وبقدرته، وثقة بالنفس وعجب بها.

واعلم أن هذا الحديث لم يُرد به حَصْر الكبائر في الثلاث، بل الكبائر كثيرة. وهذه الثلاث من أكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسنة، وضابطها:

ما قاله المحققون من العلماء: كل ذنب ختمه اللّه بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب. زاد شيخ الإسلام ابن تيمية: أو نفي الإيمان.

قلتُ: ومَنْ بريء منه رسول اللّه ﷺ، أو قال: ليس منا من فعل كذا وكذا.

وعن ابن عباس: هي إلى سبعمائة أقرب إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار(١).

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود، قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوْح الله(٢). رواه عبد الرزاق.

---

(١) سبق تخريجه في باب ما جاء في السحر.

(٢) صحيح: رواه عبد الرزاق (١٩٧٠١)، والطبراني (٨٧٨٣، ٨٧٨٤، ٨٧٨٥) والطبري في «تفسيره» (٦١٩١-٩٢٠١) من طرق، عن ابن مسعود به، قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤١٦) وهو صحيح بلا شك.

ش: ورواه ابن جرير، بأسانيد صحاح، عن ابن مسعود.

قوله: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله). أي: في ربوبيته أو عبادته. وهذا بالإجماع.

قوله: (والقنوط من رحمة الله). قال أبو السعادات: هو أشد اليأس.

وفيه: التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس، بل يرجو رحمة الله.

وكان السلف يستحبون أن يقوىٰ في الصحة الخوف، وفي المرض الرجاء، وهذه طريقة أبي سليمان الداراني وغيره.

قال: وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاءُ الخوفَ فسد القلب.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١]، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ الآية [الزمر: ٩]، قدَّم الحذر على الرجاء في هذه الآية.

* * *

(٣٤)

باب
من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله.

ش: قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من كتابه. وفي الحديث الصحيح: «**الصبر ضياء**»(١). رواه أحمد، ومسلم.

وللبخاري، ومسلم، مرفوعًا: «**ما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»(٢). قال عمر: وجدنا خيرَ عيشنا بالصبر(٣). رواه البخاري.

قال علي: إن الصبر من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد. ثم رفع صوته، فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له(٤).

واشتقاقه: من صَبَرَ: إذا حَبس ومنع. والصبر حبس النفس عن الجزع، وحبسُ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

(٣) **منقطع**: رواه البخاري معلقاً (١١/ ٣٠٣) ووصله أحمد في «الزهد» ص ١٤٦ ووكيع في «الزهد» (١٩٨) وابن المبارك (٩٩٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٠) من طريق مجاهد عن عمر. ومجاهد لم يسمع عمر. وقال الحافظ في الفتح وأخرجه الحاكم من رواية مجاهد عن سعيد عن عمر. اهـ. وسعيد مختلف في سماعه من عمر.

ورواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٩٥) من طريق عبد الله بن صالح عن الليث ثنا عمرو بن الحارث قال: قال عمر فذكره وعبد الله بن صالح ضعيف وعمر بن الحارث لم يدرك عمر.

(٤) **ضعيف منقطع**: رواه اللالكائي (١٥٦٩) من طريق ميمون بن مهران عن علي فذكره وميمون بن مهران لم يسمع من علي. والراوي عن ميمون محمد بن زياد الميموني كذبوه وله طريق آخر عند ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣٠) من طريق إسحاق عن علي مختصر وهذا منقطع.

اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، ونحوهما. ذكره ابن القيم.

واعلم أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به، وصبر عما نهى عنه، وصبر على ما قدره الله من المصائب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

ش: وأول الآية: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [قال ابن عباس: بأمر الله. يعني عن قدره ومشيئته]. أي: بمشيئته وإرادته وحكمته؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ أي: من أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقَدَره فصبر واحتسب جازاه الله بهدايته قلبه التي هي أصل كل سعادة، وخير في الدنيا والآخرة وقد يخلف الله عليه في الدنيا ما كان أخذه، أو خيراً منه.

قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تنبيه على أن ذلك إنما يصدر عن علمه المتضمن لحكمته. وذلك يوجب الصبر والرضا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال عَلْقَمَةُ: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلم[(١)].

ش: هذا الأثر، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

وعلقمة: هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي. وُلِد في حياة النبي ﷺ، وسمع من أبي بكر، وعمر وعثمان، وعلي، وسعد، وابن مسعود، وعائشة،

---

(١) **رجاله ثقات:** رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٣٤١٩٥، ٣٤١٩٦، ٣٤١٩٧)، من طريق الأعمش، عن أبي ظبيان، عن علقمة به، والأعمش مدلس، وقد عنعن.

وغيرهم وهو من كبار التابعين، وعلمائهم وثقاتهم. مات بعد الستين.

قوله: (هو الرجل تصيبه المصيبة). إلى آخره. هذا الأثر رواه الأعمش، عن أبي ظبيان، قال: كنا عند علقمة، فقُرئ عليه هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم. هذا سياق ابن جرير، وفي هذا دليل: على أن الأعمال من مسمى الإيمان.

قال سعيد بن جبير: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يعني يسترجع[1]، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي الآية: بيان أن الصبر سبب لهداية القلب، وأنها من ثواب الصابر.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وفي (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»[2].

ش: أي: هما بالناس كفر؛ حيث كانتا من أعمال الجاهلية. وهما قائمتان بالناس، ولا يسلم منهما إلا من سلّمه الله، ورزقه علمًا وإيمانًا يستضيء به.

لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر، يصير كافرًا الكفر المطلق. كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان، يصير مؤمنًا الإيمان المطلق.

وفرقٌ بين الكفر المعرَّف باللام؛ كما في قوله: «**ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة**»[3] وبين كفرٍ منُكَّرٍ في الإثبات.

قوله: «**الطعن في النسب**» أي: عيبه، ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان، مع ثبوت نسبه شرعًا.

قوله: «**والنياحة على الميت**» أي: رفع الصوت بالندب، وتعداد فضائله لما فيه من

(١) انظر ابن كثير (٤/ ٣٧٥ سورة التغابن رقم ١١).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٦٧).

(٣) رواه مسلم (٨٢) من حديث جابر مرفوعًا بلفظ «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» ورواه ابن ماجه (١٠٨٠) عن أنس مرفوعًا «وليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فإذا تركها فقد أشرك» وضعفه البوصيري في «الزوائد» لضعف يزيد الرقاشي.

التسخط على القدر، المنافي للصبر، كقول النائحة: واعضداه، واناصراه، ونحو ذلك. وفيه: دليل على أن الصبر واجب، وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولهما عن ابن مسعود، مرفوعًا: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»(١).

ش: هذا من نصوص الوعيد. وقد جاء عن سفيان الثوري، وأحمد: كراهة تأويلها؛ ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ في الزجر، وهو يدل على أن ذلك ينافي كمال الإيمان الواجب.

قوله: **«من ضرب الخدود»** قال الحافظ: خُصَّ الخدُّ لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله.

قوله: **«وشق الجيوب»** هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب وذلك من عادة أهل الجاهلية؛ حزنًا على الميت.

قوله: **«ودعا بدعوى الجاهلية»** قال شيخ الإسلام: هو ندب الميت. وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور، وقال ابن القيم: الدعاء بدعوى الجاهلية، كالدعاء بالقبائل والعصبية، ومثله التعصُّب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض، يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه ويعادي. فكل هذا من دعوى الجاهلية.

وعن ابن ماجه - وصححه ابن حبان - عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور(٢).

وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، وقد يُعفى عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقا، وليس على وجه النوح والتسخط. نص عليه أحمد رحمه الله؛ لما وقع لأبي بكر وفاطمة رضي الله عنهما، لما توفي رسول الله ﷺ.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (١٢٩٤) ومسلم (١٠٣).

(٢) **إسناده حسن:** رواه ابن ماجه (١٥٨٥) وابن أبي شيبة (٣/ ٢٩٠) وابن حبان (٣١٥٦) والطبراني في «الكبير» (٨/ رقم ٧٥٩١، ٧٧٧٥) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مكحول والقاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، و مكحول لم يرَ أبا أمامة كما في «مراسيل العلائي» ولكنه تابعه القاسم بن عبد الرحمن حسن الحديث. وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢١٤٧).

وليس في هذه الأحاديث ما يدل على النهي عن البكاء؛ لما في الصحيح: أن رسول اللَّه ﷺ لما مات ابنه إبراهيم، قال: «**تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يُرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون**»[١].

وفي (الصحيحين)[٢]، عن أُسامة بن زيد: أن رسول اللَّه ﷺ انطلق إلى إحدى بناته ولها صبي في الموت، فرُفع إليه ونفسُه تقعقع كأنها شن. ففاضت عيناه، فقال سعد: ما هذا يا رسول اللَّه؟! قال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**».

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه، حتى يوافى به يوم القيامة»[٣].

ش: هذا الحديث: رواه الترمذي، والحاكم وحسنه الترمذي. وأخرجه

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٨٤) ومسلم (٩٢٣).

(٣) **حسن لشواهده**: رواه الترمذي (٢٣٩٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٦)، وأبو يعلى (٤٢٥٤)، والبغوي (٥/ ٢٤٥)، والحاكم (٤/ ٦٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٤٢٧)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٥٥) من طريق يزيد بن حبيب، عن سعد بن سنان عن أنس به مرفوعًا، وفي الإسناد سعد ابن سنان وهو مختلف فيه، وحديثه حسن في الشواهد، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٢٢٠)، وللحديث شاهد من حديث عبدالله بن مغفل رواه أحمد (٤/ ٨٧) والحاكم (١/ ٣٤٩)، (٤/ ٣٧٦-٣٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣١٥)، وفي «الشعب» (٧/ ٩٨)، و«الآداب» (٨٩٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١/ ٢٩) من طرق: عن عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عبد الله بن المغفل به.

ورواه أبونعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٧٤)، والخطيب في «موضع أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١١٢، ١١٣) من طريق آخر: عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل به موقوفًا، والحسن مدلس، وقد عنعن، ثم إنه يرسل كثيراً عن الصحابة، وله شاهد عن ابن عباس رواه الطبراني في «الكبير» (١١٨٤٢)، وقال الهيثمي (١/ ١٩١-١٩٢): وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي، وهو ضعيف، وله شاهد آخر عن عمار بن ياسر.

أخرجه الطبراني كما في «المجمع» (١٠/ ١٩٢) وقال الهيثمي. وإسناده جيد.

الطبراني، والحاكم، عن عبد اللّٰه بن مغفل، وأخرجه ابن عدي، عن أبي هريرة، والطبراني عن عمار بن ياسر.

قوله: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا**» أي: يصب البلاء والمصائب عليه؛ لما فرط من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافى به يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام: المصائب نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر، فيُثاب عليها. وتقتضي الإنابة إلى اللّٰه والذل له، والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة.

فنفس البلاء يكفر اللّٰه به الخطايا، وهذا من أعظم النعم. فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق، إلا أن يدخل صاحبها بسببها في أعظم مما كان قبل ذلك، فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه؛ فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو جوع، حصل له من النفاق والجزع ومرض القلب، أو الكفر الظاهر أو ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له ضرراً في دينه، فهذا كانت العافية خيراً له من جهة ما أورثته المصيبة [لا من جهة نفس المصيبة] كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة، كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق. واللّٰه تبارك وتعالى محمود عليها.

فمن ابتلي فرُزق الصبر، كان الصبر نعمة عليه في دينه، وحصل له بعدما كفر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال جل ذكره: ﴿**أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾ [البقرة: ١٥٧] وحصل له غفران السيئات، ورفع الدرجات. فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك. انتهى ملخصاً.

قوله: «**وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه**» أي: أخر عنه العقوبة بذنبه «**حتى يوافي به يوم القيامة**» هو بضم الياء وكسر الفاء منصوباً بحتى، مبنيًا للفاعل.

قال العَزيزي: أي: لا يجازيه بذنبه في الدنيا حتى يجيء في الآخرة مستوفر الذنوب وافيها، فيستوفي ما يستحقه من العقاب. وهذه الجملة هي آخر الحديث.

فأما قوله: وقال النبي ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عِظَم البلاء**» إلى آخره، فهو أول حديث آخر؛ لكن لما رواهما الترمذي بإسناد واحد، وصحابي واحد جعلهما

المصنف كحديث واحد.

وفيه: التنبيه على حسن الرجاء، وحسن الظن بالله فيما يقتضيه لك؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقال النبي ﷺ: «إن عظَم الجزاء مع عظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِط فله السخط»[(١)] حسنه الترمذي.

ش: قال الترمذي: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس، وذكر الحديث السابق.

ثم قال: وبهذا الإسناد، عن النبي ﷺ، قال: «**إن عظم الجزاء**» الحديث. ثم قال: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

ورواه ابن ماجه، ورواه الإمام أحمد، عن محمود بن لَبيد، رفعه: «**إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمَن صبر فله الصبر، ومن جَزِع فله الجَزَع**»[(٢)] قال المنذري: رواته ثقات.

قوله: «**إن عظَم الجزاء**» بكسر العين وفتح الظاء فيها. ويجوز ضمُّها مع سكون الظاء. أي: من كان ابتلاؤه أعظم كيفية وكمية.

وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن المصائب يُثاب عليها مع تكفير الخطايا. ورجح ابن القيم: أن ثوابها تكفير الخطايا فقط، إلا إذا كانت سببًا لعمل صالح، كالصبر والرضا والتوبة والاستغفار، فإنه حينئذ يُثاب على ما تولَّد منه. وعلى هذا

---

(١) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبغوي (١٤٣٥)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٥٦)، وأبو بكر البزار بن نجيح في الثاني من حديثه (٢٢٧/ ٢)، أفاده الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٤٧) من طريق سعد بن سنان عن أنس، عن النبي ﷺ، وسعد بن سنان مختلف فيه، وقد قال فيه الحافظ صدوق له أفراد.

وللحديث شاهد عند أحمد (٥/ ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩) من طريق عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد مرفوعًا «إذا أحب الله قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع» وإسناده جيد.

(٢) **إسناده جيد:** انظر الحديث السابق.

يُقال في معنى الحديث: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب.

قوله: «وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم» ولهذا ورد في حديث سعد: سُئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة»[(١)]. رواه الدارمي، وابن ماجه، والترمذي وصححه.

وهذا الحديث ونحوه: من أدلة التوحيد، فإذا عرف العبد أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم، الذي هو في الحقيقة رحمة [ولا يدفعه عنهم إلا اللَّه]، عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا دفعًا، فلأن لا يملكونه لغيرهم أولىٰ وأحرىٰ.

فيحرم قصدهم، والرغبة إليهم في قضاء حاجة أو تفريج كربة. وفي وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين، من الأسرار والحكم والمصالح في العاقبة ما لا يحصىٰ.

قوله: «فمَن رضي فله الرضا» أي: من اللَّه تعالىٰ. والرضا قد وصف اللَّه به نفسه في مواضع من كتابه، كقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة: إثبات الصفات التي وصف اللَّه بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ [علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته] إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل. فإذا رضي اللَّه تعالىٰ عنه حصل له كل خير، وسلم من كل شر.

والرضا: هو أن يُسلم العبد أمره إلىٰ اللَّه، ويُحسن الظن به، ويرغب في ثوابه. وقد يجد لذلك راحة وانبساطًا؛ محبة للَّه وثقة به؛ كما قال ابن مسعود رضي اللَّه عنه: إن اللَّه ـ بقسطه وعدله ـ جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط[(٢)].

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (١/ ١٧٢)، والترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٤٠٢٣) والدارمي (٢/ ٣٢٠)، وعبد بن حميد (١٤٦) وابن حبان «إحسان» (٢٩٠٠، ٢٩٢١) والحاكم (١/ ٤٠ ـ ٤١)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣)، وفي «الشعب» (٩٧٧٥)، والطيالسي (٢١٥) من طريق عاصم بن أبي النجود، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، عن النبي ﷺ فذكره، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٤٣).

(٢) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (٩٣) والبيهقي في «الشعب» (٢٠٩) من طريق أبي =

قوله: «ومن سخِط» هو بكسر الخاء.

قال أبو السعادات: السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به. أي: من سخط على الله فيما دبره، فله السخط من الله، وكفى بذلك عقوبة.

وقد يستدل به على وجوب الرضا. وهو اختيار ابن عقيل. واختار القاضي عدم الوجوب، ورجحه شيخ الإسلام، وابن القيم.

قال شيخ الإسلام: ولم يجيء الأمر [به كما جاء الأمر] بالصبر. وإنما جاء الثناء على أصحابه. قال: وأما ما يُروى: من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي، فليتخذ ربًا سواي[1].

فهذا إسرائيلي، لم يصح عن النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام: وأعلى من ذلك - أي من الرضا - أن يشكر الله على المصيبة، لما يرى من إنعام الله عليه بها. انتهى. والله أعلم.

* * *

= هارون المدني عن ابن مسعود فذكره، وأبو هارون المدني لم يدرك ابن مسعود وقد جاء مرفوعًا عند البيهقي في «الشعب» (٢٠٨) والطبراني في «الكبير» (٣٠٥١٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٧٢١٢١/ ١٣٠) وضعفه المنذري في «الترغيب» (٢/ ٥٤٠).

(١) **ضعيف:** رواه الطبراني في الصغير (٢/ ٤٨-٤٩) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٢٨) والخطيب في التاريخ (٢/ ٢٢٧) من طريق سهيل بن أبي حزم عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس فذكره وسهيل بن أبي حزم ضعيف ورواه البيهقي في الشعب (٢٠٠) والحاكم والسمعاني [كما في لسان الميزان(٥/ ١٦٨ط. الفاروق) ترجمةعصام بن الليث السدوسي].
من طريق علي بن يزداد الجرجاني عن عصام بن الليث الليثي البدوي عن أنس مرفوعًا.
وقال السمعاني هذا إسناد مظلم لاأصل له.
وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٦٧) عصام بن الليث السدوسي البدوي عن أنس بن مالك وعلي بن يزداد - لا يعرفان.
ورواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٢٣) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٢٠) من طريق سعيد بن زياد حدثني أبي زياد فائد عن أبيه فائد بن زياد عن جده زياد بن أبي هند عن أبي هند الداري مرفوعًا وسعيد بن زياد متروك انظر الميزان (٢/ ١٣٨) ومجمع الزوائد (٧/ ٢٠٧) قال الحافظ في «الإصابة» (٧/ ٣٦٤ ترجمة أبي هند الدارمي) وفائد وولده ضعيفان وقد جاء عنهما عدة أحاديث مناكير.

(٣٥)

بــاب
ما جاء في الرياء

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب ما جاء في الرياء.

ش: أي: من النهي والتحذير. قال الحافظ: هو مشتق من الرؤية، والمراد به: إظهار العبادة؛ لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها.

والفرق بينه وبين السُّمعة: أن الرياء لما يُرىٰ من العمل، كالصلاة. والسمعة لما يُسمع كالقراءة والوعظ والذكر. ويدخل في ذلك التحدُّث بما عمله.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ش: قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء، بل ذلك كله للّه وحده لا شريك له، أوحاه إليّ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أي: يخافه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

قوله: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي تعم، وهذا العموم يتناول الأنبياء والملائكة، والصالحين والأولياء، وغيرهم.

قال شيخ الإسلام: أما اللقاء: فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء اللّه، يتضمن رؤيته سبحانه وتعالىٰ يوم القيامة. وذكر الأدلة علىٰ ذلك.

قال ابن القيم في الآية: أي: كما أنه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له. فكما تفرد بالإلهية، يجب أن يفرد بالعبودية،

فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء، المقيد بالسنة. انتهىٰ.

وفي الآية دليل علىٰ أن أصل الدين الذي بعث اللَّه به رسوله ﷺ والمرسلين قبله، هو إفراد اللَّه تعالىٰ بأنواع العبادة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام: إما طاغوت ينازع اللَّه في ربوبيته وإلهيته، ويدعو الناس إلىٰ عبادته، أو طاغوت يدعو الناس إلىٰ عبادة الأوثان، أو مشرك يدعو غير اللَّه، ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها، أو شاكٌّ في التوحيد: أهو أقرب حق، أم يجوز أن يجعل للَّه شريك في عبادته؟ أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلىٰ اللَّه تعالىٰ. وهذا هو الغالب علىٰ أكثر العوام؛ لجهلهم وتقليدهم مَن قبلهم؛ لما اشتدت غُرْبَة الدين، ونُسي العلم بدين المرسلين.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة، مرفوعًا: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عَمِل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشِرْكَه»[(١)]. رواه مسلم.

ش: قوله: «**من عَمِلَ عملاً أشرك معي فيه غيري**» أي: مَن قصد بعمله غيري من المخلوقين، تركته وشِرْكَه.

ولابن ماجه: «**فأنا منه بريء وهو للذي أشرك**»[(٢)] قال الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: «**تركته**» يجوز أن يرجع إلىٰ العمل.

قال ابن رجب: واعلم أن العمل لغير اللَّه أقسام: فتارةً يكون رياءً محضًا كحال المنافقين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢] وهذا الرياء المحض، لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام. وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدىٰ نفعُها؛ فإن الإخلاص فيها عزيز. وهذا العمل لا يشك مسلم أنه

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) **إسناده حسن:** رواه ابن ماجه (٤٢٠٢) وابن خزيمة (٩٣٨) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.

حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة. وتارةً يكون العمل لله، ويشاركه الرياء. فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه.

ـ وذكر أحاديث تدل على ذلك ـ منها: هذا الحديث، وحديث شداد بن أوس مرفوعًا: «**مَنْ صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك، وإن الله عز وجل يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، فمن أشرك بي شيئًا فإن جدَّة عمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به. أنا عنه غني**»(١). رواه أحمد.

ـ وذكر أحاديث في المعنى ـ ثم قال: فإن خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية.

قال ابن رجب: وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري، أجرهم على قدر ما يخلص من نياتهم في غزواتهم، ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله، لا يخلط به غيره.

وقال أيضًا ـ فيمن يأخذ جُعلاً على الجهاد ـ: إذا لم يخرج لأجل الدراهم، فلا بأس. كأنه خرج لدينه، فإن أُعطي شيئًا أخذه.

ورُوي عن عبد الله بن عمرو، قال: إذا أجمع أحدكم على الغزو، فعوَّضه الله رزقًا، فلا بأس بذلك. وأما إن أحدكم إن أُعطي دراهم غزا، وإن لم يعط دراهم لم يغز، فلا خير في ذلك(٢).

وروي عن مُجاهد، أنه قال: ـ في حج الجمَّال وحج الأجير، وحج التاجر ـ: هو تامٌّ لا يُنقص من أجورهم شيء(٣). أي: لأن قصدهم الأصلي، كان هو الحج دون

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٤/ ١٢٥، ١٢٦) والطيالسي (١١٢٠) والحاكم (٤/ ٣٢٩) والطبراني في «الكبير» (٧١٣٩) والبيهقي في «الشعب» (٦٨٤٤) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن غنم عن شداد.
وشهر بن حوشب ضعيف. وقد جاء في بعض الطرق مختصره وسقط ابن غنم من بعض الطرق.

(٢) ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٢) (تحقيق الأرنؤوط ط. الرسالة).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه ابن أبي شيبة (١/ ٤/ ص٤٦٨) حدثنا أبو نعيم عن عمر بن ذر قال سألت مجاهد فذكره وانظر «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٢ تحقيق الأرناؤوط).

التكسب. قال: وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء: فإن كان خاطراً ثم دفعه، فلا يضره بغير خلاف. وإن استرسل معه، فهل يُحبط عمله أم لا، ويجازي على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد، وابن جرير، ورجَّحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازىٰ بنيته الأولىٰ، وهو مروي عن الحسن وغيره. [فأما إذا عمل العمل لله خالصًا ثم ألقىٰ الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره بذلك].

وفي هذا المعنىٰ: جاء حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الرجل، يعمل العمل من الخير يحمدُه الناس عليه، فقال: «**تلك عاجلُ بشرى المؤمن**»(١). رواه مسلم انتهىٰ ملخصًا.

قلتُ: وتمام هذا المقام يتبين في شرح حديث أبي سعيد، إن شاء الله تعالىٰ.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد، مرفوعًا: «ألا أخبركم بما هو أخْوَفُ عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟» قالوا: بلى، قال: «الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيُزيِّنُ صلاته؛ لما يرى من نظر رجل»(٢). رواه أحمد.

ش: وروىٰ ابن خزيمة في (صحيحه)، عن محمود بن لَبيد، قال: خرج رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس، إياكم وشرك السرائر**» قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل فيصلي فيُزيِّنُ صلاته جاهداً لما يرى من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٣٠) وابن ماجه (٤٢٠٤)، واللفظ له، والحاكم (٤/ ٣٢٩) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٧٨١)، والبزار (٢٤٢٧) «كشف» مختصراً، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٧٤) من طريق كثير بن زيد، عن ربيح عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، وفي الإسناد ربيح بن عبد الرحمن، وهو ضعيف، وكثير بن زيد مختلف فيه، قال فيه الحافظ: صدوق يخطئ.

(٣) **إسناده صحيح**: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٧)، قال ثنا عبد الله بن سعيد بن الأشج، ثنا أبو خالد - يعني سليمان بن حرب - ح - وثنا علي بن خشرم ثنا عيسىٰ بن يونس، جميعاً عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود، قال: خرج النبي ﷺ فقال: أيها الناس إياكم وشرك =

قوله: (عن أبي سعيد). هو الخدري. وتقدم.

قوله: «الشرك الخفي» سمَّاه خفيًا؛ لأن صاحبه يُظهر أن عمله للَّه، وقد قصد غيره، أو شرَّكه فيه بتزيين صلاته لأجله. وعن شداد بن أوس، قال: كنا نعدُّ الرياء على عهد رسول اللَّه ﷺ الشرك الأصغر[1]. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الإخلاص)، وابن جرير في (التهذيب)، والطبراني، والحاكم وصححه.

قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر، فكيسير الرياء، والتصنُّع للمخلوق، والحلف بغير اللَّه، وقول الرجل للرجل: ما شاء اللَّه وشئت، وهذا من اللَّه ومنك، وأنا باللَّه وبك، وما لي إلا اللَّه وأنت، وأنا متوكل على اللَّه وعليك، ولولا اللَّه وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركًا أكبر، بحسب حال قائله ومقصده. انتهى. ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة؛ كما قال الفُضيل بن عياض رحمه اللَّه تعالى، في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢] قال: أخلصُه وأصوبه.

قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان للَّه، والصواب ما كان على السنة.

وفي الحديث من الفوائد: شفقة النبي ﷺ على أمته ونصحه لهم، وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة المسيح الدجال. فإذا كان النبي ﷺ يخافه على سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم، فغيرهم ممن هو دونَهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك، أصغره وأكبره.

* * *

= السرائر، قالوا: يارسول الله: وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر» وإسناده صحيح.

ورواه البيهقي في «السنن» (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) من طريق أبي خالد الاحمر، عن سعد به، ولكن جعله من طريق محمود بن لبيد، عن جابر، فزاد جابر، والصواب الأول والله أعلم.

(١) إسناده حسن: رواه الحاكم (٤/ ٣٢٩) والطبراني في «الكبير» (٧١٦٠) وفي الأوسط (١٩٨) والبزار (٣٥٦٥) من طريق سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب عن عمرة بن غزية عن يعلى بن شداد ابن أوس عن أبيه فذكره. ووقع في الأوسط (الشرك الأكبر).

(٣٦)

بـاب

من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

ش: فإنْ قيل: فما الفرق بين هذه الترجمة، وبين ترجمة الباب قبله؟

قلتُ: بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وهو إذا أراد الإنسان بعمله التزيّن عند الناس والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء كما تقدم بيانه، كحال المنافقين. وهو أيضًا إرادة للدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام.

ويفارقه الرياء، بكونه عَمِلَ عملاً صالحًا، أراد به عَرَضًا من الدنيا، كمن يُجاهد ليأخذ مالاً؛ كما في الحديث: «**تعس عبد الدينار**»[1] أو يُجاهد للمغنم، أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخُنا عن ابن عباس، وغيره من المفسرين في معنىٰ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥] .

وأراد المصنف رحمه اللَّه بهذه الترجمة وما بعدها: أن العمل لأجل الدنيا، شرك يُنافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال. وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك علىٰ كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذراً من هذا وهذا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ش: قال ابن عباس: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: ثوابها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٨٧) وسيأتي مطولاً.

مالها ﴿نُوَفِّ﴾ نوفر لهم ثواب أعمالهم، بالصحة والسرور في المال والأهل والولد ﴿وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون. ثم نسختها ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ الآية [1] [الإسراء: ١٨] رواه النحاس في (ناسخه).

قوله: ثم نسختها، أي: قيَّدتها، فلم تبق الآية على إطلاقها.

وقال قتادة: يقول: من كانت الدنيا همُّه وطلبته ونيته، جازاه اللَّه بحسناته في الدنيا ثم يُفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها جزاءً. وأما المؤمن فيُجازى بحسناته في الدنيا، ويُثاب عليها في الآخرة[2]. ذكره ابن جرير بسنده.

ثم ساق حديث أبي هريرة، عن ابن المبارك، عن حيوة بن شُريح، قال: حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان، أن عقبة بن مسلم حدثه، أن شُفَيًّ بن ماتع الأصبحي حدثه: أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوتُ منه حتى قعدتُ بين يديه، وهو يُحدِّثُ الناس! فلما سكت وخلا. قلتُ: أنشُدك بحق وبحق لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ، عَقَلته وعلمته. فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدِّثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في البيت، ما فيه أحد غيري وغيره، ثم نَشَغَ أبو هريرة نَشْغَة، ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في هذا البيت، ما فيه أحد غيري وغيره، ثم نَشَغ أبو هريرة نَشْغَة أخرى، ثم مال خاراً على وجهه، واشتد به طويلاً! ثم أفاق، فقال: حدثني رسول اللَّه ﷺ: **«أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، نزل إلى أهل القيامة ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية. فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال. فيقول الله للقارئ: ألم أُعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنتُ أقوم آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كَذبت! ويقول الله له: بل**

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه ابن النحاس في الناسخ والمنسوخ رقم (٧٨١) ط. الرسالة نحوه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فذكره. وجويبر ضعيف واهٍ والضحاك لم يلق ابن عباس.
ونحوه عند الطبري (٣٠٦٥٧، ١٨٠٢٦) بسلسلة العوفين عنه وهي ضعيفة بدون ذكر النسخ.

(٢) **رجاله ثقات**: رواه الطبري (١٨٠٣٣) من طريق سعيد عن قتادة فذكره وقد طعن القطان في سماع سعيد عن قتادة التفسير ولكن قوي ذلك أحمد وسبق ذكر ذلك.

أردت أن يُقال فلان قارئ، فقد قيل ذلك!

ويُؤتى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أُوسِّع عليك حتى لم أدَعْك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصلُ الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يُقال فلان جواد، فقد قيل ذلك!

ويُوتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقال له: فيماذا قُتلت؟ فيقول: أُمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلتُ حتى قُتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يُقال: فلان جريء، وقد قيل ذلك! ...».

ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على رُكبتي، فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة»[1].

وقد سُئل شيخُنا المصنف رحمه اللَّه تعالى، عن هذه الآية؟ فأجاب بما حاصله: ذُكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم، ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العمل الصالح، الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه اللَّه: من صدقة وصلاة، وصلة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا للَّه. لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه اللَّه بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار. فهذا يُعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول، وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية: أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياءُ الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

---

(١) **إسناده صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٨٢) والطبري (١٨٠٤٢) والحاكم (١/ ٤١٨) والبغوي (٤١٤٣) وابن حبان (٤٠٨ إحسان) من طريق حيوة بن شريح أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني أن عقبة بن مسلمة حدثه شفيًا الأصبحي عن أبي هريرة فذكره والوليد بن أبي الوليد وثقه أبو زرعة كما في الجرح والتعديل (٩/ ١٩-٢٠) ووثقه الذهبي في «الكاشف».

تنبيه: الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٠٥) من وجه آخر عن أبي هريرة بمعناه.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة قصد بها مالاً، مثلَ أن يحج لمال يأخذه لا للَّه، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم.

فقد ذكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيراً.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة اللَّه، مُخلصًا في ذلك للَّه وحده لا شريك له، لكنه على عمل يُكفِّره كفراً يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى، إذا عبدوا اللَّه، أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه اللَّه والدار الآخرة.

ومثل كثير من هذه الأمة، الذين فيهم كفر أو شرك أكبر، يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا اللَّه طاعة خالصة يريدون بها ثواب اللَّه في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تُخرجهم من الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم.

فهذا النوع أيضًا قد ذُكر في هذه الآية، عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها.

قال بعضهم: لو أعلم أن اللَّه تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن اللَّه يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ثم قال: بقي أن يُقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه اللَّه، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه للَّه، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخُلَّص وأهل النار الخُلَّص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله. انتهى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: في (الصحيح) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبدُ الدينار، تَعس عبدُ الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضَي، وإن لم يُعط سَخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انْتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سَبيل الله،

أشعث رأسه، مغبرة قدماه. إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»[1] .

ش: قوله: (في الصحيح) أي: (صحيح البخاري).

قوله: «تَعِسَ» هو بكسر العين، ويجوز الفتح، أي: سقط، والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ. وقال في موضع آخر: وهو ضدُّ سَعِدَ أي: شقي.

وقال أبو السعادات: يقال تعس يتعس. أي: عَثَر وانكبَّ لوجهه. وهو دعاء عليه بالهلاك.

قوله: «**عبدُ الدِّينار**» هو المعروف من الذهب، كالمثقال في الوزن، زِنَتُه: درهم وثُمن درهم.

قوله: «**تَعِسَ عبدُ الدرهم**» وهو من الفضة، قدَّره الفقهاء بالشعير وزنًا، وعندنا منه درهم من ضَرْب بني أُمية، وهو زنة خمسين حبة شعير وخُمسا حبة.

سماه عبداً له؛ لكونه هو المقصود بعمله. فكل من توجَّه بقصده لغير اللَّه، فقد جعله شريكًا للَّه في عبوديته، كما هو حال الأكثر.

قوله: «**تعس عبد الخميصة**» قال أبو السعادات: هي ثوب خز أو صوف معلم، وقيل: لا تسمىٰ خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة؛ وتجمع علىٰ خمائص. والخميلة ـ بفتح الخاء المعجمة ـ قال أبو السعادات: ذات الخَمَل ـ ثياب لها خَمَل من أي شيء كان.

قوله: «**تعس وانتكس**» قال الحافظ: هو بالمهملة، أي: عاوده المرض. وقال أبو السعادات: أي: علىٰ رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة.

قال الطيبي: فيه الترقي بالدعاء عليه؛ لأنه إذا تعس، انكبَّ علىٰ وجهه. فإذا انتكس، انقلب علىٰ رأسه بعد أن سقط.

قوله: «**وإذا شيك**» أي: أصابته شوكة.

«**فلا انتقش**» أي: فلا يقدر علىٰ إخراجها بالمنقاش. قاله أبو السعادات.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٨٦).

والمـــــراد: أن من كانت هذه حاله [فإنه يستحق أن يدعىٰ عليه بما يسوؤه في العواقب، ومن كانت هذه حاله] فلابد أن يجد أثر هذه الدعوات، من الوقوع فيما يضره في عاجل دُنياه وآجل أخراه.

قال شيخ الإسلام: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم، وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر، وهو قوله: «**تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه.

وهذا حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه: «**إن أُعطي رضي، وإن مُنع سَخطَ**»؛ كما قال تعالىٰ: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾ [التوبة: ٥٨].

فرضاهم لغير اللَّه، وسخطُهم لغير اللَّه. وهكذا حال من كان متعلقًا برياسة أو بصورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه. إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط. فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة: هو رِقُّ القلب وعبوديته، فما استرقَّ القلبَ واستعبده فهو عبده.

ـ إلىٰ أن قال: ـ وهكذا أيضًا طالب المال، فإن ذلك يستعبده ويسترقُّه، وهذه الأمور نوعان:

فمنها: ما يحتاج إليه العبد، كما يحتاج إلىٰ طعامه وشرابه، ومنكحه ومسكنه، ونحو ذلك. فهذا يطلبه من اللَّه، ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته: بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه، من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا!

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلِّق قلبه بها. فإذا تعلَّق قلبُه بها، صار مُستعبدًا لها [وربما صار مستعبدًا و] معتمدًا علىٰ غير اللَّه فيها. فلا يبقىٰ معه حقيقة العبودية للَّه، ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير اللَّه، وشعبة من التوكل علىٰ غير اللَّه.

وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد**

الخميصة، تعس عبد الخميلة» وهذا هو عبدٌ لهذه الأمور، ولو طلبها من اللّٰه؛ فإن اللّٰه إذا أعطاه إياها رضي، وإن منعه إياها سخط.

وإنما عبدُ اللّٰه: مَن يُرضيه ما يُرضي اللّٰه، ويُسخطه ما يسخط اللّٰه، ويُحبُّ ما أحبه اللّٰه ورسوله، ويبغض ما أبغض اللّٰه ورسوله، ويوالي أولياء اللّٰه، ويعادي أعداء اللّٰه، فهذا الذي استكمل الإيمان. انتهىٰ ملخصًا.

قوله: «**طُوبى لعبد**» قال أبو السعادات: طوبىٰ، اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها. ويؤيِّد هذا: ما روىٰ ابنُ وهب ـ بسنده ـ عن أبي سعيد، قال رجل: يا رسول اللّٰه وما طوبىٰ؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»(١)

ورواه الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسىٰ، سمعت عبد اللّٰه بن لَهيعة، حدثنا درَّاج أبو السمح، أن أبا الهيثم حدثه، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول اللّٰه ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول اللّٰه، طُوبىٰ لمن رآك وآمن بك. قال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**» قال له رجل: وما طوبىٰ؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»(٢). وله شواهد في (الصحيحين) وغيرهما.

وقد روىٰ ابن جرير، عن وهب بن مُنبِّه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا. قال وهب رحمه اللّٰه تعالىٰ: إن في الجنة شجرة يقال لها: طُوبىٰ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها: زهرُها رياطٌ، وورقُها بُرود، وقضبانها عَنْبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووَحْلها مسك.

يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة. فبينما هم في مجلسهم، إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نُجُبًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرها كخز المِرعزىٰ من لينه، عليها رحال

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٢٠٣٩٤) من طريق ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجًا حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ فذكره، وانظر الحديث الآتي.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه أحمد (٣/ ٧١) وابن حبان إحسان (٧٤١٣) والآجري في «الشريعة» (٦٢٤) وأبو يعلىٰ (١٣٧٤) والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٩١) والطبري في «التفسير» (٢٠٣٩٤) وابن أبي داود في «البعث» (٦٨) وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٥٠) من طريق عمرو بن الحارث به ورواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ضعيفة.

ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سُندس وإستبرق، فينيخونها، ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلِّموا عليه، قال: فيركبونها.

قال: فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفِراش. نُجبًا من غير مهنة، يسير الراكب إلىٰ جنب أخيه وهو يكلمه ويُناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها، ولا تركُ راحلةٍ ترك الأخرىٰ، حتىٰ إن الشجرة لتنتحي عن طريقهم؛ لئلا تُفرّق بين الرجل وأخيه.

قال: فيأتون إلىٰ الرحمن الرحيم، فيسفرُ لهم عن وجهه الكريم حتىٰ ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وحق لك الجلال والإكرام، قال: فيقول تبارك وتعالىٰ عند ذلك: أنا السلام ومني السلام، وعليكم حقَّت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خشوني بالغيب وأطاعوا أمري.

قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدِّرك حق قدرك، فأذن لنا بالسجود قدَّامك. قال: فيقول الله تعالىٰ: إنها ليست بدار نَصَب ولا عبادة، ولكنها دار ملك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيته. فيسألونه حتىٰ إن أقصرهم أمنية ليقول: ربي، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلىٰ أن انتهت الدنيا، فيقول الله تعالىٰ: لقد قصرت بك [اليوم] أمنيتُك، ولقد سألت دون منزلتك. هذا لك مني [وسأتحفك بمنزلتي]؛ لأنه ليس في عطائي نكد ولا قصر يد.

قال: ثم يقول: اعرضوا علىٰ عبادي ما لم تبلغ أمانيُّهم، ولم يخطر علىٰ بال.

قال: فيَعرضون عليهم حتىٰ تقصر بهم أمانيُّهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يَعرضون عليهم: براذين مُقرَّنة علىٰ كل أربعةٍ منها سرير من ياقوتة واحدة علىٰ كل سرير منها قُبة من ذهب مُفرغة، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مُظاهرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين. علىٰ كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريح طيب إلا قد عبق بهما. ينفُذ ضوء وجوههما غلظ القبة، حتىٰ يظن من يراهما أنهما دون القبة. يُرىٰ مخُّهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل علىٰ صاحبته كفضل الشمس علىٰ الحجارة أو أفضل. ويرىٰ لهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه

ويعانقانه، ويقولان له: واللَّه ما ظننا أن اللَّه يخلُق مثلك، ثم يأمر اللَّه تعالىٰ الملائكة فيسيرون بهم صفًا في الجنة، حتىٰ ينتهي كل رجل منهم إلىٰ منزلته التي أُعدَّت له[١].

وقد روىٰ هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده، عن وهب بن مُنبِّه، وزاد: فانظروا إلىٰ مواهب ربِّكم الذي وهب لكم، فإذا بقباب في الرفيق الأعلىٰ، وغُرف مبنية من الدر والمرجان، وأبوابها من ذهب، وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس وإستبرق، ومنابرها من نور. يفور من أبوابها وعراصها نور مثل شعاع الشمس، عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء.

وإذا بقصور شامخة في أعلىٰ عليين، من الياقوت يزهوها نورُها، فلولا أنه مسخر إذا لالتمع الأبصار. فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض، فهو مفروش بالحرير الأبيض. وما كان منها من الياقوت الأخضر، فهو مفروش بالسندس الأخضر، وما كان منها من الياقوت الأصفر، فهو مفروش بالأرجوان الأصفر. مُبوبَّة بالزمرد الأخضر، والذهب الأحمر، والفضة البيضاء، قوائمها وأركانها من الجوهر، وشُرَفُها قباب من لؤلؤ، وبروجها غرف من المرجان.

فلما انصرفوا إلىٰ ما أعطاهم ربُّهم، قُرِّبت لهم براذين من ياقوت أبيض، منفوخ فيها الروح تجنبها الولدان المخلَّدون، بيد كل وليد منهم حَكَمة برذون من تلك البراذين، ولُجُمها وأعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت، سروجها سرر موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق.

فانطلقت بهم تلك البراذين تزفُّ بهم، ينظروا رياض الجنة، فلما انتهوا إلىٰ منازلهم وجدوا الملائكة قعوداً علىٰ منابر من نور؛ ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامة ربهم. فلما دخلوا قصورَهم وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم وما سألوا وتمنوا، وإذا علىٰ كل باب قصر من تلك القصور أربعة جنان: جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مُدْهامتَّان، وفيهما عينان نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحور مقصورات في الخيام.

---

(١) **إسناده حسن**: إلىٰ وهب رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠٣٨٩)، عن الفضل بن الصباح حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم الصنعاني قال حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبًا فذكره. ولعل وهب أخذه من الإسرائيليات.

فلما تبوءوا منازلهم، واستقروا قرارهم، قال لهم ربهم: فَهَل وجدتُّم ما وعد ربكم حقًا؟ قالوا: نعم وربنا. قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارض عنا، قال: فبرضاي عنكم أحللتكم داري ونظرتم إلىٰ وجهي، فعند ذلك قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥][(١)] وهذا سياق غريب، وأثر عجيب، ولبعضه شواهد في (الصحيحين).

وقال خالد بن مَعْدان: إن في الجنة شجرة يُقال لها: طُوبىٰ، ضروع كلها، تُرضع صبيان أهل الجنة، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلَّب فيه حتىٰ تقوم القيامة، فيُبعث ابن أربعين سنة[(٢)] رواه ابن أبي حاتم.

قوله: «**آخذ بعنان فرسه في سبيل الله**» أي: في جهاد المشركين.

قوله: «**أشعث**» مجرور بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل، و«**رأسه**» مرفوع على الفاعلية، وهو طائر الشعر، أشغله الجهاد في سبيل الله، عن التنعيم بالادِّهان وتسريح الشعر.

قوله: «**مغبَّرة قدماه**» هو بالجر، صفة ثانية لعبد.

قوله: «**إن كان في الحراسة**» هو بكسر الحاء، أي: حماية الجيش عن أن يهجم العدوُّ عليهم.

قوله: «**كان في الحراسة**» أي: غير مقصرٍ فيها ولا غافل، وهذا اللفظ يُستعمل في حق من قام بالأمر علىٰ وجه الكمال.

قوله: «**وإن كان في السَّاقة كان في الساقة**» أي: في مؤخِّرة الجيش، أي: يُقلِّب نفسَه في مصالح الجهاد. فكلُّ مقام يقوم فيه إن كان ليلاً أو نهاراً؛ رغبة في رضا الله، وطلبًا لثوابه ومحبةً لطاعته.

---

(١) **إسناده ضعيف جداً**: رواه الحافظ الضياء (ذكره ابن كثير كما في «صفة الجنة» ١١٧) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١٥) كلاهما من طريق مسلمة بن علي الخشني به وحكم وابن عدي علىٰ الحديث بنكارة المتن وأنه غير محفوظ وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمة مسلمة بن علي الخشني.
قلت: ومسلمة بن علي الخشني متروك وانظر تحقيقي «لحادي الأرواح» (ص ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر» (٤/ ١١٢ ط. دار الكتب العلمية) إلىٰ ابن أبي حاتم.

قال ابن الجوزي: وهو خامل الذكر، لا يقصد السموَّ.

وقال الخلخالي: المعنى: ائتماره لما أُمر، وإقامته حيث أُقيم. لا يُفقد من مكانه، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة. انتهى. وفيه: فضل الحراسة في سبيل الله.

قوله: «إن استأذن لم يُؤذن له» أي: إذا استأذن على الأمراء ونحوهم، لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة؛ لأنه ليس من طلابها، وإنما يطلب ما عند الله، لا يقصد بعمله سواه.

قوله: «وإنْ شَفَع» بفتح أوله وثانيه.

قوله: «لم يشفَّع» بفتح الفاء مشددة. يعني: لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبُّه الله ورسوله، لم تُقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم!

وروى الإمام أحمد، ومسلم، عن أبي هريرة، مرفوعًا: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه»(١).

قال الحافظ: فيه ترك حبِّ الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع. انتهى.

وروى الإمام أحمد أيضًا، عن مصعب بن ثابت، أن عبد الله بن الزبير، قال: قال عثمان ـ وهو يخطب على منبره ـ: إني محدِّثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، لم يكن يمنعني أن أُحدِّثكم به إلا الضن بكم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حَرَسُ ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يُقام ليلُها ويصام نهارها»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٢).

(٢) إسناده ضعيف: رواه ابن ماجه (٢٧٦٦) وأحمد (١/ ٦١، ٦٥) وابن أبي عاصم في الجهاد (١٥٠) والبزار (٣٥٠) والطبراني (١٤٥) والحاكم (٢/ ٨١) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢١٤-٢١٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٣٤) من طرق عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فرواه مرة عن عبد الله بن الزبير عن عثمان مرفوعًا ومرة رواه عن عثمان بإسقاط عبد الله بن الزبير.
وفي الإسناد مصعب بن ثابت وهو ضعيف.
ثم إنه لم يدرك عثمان وروايته عن جده مرسلة كما ذكر المزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة مصعب بن ثابت.
وقد ذكر الدار قطني في «العلل» (٣/ ٣٦-٤٧) الخلاف ثم رجح رواية مصعب بن ثابت مرسلاً عن عثمان.
وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٧٠٣).

وروىٰ الحافظ ابن عساكر - في ترجمة عبد اللَّه بن المبارك - قال عبد اللَّه بن محمد، قاضي نَصيبين : حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سُكينة، أنه أملىٰ عليه عبد اللَّه بن المبارك هذه الأبيات بطَرسوس، ووعده الخروج. وأنفذها معه إلىٰ الفُضيل بن عياض، في سنة سبع وسبعين ومائة. قال :

يا عبدَ الحرمين لو أبصرتنا   لعلمت أنك في العبادة تلعبُ
من كان يخضب خدَّه بدموعه   فنحورنا بدمائنا تتخضَّبُ
أو كان يتعب خيله في باطل   فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريحُ العبير لكم، ونحن عبيرُنا   رَهَجُ السنابك والغُبارُ الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا   قولٌ صحيح صادق لا يُكذب
لا يستوي وغبار خيل اللَّه في   أنف امرئٍ ودخان نار تلهَب
هذا كتاب اللَّه ينطق بيننا   ليس الشهد بميت لا يَكذب

قال : فلقيتُ الفُضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأ ذرفت عيناه، فقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال : أنت ممن يكتب الحديث؟ قلتُ : نعم، قال لي : اكتب هذا الحديث، وأملىٰ عليّ الفضيل بن عياض : حدثنا منصور ابن المعتمر : عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه، علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيل اللَّه، فقال : «**هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟**» فقال : يا رسول اللَّه أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ : «**فوالذي نفسي بيده لو طُوِّقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله. أما علمت أن فرس المجاهد لَيسْتَنُّ في طِوَله فيكتب له بذلك حسنات؟**»[١][٢].

* * *

(١) انظر ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٥٤) و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١٢).
(٢) والحديث رواه البخاري بنحو (٢٧٨٥) ثم قال أبو هريرة : إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات.

(٣٧)

بـاب

مَن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

قال المصنف رحـمه الله تعالى: باب مَن أطاع العلماء والأمـراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله.

ش: لقوله اللّه تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وتقدم تفسير هذا في أصل المصنف، لما ذكر حديث عدي بن حاتم رضي اللّه عنه.

قال المصنف رحـمه الله تعـالىٰ: وقال ابن عبـاس: يُوشك أن تنزل عليكم حـجارة من السـماء؛ أقـول: قال رسـول الله ﷺ، وتقـولون قـال أبو بكر وعمر؟!(١).

ش: قوله: (يوشك) بضم أوله وكسر الشين المُعجمة، أي: يقرب ويسرع.

(١) **صحـيح بلفظ نحوه:** رواه أحمد (١/ ٣٣٧)، والخطيب في«التاريخ» (٥/ ٩١)، وفي «الفقيه والمتفقه» (٣٧٩)، وابن عبـد البـر في«جامع بيـان العلم » (٢٣٧٨)، وإسـحاق في «مـسنده » كـمـا في«المطالب» (١٣٧٣)، ورواه الأثرم في «السنن» كما في«المغني» (٥/ ٩١) من طرق عن ابن عباس به.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٧١٨)«مجمع البحرين» نحوه عن ابن عباس.

والذي وقفت عليه من هذا الأثر بلفظ قريب منها: أراهم سيهلكون، أقول قال النبي ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمـر، ومنهـا «والله مـا أراكـم منتهين حتىٰ يعـذبكم الله نحـدثكم عن النبي ﷺ وتحدثونـا عن أبي بكر وعـمـر» وقد ذكـره شـيخ الإسـلام في «الفـتـاوىٰ» في أكـثـر من مـوضـع (٢٦/ ٥٠، ٢٨١) بلفظ المصنف: يوشك.. ولكن لم أقف علىٰ هـذا اللفظ مسنداً ولعله عند الأثرم في سننه كـمـا أخبـرت بـذلك. ولم أقف عليه.

وهذا القول من ابن عباس رضي اللَّه عنهما، جواب لمن قال له: إن أبا بكر وعمر رضي اللَّه عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلىٰ الحج، ويريان أن إفراد الحج أفضل، أو ما هو معنىٰ هذا. وكان ابن عباس يرىٰ أن التمتع بالعمرة إلىٰ الحج واجب، ويقول: إذا طاف بالبيت وسعىٰ بين الصفا والمروة سبعة أشواط، فقد حلَّ من عمرته شاء أم أبىٰ؛ لحديث سُراقة بن مالك، حين أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة، ويُحلُّوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة، فقال سراقة: يا رسول اللَّه، ألِعامنا هذا أم للأبد؟ قال: «بل للأبد»[1] والحديث في (الصحيحين).

وحينئذ فلا عُذر لمن استُفتي: أن ينظر في مذاهب العلماء، وما استدلَّ به كل إمام، ويأخذ من أقوالهم ما دلَّ عليه الدليل، إذا كان له مَلَكة يقتدر بها علىٰ ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

وللبخاري، ومسلم، وغيرهما: أن النبي ﷺ قال: **«لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت»**[2] هذا لفظ البخاري، في حديث عائشة.

ولفظه في حديث جابر: **«افعلوا ما أمرتكم، فلولا أني سُقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم»**[3] في عدة أحاديث تؤيد قولَ ابن عباس.

وبالجملة: فلهذا قال ابن عباس ـ لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر ـ: يوشك أن تنزل عليهم حجارة من السماء. الحديث.

وقال الإمام الشافعي رحمه اللَّه تعالى: أجمع العلماء علىٰ أن من استبانت له سنة رسول اللَّه ﷺ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد[4].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (١٧٨٥) ومسلم (١٢١٦).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٧٢٢٩) ومسلم (١٢١١).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (١٦١٥) ومسلم (١٢١٦).

(٤) جاء نحو هذا القول في «الرسالة للشافعي» رقم (٥٣٩، ٥٤١، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٦٧) ومناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٧١) و«أعلام الموقعين» لابن القيم (٢/ ٢٨٢) ونسبه للشيخ الألباني في «مقدمة صفة الصلاة» إلىٰ العلائي في «إيقاظ همم أولي الأبصار» (ص ٦٨).

وقال الإمام مالك رحمه اللَّه تعالىٰ : ما منا إلا رادٌّ ومردود عليه ، إلا صاحب هذا القبر ﷺ[١] . وكلام الأئمة في هذا المعنىٰ كثير .

وما زال العلماء رحمهم اللَّه يجتهدون في الوقائع : فمن أصاب منهم فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر ؛ كما في الحديث[٢] .

لكن إذا استبان لهم الدليل ، أخذوا به وتركوا اجتهادهم . وأما إذا لم يبلغهم الحديث ، أو لم يثبت عن النبي ﷺ عندهم فيه حديث ، أو ثبت وله معارض أو مُخصِّص ونحو ذلك . فحينئذ ، يسوغ للإمام أن يجتهد .

وفي عهد الأئمة الأربعة ، إنما طلبوا الأحاديث ممن هي عنده ، باللقىٰ والسماع ، ويسافر الرجل في طلب الحديث إلىٰ الأمصار عدة سنين .

ثم اعتنىٰ الأئمة بالتصانيف ، ودوَّنوا الأحاديث ورووها بأسانيدها ، وبيَّنوا صحيحها من حسنها من ضعيفها . والفقهاء صنَّفوا في كل مذهب ، وذكروا حجج المجتهدين . فسهل الأمر علىٰ طالب العلم ، وكل إمام يذكر الحكم بدليله عنده .

وفي كلام ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، ما يدلُّ علىٰ أن من بلغه الدليل فلم يأخذ به - تقليداً لإمامه - فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ ؛ لمخالفته الدليل .

وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عمرو البزار ، حدثنا زياد بن أيوب ، حدثنا أبو عبيدة الحداد ، عن مالك بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ليس منا أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع ، غير النبي ﷺ[٣] .

وعلىٰ هذا : فيجب الإنكار علىٰ من ترك الدليل لقول أحد من العلماء ، كائنًا من

---

(١) قال الشيخ الألباني في «مقدمة صفة الصلاة» .
نسبة هذا إلي مالك هو المشهور عند المتأخرين وصححه عنه ابن عبد الهادي في إرشاد السالك (١/ ٢٢٧) وقد رواه ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٩١) وابن حزم في «أصول الإحكام» (٦/ ١٤٥ ، ١٧٩) من قول الحكم بن عتيبة ومجاهد وأورده تقي الدين السبكي في «الفتاوي» (١/ ١٤٨) من قول ابن عباس متعجباً من حسنه ثم قال وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد وأخذها منها مالك رضي الله عنه واشتهرت عنه . . . إلخ .

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا بلفظ « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » .

(٣) **إسناده حسن:** ولم أقف عليه وانظر الكلام علىٰ أثر مالك السابق .

كان. ونصوص الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يُرجع إليه من كتاب ولا سنة. فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

وأما ما خالف الكتاب والسنة: فيجب الردُّ عليه؛ كما قال ابن عباس، والشافعي، ومالك، وأحمد. وذلك مجمع عليه، كما تقدم في كلام الإمام الشافعي رحمه اللَّه تعالى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحَّته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] **أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك. لعله إذا ردَّ بعض قوله، أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.**

ش: هذا الكلام من الإمام أحمد، رواه عنه الفضل بن زياد، وأبو طالب. قال الفضل، عن أحمد: نظرت في المصحف، فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاث وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فذكر من قوله: الفتنة: الشرك، إلى قوله: فيهلك. ثم جعل يتلو هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال أبو طالب ـ عن أحمد ـ وقيل له: إن قومًا يدَّعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، [فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث، وعرفوا الإسناد وصحته يَدَعونه، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره]، قال اللَّه تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الكفر. قال اللَّه تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧] فيدعون الحديث عن رسول اللَّه ﷺ، وتغلبُهم أهواؤهم إلى الرأي، ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام.

قوله: (عرفوا الإسناد). أي: إسناد الحديث وصحته، فإذا صح إسناد الحديث،

فهو صحيح عند أهل الحديث وغيرهم من العلماء.

وسفيان: هو الثوري، الإمام الزاهد، العابد الثقة الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون عنه. ومذهبه مشهور، يذكره العلماء في الكتب التي يُذكر فيها مذاهب الأئمة، كـ: (التمهيد) لابن عبد البر، و(الاستذكار) له، وكتاب (الإشراف على مذاهب الأشراف) لابن المنذر، و(المحلى) لابن حزم، و(المغني) لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قُدَامة الحنبلي، وغير هؤلاء.

فقول الإمام أحمد رحمه الله: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته) إلى آخره. إنكار منه لذلك، وأنه يؤول إلى زيغ القلوب، الذي يكون به المرء كافراً. وقد عمَّت البلوى بهذا المنكر، وخصوصاً ممن ينتسب إلى العلم. نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدوا الناس عن مُتابعة النبي ﷺ وتعظيم أمره ونهيه.

فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع، ويقول: هذا الذي قلَّدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال، التي غايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ. وغيره من الأئمة يخالفه ويمنع قوله بدليل، فما من إمام إلا والذي معه بعض العلم لا كله.

فالواجب على كل مكلف، إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفَهِم معنى ذلك: أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه؛ كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقد تقدم حكاية الإجماع على ذلك؛ وبيان أن المقلد ليس من أهل العلم، وقد حكى أيضاً أبو عمر بن عبد البر وغيره الإجماع على ذلك.

قلتُ: ولا يخالف في ذلك إلا جهال المقلدة، لجهلهم بالكتاب والسنة، ورغبتهم عنهما، وهؤلاء وإن ظنوا أنهم اتبعوا الأئمة، فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم، واتبعوا غير سبيلهم؛ كما قدَّمنا من قول مالك، والشافعي، وأحمد.

لكن في كلام أحمد رحمه الله إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يُذم، وإنما

يُنكر علىٰ من بلغته الحجة وخالفها، لقول إمام من الأئمة؛ وذلك إنما نشأ عن الإعراض عن تدبُّر كتاب اللَّه وسنة رسوله، والإقبال علىٰ كتب من تأخر، والاستغناء بها عن الوحيين. وهذا يشبه ما وقع من أهل الكتاب، الذين قال اللَّه فيهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] كما سيأتي بيان ذلك، في حديث عدي بن حاتم[١].

فيجب علىٰ من نصح نفسه: إذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها، وعرف أقوالهم، فليعرضها علىٰ ما في الكتاب والسنة؛ فإن كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلىٰ مذهبه، لابد أن يذكر دليله.

والحق في المسألة واحد، والأئمة مثابون علىٰ اجتهادهم. فالمنصف يجعل النظر في كلامهم وتأمُّله، طريقًا إلىٰ معرفة المسائل واستحضارها ذهنًا، وتمييزًا للصواب من الخطأ بالأدلة التي ذكرها المستدلون، ويتعرَّفُ بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء فيتبعه.

والأدلة علىٰ هذا الأصل في كتاب اللَّه أكثر من أن تحصر، وفي السنة كذلك؛ كما أخرج أبو داود بسنده، عن أُناس من أصحاب معاذ: أن رسول اللَّه ﷺ لما أراد أن يبعث معاذًا إلىٰ اليمن، قال: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟**» قال: أقضي بكتاب اللَّه، قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله؟**» قال: فبسنة رسول اللَّه ﷺ، قال: «**فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله؟**» قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول اللَّه ﷺ صدره، وقال: «**الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسول الله لما يُرضي رسولَ الله**»[٢] وساق بسنده، عن الحارث بن عمر، عن أُناس من أصحاب

---

(١) **إسناده ضعيف**: وسيأتي قريبًا إن شاء الله في هذا الباب.

(٢) **ضعيف منكر**: رواه الترمذي (١٣٢٨) وأبو داود (٣٥٩٣) وأحمد (٥/ ٢٣٠، ٢٤٢) وعبد بن حميد (١٢٤) والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢١٥) والبيهقي (١٠/ ١١٤) وغيرهم من طريق الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة عن ناس من أصحاب معاذ عن معاذ.

وفي الحديث الحارث بن عمرو وهو مجهول وأصحاب معاذ مبهمين وقد أعل بالارسال.

فقد رواه الترمذي (١٣٢٧) وأبو داود (٣٥٧٢) وأحمد (٥/ ٢٣٦) وغيرهم من طريق شعبة عن أبي العون الثقفي عن الحارث بن عمرو عن رجال من أصحاب معاذ مرسلاً.

وضعفه البخاري والترمذي والدارقطني وغيرهم انظر الضعيفة. (٨٨١).

معاذ، عن معاذ بن جبل: أن رسول اللَّه ﷺ لما بعثه إلىٰ اليمن - بمعناه.

والأئمة رحمهم اللَّه، لم يُقصِّروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة؛ لعلمهم أن من العلم شيئًا لم يعلموه، وقد يبلغ غيرَهم، وذلك كثير، كما لا يخفىٰ علىٰ من نظر في أقوال العلماء.

قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن رسول اللَّه ﷺ فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي اللَّه عنهم فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجالٌ وهم رجالٌ!

وقال: إذا قلت قولاً وكتاب اللَّه يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب اللَّه. قيل: إذا كان قول الرسول ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول اللَّه ﷺ. وقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة.

وقال الربيع: سمعتُ الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول اللَّه ﷺ، فخذوا سنة رسول اللَّه ﷺ ودعوا ما قلت.

وقال: إذا صح الحديث بما يخالف قولي، فاضربوا بقولي الحائط!

وقال مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول اللَّه ﷺ[(١)].

وتقدم له مثل ذلك، فلا عذر لمقلِّد بعد هذا. ولو استقصينا كلام العلماء في هذا لخرج بنا عما قصدناه من الاختصار، وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهُدىٰ.

قوله: (لعله إذا ردَّ بعض قوله - أي: قول الرسول ﷺ - أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك). نبَّه رحمه اللَّه أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب، وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[الصف: ٥].

قال شيخ الإسلام - في معنى قول اللَّه تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ -: فإذا كان المخالف عن أمره قد حُذِّرَ من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم، دلَّ

---

(١) انظر هذه الأقوال عند الفلاني في إيقاظ همم أولي الأبصار (٥٠) ومناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٧١) ومقدمة صفة الصلاة للشيخ الألباني.

علىٰ أنه قد يكون مُفضيًا إلىٰ الكفر والعذاب الأليم . ومعلوم أن إفضاءه إلىٰ العذاب هو مجرد فعل المعصية ، فإفضاؤه إلىٰ الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الآمر ؛ كما فعل إبليس لعنه اللّٰه . انتهىٰ .

وقال أبو جعفر بن جرير: عن الضحاك ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال : يُطبع علىٰ قلبه فلا يؤمن أن يُظهر الكفر بلسانه فتُضرب عُنقه(١) .

قال أبو جعفر: أُدخلت عن ؛ لأن معنىٰ الكلام : فليحذر الذين يلوذون عن أمره ، ويُدبرون عنه معرضين .

قوله : ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ في عاجل الدنيا عذاب من اللّٰه مُوجع ؛ علىٰ خلافهم أمر رسول اللّٰه ﷺ .

قال المصنف رحمه الله تعالى: عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلُّون ما حرم الله فتحلونه»، فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»(٢). رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

ش: هذا الحديث قد رُوي من طُرق : فرواه ابن سعد ، وعبد بن حُميد ، وابن المنذر ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي .

قوله : (عن عَدي بن حاتم) ، أي : الطائي المشهور ، وحاتم هو ابن عبد اللّٰه بن سعد بن الحشرج - بفتح الحاء المهملة - المشهور بالسخاء والكرم . قدم عديّ علىٰ

---

(١) إسناده ضعيف واه: رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦٢٦٥) من طريق جويبر عن الضحاك فذكره وجويبر ضعيف واهٍ وفي الطريقِ إليه ابن حميد وهو ضعيف.

(٢) إسناده صحيح: رواه الدارمي (١/ ٧١) والفريابي في «صفة المنافقين (٣١) وأبو نعيم في «الحلية » (٤/ ١٩٦) من طريق الشعبي عن زياد بن حدير به . وصحح إسناده الشيخ الألباني في « التعليق علىٰ المشكاة » (١/ ٨٩).

رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم. وعاش مائة وعشرين سنة.

وفي الحديث: دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] ويُظهر ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وهذا قد وقع في كثير من الناس مع من قلدوهم، لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد، وهو من هذا الشرك.

ومنهم من يغلو في ذلك، واعتقد أن الأخذ بالدليل ـ والحالة هذه ـ يُكره، أو يحرم؛ فعظُمت الفتنة. ويقول: هم أعلم منا بالأدلة، ولا يأخذ بالدليل إلا المجتهد. وربما تفوَّهوا بذم من يعمل بالدليل، ولا ريب أن هذا من غُربة الإسلام، كما قال شيخنا رحمه الله تعالى في المسائل:

فتغيرت الأحوال، وآلت إلى هذه الغاية. فصار عند الأكثر، عبادة الرهبان: هي أفضل الأعمال، ويسمُّونها ولاية، وعبادة الأحبار: هي العلم والفقه. ثم تغيَّرت الحال إلى أن عُبد من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم، فيما يُخالف ما شرعه الله ورسوله: فقد عمت به البلوى قديمًا وحديثًا، في أكثر الولاة بعد الخُلفاء الراشدين وهلُمَّ جرا. وقد قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وعن زياد بن حُدير، قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زَلَّةُ العالم، وجدال المنافق بالكتاب والسنة وحكم الأئمة المُضلين. رواه الدارمي(١).

جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق، وبه يعدلون.

---

(١) الدارمي في «السنن» رقم (٢٢٠)، وأخرجه الفريابي في «صفة المنافق» رقم (٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٩٦/٤).

(٣٨)

بـــاب

قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

ش: قال العماد ابن كثير: والآية ذامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا.

وتقدم ما ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في حده للطاغوت، وأنه كل ما تجاوز به العبد حده: من معبود أو متبوع أو مطاع.

فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به. فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله، ومن كان يحكم بهما. فمن حاكم إلى غيرهما: فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله، وأنزله منزلةً لا يستحقها.

وكذلك من عبد شيئًا دون الله فإنما عبدَ الطاغوت، فإن كان المعبود صالحًا صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا

﴿تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٢٨-٣٠]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

وإن كان ممن يدعو إلىٰ عبادة نفسه، أو كان شجرًا أو حجرًا أو قبرًا، أو غير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصنامًا[١] علىٰ صُور الصالحين أو الملائكة أو غير ذلك، فهي من الطاغوت الذي أمر اللَّه تعالىٰ عباده أن يكفروا بعبادته، ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كل معبود سوىٰ اللَّه كائنًا من كان. وهذا كله من عمل الشيطان وتسويله، فهو الذي دعا إلىٰ كل باطل وزينه لمن فعله، وهذا ينافي التوحيد الذي هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلا اللَّه.

فالتوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون اللَّه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] وكل من عبد غير اللَّه فقد جاوز به حدَّه، وأعطاه من العبادة ما لا يستحقه.

قال الإمام مالك: الطاغوت: ما عُبد من دون اللَّه.

وكذلك من دعا إلىٰ تحكيم غير اللَّه تعالىٰ ورسوله: فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه، وجعل للَّه شريكًا في الطاعة، وخالف ما جاء به الرسول ﷺ فيما أمره اللَّه تعالىٰ به في قوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩] وقوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فمن خالف ما أمر اللَّه به رسولَه ﷺ: بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل اللَّه، أو طلب ذلك اتباعًا لما يهواه ويُريده، فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عُنقه. وإن زعم أنه مؤمن.

فإن اللَّه تعالىٰ أنكر علىٰ من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان؛ لما في ضمن قوله: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ من نفي إيمانهم، فإن ﴿يَزْعُمُونَ﴾ إنما يقال غالبًا لمن ادَّعىٰ دعوىٰ

هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها، وعمله بما ينافيها. يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، كما في آية البقرة. فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحِّدًا.

والتوحيد هو أساس الإيمان، الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه. كما أن ذلك بيِّن في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وذلك أن التحاكم إلىٰ الطاغوت إيمان به.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ يبيِّن تعالىٰ في هذه الآية: أن التحاكم إلىٰ الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويُزيِّنه لمن أطاعه، ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله. وأكده بالمصدر، ووصفه بالبعد، فدلَّ علىٰ أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهُدىٰ.

ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

الثاني: أنه ضلال.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدىٰ.

فسبحان اللَّه! ما أعظمَ هذا القرآن وما أبلغه، وما أدله علىٰ أنه كلام رب العالمين، أوحاه إلىٰ رسوله الكريم، وبلغه عبده الصادق الأمين. صلوات اللَّه وسلامه عليهما أجمعين.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً﴾ بين تعالىٰ أن هذه صفة المنافقين، وأن من فعل ذلك أو طلبه، وإن زعم أنه مؤمن فإنه في غاية البُعد من الإيمان.

قال العلامة ابن القيم: هذا دليل علىٰ أن من دُعي إلىٰ تحكيم الكتاب والسنة فأبىٰ، أنه من المنافقين.

قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾ لازم. وهو بمعنىٰ يُعرضون؛ لأن مصدره، صدوداً. فما أكثر

من اتصف بهذا الوصف، خصوصًا ممن يدَّعي العلم. فإنهم صدُّوا عما توجبه الأدلة من كتاب اللّه وسنة رسوله إلىٰ أقوال من يخطئ كثيرًا، ممن ينتسب إلىٰ الأئمة الأربعة:

في تقليدهم من لا يجوز تقليده، واعتمادهم علىٰ قول من لا يجوز الاعتماد علىٰ قوله، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم، الذي لا تصح الفتوىٰ إلا به. فصار المتبع للرسول ﷺ بين أولئك غريبًا، كما تقدم التنبيه علىٰ هذا في الباب الذي قبل هذا.

فتدبَّر هذه الآيات وما بعدها، يتبين لك ما وقع فيه غالب الناس من الإعراض عن الحق وترك العمل به في أكثر الوقائع. واللّه المستعان.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

ش: قال أبو العالية في الآية: يعني: لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصىٰ اللّه في الأرض، أو أمر بمعصية اللّه: فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة اللّه ورسوله[(١)].

وقد أخبر تعالىٰ عن إخوة يوسف عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۝٧٠ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۝٧٢ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٠-٧٣] فدلت الآية علىٰ أن كل معصية فساد في الأرض.

ومناسبة الآية للترجمة: أن التحاكم إلىٰ غير اللّه ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض.

وفي الآية: التنبيه علىٰ عدم الاغترار [بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوىٰ. وفيها: التحذير من الاغترار] بالرأي، ما لم يقم علىٰ صحته دليل من كتاب اللّه وسنة رسوله. فما أكثر من يُصدِّق بالكذب ويُكذِّب بالصدق إذ جاءه، وهذا من الفساد في

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه ابن أبي حاتم (١٢١) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أبي العالية فذكره. وأبو جعفر الرازي ضعيف ورواه الطبري (٣٤٠) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع لم يجاوزه.

الأرض، ويترتب عليه من الفساد أمور كثيرة تخرج صاحبها من الحق وتدخله في الباطل. نسأل اللّه العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

فتدبَّر تجد ذلك في حال الأكثر: إلا من عصمه اللّه، ومَنَّ عليه بقوة داعي الإيمان، وأعطاه عقلاً كاملاً عند ورود الشهوات، وبصراً ناقداً عند ورود الشبهات. وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ش: قال أبو بكر بن عيَّاش - في الآية - إن اللّه بعث محمداً ﷺ إلىٰ أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم اللّه بمحمد ﷺ. فمن دعا إلىٰ خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض.

وقال ابن القيم: **قال أكثر المفسرين:** لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدعاء إلىٰ غير طاعة اللّه، بعد إصلاح اللّه إياها ببعث الرسل، وبيان الشريعة، والدعاء إلىٰ طاعة اللّه، فإن عبادة غير اللّه والدعوة إلىٰ غيره والشرك به: أعظم فساد في الأرض. بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره. فالشرك والدعوة إلىٰ غير اللّه وإقامة معبود غيره، ومطاع متبع غير رسول اللّه ﷺ: هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون اللّه وحده هو المعبود المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا. وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة.

ومن تدبَّر أحوال العالم: وجد كل صلاح في الأرض، فسببه توحيد اللّه وعبادته وطاعة رسوله. وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحْط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه: مخالفة رسوله، والدعوة إلىٰ غير اللّه ورسوله. انتهىٰ.

ووجهُ مطابقة هذه الآية للترجمة: أن التحاكم إلىٰ غير اللّه ورسوله من أعظم ما يُفسد الأرض من المعاصي، فلا صلاحَ لها إلا بتحكيم كتاب اللّه وسنة رسوله، وهو سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ش: قال ابن كثير: يُنكر تعالىٰ، علىٰ من خرج عن حكم اللّٰه تعالىٰ المشتمل علىٰ كل خير، والنهي عن كل شر، وعدل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللّٰه؛ كما كان أهل الجاهلية يحكمون بها من الجهالات والضلالات، كما يحكم بها التتار من السياسات المأخوذة عن جنكز خان الذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكام أقيسة من شرائع شتَّىٰ. وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، وصار في بنيه شرعًا يقدِّمونه علىٰ الحكم بكتاب اللّٰه وسنة رسوله. ومن فعل ذلك: فهو كافر يجب قتاله حتىٰ يرجع إلىٰ حكم اللّٰه ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير.

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ استفهام إنكار، أي: لا حُكم أحسن من حكمه تعالىٰ. وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارك، أي: ومن أعدل من اللّٰه حكمًا لمن عقل عن اللّٰه شرعه، وآمن وأيقن أن اللّٰه تعالىٰ: أحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده القادر علىٰ كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره؟

وفي الآية: التحذير من حكم الجاهلية، واختياره علىٰ حكم اللّٰه ورسوله. فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن، وهو الحق، إلىٰ ضده من الباطل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به»[١] قال النووي: حديث صحيح، رُوِّيناه في كتاب (الحجة) بإسناد صحيح.

ش: هذا الحديث: رواه الشيخ أبو الفتح، نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب (الحجة علىٰ تارك المحجة)، بإسناد صحيح، كما قاله المصنف، عن النووي.

---

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، وابن بطة في «الإبانة» قسم الإيمان (٢٧٩)، =

ورواه الطبراني، وأبو بكر بن عاصم، والحافظ أبو نُعيم في (الأربعين) التي شرط لها أن تكون من صحاح الأخبار، وشاهده في القرآن:

قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [النساء: ٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]، ونحو هذه الآيات.

قوله: «**لا يؤمن أحدكم**»: لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذي وعد الله أهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار، وقد يكون في درجة أهل الإساءة والمعاصي من أهل الإسلام.

قوله: «**حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» الهوىٰ: بالقصر، أي: ما يهواه وتحبُّه نفسه وتميل إليه.

فإن كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعًا لما جاء به الرسول ﷺ لا يخرج عنه إلا ما يخالفه، فهذه صفة أهل الإيمان المطلق.

وإن كان بخلاف ذلك، أو في بعض أحواله أو أكثرها. انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب؛ كما في حديث أبي هريرة: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[(١)] يعني أنه بالمعصية ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب، وينزل عنه في درجة الإسلام. وينقص إيمانه، فلا يُطلق عليه الإيمان إلا بقيد المعصية أو الفسوق، فيقال: مؤمن عاصٍ، أو يقال: مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، فيكون معه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به؛ كما قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

والأدلة على ما عليه سلف الأمة وأئمتها - أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة

= والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٣٦٩) وغيرهم من طريق نعيم بن حماد، عن عبد الوهاب الثقفي، عن هشام، عن محمد بن سيرين، عن عقبة، عن عبدالله بن عمرو به، وفي الإسناد نعيم بن حماد، وهو ضعيف، وقد ضعفه الشيخ الألباني في «تحقيقه لابن أبي عاصم»، وذكر ابن رجب في علله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٨).

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧).

وينقص بالمعصية - من كتاب اللَّه وسنة رسوله أكثر من أن تحصر.

فمن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلىٰ بيت المقدس قبل تحويل القبلة، وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله»(١) الحديث، وهو في (الصحيحين)، و(السنن).

والدليل على أن الإيمان يزيد قوله تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] خلافًا لمن قال: إن الإيمان هو القول، وهم المُرجئة، ومن قال: إن الإيمان هو التصديق، كالأشاعرة.

ومن المعلوم عقلاً وشرعًا: أن نية الحق تصديق، والعمل به تصديق، وقول الحق تصديق. فليس مع أهل البدع ما ينافي قول أهل السنة والجماعة. ولله الحمد والمنة.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: فيما عملوا به في هذه الآية من الأعمال الظاهرة والباطنة. وشاهده في كلام العرب، قولهم: حملةٌ صادقة.

وقد سمَّىٰ اللَّه تعالىٰ الهوىٰ المخالف لما جاء به الرسول ﷺ إلهًا، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] قال بعض المفسرين: لا يهوىٰ شيئًا إلا ركبه.

قال ابن رجب: أما معنىٰ الحديث: فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتىٰ تكون محبته تابعةً لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها. فيحبُّ ما أُمر به، ويكره ما نُهي عنه. وقد ورد القرآن بمثل هذا المعنىٰ في غير موضع، وذمَّ سبحانه من كره ما أحبه اللَّه، أو أحب ما كرهه اللَّه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

---

(١) صحيح: رواه البخاري(٥٣) ومسلم(١٧).

فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه اللّه، محبةً توجب له الإتيان بما أوجب عليه منه. فإن زادت المحبة حتى أتى بما نُدب إليه منه، كان ذلك فضلاً.

وأن يكره ما يكرهه اللّه كراهةً توجب له الكفَّ عما حرم عليه منه، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكفَّ عما كرهه تنزيهًا، كان ذلك فضلاً.

فمن أحب اللّه ورسوله محبةً صادقة من قلبه، أوجب ذلك له أن يحب بقلبه: ما يُحبه اللّه ورسوله، ويكره ما يكرهه اللّه ورسوله، فيرضى بما يرضى به اللّه ورسوله، ويسخط ما يُسخط اللّه ورسوله، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض. فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك، بأن ارتكب بعض ما يكرهه اللّه ورسوله، وترك ما يحبه اللّه ورسوله - مع وجوبه والقدرة عليه - دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة التي هي ركن العبادة إذا كملت. فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة اللّه ورسوله.

وقد وصف اللّه المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾. [القصص: ٥٠]

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع؛ ولهذا سُمي أهلها أهل الأهواء. وكذلك المعاصي، إنما تقع من تقديم الهوى على محبة اللّه ومحبة ما يحبه اللّه.

وكذلك حب الأشخاص: الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبة من يحبه اللّه من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا؛ ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان: أن يحب المرء لا يحبه إلا للّه[(1)]. فتحرم موالاة أعداء اللّه ومن يكرهه اللّه عمومًا، وبهذا يكون الدين كله للّه وحده. ومن أحب للّه وأبغض للّه، وأعطى للّه ومنع للّه:

(١) روى البخاري (١٦، ٢١) ومسلم (٤٣) من حديث أنس مرفوعًا: ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله... الحديث.

فقد استكمل الإيمان . ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوىٰ نفسه : كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب . فيجب التوبة من ذلك . انتهىٰ ملخصاً .

ومناسبة الحديث للترجمة : بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي ، في أقوالهم وأفعالهم وإراداتهم .

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية[١] .

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله[٢] .

(١) إسناده مرسل: رواه الطبري في «تفسيره» (٩٨٩٦-٩٨٩٨) من طريق داود، عن الشعبي، وإسناده مرسل لا يصح مرفوعًا لأن الشعبي تابعي.

(٢) موضوع: علقه البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ١٠٧-١٠٨)، والحافظ في «الفتح» (٥/ ٣٧) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب، وأبو صالح متروك، ولم يسمع ابن عباس، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣١٠ط. دار الكتب العلمية) إلى الثعلبي.

وصح في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥٤٧)، والطبراني في «معجمه الكبير» (١٢٠٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» من طريق أبي اليمان، عن صفوان بن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافروا إليه ناس من المسلمين فأنزل الله عز وجل ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون..﴾ الآية.

وإسناده صحيح. وصححه الشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله- في «الصحيح المسند» من أسباب النزول (ص ٤١-٤٢).

ش: قوله: (وقال الشعبي). هو عامر بن شراحيل الكوفي، عالم أهل زمانه، وكان حافظًا علامة ذا فنون. كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء. وأدرك خلقًا من الصحابة، وعاش بضعًا وثمانين سنة. قاله الذهبي.

وفيما قاله الشعبي ما يُبين أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم اللّه ورسوله من اليهود والنصارىٰ. ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان؛ كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها: من إعانة العدو على المسلمين، وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان.

ومن تدبَّر ما في التاريخ وما وقع منهم في الوقائع عرف أن هذا حال المنافقين قديمًا وحديثًا، وقد حذَّر اللّه نبيه ﷺ من طاعتهم والقرب منهم، وحضه على جهادهم في مواضع من كتابه؛ قال تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [التحريم: ٩].

وفي قصة عمر، وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلىٰ كعب بن الأشرف اليهودي: دليل علىٰ قتل من أظهر الكفر والنفاق.

وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ والأذىٰ له، وإظهار عداوته. فانتقض به عهده، وحل به قتله. وروىٰ مسلم في (صحيحه)، عن عمرو: سمعت جابرًا يقول: قال رسول اللّه ﷺ: «**من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله**» قال محمد بن مسلمة: يا رسول اللّه، أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**» قال: ائذن لي فلأقل، قال: «**قل**».

فأتاه فقال له، وذكر ما بينهم، وقال: إن الرجل قد أراد صدقة، وقد عنَّانا. فلما سمعه، قال: وأيضًا واللّه لتملُّنَّه، قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتىٰ ننظر إلىٰ أي شيء يصير أمره، قال: وقد أردت أن تُسلفني سلفًا. قال: فما ترهنني؟ قال: ما تُريده؟ قال: ترهنني نساءكم؟ قال: أنت أجمل العرب، أنرهنك نساءنا؟ قال: ترهنوني أولادكم؟ قال: يُسبُّ ابن أحدنا، فيقال: رُهن في وَسْقين من تمر. ولكن نرهنك اللأمة - يعني السلاح - قال: نعم. وواعده أن يأتيه بالحارث، وأبي عبس بن جبر، وعبَّاد بن بشر. قال: فجاءوا، فدعوه ليلاً فنزل إليهم، قال سفيان: قال غيرُ عمرو: قالت له امرأته: إني لأسمع صوتًا كأنه صوت دم، قال:

إنما هذا محمد بن مسلمة، ورضيعه، وأبو نائلة؛ إن الكريم لو دُعي إلى طعنة ليلاً لأجاب. قال محمد: إني إذا جاء فسوف أمدُّ يدي إلى رأسه، فإذا استمكنت منه فدونكم. قال: فلما نزل، نزل وهو متوشِّح. فقالوا: نجد منك ريح الطيب، قال: نعم، تحتي فلانة أعطر نساء العرب. قال: فتأذن لي أن أشم منه؟ قال: نعم فشُمَّ! فتناوله فشم، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال: فاستمكن من رأسه. ثم قال: دونكم، قال: فقتلوه[1].

في قصة عُمر: بيان أن المنافق المغموص بالنفاق إذا أظهر نفاقه قُتل، كما في (الصحيحين)، وغيرهما: أن النبي ﷺ إنما ترك قتْلَ من أظهر نفاقه منهم، تأليفًا للناس؛ فإنه قال: **«لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»**[2] صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٠١) واللفظ له وعند البخاري(٢٥١٠) من حديث جابر.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٥١٨) ومسلم (٢٥٨٤).

(٣٩)

بـاب
من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ش: سببُ نزول الآية معلوم مذكور في كُتب التفسير وغيرها، وهو أن مشركي قريش جحدوا اسم ﴿الرَّحْمَنِ﴾ عنادًا[١].

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، والرحمن: اسمه وصفته، دلَّ هذا الاسم علىٰ أن الرحمة وصفُه سبحانه؛ وهي من صفات الكمال.

فإذا كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه تعالىٰ، وهو من الأسماء التي دلت علىٰ كماله سبحانه وبحمده: فجحود معنىٰ هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك. فإن جَهْم بن صفوان ومن تبعه: يزعمون أنها لا تدل علىٰ صفة قائمة بالله تعالىٰ. وتبعهم علىٰ ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ فلهذا كفرهم كثيرون من أهل السنة؛ قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ:

ولقد تقلَّد كفرَهم خمسون في ... عشر من العُلماء في البلدان
واللالكائيُّ الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

فإن هؤلاء الجهمية، ومن وافقهم علىٰ التعطيل: جحدوا ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل علىٰ أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم، فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا.

---

(١) سيأتي الكلام علىٰ ذلك في آخر هذا الباب.

هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات اللَّه إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين. فشبَّهوا اللَّه في ابتداء رأيهم الفاسد بخلقه، ثم عطَّلوه من صفات كماله، وشبَّهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات.

فشبهوا أولاً، وعطلوا ثانيًا، وشبَّهوا ثالثًا بكل ناقص أو معدوم. فتركوا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة، من إثبات ما وصف اللَّه به نفسه ووصفه به رسوله علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته.

هذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها؛ فإنهم أثبتوا للَّه ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يُحتذىٰ حذوه. فكما أن هؤلاء المعطِّلة يُثبتون للَّه ذاتًا لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك، ويثبتون ما وصف اللَّه به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، لا تُشْبه صفات خلقه.

فإنهم آمنوا بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ولم يتناقضوا. وأولئك المعطِّلةُ: كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك، فتناقضوا.

فبطل قولُ المعطِّلين بالعقل والنقل ـ وللَّه الحمد والمنة ـ وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين.

وقد صنَّف العلماء رحمهم اللَّه تعالىٰ في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، في إبطال هذه البدع وما فيها من التناقض والتهافتُ: كالإمام أحمد رحمه اللَّه تعالىٰ في رده المشهور، و(كتاب السنة) لابنه عبد الله، وصاحب (الحَيدة) عبد العزيز الكناني في ردِّه علىٰ بشر المرِيسي. و(كتاب السنة) لأبي عبد اللَّه المروَزي، وردِّ عثمان بن سعيد علىٰ الكافر العنيد وهو بشر المريسي، و(كتاب التوحيد) لإمام الأئمة محمد بن خُزيمة الشافعي، و(كتاب السنة) لأبي بكر الخلال، وأبي عثمان الصابوني الشافعي، وشيخ الإسلام الأنصاري، وأبي عمر بن عبد البر النمري، وخلقٍ كثير من أصحاب الأئمة الأربعة وأتباعهم، وأهل الحديث.

ومن متأخريهم: أبو محمد، عبد اللَّه بن أحمد بن قدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأصحابه وغيرهم. فلله الحمد والمنة علىٰ بقاء السنة وأهلها، مع تفرُّق الأهواء وتشعُّب الآراء. واللَّه أعلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وفي (صحيح البخاري)، قال علي: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتُريدون أن يُكذَّب الله ورسوله[1] .

ش : علي : هو أمير المؤمنين أبو الحسن، علي بن أبي طالب، وأحدُ الخلفاء الراشدين . وسبب هذا القول ـ واللَّه أعلم ـ ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القُصَّاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل . فربما استنكرها بعض الناس وردها، وقد يكون لبعضها أصل أو معنىً صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك . فأرشدهم أمير المؤمنين رضي اللَّه عنه إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف، ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال والحرام الذي كلِّفوا به علمًا وعملاً، دون ما يُشغل عن ذلك، مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله، فيُفضي بهم إلى التكذيب، لاسيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم.

وقد كان شيخُنا المصنف رحمه اللَّه لا يُحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعبادتهم ومعاملاتهم الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي : كـ(المنعش)، و(المرعش)، و(التبصرة)، لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما اللَّه به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده، والمعصوم من عصمه الله .

وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهى القُصَّاص عن القَصَص ؛ لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك، ويقول : لا يقص إلا أمير أو مأمور[2] .

وكلُّ هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم علماً وعملاً ونية وقصداً، وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه من البدع ووسائلها، واللَّه الموفق

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٧).

(٢) صحيح بشواهده: رواه أحمد (٢/ ١٧٨) والدارمي (٢/ ٣١٩) وابن ماجه (٣٧٥٣) والطبراني في «الصغير» (١/ ٢١٦) من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً وهذا إسناد حسن . =

وله شاهد . من حديث عوف بن مالك .

للصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات، استنكاراً لذلك! فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقَّةً عند مُحكَمه، ويَهلكون عند متُشابهه[1]. انتهى.

ش: قوله: (وروىٰ عبد الرزاق). هو ابن همام الصنعاني المحدِّث، مُحدِّث اليمن صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن مَعْمر بن راشد صاحب الزهري. وهو شيخ عبد الرزاق، يروي عنه كثيراً.

ومعمر - بفتح الميمين وسكون العين - أبو عروة بن أبي عمرو، راشد الأزدي الحرَّاني ثم اليماني، أحدُ الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري، يروي عنه كثيراً.

قوله: (عن ابن طاوس). هو عبد اللّٰه بن طاوس اليماني. قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قوله: (عن أبيه) هو طاوس بن كَيْسان الجَنَدي - بفتح الجيم والنون - الإمام العَلَم، قيل: اسمُه ذكوان، قاله ابنُ الجوزي.

قلت: وهو من أئمة التفسير، ومن أوعية العلم. قال في (تهذيب الكمال): عن الوليد المُوقَّري، عن الزهري، قال: قدمتُ علىٰ عبد الملك بن مروان، فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قال: قلتُ: من مكة، قال: من خلَّفت يسودها وأهلَها؟

= رواه أبو داود (٣٦٦٥) وأحمد (٢٣٩٧٢، ٢٣٩٩٤، ٢٣٩٧٤، ٢٤٠٠١) وابن قانع في «معجم الصحابة» والطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم (١٢١) وفي «الأوسط» (٤٠٧٤) وفي الشاميين (٦١) وابن وهب في جامعه (٥٧٤) وقد اختلف علىٰ عوف بن مالك في الوصل والارسال انظر كلام الشيخ شعيب في تحقيقه مسند أحمد (٦/ ٢٣) رقم (٢٣٩٧٢) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٢/ ٦٩٨).

(١) **إسناده صحيح:** رواه عبد الرزاق (٢٠٨٩٥) بلفظ قريب وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٥) من طريق معمر، عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس به وإسناده صحيح.

قلتُ: عطاء بن أبي رباح، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلتُ: من الموالي، قلت: فَبِمَ سادهم؟ قال: قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمَن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيْسان، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فبم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء، قال: إنه لينبغي ذلك، قال: فمن يسود مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبدٌ نوبي أعتقته امرأة من هُذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: : ميمون بن مهران، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مُزاحمٍ، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن البصري، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: ويلك، ومن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلتُ: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب، قال: ويلك يا زهري، فرَّجت عني، والله لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد، حتى يُخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنما هو دين. من حفظه سادَ ومن ضيَّعه سقط[1].

قوله: (عن ابن عباس). قد تقدم، وهو حَبْرُ الأمة وتَرجمان القرآن، ودعا له النبي ﷺ، وقال: «**اللهم فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل**»[2] وروى عنه أصحابه أئمة التفسير، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، وغيرهم.

قوله: (ما فَرَقُ هؤلاء). يستفهم من أصحابه، يشير إلى أُناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن ومعناه، حصل معهم فَرَق. أي: خوف، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له، فلم

---

(١) **إسناده ضعيف جداً**: رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص ١٩٨، ١٩٩) وانظر تهذيب الكمال (٢٠/ ٨١-٨٢) من طريق الوليد بن محمد الموقري عن الزهري به.
والوليد بن محمد الموقري متروك كذبه غير واحد من أهل العلم.

(٢) **إسناده صحيح**: «وقد سبق تحت باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب».

يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه اللَّه تعالىٰ علىٰ عباده المؤمنين.

قال الذهبي: حدَّث وكيع - عن إسرائيل - بحديث: إذا جلس الربُّ علىٰ الكرسي. فاقشعر رجلٌ عند وكيع. فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدِّثون بهذه الأحاديث ولا يُنكرونها(١). أخرجه عبد اللَّه في (كتاب الرَّد علىٰ الجهمية).

وربما حصل معهم من عدم تلقِّيه بالقبول تركُ ما وجب من الإيمان به، فتُشبه حالهم حال من قال اللَّه فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك، من الإيمان بكتاب اللَّه كله واليقين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن، وهو حقٌّ لا يرتاب فيه مؤمن.

وبعضُهم يفهم منه غيرَ المراد من المعنىٰ الذي أراد الله، فيحملُه علىٰ غير معناه؛ كما جرىٰ لأهل البدع، كالخوارج والرافضة والقدرية، ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن علىٰ بدعته.

وقد وقع منهم ما وقع، من الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم. فإن الواقع من أهل البدع، وتحريفهم لمعنىٰ الآيات يُبيِّن معنىٰ قول ابن عباس.

وسببُ هذه البدع جهلُ أهلها وقصورهم في الفهم، وعدمُ أخذ العلوم الشرعية علىٰ وجهها وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها، الذين وفَّقهم اللَّه تعالىٰ: لمعرفة المُراد، والتوفيق بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضًا، وردِّ المتشابه إلىٰ المُحْكَم، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان. فلله الحمد لا نُحصي ثناءً عليه.

(١) انظر مختصر العلو للذهبي (ص ١٦٨) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٨٥، ٩٥٨٧) من طريق عبد الله بن خليفة عن عمر موقوفًا وعبد الله بن خليفة مجهول.

ذكر ما ورد عن علماء السلف في المتشابه:

قال في (الدر المنثور): أخرج الحاكم ـ وصححه ـ عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، فنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال. فأحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أُمرتم به، وانتهوا عما نُهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمُحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كل من عند ربنا»[1].

قال: وأخرج عبد بن حميد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، قال: طلب القوم التأويل، فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة، وطلبوا ما تشابه منه، فهلكوا بين ذلك.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ قال: من هنا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣] إلى ثلاث آيات، ومن هنا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٦]. إلى ثلاث آيات بعدها[2]

وأخرج ابن جرير، من طريق أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود وناس من الصحابة: المُحكمات: الناسخات التي يعمل بهن. والمُتشابهات: المنسوخات[3].

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الحاكم (١/ ٥٥٣، ٢/ ٢٨٩) والطحاوي في «شرح المشكل» (٣١٠٢) وابن حبان (٧٤٥) والطبراني في «الكبير» (٨٢٩٦) وأبوعبيد في «فضائل القرآن» (ص٤٤).
من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عوف عن ابن مسعود مرفوعاً.
وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود كما قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٩) وضعف الإسناد.
رواه أحمد (١/ ٤٤٥) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٠٩٤) وعمر بن شبه في تاريخ (٣/ ١٠٠٦) وابن أبي داود في المصاحف (٦٦) من طريق فلفلة الجعفي عن عبد الله بن مسعود قوله وفلفلة الجعفي مجهول.

(٢) إسناده ضعيف: رواه الطبري (٦٥٧٠) وابن أبي حاتم (٣١٦٩) ونحوه (٣١٦٨) والحاكم (٢/ ٢٨٨) مختصراً من طريق أبي إسحاق عمن حدثه وفي بعضها عبد الله بن قلابة وفي بعضها عبد الله بن قيس عن ابن عباس موقوفًا. والراوي عنه مبهم وإن كان عبد الله بن قيس فهو مجهول.

(٣) في إسناده ضعف: رواه الطبري في «تفسيره» (٦٥٧٣) من طريق أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ =

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن إسحاق بن سُويد: أن يحيىٰ بن يعمر، وأبا فاختة تراجعا هذه الآية: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فقال أبو فاختة: هن فواتح السور، منها يُستخرج القرآن ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ١، ٢] منها استخرجت البقرة، و﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١، ٢] منها استُخرجت آل عمران، وقال: يحيىٰ: هن اللاتي فيهن الفرائض، والأمر والنهي والحلال، والحدود وعماد الدين[1].

وأخرج ابن جرير، عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: الـ ﴿مُحْكَمَاتٌ﴾ حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس فيها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلىٰ اللَّه فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، لا يُصرفن إلىٰ الباطل، ولا يحرفن عن الحق[2].

وأخرج ابن أبي حاتم، عن مقاتل بن حيَّان: إنما قال: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ لأنه ليس من أهل دين لا يرضىٰ بهن ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ يعني فيما بلغنا ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿الٓمٓر﴾[3].

قلت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يُشعر بأن أسماء اللَّه تعالىٰ وصفاته من المتشابه، وما قاله النفاة: من أنها من المتشابه، دعوىٰ بلا برهان.

= فذكره.

وأسباط فيه ضعف والسدي فيه مقال وإن كان حديثه حسن وقد قال الإمام أحمد في السدي - إنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسناداً واستكلفه. وروىٰ الطبري نحوه (٦٥٧٢) بإسناد العوفي عن ابن عباس فالإسناد ضعيف.

(١) **إسناده حسن**: رواه الطبري في «تفسيره» (٦٥٨٦، ٦٥٨٨) وابن أبي حاتم (٣١٧٢) من طريق إسحاق بن سويد به.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٦٥٨٤) وفي الإسناد ابن حميد وهو ضعيف.

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم (٣١٧٦) من طريق محمد بن مزاحم عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان به.

ومحمد بن مزاحم مجهول وبكير صدوق فيه لين قاله الحافظ.

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر: الرحمن. أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ش: روى ابن جرير، عن قتادة: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ ذُكر لنا أن نبي اللَّه ﷺ زمن الحُديبية حين صالح قريشًا، كتب: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله». فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول اللَّه ثم قاتلناك لقد ظلمناك! ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فقال أصحاب رسول اللَّه ﷺ: دعنا يا رسول اللَّه نقاتلهم، فقال: «لا. ولكن اكتبوا كما يُريدون، إني محمد بن عبد الله». فلما كتب الكاتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قالت قُريش: أما الرحمن فلا نعرفه ـ وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللهم ـ فقال أصحابه: يا رسول اللَّه دعنا نقاتلهم! قال: «لا. ولكن اكتبوا كما يريدون»[(١)].

وروى أيضًا، عن مجاهد قال: قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ الآية [الرعد: ٣٠]. قال: هذا لما كاتب رسول اللَّه ﷺ قريشًا في الحديبية؛ كتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قالوا: لا تكتب الرحمن، وما ندري ما الرحمن؟ ولا نكتب إلا: باسمك اللهم. قال: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[(٢)].

وروى أيضًا، عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ يدعو ساجدًا: يا رحمن يا رحيم. فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنى مثنى. فأنزل الله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[(٣)] [الإسراء: ١١٠].

* * *

(١) إسناده صحيح: إلى قتادة ولكنه معضل بين قتادة والنبي ﷺ رواه الطبري (٢٠٣٩٦) من طريق سعيد عن قتادة والنبي ﷺ رواه الطبري (٢٠٣٩٦) من طريق سعيد عن قتادة به. وانظر البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) إسناده ضعيف: إلى مجاهد رواه الطبري (٢٠٣٩٧) من طريق ابن جريج عن مجاهد فذكره وابن جريج مدلس وقد عنعن وقيل لم يسمع من مجاهد إلا حرفًا.

(٣) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢٨٠١) من طريق محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به.
ومحمد بن كثير المصيصي ضعيف.
وجاء نحوه عن عائشة عند البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧١) من طريق أبي الجوزاء أوس بن عبد الله عن عائشة وهو منقطع بينهما.

(٤٠)

بــاب

قول الله تعالى:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَاوَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

قال مـجاهد ـ مـا معناه ـ: هو قـول الرجل: هذا مـالي، ورِثته عن آبائي. وقـال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقـال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

ش: ذكر المصنف رحمه اللّه تعالىٰ: ما ذكر بعض العلماء في معناها.

وقال ابن جـرير: فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ بالنعمة. فذكر عن سفيان، عن السـدي: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: مـحمد ﷺ. وقـال آخرون: بل معنىٰ ذلك: أنهم يعرفون أن ما عـدّد اللّه تعالىٰ ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن اللّه هو المنعم عليهـم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعـمون أنهم ورثوه عن آبائهم.

وأخـرج، عن مـجـاهد: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، قـال: هي المسـاكن والأنعام وما يُرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب. تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره، بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورثنا إياه[1]. وقال آخرون: معنىٰ ذلك أن الكفار

(١) **في إسناده ضعف:** رواه الطبري في «تفسيره» من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد به نحوه، وابن أبي نجيح ثقة ربما دلس، وقد عنعن، وقد قال بعض أهل العلم إنه لم يسمع التفسير من مجاهد، وتابع ابن أبي نجيح ابن جريج كما عند الطبري(٢١٨٤١)، ولكن ابن جريج مدلس، وقد عنعن، ثم إن البرديجي قال: لم يسمع من مجاهد إلا حرفًا واحدًا، وقال أبوحاتم، ابن حبان: ابن أبي نجيح وابن جريج نظرا في كتاب القاسم بن أبي =

إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن اللَّه هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

وذكر المصنف رحمه اللَّه مثل هذا عن ابن قُتيبة[١]. وهو أبو محمد، عبد اللَّه ابن مُسلم بن قُتيبة الدِّينوري، قاضي مصر، النحوي اللغوي، صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة؛ اشتغل ببغداد، وسمع الحديث على إسحاق ابن راهَوْيه وطبقته. توفي سنة ستٍ وسبعين ومائتين.

وقال آخرون: ما ذكره المصنف، عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود الهُذلي - أبو عبد اللَّه الكوفي الزاهد. [روى]: عن أبيه، وعائشة، وابن عباس. وعنه قتادة وأبو الزبير، والزهري. وثقه أحمد، وابن معين. قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة - ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال: إنكارهم إياها: أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا[٢].

واختار ابن جرير القول الأول، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها. وهو الصواب. واللَّه أعلم.

قوله: (قال مجاهد): هو شيخ التفسير، الإمام الرباني، مجاهد بن جَبْر المكي، مولى بني مخزوم، يقول: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، أقفه عند كل آية، وأسأله: فيم نزلت؟ وكيف معناها[٣]؟ توفي سنة اثنتين ومائة. وله ثلاث

= بزة عن مجاهد في التفسير فرويا عن مجاهد من غير سماع «الثقات» (٧/ ٥)، وراجع رواية ابن أبي نجيح، وابن جريج، عن مجاهد في «التفسير» في تحقيقي. . «لحادي الأرواح» فقد أطلت النفس في ذلك (ص٢٦٦).

(١) قال الطبري. وقال آخرون: معني ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٢١٨٤٢) من طريق ليث عن عون بن عبد الله، به وليث بن أبي سليم ضعيف.

(٣) **حسن بطريقيه**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٩) من طريق محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد فذكره. وابن إسحاق مدلس وقد عنعن ورواه(٣/ ٢٨٠) من طريق الفضل بن ميمون أبي الليث عن مجاهد. والفضل ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٦٧) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً فالأثر يحسن بهما.

وثمانون سنة .

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد، الذي فيه: أن الله تعالى قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديثَ[1]. وقد تقدم. وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يُضيفُ إنعامَه إلى غيره ويُشركُ به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيِّبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

ش: قوله: (وقال أبو العباس): هو شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الإمام الجليل.

(بعد حديث زيد بن خالد). قد تقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

قال: (وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلىٰ غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا. ونحو ذلك مما هو جار علىٰ ألسنة كثير). انتهىٰ.

وكلام شيخ الإسلام يدل علىٰ أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النِّعَم إلىٰ غير اللَّه الذي أنعم بها، وأسند أسبابها إلىٰ غيره؛ كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا.

قال شيخنا رحمه اللَّه تعالى: وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .

* * *

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٨٠٦) ومسلم (٧١).

(٤١)

بـاب

قول الله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ش: الند: المثل والنظير. وجَعْلُ الند لله: هو صرف أنواع العبادة ـ أو شيء منها ـ لغير الله، كحال عَبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم.

وهذه الآية في سياق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قال العماد ابن كثير في (تفسيره): قال أبو العالية: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: عُدلاء شركاء. وهكذا قال الربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد.

وقال ابن عباس: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تشركوا باللَّه شيئًا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره. وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شريك فيه[١]. وكذلك قال قتادة.

وعن قتادة، ومجاهد: ﴿لا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: أكفاء من الرجال

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٤٨٦)، وابن أبي حاتم (٢٣١) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به ومحمد مجهول وفي الإسناد إلى محمد بن حميد وهو ضعيف.

تُطيعونهم في معصية الله[١].

وقال ابنُ زيد: الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له[٢].

وعن عباس: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: أشباهًا[٣].

وقال مُجاهد: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل[٤].

وذكر حديثًا في معنىٰ هذه الآية الكريمة: وهو ما في (مسند الإمام أحمد)، عن الحارث الأشعري: أن نبي اللَّه ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات: أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وأنه كاد يُبطئ بها. فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أُمرت بخمس كلمات: أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي، إني خشيت إن سبقتني أن أُعذب أو يُخسف بي. قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجدُ فقُعد على الشُرف. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات: أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن:**

أُولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثلِ ذلك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورِق، فجعل يعمل ويؤدي غَلَّته إلى غير سيده، فأيكم يسره

(١) **في إسناده ضعف:** رواه الطبري (٤٨٢) من طريق أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ. وهذا الإسناد ضعيف وسبق الكلام عليه.

وقد روي عن مجاهد أنه قال أنه إله واحد في التوراة والإنجيل عند الطبري (٤٨٨) وابن أبي حاتم (٢٣٢) ومن طريق رجل عن مجاهد والرجل مبهم.

وجاء عن قتادة: في قوله تعالىٰ «وأنتم تعلمون»: أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون له أنداداً رواه الطبري (٤٨٧) وابن أبي حاتم (٢٣٣) من طريق سعيد عن قتادة ورجاله ثقات.

(٢) **إسناده صحيح:** إلىٰ ابن زيد رواه الطبري (٤٨٣) من طريق ابن وهب عنه.

(٣) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (٤٨٤) وابن أبي حاتم (٢٢٨) من طريق بشر بن عمارة عن أبي رون عن الضحاك عن ابن عباس به.

وبشر بن عمارة ضعيف والضحاك لم يسمع ابن عباس.

(٤) **إسناده ضعيف:** رواه الطبري (٤٨٨) وابن أبي حاتم (٢٣٢) من طريق رجل عن مجاهد والرجل مبهم.

أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا.

وأمركم بالصلاة، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك. وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه بالقليل والكثير حتى فك نفسه.

وأمركم بذكر الله تعالى كثيرًا، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره، فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله».

قال: وقال رسول اللَّه ﷺ: «وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله. فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم». قالوا: يا رسول اللَّه وإن صلىٰ وصام؟ فقال: «وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم. بل بما سماهم الله عز وجل: المسلمين المؤمنين، عباد الله»[1].

هذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية، قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا».

وهذه الآية دالة علىٰ توحيد اللَّه تعالىٰ بالعبادة، وحده لا شريك له.

وقد استدل بها كثير من المفسرين علىٰ وجود الصانع، وهي دالة علىٰ ذلك بطريق

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤) والنسائي في «الكبرىٰ» (١٦٣٤٩) وأحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢، ٣٤٤) وأبو يعلىٰ (١٥٧١) وابن خزيمة (٤٨٣، ٩٣٠، ١٨٩٥) وابن حبان (٦٢٣٣) والحاكم (١/ ١١٨، ٢٣٦، ٤٢١) والطبراني في «الكبير» (٣٤٣٠) وغيرهم مختصراً ومطولاً من طريق زيد بن سلام عن جده ممطور ابي سلام عن الحارث الأشعري مرفوعًا.

الأولىٰ. والآيات في القرآن الدالة علىٰ هذا المقام كثيرة جداً.

وسُئل أبو نواس عن ذلك؟ فأنشد:

تأمل في نبات الأرض، وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لجين فاترات ... بأحداق هي الذهب السبيكُ
على قُضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريكُ

وقال ابن المعتز:

فيا عجبا، كيف يُعصى الإلـ ... ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس، في الآية: الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظُلمة الليل. وهو أن تقول: والله وحياتُك يا فُلانة، وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البَطُّ في الدار لأتانا اللصوص. وقولُ الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان. هذا كله به شرك[1]. رواه ابن أبي حاتم.

ش: بيَّن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن هذا كله من الشرك، وهو الواقع اليوم علىٰ ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك.

فتنبه لهذه الأمور، فإنها من المنكر العظيم، الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه؛ لكونه أكبر من الكبائر.

وهذا من ابن عباس رضي اللّه عنهما تنبيه بالأدنىٰ من الشرك علىٰ الأعلىٰ.

---

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٢٩) من طريق شبيب بن بشر، ثنا عكرمة عن ابن عباس به وشبيب مختلف فيه، قال الدوري عن ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يخطئ كثيراً، فهو إلىٰ الضعف أقرب والله أعلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك»[1]. رواه الترمذي، وحسنه، وصححه الحاكم.

ش: قوله: «فقد كفر أو أشرك» يُحتمل أن يكون شكًا من الراوي. ويحتمل أن

---

(٢) حسن لغيره: رواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (١/ ١٨، ٥٢) (٤/ ٢٩٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٥٩٢٦)، والطيالسي (٢٠٠٨) ط. هجر. والطحاوي في «مشكل الآثار» (٨٢٥، ٨٢٦) والبغوي في «الجعديات» (٩٣٥) وأحمد (٣٢٩، ٤٩٠٤، ٥٣٧٥، ٥٥٩٣، ٥٢٢٢، ٥٢٥٦، ٦٠٧٢)، والبيهقي (١٠/ ٢٩) وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٣٥٨) من طريق سعد بن عبيدة، عن ابن عمر به، وجاء عند بعضهم، عن سعد بن عبيدة، قال: كنت جالسًا عند عبد الله بن عمر، فجئت سعيد بن المسيب، وتركت رجلاً من كندة، فجاء الكندي مروعا، فقلت: ما وراءك؟ قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمر آنفًا فقال أحلف بالكعبة.. فذكر الحديث. انظر أحمد (٢/ ٨٦ـ٨٧، ١٢٠)، والبيهقي (١٠/ ٢٩)، وجاء في بعض الطرق اسم الكندي أنه محمد ولذا قال البيهقي وهذا لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر. وجاء في بعض الطرق أن سعدًا كان في حلقة مع ابن عمر فسمع منه الحديث. انظر أحمد (٢/ ٥٨، ٦٠) وسواء سمع سعد هذا الحديث من ابن عمر أو كانت هناك واسطة، وهو هذا الرجل الكندي فإن للحديث شواهد. منها مارواه أحمد (٥٣٤٦) حدثنا عتاب، حدثنا عبد الله أخبرنا موسى بن عقبة عن سالم، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ «من حلف بغير الله...» فقال فيه قولاً شديداً، وإسناده صحيح، وهذا القول الشديد قد يفسر بالشرك كما فسره الشيخ الألباني والشيخ أحمد شاكر رحمهما الله.

وللحديث شاهد آخر من حديث قتيلة بلفظ «أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون: ماشاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمر النبي ﷺ أن يقولوا: ورب الكعبة ويقول أحدكم ماشاء الله ثم شئت.

رواه النسائي (٧/ ٦)، وأحمد (٦/ ٣٧١ـ٣٧٢) والطبراني (٢٥/ ١٤)، والترمذي في «علل الكبير» (٤٥٧)، والحاكم (٤/ ٢٩٧) من طريق معبد بن خالد، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة به، وقد أعله البخاري، فقال الترمذي في «العلل الكبير» (ص٢٥٤) سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال: هكذا روى معبد بن خالد، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة، وقال منصور عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة قال محمد: حديث منصور أشبه عندي بالصواب. اهـ.

قلت يشير إلى مارواه أحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٢٤، ٣٢٨)، وأبو داود (٤٩٨٠) وغيرهم. وسيأتي تخريجه في الحديث بعد الآتي من طريق شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة، عن النبي ﷺ لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: «ما شاء الله ثم شاء فلان»، وصحح الحديث الشيخ الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٩) والشيخ أحمد شاكر في تحقيقه «المسند» (ح ٥٣٤٦) وانظر فقه الأيمان لأخي أبي مصعب =

تكون أو بمعنى الواو، فيكون قد كفر أو أشرك. ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كما هو من الشرك الأصغر. وورد مثل هذا عن ابن مسعود بهذا اللفظ.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا(١).

ش: ومن المعلوم أن الحلف باللَّه كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر؛ كما تقدم بيان ذلك.

فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟ كدعوة غير اللَّه والاستغاثة به، والرغبة إليه، وإنزال حوائجه به، كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها: من تعظيم القبور، واتخاذها أوثانًا والبناء عليها، واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة مَن بُنيت باسمه، وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال.

وقد عظُمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه.

قال اللَّه تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٣٧]. كفرهم تعالى بدعوتهم مَن كانوا

= عاصم جاد (ص٤٤).

تنبيه: أكثر الروايات بذكر الحديث من مسند عبد الله بن عمر، وقد جاء في بعض الروايات بذكر الحديث من مسند عمر.

(١) **ضعيف**: رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨/ ٤٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٠٢) من طريق وبرة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسعود به. وإسناده منقطع، فابن مسعود توفي سنة ٣٢، ووبرة توفي سنة ١١٦، فبين وفاتهما حوالي ٨٤ سنة، فيغلب على الظن الانقطاع.

ورواه أبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ١٨١)، وفي «الحلية» (٧/ ٢٦٧)، من طريق محمد بن معاوية، ثنا عمر بن علي المقدمي، ثنا مسعر، عن وبرة، عن عبد الله به، إلا أنه رواية الحلية، بذكر واسطة بين وبرة وعبد الله وهو همام، وفي الإسناد محمد بن معاوية بن أعين النيسابوري، وهو متروك، وعمر بن علي المقدمي، وهو ثقة، وكان يدلس تدليساً شديداً.

يدعونه من دونه في الدار الدنيا؛ وقد قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢٠، ٢١].

وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر. فخالفوا ما بلغ به الأمة، وأخبر به عن نفسه ﷺ، فعاملوه بما نهاهم عنه: من الشرك بالله، والتعلُّق علىٰ غير الله؛ حتىٰ قال قائلهم:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً، وإلا فقل: يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرَّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فانظر إلىٰ هذا الجهل العظيم، حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه ولياذه بغير الله.

وانظر إلىٰ هذا الإطراء العظيم، الذي تجاوز الحد في الإطراء؛ الذي نهىٰ عنه ﷺ بقوله: **«لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»**[(١)] رواه مالك وغيره.

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. فانظر إلىٰ هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة، والمحادَّة للَّه ورسوله، وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير، خصوصًا ممن يدَّعي العلم والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القُربات، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن حُذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»[(٢)] رواه أبو داود بسند صحيح.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٨٢١)، وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)، وابن أبي شيبة (٩/ ١١٧، ١٠/ ٣٤٦) والطيالسي في «مسنده» (٤٣١) ط. هجر، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٦٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣/ ٢١٦)، وفي «الاعتقاد» (ص١٧٩) وفي «الأسماء والصفات» (٢٩٤)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤١) من =

ش: وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويًا للمعطوف عليه؛ لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا. وتسوية المخلوق بالخالق شرك، إن كان في الأصغر - مثل هذا - فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر؛ كما قال تعالى عنهم في الدار الآخرة: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨].

بخلاف المعطوف بـ: ثم. فإن المعطوف بها يكون متراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة. فلا محذور؛ لكونه صار تابعًا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان(1).

ش: قد تقدم الفرق بين ما يجوز وبين ما لا يجوز من ذلك. وهذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك. وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم، ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر. فلا يُقال في حقهم شيء من ذلك؛ فلا يجوز التعلُّق عليه بشيء ما، بوجهٍ من الوجوه.

والقرآن يبين ذلك، ويُنادي بأنه يجعلهم آلهةً إذا سُئلوا شيئًا من ذلك، أو رغب إليهم أحد بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر.

فمن تدبَّر القرآن ورُزق فهمه، صار على بصيرة من دينه. وبالله التوفيق.

= طريق شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة به. وللحديث شواهد عن الطفيل بن سخبرة، وابن عباس، وجابر، وإن كان طريقه مرجوح وقد فصل في ذكر الشواهد شيخنا أحمد بن أبي العينين حفظه الله - في تحقيقه لكتاب «الاعتقاد» للبيهقي (ص١٧٩ - ١٨٢)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٣٧) وسيأتي الكلام على الشواهد في أحاديث آتية.

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى التيمي، حدثنا المغيرة قال: كان إبراهيم رحمه الله .. فذكره، وإسماعيل بن إبراهيم ضعيف.

والعلم لا يؤخذ قَسْرًا، وإنما يؤخذ بأسباب ذُكر بعضها في قوله:

أخي، لـن تـنـال العـلم إلا بستة ... سأنبيك عــن تـفـصيلها بـبيان
ذكاء، وحـرص، واجتهاد، وبلغة ... وإرشـاد أسـتاذ، وطـول زمـان

وأعظم من هذه الستة: من رَزقه اللَّه تعالى الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله. فهو الموفَّق لمن شاء من عباده؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى، حيثُ قال:

والجـهل داءٌ قــاتل وشـفـاؤه ... أمـران فـي التـركـيب مُـتـفـقـان
نصٌّ من القـرآن، أو من سنـــة ... وطـبـيب ذاك الـعــالـم الربـانـي
والعلم أقـسـام ثلاث، مـا لهـا ... مــن رابــع، والحق ذو تبـيـان
عـلم بـأوصـاف الإلـه وفـعـلـه ... وكـذلـك الأسـمـاء للرحـمـن
والأمـر والنهـي الذي هو دينـه ... وجـزاؤه يـــوم المـعـــاد الثاني
والكـل في القرآن والسنن التـي ... جـاءت عـن المبعوث بالـقرآن
واللَّه مـا قـال امرؤ متـحذلق ... بســواهمـا إلا مـــن الهـذيـان

* * *

(٤٢)

بـاب
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف الله

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حَلَف بالله فليصْدُق، ومن حُلف له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله»[1] رواه ابن ماجه بسند حسن.

ش: قوله: «لا تحلفوا بآبائكم» تقدم النهي عن الحلف بغير اللَّه عمومًا.

قوله: «من حلف بالله فليصدُق» هذا مما أوجبه اللَّه على عباده، وحضَّهم عليه في كتابه؛ قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وهو حال أهل البر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه ابن ماجه (٢١٠١) حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة، ثنا أسباط بن محمد، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، فذكره مرفوعًا. ومحمد بن عجلان مضطرب في حديث نافع، قاله العقيلي، كما في «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٠٥)، وقال يحيىٰ القطان: كان ابن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع ولم يكن له تلك القيمة عنده، كما عند العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١١٨) وقد رواه البخاري (٦٦٤٦، ٦٦٧٩)، ومسلم (طرف حديث ١٦٤٦) من طريق مالك والليث وجويرية، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» وتابع نافع علىٰ ذلك سالم وعبد الله بن دينار.
انظر: «البخاري» (٦٦٤٨)، ومسلم (حديث ١٦٤١) وأطرافه.

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله: «من حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله»، أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلَفَه، فلا ريب أنه يجب عليه الرضا.

وأما إذا كان فيما يجري بين الناس، مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك. فهذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً، أو متبرئًا من تُهمة. ومن حقه عليه: أن يُحسن به الظن إذا لم يتبين خلافُه؛ كما في الأثر عن عمر: ولا تظنَنْ بكلمة خرجت من أخيك شراً وأنت تجدُ لها من الخير محملاً[1].

وفيه: من التواضع والأُلفة والمحبة، وغير ذلك من المصالح التي يحبها اللّه ما لا يخفى على من له فهم؛ وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله. ثم إنه يدخل في حُسن الخُلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد؛ كما في الحديث[2] وهو من مكارم الأخلاق.

فتأمل أيها الناصح لنفسه ما يصلحك مع اللّه تعالى: من القيام بحقوقه وحقوق عباده، وإدخال السرور على المسلمين، وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم؛ فإن فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال. وبسط هذه الأمور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الأدب وغيرها. فمن رُزق ذلك، والعمل بما ينبغي العمل به منه، وترك ما يجب تركه من ذلك: دل على وفور دينه، وكمال عقله، واللّه الموفق والمُعين لعبده الضعيف المسكين. واللّه أعلم.

---

(١) قال محقق فتح المجيد ط. الصميعي(٢/ ٦٩٨) د/ الوليد آل فريان أخرجه أحمد في كتاب «الزهد» كما في«الدر المنثور» (٧/ ٥٦٥) وقال محقق فتح المجيد ط. مؤسسة قرطبة أبي محمد أشرف بن عبد المقصود راجع الفرق بين النصيحة والتعبير (ص١٣) لابن رجب حيث ذكر هذا الأثر.

(٢) إسناده صحيح: رواه الترمذي (٢٠٠٣) وأبو داود (٤٧٩٩) وأحمد (٦/ ٤٤٢، ٤٤٦) وابن أبي عاصم في«السنة» (٢٧٠) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص١٠). والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٢٨) وعبد بن حميد (٢٠٤)والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٠٥) وغيرهم من طرق عطاء بن نافع «الكيخاراني» عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به مرفوعاً وفيه أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن. وفي الحديث نوع خلاف لا يضر انظر «العلل» للدارقطني (٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٣) وانظر تحقيق مسند أحمد (٢٧٤٩٦) ط. الرسالة وصححه الشيخ الألباني (٨٧٦).

(٤٣)

بـاب

قول: ما شاء الله وشئت

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول: ما شاء الله وشئت، عن قُتَيلة: أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تُشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت[١]. رواه النسائي وصححه.

ش: قوله: (عن قُتيلة). ـ بمثناة مصغَّرة ـ بنت صيفي الأنصارية، صحابية مهاجرة، لها حديث في (سنن النسائي)، وهو المذكور في الباب. ورواه عنها عبد اللَّه ابن يسار الجُعفي.

وفيه: قبول الحق ممن جاء به كائنًا من كان.

وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيتُ اللَّه التي حجُّها وقصدها بالحج والعمرة فريضة.

وهذا يبين أن النهي عن الشرك باللَّه عام، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرَّب ولا لنبي مرسل، ولا للكعبة التي هي بيت اللَّه في أرضه.

وأنت ترىٰ ما وقع من الناس اليوم، من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله. ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع، وإنما شرع اللَّه لعباده الطواف بها والعبادة عندها، وجعلها للأمة قبلة. فالطواف بها مشروع، والحلف بها ودعاؤها ممنوع.

فَمَيِّزْ أيها المكلف بين ما يُشرع وما يمنع، وإن خالفك من جهلة الناس

---

(١) إسناده صحيح: إلا أن له علة وسبق الكلام عليه تحت باب قول الله تعالي ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾. تحت الكلام على حديث عمر بن الخطاب ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.

الذين هم كالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلاً.

قوله: (إنكم تُشركون؛ تقولون ما شاء اللَّه وشئت)، والعبد وإن كان له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله، ولا قدرة له على أن يشاء شيئًا إلا إذا كان اللَّه قد شاءه؛ كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠].

وفي هذه الآيات والحديث: الردُّ على القدرية والمعتزلة نفاة القدر، الذين يُثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراد اللَّه تعالى من العبد وشاءه.

وسيأتي ما يُبطل قولهم - في باب ما جاء في مُنكري القَدَر - إن شاء الله، وأنهم مجوس هذه الأمة.

وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة اللَّه في كل شيء، مما يوافق ما شرعه اللَّه وما يخالفه: من أفعال العباد وأقوالهم. فالكلُّ بمشيئته وإرادته، فما وافق شرعه رضيه وأحبه، وما خالفه كرهه من العبد؛ كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك؛ فإن النبي ﷺ أقر اليهودي على قوله: إنكم تشركون.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وله أيضًا، عن ابن عباس: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني للَّه ندًا، بل ما شاء الله وحده»(١).

ش: هذا يُقرِّر ما تقدَّم: من أن هذا شرك؛ لوجود التسوية في العطف بالواو.

---

(١) إسناده حسن: رواه ابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٢٥) وأحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٤٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٤٦)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٦) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢١٧)، وفي «الأسماء والصفات» (٢٩٣)، وابن المبارك في «مسنده» (١٨١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٦٧) من طرق عن الأجلح عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر، فقال: ماشاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ أجعلتني لله =

وقوله: «أجعلتني لله نداً؟» فيه: بيان أن من سوّى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله نداً لله، شاء أم أبى. خلافًا لما يقوله الجاهلون بما يختص بالله تعالى من عبادته، وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه. ومن يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين[1].

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولابن ماجه: عن الطُّفيل - أخي عائشة لأُمِّها - قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلتُ: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عُزيرٌ ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررتُ بنفر من النصارى، فقلتُ: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت، أخبرتُ بها من أخبرت. ثم أتيتُ النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «هل أخبرتَ بها أحداً؟» قلتُ: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»[2].

ش: قوله: (عن الطفيل أخي عائشة لأمها). هو الطُّفيل بن عبد الله بن سَخْبرة، أخو عائشة لأمها، صحابي له حديث عند ابن ماجه، وهو ما ذكره

= عدلاً؟ قل ماشاء الله وحده وفي الإسناد: الأجلح، وهو مختلف فيه، وحديثه إلي الحسن أقرب ثم إن للحديث شواهد سبقت.

(١) جاء حديث نحوه عند البخاري (٣١١٦) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية مرفوعاً بلفظ من يرد الله به خيراً يفقه من الدين.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢١١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٩٢)، وأحمد (٥/ ٧٢)، والحاكم (٣/ ٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٢١٤، ٨٢١٥)، وأبو يعلى (٤٦٥٥)، والبخاري في «التاريخ» (٤/ ٣٦٣، ٣٦٤)، والدارمي (٢٦٩٩)، من طريق شعبة وأبي عوانة، وحماد بن سلمة، وزيد بن أبي أنيسة، وزاد الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٤٠) عبد الله بن إدريس كلهم - هؤلاء الخمسة - رووه عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن الطفيل بن سخبرة، به، وإسناده حسن. =

المصنف في الباب.

وهذه الرؤيا حق، أقرَّها رسول اللَّه ﷺ وعمل بمقتضاها، فنهاهم أن يقولوا: ما شاء اللَّه وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا: ما شاء اللَّه وحده.

وهذا الحديث والذي قبله: أمرَهم فيه أن يقولوا: ما شاء اللَّه وحده؛ ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك، من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد، المنافي للتنديد من كل وجه. فالبصير يختار لنفسه أعلىٰ مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص.

وقوله: «**كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها**» ورد في بعض الطُّرق: أنه كان يمنعه الحياء منهم. وبعد هذا الحديث الذي حدَّثه به الطفيل عن رؤياه، خطبهم ﷺ فنهىٰ عن ذلك نهيًا بليغًا.

فمازال ﷺ يبلغهم حتىٰ أكمل اللَّه له الدين وأتم له به النعمة، وبلغ البلاغ المبين، صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وفيه معنىٰ قوله ﷺ: «**الرؤيا الصالحة جزءُ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»[1].

قلت: وإن كانت رؤيا منام فهي وحي، يثبت بها ما يثبت بالوحي أمرًا ونهيًا. واللَّه أعلم.

* * *

= وقد خالفهم معمر، فرواه عن عبد الملك بن عمير، فذكره مرسلاً، كما عند عبد الرزاق (١٩٨١٣) ورواه معمر كذلك عن عبد الملك، عن جابر بن سمرة به، كما عند ابن حبان «إحسان» (٥٧٢٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٣٧).

وخالفهم سفيان أيضاً، فرواه عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة، كما عند النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٨٢٠)، وابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٣٩٣)، والبخاري في«التاريخ» (٤/ ٣٦٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٩١)، ورواية الجماعة أصح. والله أعلم، وقد رجح البخاري رواية الجماعة ـ الرواية الأولىٰ ـ كما في «التاريخ» (٤/ ٣٦٤)، ونقل الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٤٠) أن هذه الرواية هي التي رجحها الحفاظ، وأن ابن عيينة وهم في قوله عن حذيفة. والله أعلم. اهـ.

قلت: وللحديث شواهد من حديث ابن عباس، ومن حديث حذيفة وغيرهما، وسبق الكلام عليها، وبها يصحح الحديث.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٢٦٦٤، ٢٢٦٥).

(٤٤)

بـاب
من سَبَّ الدهر فقد آذى الله

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب من سَبَّ الدهر فقد آذى الله.

وقـول الله تعـالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]. في الصحـيح: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يُؤذيني ابن آدم، يَسُبُّ الدهر وأنا الدهر، أُقَلِّبُ الليل والنهـار»، وفي رواية: «لا تسبوا الـدهر، فإن الله هو الدهر».

ش: قال العمـاد ابن كثير في (تفـسيره): يُخبر تعـالىٰ عن دَهْرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ ما ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة.

وهذا يقـوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم يُنكرون البداءة والرَّجعة.

وتقـوله الفلاسفـة الدهرية [الدَّورية]، المنكرون للصانع، المعتـقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلىٰ مـا كـان عليه. وزعـموا أن هـذا قد تكرر مرات لا تتناهىٰ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَـا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الـدَّهْـرُ﴾ قـال سبـحانه: ﴿وَمَـا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ أي: يتـوهَّـمـون ويتخيَّلون.

فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا (الصحيح)، وأبو داود، والنسائي، من رواية سُفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة، قال: قال رســول اللَّه ﷺ: «يقـول الله تعـالى: يؤذيني ابن آدم يَسُبُّ الدهر وأنا الدهر، بيـدي

الأمر، أُقلب الليل والنهار»[١] . وفي رواية : **«لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»**[٢] . وفي رواية : **«لا يقل ابن آدم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أُرسل الليل والنهار، فإذا شئتُ قبضتهما»**[٣] .

قال في (شرح السنة) : حديثٌ متفق على صحته، أخرجاه من طريق مَعْمرٍ، من أوجه عن أبي هريرة، قال: ومعناه أن العرب كانت من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر. فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلى الله عز وجل؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها ، فنُهوا عن سب الدهر. انتهى باختصار .

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًا، بهذا الطريق. قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ ويسبُّون الدهر، فقال الله عز وجل: **«يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»**[٤] .

وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أحمد بن منصور، عن شُريح بن النعمان ، عن ابن عيينة، مثله .

ثم روى : عن يونس، عن ابن وهب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : **«يقول الله تعالى: يسب ابن آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار»**[٥] وأخرجه صاحب الصحيح، والنسائي من حديث يونس بن يزيد به .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٨٢٦) ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم طرف حديث (٢٢٤٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم طرف حديث(٢٢٤٦).

(٤) إسناده صحيح: رواه الطبري (٣١٢٠٧) حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره مرفوعا.

(٥) صحيح: رواه ابن أبي حاتم (١٨٥٣٧) وسبق عند مسلم (٢٢٤٦) من طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة به.

وقال محمد بن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: استقرضتُ عبدي فلم يعطني، وسبني عبدي، يقول: وادهراه، وأنا الدهر**»(١).

قال الشافعي، وأبو عبيد، وغيرُهما من الأئمة، في تفسير قوله: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**» كانت العربُ في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو ملامة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله. فكأنهم إنما سبوا اللَّه سبحانه؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة. فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن اللَّه هو الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره - وهو المراد - واللَّه أعلم.

وقد غَلِطَ ابنُ حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية، في عَدِّهم الدهر من الأسماء الحسنى؛ أَخذاً من هذا الحديث. انتهى.

وقد تبين معناه في الحديث، بقوله: «**أُقلب الليل والنهار**» وتقليبُه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.

وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رحمه الله، وهي قوله: «**بيدي الأمر**».

قوله: وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**».

ومعنى هذه الرواية: هو ما صرَّح به في الحديث، من قوله: «**وأنا الدهر، أُقلِّبُ الليل والنهار**» يعني: أن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة اللَّه وتدبيره بعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فالواجب عند ذلك حمدُه في الحالتين، وحُسنُ الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة

---

(١) حسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد حديث (٧٩٨٨) والحديث رواه أحمد (٢/ ٣٠٠، ٥٠٦)وأبو يعلى (٦٤٦٦) وابن خزيمة (٢٤٧٩) وفي إسناده خطأ انظر تحقيق مسند أحمد والطبري في «تفسيره»(٣١٢١٠) والحاكم (١/ ٤١٨) والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٤٣) من طريق محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا وابن إسحاق مدلس وقد عنعن.
ورواه ابن أبي عاصم في«السنة» (٥٩٨) وإبراهيم بن طهمان في مشيخته (١٠٥)، والطبري (٢٥/ ١٥٢)- كما عزاه إليهما الشيخ شعيب في تحقيق المسند من طريق ابن طهمان ومحمد بن جعفر وابن أبي حازم، ثلاثتهم عن العلاء به.
واقتصر ابن أبي عاصم في روايته على الشطر الثاني.

والإنابة؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ونسبةُ الفعل إلى الدهر، ومسبته كثيرٌ في أشعار المولَّدين، كابن المُعتز، والمتنبي، وغيرهما.

وليس منه وصفُ السنين بالشدة ونحو ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨].

قال بعض الشعراء:

إن الليالي من الزمان مهولة ... تُطوَى وتُنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وقول أبي تمام:

أعوامُ وصل كاد يُنسى طيبها ... ذكر النوى، فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت ... نحوي أسًى، فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

* * *

(٤٥)

باب

التسمي بقاضي القضاة ونحوه

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

ش: ذكر المصنف رحمه اللَّه هذه الترجمة: إشارة إلىٰ النهي عن التسمي بقاضي القضاة، قياسًا علىٰ ما في حديث الباب؛ لكونه يُشبه في المعنىٰ فيُنهىٰ عنه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: في الصحيح: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمَّى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله»[(١)].

قال سُفيان: مثلُ شاهان شاه[(٢)].

ش: لأن هذا اللفظ إنما يصدق علىٰ اللَّه تعالىٰ. فهو مَلِكُ الأملاك، لا ملك أعظم ولا أكبر منه، مالك الملك ذو الجلال و الإكرام. وكل ملَك يؤتيه اللَّه من يشاء من عباده فهو عارية يُسرع ردها إلىٰ المعير، وهو الله. ينزع الملك من ملكه تارة، وينزع الملك منه تارة فيصير لا حقيقة له سوىٰ اسم زال مسماه.

وأما رب العالمين فملكه دائم كامل لا انتهاء له، بيده القسط يخفضه ويرفعه، يحفظ علىٰ عباده أعمالهم بعلمه سبحانه، وما تكتبه الحفظَة عليهم. فيُجازي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر؛ كما ورد في الحديث: «اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشرك كله»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٢٠٥) ومسلم (٢١٤٣).

(٢) تفسير سفيان بعد رواية البخاري (٦٢٠٥) ومسلم (٢١٤٣).

(٣) إسناده موضوع: رواه البيهقي في «الشعب» (٤٠٠) من طريق خالد بن يزيد العمري، في الأصل زيد عن =

قوله: (قال سفيان ـ يعني ابن عيينة ـ مثل شاهان شاه). عند العجم. عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مثَّل به سفيان؛ لأنه عبارة عنه بلغة العجم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثُه»[(١)].

قوله: «أخنع» يعني: أوضع.

ش: «**أغيظ**»، وهو مثل الغضب. فيكون بغيضًا إلى الله. مغضوبًا عليه، والله أعلم.

قوله: «**وأخبثه**»، وهو يدل أيضًا على أن هذا خبيث عند الله. فاجتمعت في حقه هذه الأمور؛ لتعاظمه في نفسه، وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من أعظم التعظيم. فتعظمه في نفسه وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل، وضعه عند اللّٰه يوم القيامة. فصار أخبث الخلق وأبغضهم إلى اللّٰه وأحقرهم؛ لأن الخبيث البغيض عند اللّٰه يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم، لتعاظمه على خلق اللّٰه بنعم الله.

قوله: (أخنع، يعني أوضع). هذا هو معنى أخنع، فيُفيد ما ذكرنا في معنى أغيظ، أنه يكون حقيراً بغيضًا عند الله.

وفيه: التحذير من كل ما فيه تعاظم؛ كما أخرج أبو داود، عن أبي مجلز، قال: خرج معاوية على ابن الزبير، وابن عامر. فقام ابن عامر، وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس، فإني سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: «**من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**»[(٢)] أخرجه الترمذي أيضًا، وقال: حسن.

= ابن أبي ذئب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري موفوعاً.
وخالد بن يزيد العمري كذبه غير واحدكما في الميزان نحوه عند أحمد (٥/ ٣٩٦) مختصراً من طريق رجل عن حذيفة مرفوعاً والرجل مبهم.

(١) صحيح: رواه مسلم (طرف حديث ٢١٤٣)

(٢) إسناده صحيح: رواه أبوداود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٧٥٥) وأحمد (٤/ ٩١، ٩٣، ١٠٠) وعبد بن حميد (٤١٣) وابن أبي حاتم (٢/ ٣٣٦) من طريق حبيب بن الشهيد قال سمعت أبا مجلز به وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٥٧).

وعن أبي أُمامة رضي اللَّه عنه، قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ متكئًا على عصا، فقُمنا إليه، فقال: **«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضُهم بعضًا»**(١) رواه أبو داود.

وقوله: «**أغيظ رجل**» هذا من الصفات التي تُمرُّ كما جاءت، وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك وإثباته على وجه يليق بجلال اللَّه وعظمته تعالى، إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل، كما تقدم. والباب كله واحد، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة.

وهذا التفرُّق والاختلاف إنما حدث في أواخر القرن الثالث وما بعده، كما لا يخفى على من له معرفة بما وقع في الأمة من التفرق والاختلاف والخروج عن الصراط المستقيم واللَّه المستعان.

* * *

(١) **إسناده ضعيف مضطرب**: رواه أبو داود (٥٢٣٠) وابن ماجه (٣٨٣٦) وأحمد (٥/ ٢٥٣، ٢٥٦) وابن أبي شيبة (٨/ ٣٩٧) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٣٤) وفي الدعاء (١٤٤٢) وغيرهم. من طريق أبي العنبسي عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة مرفوعًا وهذا إسناد أحمد وأبي داود وغيرهما، ولكن عند بعضهم اضطرابات في هذا الإسناد واختلاف انظر لهذا تحقيق الشيخ شعيب الارنووط لمسند أحمد (٢٢١٨١) ورسالة أخينا محمد بن فاضل في حكم القيام للقادم (ص١٠، ١١).
وضعفه الشيخ الألباني (٣٤٦) بقوله ضعيف وفي إسناده اضطرابات وضعف وجهالة وفي الإسناد أبو العدبس مجهول وأبو مرزوق فيه لين.

(٤٦)

بـاب
احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك.

عن أبي شريح: أنه كان يُكنى أبا الحكم. فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا. فما لك من الولد؟» قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح»[1] رواه أبو داود، وغيره.

ش: قوله: (عن أبي شريح)، قال: في (خلاصة التذهيب): هو أبو شريح الخُزاعي، اسمه خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثًا، واتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث، وروى عنه: أبو سعيد المقبُري، ونافع بن جُبير، وطائفة. قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين. وقال الشارح: اسمه هانئ ابن يزيد الكندي، قال الحافظ. وقيل: الحارث الضبابي، قاله المِزِّي.

قوله: (يكنى)، الكنية: ما صُدِّر بأبٍ أو أم ونحو ذلك، واللقب ما ليس كذلك، كزين العابدين ونحوه.

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٨/ ٢٢٦، ٢٢٧)، والبخاري في «التاريخ» (٨/ ٢٢٧- ٢٢٨) وفي «الأدب المفرد» (٨١١)، والبيهقي (١٠/ ١٤٥)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ رقم ٤٦٦) من طريق يزيد بن مقدام بن شريح، عن أبيه شريح، عن أبيه هانئ أبي شريح الخزاعي به وإسناده حسن ففيه يزيد بن مقدام، وهو صدوق، وتابعه قيس بن الربيع، كما عند الحاكم (٤/ ٢٧٩) في «الكبير» (٢٢/ ١٧٩ رقم ٤٦٥) فالحديث صحيح بطرقه.

وقول النبي ﷺ: «إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم» فهو سبحانه الحَكَم في الدنيا والآخرة؛ يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله علىٰ أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا ولله فيه حكمٌ مما أنزل علىٰ نبيه من الكتاب والحكمة.

وقد يسر الله معرفة أكثر ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة؛ فإنها لا تجتمع علىٰ ضلالة، فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلابد أن يكون المصيب فيهم واحدًا.

فمن رزقه الله تعالىٰ قوة الفهم، وأعطاه ملكةً يقتدر بها علىٰ فهم الصواب من أقوال العلماء، يسر له ذلك بفضله ومنّه [عليه، وإحسانه إليه. فما أجلها من عطية، فنسأل الله من فضله].

وقوله: «وإليه الحكم في الدنيا والآخرة» كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

فالحكم إلىٰ الله: هو الحُكم إلىٰ كتابه، والحكم إلىٰ رسوله: هو الحكم إليه في حياته، وإلىٰ سنته بعد وفاته.

وقد قال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلىٰ اليمن، قال له: «بِمَ تحكم؟» قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال بسنة رسول الله ﷺ. قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد رأيي. فقال: «الحمد الله الذي وفّق رسولَ رسول الله لما يرضي رسول الله»(١).

فمعاذ من أجلِّ علماء الصحابة بالأحكام ومعرفة الحلال والحرام، ومعرفة أحكام الكتاب والسنة؛ ولهذا ساغ له الاجتهاد إذا لم يجد للقضية حُكمًا في كتاب الله ولا في سنة رسوله. بخلاف ما يقع اليوم وقبله من أهل التفريط في الأحكام، ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله، فيظن أن الاجتهاد يسوغ له مع الجهل بأحكام الكتاب والسنة، وهيهات!!

وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلا الله، إذا نزل لفصل القضاء بين العباد، فيحكم بين خلقه بعلمه، وهو الذي لا يخفىٰ عليه خافية من أعمال خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا

---

(١) ضعيف: وسبق تحت باب من أطاع العلماء والأمراء.

يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. والحكم يوم القيامة إنما هو بالحسنات والسيئات، فيؤخذ للمظلوم من الظالم، من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات. وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلوم، فطُرح على سيئات الظالم(١)، لا يزيد على هذا مثقال ذرة، ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة.

قوله: **فإن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: «ما أحسن هذا»** فالمعنى ـ والله أعلم ـ أن أبا شريح لما عرف منه قومه أنه صاحب إنصاف وتحر للعدل بينهم، ومعرفة ما يُرضيهم من الجانبين، صار عندهم مرضيًا.

وهذا هو الصلح؛ لأن مداره على الرضى لا على إلزام، ولا على أحكام الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولا على الاستناد إلى أوضاع الجاهلية: من أحكام كُبرائهم وأسلافهم، التي تخالف حكم الكتاب والسنة. كما قد يقع اليوم كثيرًا، كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حكم الله ولا إلى حكم رسوله. وإنما المعتمد عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم.

وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لا يسُغ تقليده، فيعتمد على تقليده ويترك ما هو الصواب، الموافق لأصول السنة والكتاب. والله المستعان.

وقوله: **«فما لك من الولد؟»** قال: شُريح، ومسلم، وعبد الله، قال: **«فمن أكبرهم؟»** قلت: شريح، قال: **«فأنت أبو شريح»** فيه: تقديم الأكبر في الكنية وغيرها غالبًا. وجاء هذا المعنى في غير ما حديث. والله أعلم.

* * *

(١) نحو ذلك في حديث المفلس عند مسلم (٢٥٨١).

(٤٧)

بـاب
من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

قال المصنف رحمه الله تعالى: بـاب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

ش: أي: فقد كفر.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمـر، ومحمـد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتـادة ـ دخل حديث بعضهم في بـعض ـ أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مـثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكـذب ألسُنًا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسـول الله ﷺ وأصحـابه القُراء. فقال له عـوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخـبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسـول اللـه، إنما كنا نخـوض ونتـحـدث حـديث الركب؛ نقـطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه مـتعلِّقًا بنسْعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكبُ رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخـوض ونلعب. فيقول له رسول الـلـه ﷺ: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. ما يلتفتُ إليه، وما يزيده عليه.

ش: قال العماد ابن كثير رحمه اللَّه في (تفسيره): قال أبو مَعْشر المدني، عن

محمد بن كعب القُرظي، وغيره، قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرىٰ قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء. فرُفع ذلك إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول اللَّه إنما كنا نخوض ونلعب، فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، وإن رجليه ليسفعان الحجارة، وما يلتفت إليه رسول اللَّه ﷺ وهو متعلِّقٌ بنسْعَة ناقة رسول اللَّه ﷺ.

وقال عبد اللَّه بن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد اللَّه ابن عمر، قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول اللَّه ﷺ، فبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ ونزل القرآن. قال عبد اللَّه بن عمر: وأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول اللَّه ﷺ تَنكُبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول اللَّه ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[1]. وقد رواه الليث، عن هشام بن سعد، بنحو من هذا.

قال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين، منهم: وديعة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة، يقال له: مَخْشي بن حُمَيِّر، يشيرون إلىٰ رسول اللَّه ﷺ وهو منطلق إلىٰ تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ واللَّه لكأنا بكم

---

(١) حسن: رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٩٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٠٤٦) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر به، وفي الإسناد هشام بن سعد وهو ضعيف لكن روايته عن زيد بن أسلم مستقيمة، وله طريق آخر عن عبد الله بن عمر، عند ابن أبي حاتم (١٠٤٠١) مختصراً، وله شاهد من حديث كعب بن مالك، رواه ابن أبي حاتم (١٠٤٠٢) من طريق ابن إسحاق، حدثني الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، عن جده، نحوه وإسناده حسن. وحسن الحديث الشيخ مقبل في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص٧١).

أما روايات محمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة، فمراسيل، تقوي ما سبق، رواها الطبري في «تفسيره» (١٦٩٢٧، ١٦٩٣٠، ١٦٩٣٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٠٤٩)، وله مرسل آخر عن سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم (١٠٤٠٠).

غداً مقرَّنين في الحبال؛ إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين. فقال مَخشي بن حُميِّر: والله لوددت أني أُقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وإنا نتفلَّت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - لعمار بن ياسر: «**أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا: فإن أنكروا، فقل: بلى قُلتم كذا وكذا**» فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم. فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت - ورسول الله ﷺ واقف على راحلته - فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فقال مَخْشي بن حُميِّر: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكأن الذي عناه - أي بقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ - في هذه الآية: مخشي بن حمير، فسُمِّي: عبد الرحمن، وسأل الله أن يُقتل شهيداً لا يُعلم بمكانه، فقُتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر[1].

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية: كان رجل ممن - إن شاء الله - عفا عنه، يقول: اللهم إني أسمع آيةً أنا أُعنَى بها، تقشعر منها الجلود ويجبُ منها القلب. اللهم فاجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسَّلت، أنا كفنت، أنا دفنت، قال: فأُصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره[2].

قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ أي: لا يُعفى عن جميعكم، ولابد من عذاب بعضكم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة، انتهى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد أمره الله أن يقول: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وقول من يقول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم: لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم؛ فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أُريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يُظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم مازالوا

---

(١) ذكره ابن هشام (القسم الثاني الجزء الرابع)/ ص٥٢٤) والحديث المرفوع لم يثبت لأنه بلاغ من ابن إسحاق إلى النبي ﷺ لا إسناد له.

(٢) إسناده صحيح: إلى عكرمة رواه الطبري في «تفسيره» (١٦٩٢٩) من طريق أيوب عن عكرمة فذكره.

كذلك، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين.

وقال رحمه الله في موضع آخر: فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم: إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب.

وبيَّن أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدراً بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام. والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه؛ كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧، ٥١] نفي الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبيَّن أن هذا من لوازم الإيمان. انتهى.

وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها، أو عمل يعمل به. وأشدها خطراً إرادات القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له، ويُفيد الخوف من النفاق الأكبر؛ فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء إيماناً قبل أن يقولوا ما قالوه، كما قال ابن أبي مُليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[1].

نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) **إسناده ضعيف**: رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ١١٠) معلقاً ووصله محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٨) وابن أبي خيثمة في تاريخه كما ذكر الحافظ في تغليق التعليق (٢/ ٥٢) من طريق الصلت بن دينار عن عبد الله بن أبي مليكة به. والصلت بن دينار متروك. والبخاري في «التاريخ» (٥/ ١٣٧) ومن طريق الخلال في السنة (١٠٨١) والحافظ في «تغليق التعليق» (٢/ ٥٢-٥٣) من طريق يحيى بن يمان عن سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة فذكره.
ويحيى بن يمان ضعيف وابن جريج مدلس وقد عنعن.

(٤٨)

بــاب

قول الله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت: ٥٠].

ش: ذكر المصنف رحمه اللّه تعالىٰ عن ابن عباس، وغيره من المفسرين - في معنىٰ هذه الآية وما بعدها - ما يكفي في المعنىٰ ويشفي.

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال مُجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به[١]. وقال ابن عباس: يُريد من عندي[٢]. وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨].

قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب[٣]. وقال آخرون: على علم

---

(١) في إسناده ضعف: رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٥٩٩) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وابن أبي نجيح ثقة، ربما دلس، وقد عنعن، وطعن بعضهم في سماعه التفسير من مجاهد.

(٢) أثر ابن عباس لم أقف عليه.

(٣) حسن: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠١٢٣)، والطبري (٣٠١٧٠) من طريق سعيد، عن قتادة، ذكر الآية، ثم قال: على خير عندي، وعلم عندي، وذكر القطان أن سعيداً لم يسمع التفسير من قتادة «الجرح والتعديل» (١/ ٢٤٠) ولكن تابعه معمر، عن قتادة كما عند الطبري في «تفسيره» (٢٧٦١٩)، وفي رواية معمر، عن قتادة مقال، إلا أن الأثر يحسن بمجموعها.

من الله أني له أهل[١]. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

ش: وليس فيما ذكروه اختلاف، وإنما هي أفراد المعنى.

قال العماد ابن كثير رحمه الله ـ في معنى قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩]. يُخبر أن الإنسان في حال الضرِّ يضرع إلى الله عز وجل، ويُنيب إليه ويدعوه، ثم إذا خوَّله نعمةً منه طغى وبغى و﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: لما يعلم الله استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيص لما خوَّلني هذا. قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي: ليس الأمر كما زعم، بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ مع علمنا المتقدم بذلك ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلهذا يقولون ما يقولون، ويدَّعون ما يدَّعون ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: هذه المقالة، وزعم هذا الزعم، وادَّعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: فما صح قولهم، ولا نفعهم جمعُهم وما كانوا يكسبون؛ كما قال تعالى مخبراً عن قارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٦-٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] انتهى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملَكًا. فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال:

(١) في إسناده ضعف: رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠١٧١) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وانظر علته في أول أثر هذا الباب.

فمسحه فذهب عنه قذره، فأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا. قال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ فأُعطي ناقةً عُشراء، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال: أيُّ شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه، فذهب عنه، وأُعطي شعرًا حسنًا. قال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرة أو الإبل، فأُعطي بقرة حاملاً. فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيءٍ أحب إليك؟ قال: أن يرد الله عليَّ بصري، فأُبصر به الناس. فمسحه، فردَّ الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاةً والدًا، فأُنتج هذان، وولَّد هذا. فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري هذا، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلَّغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة! فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله المال؟ فقال: إنما ورثتُ هذا المال كابرًا عن كابر، قال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال له: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: فأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل. قد انقطعت بي الحبال في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله عليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهَدُك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» أخرجاه[1].

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٦٤، ٦٦٥٣)، ومسلم (٢٩٦٤).

ش: (أخرجاه). أي: البخاري ومسلم.

والناقة العُشراء - بضم العين وفتح الشين وبالمد - هي الحامل.

قوله: «أُنتج» وفي رواية: «فنتَج» معناه: تولَّىٰ نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة.

قوله: «ولَّد هذا» هو بتشديد اللام، أي: تولَّىٰ ولادتها، وهو بمعنىٰ: «أُنتج» في الناقة. فالمولد والناتج والقابلة بمعنىٰ واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره.

وقوله: «انقطعت بي الحبال» هو بالحاء المهملة والباء الموحَّدة، أي الأسباب.

وقوله: «لا أجهَدُك» معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه، أو تطلبه من مالي، ذكره النووي.

وهذا حديث عظيم، وفيه مُعتبر: فإن الأولين جحدا نعمة الله، فما أقرَّا للّه بنعمة، ولا نسبا النعمة إلىٰ المُنعم بها، ولا أديا حق اللّه فيها بنعمه، فحلَّ عليهما السخط.

وأما الأعمىٰ: فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلىٰ من أنعم عليه بها، وأدَّىٰ حق اللّه فيها. فاستحق الرضا من اللّه بقيامه بشكر النعمة، لما أتىٰ بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتُها إلىٰ المُنعم، وبذلُها فيما يحب.

قال العلامة ابن القيم: أصل الشكر: هو الاعتراف بإنعام المُنعم، علىٰ وجه الخضوع له والذل والمحبة. فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها، لم يشكرها. ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضًا. ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها. ومن عرف النعمة والمنعم، وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه، لم يشكرها أيضًا. ومن عرفها وعرف المنعم وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها. فلابد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلىٰ المنعم ومحبته والخضوع له.

قوله: «قد قذرني الناس» بكراهة رؤيته وقربه منهم.

* * *

(٤٩)

بـاب

قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

ش: قال الإمام أحمد رحمه الله ـ في معنى هذه الآية ـ: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، عن النبي ﷺ قال: **«لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سَمِّيه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش. فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»**(١).

وهكذا رواه ابن جرير، عن محمد بن بشار، بُندار، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، به.

ورواه الترمذي ـ في تفسير هذه الآية ـ عن محمد بن المثنى، عن عبد الصمد، به، وقال: هذا حديث حسن غريب؛ لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم. ورواه

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٠٧٧) وأحمد (٥/ ١١) والطبري في «تفسيره» (١٥٥٢٤) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٦٣٧) والحاكم (٢/ ٥٤٥) والطبراني في «الكبير» (٦٨٩٥) وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٩) من طريق عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة.

وفي رواية عمر بن إبراهيم العبدي عن قتادة ضعف وقتادة والحسن مدلسان وقد عنعنا وفي سماع الحسن من سمرة خلاف والصواب لم يسمع منه إلا حديث العقيقة وقيل غيرهما.

وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الرحمن ولم يرفعه.

وقد أعله الحافظ ابن كثير بثلاث علل في تفسيره وصوب أن تفسير الآية في بعض ذرية آدم ممن أشرك (٢/ ٢٣٩).

بعضُهم عن عبد الصمد ولم يرفعه.

ورواه الحاكم في (مستدركه)، من حديث عبد الصمد، مرفوعًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في (تفسيره)، عن أبي زُرعة الرازي، عن هلال بن فيّاض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعًا.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم[1].

وحدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارىٰ، رزقهم الله أولادًا فهوّدوا ونَصَّروا[2]. وهذا إسناد صحيح عن الحسن رحمه الله.

قال العماد ابن كثير في (تفسيره): وأما الآثار: فقال محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادًا فتُعبِّدهم لله، وتُسمِّيه: عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت؛ فأتاها إبليس وآدمَ فقال: أما إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش، فولدت له رجلاً فسمَّاه عبد الحارث، ففيه أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] إلىٰ آخر الآية[3].

وقال العوفي، عن ابن عباس: فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون: أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل؛ إنه غويٌّ مبين. وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٥٣٧) حدثنا ابن وكيع به وسفيان بن وكيع ضعيف ضعف لوراقه السوء.

(٢) رجاله ثقات: رواه الطبري في «تفسيره» (١٥٥٣٧) من طريق سعيد عن قتادة وقد بين الكلام في هذه الرواة فيما سبق ـ خاصة في التفسير.

(٣) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥٥٢٧) من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس به وفي رواية داود عن عكرمة منكرة وفي الإسناد إلىٰ داود بن حميد وهو ضعيف وابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

سويًا، ومات كما مات الأول. فسمّيا ولدَهما عبد الحارث، فذلك قول اللَّه تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

وذكر مثله: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ورواه ابن أبي حاتم[٢].

وقد تلقّىٰ هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه: كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير[٣]، ومن الطبقة الثانية: قتادة، والسدي[٤]، وجماعة من الخلف. ومن المفسرين ومن المتأخرين، جماعات لا يحصون كثرة.

قال العماد ابن كثير: وكأن أصله ـ واللَّه أعلم ـ مأخوذ من أهل الكتاب.

قلتُ: وهذا بعيد جداً.

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك. حاشى عبد المطلبّ[٥].

ش: ابن حزم: هو عالم الأندلس، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري. صاحب التصانيف، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة. وله اثنتان وسبعون سنة.

وعبد المطلب هذا: هو جدُّ رسول اللَّه ﷺ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قُصي ابن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعدّ بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه. ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

حكىٰ رحمه الله: اتفاق العلماء علىٰ تحريم كل ما عُبِّد لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية والإلهية؛ لأن الخلق كلَّهم ملك للَّه وعبيد له، استعبدهم لعبادته وحده،

---

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبري (١٥٥٢٨) بإسناد العوفي عن ابن عباس وهو مسلسل بالضعفاء.

(٢) إسناده ضعيف: وسيأتي قريبًا تخريجه.

(٣) ساق هذه الآثار الطبري (١٥٥٣٠، ١٥٥٣٣، ١٥٥٣٤، ١٥٥٣٥) وابن أبي حاتم (٨٦٤٤).

(٤) انظر الطبري (١٥٥٣٢، ١٥٥٣٦) وابن أبي حاتم (٨٦٤٥).

(٥) ابن حزم في «مراتب الإجماع» (ص ١٥٤).

وتوحيده في ربوبيته وإلهيته: فمنهم من عبد الله وحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقرَّ له بربوبيته وأسمائه وصفاته. وأحكامه القدرية جارية عليهم ولابُدَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] فهذه هي العبودية العامة. وأما العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] ونحوها.

قوله: (حاشىٰ عبد المطلب)، هذا استثناء من العموم المستفاد من كل. وذلك أن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيه؛ لأن أصله من عبودية الرق.

وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبة هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج؛ لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة، فجاءت منه بهذا الابن. فلما شبَّ في أخواله وبلغ سن التمييز، سافر به عمُّه المطلب إلىٰ مكة بلد أبيه وعشيرته. فقدم به مكة وهو رديفه، فرآه أهل مكة وقد تغيَّر لونُه بالسفر، فحسبوه عبدًا للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب. فعَلِق به هذا الاسم وركبه، فصار لا يذكر ولا يُدعىٰ إلا به، فلم يبق للأصل معنىٰ مقصود. وقد قال النبي ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب»(١).

وقد صار معظمًا في قريش والعرب، فهو سيِّدُ قريش وأشرفُهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم وصارت له وفي ذريته من بعده.

وعبد الله: والد رسول الله ﷺ أحد بني عبد المطلب، وتوفي في حياة أبيه؛ قال الحافظ صلاح الدين العُلائي في كتابه (الدرة السنية في مولد خير البرية): كان سنُّ أبيه عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله ﷺ نحو ثمانية عشر عامًا، ثم ذهب إلىٰ المدينة ليمتار منها تمرًا لأهله، فمات بها عند أخواله بني النجار، والنبي ﷺ حملٌ علىٰ الصحيح. انتهىٰ.

قلتُ: وصار النبي ﷺ لما وضعته أُمُّه في كفالة جده عبد المطلب.

قال الحافظ الذهبي: وتوفي أبوه عبد الله وللنبي ﷺ ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل: أقل من ذلك، وقيل: وهو حمل. توفي بالمدينة، وكان قد قدمها ليمتار بها

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٦٤) ومسلم (١٧٧٦).

تمراً، وقيل: قد مرَّ بها راجعًا من الشام، وعاش خمسة وعشرين سنة.

قال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سنِّه ووفاته.

وتُوفيت أُمُّه آمنة بالأبواء، وهي راجعة به ﷺ إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار، وهو يومئذ ابنُ ست سنين ومائة يوم. وقيل: ابن أربع سنين.

فلما ماتت أُمُّه حملته أمُّ أيمن مولاته إلى جده، فكان في كفالته إلى أن تُوفي جدُّه، وللنبي ﷺ ثمان سنين، فأوصى به إلى عمه أبي طالب. انتهى كلام الحافظ.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن عباس في الآية، قال: لما تَغشَّاها آدم حملت، فأتاهما إبليسُ. فقال: إني صاحبُكما الذي أخرجتكما من الجنة، لَتُطيعُنني،أو لأجعلنَّ له قَرْني أيِّل، فيخرج من بطنك فيشقه. ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ، يخوِّفهما. سمِّياه عبد الحارث. فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتًا. ثم حملت، فأتاهما. فقال مثل قوله. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما. فأدركهما حُبُّ الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قولُه: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾[1] رواه ابن أبي حاتم.

ش: قد قدَّمنا نظيره عن ابن عباس في المعنى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وله بسند صحيح، عن قتادة، قال: شُركاء

(١) إسناده ضعيف:رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٦٥٤) من طريق شريك عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف، لضعف شريك وخصيف ورواه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٩٧٣) من طريق عتاب بن بشير، قال نا خصيف، عن مجاهد وسعيد بن جبير، عن ابن عباس به، وخصيف سيئ الحفظ، ورواية عتاب عنه منكرة، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» إلى ابن المنذر (٣/ ٢٧٧ط. دار الكتب العلمية).

وهذا الأثر له طرق بمعناه، انظر الطبري في «التفسير» (١٥٥٢٩) في تفسير الآية رقم (١٩٠) من سورة الأعراف، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره، وابن كثير في تفسيره عند هذه الآية، وقال ابن كثير بعد أن ذكر هذه الآثار وهذه الآثار يظهر عليها ـ والله أعلم ـ أنها من آثار أهل الكتاب (٢/ ٢٤٠)، ورجح ابن كثير أنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، لهذا قال الله تعالى ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾.

في طاعته، ولم يكن في عبادته[١] . وله بسند صحيح، عن مجاهد ـ في قوله: ﴿لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا[٢]. وذُكر معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما[٣] .

ش: قال شيخُنا رحمه الله: إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم تُقصد حقيقتها.

وهو محمل حسن، يُبين أن ما وقع من الأبوين، من تسميتهما ابنهما عبد الحارث: إنما هو مجرد تسمية، لم يقصدا تعبيده لغير الله. وهذا معنى قول قتادة: شُركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

* * *

(١) حسن: رواه الطبري (١٥٥٣١) من طريق معمر، عن قتادة به، وفي رواية معمر عن قتادة ضعف، لكن تابعه سعيد، عن قتادة به (١٥٥٣٢). وسبق أن نقلنا قول يحيى بن سعيد القطان، أن سعيد لم يسمع التفسير من قتادة، وبمجموعهما يحسن الأثر. والله أعلم.

(٢) في إسناده ضعف: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٦٤٨) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد به، وابن أبي نجيح ثقة، ربما دلس، وقد عنعن، ثم إنه لم يسمع التفسير من مجاهد كما قال بعض أهل العلم.

(٣) في إسناده ضعف: رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٦٥٠) من طريق معمر، عن الحسن، قال: «غلام» ومعمر عن البصريين فيها ضعف، والحسن بصري، وروىٰ نحوه سعيد بن جبير، كما عند ابن أبي حاتم (٨٦٥١) من طريق سالم بن أبي حفصة سمعت سعيد بن جبير. فقال: «مثل خلقنا» وسالم متكلم فيه.

(٥٠)

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعـراف: ١٨١] ذكر ابنُ أبي حاتم، عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يُشركون[(١)]. وعنه: سموا اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز[(٢)]. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها[(٣)].

ش: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه: أن رسول اللّه ﷺ قال: «إن للّه تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، مَن أحصاها دخلِ الجنة، وهو وترٌ يحب الوتر»[(٤)] أخرجاه في (الصحيحين)، من حديث سُفيان بن عيينة. ورواه البخاري، عن أبي

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥٤٦٦)، وابن أبي حاتم (٨٥٨٣) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «الذين يلحدون في أسمائه» التكذيب، واللفظ لابن أبي حاتم، وللطبري قال: الإلحاد: التكذيب، وسقط عند الطبراني ذكر علي بن أبي طلحة، وهذا إسناد ضعيف لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، ثم ان عليًا فيه كلام أما تفسيره بـ: يشركون فهو مروي عن قتادة، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٥٨٤)، والطبري (١٥٤٦٧)، وابن أبي حاتم (٨٥٨٦) من طريق معمر، عن قتادة قوله ورواية معمر، عن قتادة فيها ضعف.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٥٨٤)، والطبري (١٥٤٦٤)، عن ابن عباس قوله: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه» قال: الإلحاد، الملحدين أن دعوا اللات والعزىٰ في أسماء الله عز وجل. وإسناده مسلسل بالضعفاء، فقد روياه بإسناد العوفي عن ابن عباس.

(٣) **إسناده ضعيف جداً**: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٥٨٧) من طريق مبشر بن عبيد القرشي، عن الأعمش به، ومبشر متروك.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٧٣٩٢).

اليمان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عنه(٥).

وأخرجه [الترمذي عن] الجوزجاني، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شُعيب بسنده، مثله.

وزاد بعد قوله: «يُحب الوتر: **هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعزّ، المذل، السميع، البصير، الحكَم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المُجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الوليّ، الحميد، المحصي، المبدئ، المُعيد، المحيي، المميت، الحيّ، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدّم، المؤخّر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المُتعالي، البرّ، التواب، المنتقم، العفوّ، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع،**

---

(١) **ضعيف:** رواه الترمذي(٣٥٠٧)، والبغوي (١٢٥٧) وابن حبان (٨٠٨) والحاكم (١/ ١٦) وابن منده في التوحيد (٢٣٢)، (٢٤٥)، (٢٦٠)، (٣٦٦) والبيهقي في «الشعب» (١٠٢) وفي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٧-٢٨)، وفي الاعتقاد (ص٤٥) وفي الأسماء والصفات (٦) والطبراني في الدعاء (١١١) من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم نا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.
والوليد بن مسلم مدلس تدليس تسوية وصرح عن شيخه إلا أنه عنعن الإسناد ثم أنه قد خالفه الوليد بن مسلم أبا اليمان الحكم بن نافع وعلي بن عباس وبشير بن شعيب فزاد في روايته ذكر الأسماء ورواه الأثبات عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بدون ذكر الأسماء. منهم مالك وابن عيينة وذلك مما يؤكد شذوذ الوليد بن مسلم بسرد الأسماء و انظر تحقيق شيخنا أبي عبد الله أحمد بن أبي العينين في الاعتقاد للبيهقي.
وقد أعل هذا الحديث بالاضطراب والإدراج والضعف انظر الفتح (١١/ ٢١٤) و«التلخيص الحبير» (٤/ ١٧٢) والمحلى لابن حزم (٨/ ٣١) والفتاوى لابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢) وتفسير الحافظ ابن كثير (٢/ ٢٦٩) وتحقيق صحيح ابن حبان (٣/ ٨٩-٩١) للشيخ شعيب الأرناؤوط، ورواه ابن ماجه (٣٨٦١) من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني عن أبي المنذر زهير بن محمد التيمي حدثنا موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا. وعبد الملك بن محمد الصنعاني ضعيف ورواية الشاميين عن زهير بن محمد ضعيفة وعبدالملك شامي.
ورواه إسماعيل بن محمد في «الحجة» (٤٢) من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن موسى بن =

النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»(١).

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

[والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ: أن سرد الأسماء في هذا الحديث] مدرج فيه. وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم، وعبد الملك الصنعاني، عن زُهير بن محمد: أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك. أي: إنهم جمعوها من القرآن؛ كما رُوي عن جعفر بن محمد، وسفيان، وأبي زيد اللغوي. والله أعلم.

هذا ما ذكره العماد ابن كثير في (تفسيره). ثم قال: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين؛ بدليل ما رواه أحمد، عن يزيد بن هارون، عن فُضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجُهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: **«ما أصاب أحداً قط همّ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدُك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك. أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي. إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا»** فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى. ينبغي لمن سمعها أن

= عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة موفوعاً.

والوليد شامي، ولعله دخل عليه هذا في حديث أبي الزناد والله أعلم قاله شيخنا أحمد بن أبي العينين.

وهذا الحديث له طريق آخر عن أبي هريرة عند البيهقي في الاعتقاد (ص٤٦)، والحاكم (١/ ١٧) والطبراني في «الدعاء (١١٢) وغيرهم وفي إسناده عبد العزيز بن الحصين وهو ضعيف. وانظر الاعتقاد للبيهقي والكلام عليه.

(١) إسناده ضعيف: رواه أحمد (١/ ٣٩١) وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣) والحاكم (١/ ٥٠٩) وأبو يعلى (٥٢٩٧) والشاشي (٢٨٢)، وابن حبان (٩٧٢) والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢) وفي الدعاء (١٠٣٥) من طريق فضيل بن مرزوق حدثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله مرفوعًا وفي الإسناد فضيل بن مرزوق وهو مختلف فيه. وأبو سلمة الجهني مجهول كما قال الحسيني والذهبي وابن حجر وغيرهم انظر «تعجيل المنفعة» ترجمة أبي سلمة الجهني ولسان الميزان (٨/ ٦٢ط. الفاروق ترجمة أبي سلمة الجهني) وقد قال يحيى بن معين-على سبيل الظن... كما في «الكنى» للدولابي (١/ ١٩١) أراه موسى =

يتعلمها»[١]، وقد أخرجه أبو حاتم بن حبان في (صحيحه) .

وقال العوفي، عن ابن عباس - في قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ - قال: إلحاد الملحدين: أن دعوا اللات في أسماء الله[١] .

وقال ابن جريج، عن مجاهد ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قال: اشتقوا اللات من الله، واشتقوا العُزَّىٰ من العزيز[٢] .

= الجهني يعني موسىٰ بن عبد الله الجهني الثقة من رجال التهذيب إلا أن كل من جاء بعد يحيىٰ فرق بن هذين الرجلين انظر «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٢٨٨)، (٩/ ٣٩) وثقات ابن حبان (٧/ ٤٩، ٦٥٩) والجرح والتعديل (٨/ ١٤٩) وغيرهم وتحقيق مسند أحمد ح (٣٧١٢) حيث فصل المحقق في ذلك خير تفصيل.

وله طريق آخر رواه البزار (٣١٢٢ كشف) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٠) من طريق عبد الرحمن ابن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن به وعبد الرحمن بن إسحاق متفق علىٰ ضعفه ثم إنه أعل بالإرسال كما سيأتي في كلام الدار قطني.

وله شاهد من حديث أبي موسىٰ. رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٩) من طريق عبد الله بن زبيد عن أبي موسىٰ به وفي الإسناد عبدالله بن زبيد بن الحارث اليامي ذكره ابن حبان في «الثقات» وذكره البخاري في «التاريخ» وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحًا ولاتعديلاً ولم يدرك أبا موسىٰ الأشعري فالإسناد فيه رجل مجهول مع الانقطاع.

وسئل عنه الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

فقال: يرويه القاسم بن عبد الرحمن واختلف عنه. فرواه فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم ابن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود وتابعه محمد بن صالح الواسطي رواه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم عن أبيه عن ابن مسعود. وخالفهما علي بن مسهر فرواه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم عن ابن مسعود مرسلاً وإسناده ليس بالقوي.

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (١٥٤٦٤) بإسناد العوفي وهو إسناد مسلسل بالضعفاء.

(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (١٥٤٦٥) من طريق ابن جريج عن مجاهد وابن جريج مدلس وقد عنعن وقيل لم يسمع منه إلا حرفاً.

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٥٤٦٧) من طريق معمر عن قتادة ورواية معمر عن قتادة فيها ضعف.

(٤) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري(١٥٤٦٦) وقال حدثني المثنىٰ قال حدثنا عبد الله قال حدثنا معاوية عن ابن عباس. فذكره.

والمثنىٰ هو الآملي ولم يعرف له توثيق وعبد الله بن صالح ضعيف.

وفي هذا الإسناد سقط علي بن أبي طلحة بين معاوية وابن عباس وعلي لم يسمع ابن عباس.

وقال قتادة: يُلحدون: يُشركون[٣]. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب[٤].

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميلُ والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر؛ لانحرافه إلىٰ جهة القبلة عن سمت الحفر.

قال ابن القيم رحمه الله:

وحقيقة الإلحاد فيها الميلُ بالـ ... إشراك والتعطيل والنكران

وأسماء الرب تعالىٰ كلُّها أسماء وأوصاف تعرَّف بها تعالىٰ إلىٰ عباده، ودلَّت علىٰ كماله جل وعلا.

وقال رحمه الله تعالى: فالإلحاد: إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات.

وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد؛ فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون، محمودها ومذمومها. حتىٰ قال زعيمهم: هو المسمَّىٰ بمعنىٰ كل اسم ممدوح عقلاً وشرعًا وعرفًا. وبكل اسم مذموم عقلاً وشرعًا وعرفًا. تعالىٰ اللَّه عما يقولون علوًا كبيرًا. انتهىٰ.

قلت: والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة ـ متقدمهم ومتأخرهم ـ: إثبات الصفات التي وصف اللَّه بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ علىٰ ما يليق بجلال اللَّه وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذىٰ حذوه ومثاله. وكما أنه يجب العلم بأن للَّه ذاتًا حقيقة لا تُشبه شيئًا من ذوات المخلوقين.

فله صفات حقيقة لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف اللَّه به نفسه أو وصفه به رسوله، أو تأوَّله علىٰ غير ما ظهر من معناه: فهو جهميٌّ، قد اتبع غير سبيل المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال العلامة أيضًا: فائدة جليلة: ما يجري صفةً أو خبرًا علىٰ الرب تبارك

وتعالى، أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات، وموجود.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية: كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله: كالخالق والرازق.

الرابع: التنزيه المحض، ولابد من تضمُّنه ثبوتًا، إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس، والسلام.

الخامس: ـ ولم يذكره أكثر الناس ـ: وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دال على معان، نحو المجيد، العظيم، الصمد؛ فإن المجيد: من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدلُّ على هذا. فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه: استَمْجدَ المَرْخُ والعَفارُ، وأمجد الناقة: علفها، ومنه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ صفة للعرش، لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمَّل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من اللَّه على رسوله، كما علَّمناه ﷺ: بأنه في مقام طلب المزيد والتعرُّض لسعة العطاء، وكثرته ودوامه. فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه، ومنه الحديث الذي في (المسند) والترمذي: «أَلِظُّوا بياذا الجلال

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٤/ ١٧٧) والنسائي في «الكبرى» (٧٧١٦، ١١٥٦٣) والطبراني في «الكبير» (٤٥٩٤) وفي «الدعاء» (٩٢) والحاكم (١/ ٤٩٨ـ٤٩٩) والقضاعي في مسند الشهاب (٦٩٣) من طريق عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان عن عامر بن ربيعة مرفوعًا وإسناده صحيح.

وله شاهد من حديث أنس عند الترمذي (٣٥٢٤، ٣٥٢٥) والطبراني في «الدعاء» (٩٣، ٩٤) من طريقين عن أنس وفيهما ضعف.

وشاهد آخر من حديث أبي هريرة عند الحاكم (١/ ٤٩٩) بإسناد ضعيف.

(٢) **صحيح بطرقه:** رواه أبو داود (١٤٩٥) والنسائي (٣/ ٥٢) وأحمد (٣/ ١٥٨، ٢٤٥) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٧٥) وابن حبان (٨٩٣) والطبراني في «الدعاء» (١١٦) والحاكم (١/ ٥٠٣ـ٥٠٤) والبغوي (١٢٥٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٨) من طريق خلف بن خليفة عن حفص بن عمر ابن أخي أنس بن مالك عن أنس بن مالك فذكره مرفوعًا وخلف بن خليفة حسن الحديث ولكن اختلط بآخره. =

والإكـرام»[١] ، ومـنـه : «**اللهم إني أسألك بأن لك الحـمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**»[٢] .

فـهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده، وأنه : لا إله إلا هو المنان . فـهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة، وأعظمه موقعًا عند المسؤول . وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد .

السـادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدرٌ زائد على مفرديهما، نحو : الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن؛ فإن الغنَى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر . فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم . فتأمله، فإنه من أشرف المعارف .

= وللحديث طرق عن أنس .

منها ماررواه ابن ماجه (٣٨٥٨) وأحمد (٣/ ١٢٠) وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٧٢) من طريق وكيع عن أبي خزيمة عن أنس بن سيرين عن أنس به .

وفي الإسناد أبو خزيمة إن كان نصر بن مرداس فالإسناد حسن وإن كان يوسف بن ميمون الصباغ فالإسناد ضعيف .

ومنها ما رواه أحمد (٣/ ٢٦٥) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٧٤) والبخاري في «التاريخ» (٦/ ٢٧) من طريق محمد بن إسحاق حدثني عبد العزيز بن مسلم مولى آل رفاعة حدثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عن أنس وإسناده حسن وقد توبع عبد العزيز بن مسلم .

فرواه الحاكم (١/ ٥٠٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٤) من طريق عياض بن عبد الله الفهري عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عن أنس به وعياض ضعيف وله طرق أخرى فيها ضعف . انظر الترمذي (٣٥٤٤) .

* * *

(٥١)

بــاب
لا يقال: السلام على الله

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب لا يقال: السلام على الله.

في الصحـيح، عن ابن مسـعود رضي الله عنه، قـال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصـلاة، قلنا: السلام على الله من عـباده، السـلام على فلان، فـقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام».

ش: هذا الحـديث: رواه البـخـاري، ومـسلم، وأبـو داود، والنسـائي، وابن ماجه، من حديث شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا إذا جلسنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قُلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على فلان وفلان. الحديث[1]، وفي آخره ذِكْرُ التشهد الأخير.

وروا ه الترمذي، من حديث الأسود بن يزيد، عن ابن مسعود[2]، وذكـر في الحديث سب النهي عن ذلك؛ بقوله: «**فإن الله هو السلام**»[3].

وقد كـان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثًا، وقال: «**اللـهم**

(١) صحيح: رواه البخاري (٨٣٥)، بلفظ المصنف، وانظر مسلم (٤٠٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩) والنسائي (٢/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٣) انظر البخاري (٨٣٥) ومسلم (٤٠٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٩١).

(٥) حـديـث منكر: جزء من حديث طويل رواه ابن أبي الدنيا وأبي نعيم مفصلاً ورفعه منكر كما قال المنذري في «الترهيب» (٤/ ٥٤٨) وسبق الكلام عليه تحت باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله. من حديث محمد بن علي بن الحسين.

أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»(٤).

وفي الحديث: إن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالىٰ(٥).

[وفي التنزيل: ما يدلُّ علىٰ أن الرب تبارك وتعالىٰ يُسلِّم عليهم في الجنة؛ كما قال تعالىٰ:] ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

ومعنىٰ قوله: «**إن الله هو السلام**»: أنه تعالىٰ سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل. فهو الموصوف بكل كمال، المنزَّه عن كل عيب ونقص.

قال في (البدائع): السلام اسم مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء، يتضمن [الإنشاء والإخبار. فجهة الخبرية فيه لا تُناقض الجهة] الإنشائية، وهو معنىٰ السلام المطلوب عند التحية، وفيه قولان مشهوران:

الأول: أن اللّه عز وجل هو السلام، ومعنىٰ الكلام: نزلت بركتُه عليكم، ونحو هذا؛ فاختير في هذا المعنىٰ من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدر بمعنىٰ السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية، ومن حُجة أصحاب هذا القول: أنه يأتي منكرًا، فيقول المسلم: سلام عليكم، ولو كان اسمًا من أسماء اللّه لم يُستعمل كذلك، ومن حجتهم: أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنىٰ، وإنما المقصود منه: الإيذان بالسلامة خبراً ودعاءً.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وفصل الخطاب، أن يُقال: الحق في مجموع القولين، فكل منهما بعض الحق، والصواب في مجموعهما.

وإنما يتبين ذلك بقاعدة، وهي: أن حق من دعا اللّه بأسمائه الحُسنىٰ أن يَسأل في كل مطلوب ويتوسل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب، المناسب لحصوله، حتىٰ إن الداعي متشفع إلىٰ اللّه تعالىٰ، متوسل إليه به.

فإذا قال: رب اغفر لي وتُب عليّ إنك أنت التواب الغفور، فقد سأله أمرين

= وله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ بلفظ«السلام تحية لأهل الجنة» عند أحمد (٩٤٠٤) ط. الرسالة وانظر الكلام عليه هناك.

وجاء عن ابن عباس موقوفاً. «السلام اسم الله وهو تحية أهل الجنة».

ذكره الحافظ في«الفتح» (١١/ ١٣) وعزاه إلىٰ البيهقي في«الشعب».

وتوسَّل إليه باسمين من أسمائه مُقتضيين لحصول مطلوبه.

وقال ﷺ لأبي بكر رضي اللَّه عنه، وقد سأله ما يدعو به: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[1].

فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتى بلفظها بصيغة اسم من أسماء اللَّه وهو السلام، الذي تُطلب منه السلامة. فتضمن لفظ السلام معنيين:

أحدهما: ذكر الله.

والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم.

وقد تضمن سلام عليكم: اسمًا من أسماء اللَّه تعالى، وطلب السلامة منه. فتأمل هذه الفائدة.

وحقيقته: البراءة والخلاص، والنجاة من الشرور والعيوب. وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذلك قولك: سلَّمك الله، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط رب سلم سلم[2]. ومنه سَلِم الشيء لفلان، أي: خلص له وحده؛ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩].

أي: خالصًا له وحده، لا يملكه معه غيره. ومنه السِّلْم ضد الحرب؛ لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر، ولهذا بُني فيه على المفاعلة، فقيل: المسالمة مثل المشاركة. ومنه: القلبُ السليم، وهو النقيُّ من الدَّغَل والعيب.

وحقيقته: الذي قد سلَّم للَّه وحده، فخلص من دَغَل الشرك وغِلِّه، ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صدق حبه، وحسن معاملته. وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه، والفوز بكرامته.

ومنه أُخذ الإسلام، فإنه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلام والانقياد للَّه والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربه وخلص له. كالعبد الذي سلَّم لمولاه، ليس فيه شركاء متشاكسون. ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه،

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٣٨٧) ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٣).

وللمشرك به .

* * *

(٥٢)

بـاب

قول: اللهم اغفر لي إن شئت

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت.

ش: يعني: أن ذلك لا يجوز، لورود النهي عنه في حديث الباب.

قال المصنف رحـمه الله تعـالى: في الصحيح، عـن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدُكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليَعزم المسألة ؛ فإن الله لا مُكره له»(١) .

ولمسلم: «وليُعْظِّم الرَّغبة، فإن الله لا يتعاظَمه شيء أعطاه».

ش: بخلاف العبد؛ فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه منه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره.

فاللائق بالسائل للمخلوق أن يُعلّق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يُعطيه وهو كاره. بخلاف رب العالمين تعالى، فإنه لا يليق به ذلك؛ لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلُّهم فقير إليه، مُحتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام.

وفي الحـديث: «يمين الله ملأى، لا يغيضهـا نفقة، سحَّاء الليل والنهـار، أرأيتم ما أنفق منذ خـلق السمـوات والأرض؟ فـإنه لم يغض مـا في يمـينه، وفي يده الأخـرى

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٧٧) ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١١) ومسلم (٩٩٣).

القسط يخفضه ويرفعه»[٢] يعطي تعالىٰ لحكمة، ويمنعُ لحكمة، وهو الحكيم الخبير.

فاللائق بمن سأل أن يعزم المسألة، فإن اللَّه تعالىٰ لا يُعطي عبده شيئًا عن كراهة، ولا عن عظم مسألة.

وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه:

ويعظم في عين الصغير صغارُها ... ويصغر في عين العظيم العظائم

وأما هذا: بالنسبة إلىٰ ما في نفوس أرباب الدنيا، وإلا فإن العبد يُعطي تارة ويمنع أكثر، ويُعطي كرهًا والبخل عليه أغلب؛ وبالنسبة إلىٰ حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم.

وأما ما يعطيه اللَّه عباده فهو دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال. من حيث وضعت النطفة في الرحم؛ فنعمه علىٰ الجنين في بطن أُمه دارَّة، يربيه أحسن تربية، فإذا وضعت أُمُّه عطف عليه والديه، وربَّاه بنعمه حتىٰ يبلغ أشده. يتقلب في نعم اللَّه مدة حياته، فإذا كانت حياته علىٰ الإيمان والتقوىٰ: ازدادت نعم اللَّه تعالىٰ عليه إذا توفاه، أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدِّر قدرها إلا اللَّه، مما أعده اللَّه تعالىٰ لعباده المؤمنين المتقين. وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم، وإن كان بعضها علىٰ يد مخلوق، فهو بإذن اللَّه وإرادته وإحسانه إلىٰ عبده.

فإن اللَّه تعالىٰ هو المحمود علىٰ النعم كلِّها، فهو الذي شاءها وقدَّرها، وأجراها عن كرمه وجوده وفضله. فله النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وقد يمنع تعالىٰ عبده إذا سأله؛ لحكمة وعلم بما يُصلح عبده من العطاء والمنع. وقد يؤخِّر ما سأله عبده لوقته المقدَّر، أو ليُعطيه أكثر، فتبارك اللَّه ربُّ العالمين.

قوله: ولمسلم: **«وليُعظِّم الرَّغبة»**[١] أي: في سؤاله لربه حاجته؛ فإنه يُعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا.

«فإن اللَّه لا يتعاظمه شيء أعطاه»، أي: ليس شيء عنده يعظم، وإن عظم في نفس المخلوق؛ [لأن سائل المخلوق] لا يسأله إلا ما يهون عليه بذلُه، بخلاف رب

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٩).

العالمين، فإن عطاءه كلام: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فسبحان من لا يقدِّر الخلقُ قدْرَه، لا إله غيره، ولا رب سواه.

(٥٣)

بـاب

لا يقول: عبدي وأمتي

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: باب لا يقول: عبدي وأمتي.

في الصحيح، عن أبي هريرة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يقولنَّ أحدكم: أطعم ربَّك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغُلامي».

ش: قوله: (باب لا يقول: عبدي وأمتي). ذَكَر الحديث الذي في الصحيح، عن أبي هريرة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يقولنَّ أحدكم: أطعم ربَّك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغُلامي**»(١).

هذه الألفاظ المنهي عنها: وإن كانت تطلق لغة، فالنبي ﷺ نهىٰ عنها تحقيقًا للتوحيد، [وسدًا لذرائع الشرك]؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأن اللَّه تعالىٰ هو رب العباد جميعهم.

فإذا أُطلق علىٰ غيره شاركه في هذا الاسم، فيُنهىٰ عنه لذلك؛ وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف اللَّه تعالىٰ، وإنما المعنىٰ أن هذا مالك له؛ فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار. فالنهي عنه حسمًا لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقًا للتوحيد وبُعدًا عن الشرك حتىٰ في اللفظ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٥٥٢) ومسلم (٢٢٤٩).

وهذا من أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب تعالىٰ، وبُعده عن مشابهة المخلوقين. فأرشدهمﷺ إلىٰ ما يقوم مقام هذه الألفاظ، وهو قوله: سيدي ومولاي وكذلك قوله: «**ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي**» لأن العبيد عبيد اللَّه والإماء إماء اللَّه؛ قال تعالىٰ: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾ [مريم: ٩٣] ففي إطلاق هاتين الكلمتين علىٰ غير اللَّه تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيمًا للَّه تعالىٰ، وأدبًا وإبعادًا عن الشرك، وتحقيقًا للتوحيد، وأرشده إلىٰ أن يقول: «**فتاي وفتاتي وغلامي**».

وهذا من باب حماية المصطفىﷺ جناب التوحيد، فقد بلغﷺ أُمَّته كل ما فيه نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين. فلا خير إلا دلهم عليه، خصوصًا في تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم عنه صلوات اللَّه وسلامه عليه، خصوصًا ما يُقرِّب من الشرك لفظًا وإن لم يُقصد. وباللَّه التوفيق.

* * *

(٥٤)

بـاب
لا يرد من سأل بالله

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: باب لا يُردُّ من سأل باللَّه.

عن ابن عمر، قـال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من استعاذ باللَّه فأعيذوه، ومن سأل باللَّه فـأعطوه ومن دعاكم فأجيبـوه، ومن صنع إليكم معروفًـا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فـادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه»[1]. رواه أبـو

---

(١) صححه الشيخ الألباني: رواه أبوداود (١٦٧٢)، والنسائي في «المجتبى» (٥/ ٨٢)، وفي «الكبرى» (٢٣٤٨)، والطيالسي (٢٠٠٧ط. هجر)، والقضاعي في «مسنده»، وابن حبان (٣٤٠٨)، وأحمد (٢/ ٦٨، ٩٩، ٢٧)، والبيهقي (٤/ ١٩٩)، والحاكم (٢/ ٦٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وأبونعيم في «الحلية» (٩/ ٥٦)، وابن الاعرابي في «المعجم» (٣٧٦) من طريق أبي عوانة، وجرير، وعمار بن رزيق، وعبد العزيز بن مسلم، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر به، ورجاله ثقات إلا أن الأعمش مدلس، وقد عنعن، وفي رواية الأعمش، عن مجاهد بعض الكلام من حيث السماع، ويخشى أن يكون بينه وبين مجاهد أبو يحيى القتاف، كما قال ابن المديني، أوليث كما قال أحمد، كما في «تهذيب» ابن حجر، ويخشى أن يكون الأعمش اسقطه.

وتابعهم حصين والعوام بن حوشب، كما في الطبراني في «الكبير» (١٣٤٨٠، ١٣٥٣٠) وتابع الأعمش ليث ابن أبي مسلم، كما عند أحمد (٢/ ٩٩٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٢٨، ٦/ ٥٥٦)، وليث فيه ضعف، وصححه ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» لابن علان (٥/ ٢٥٠) وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٥٤)، ورواه ابن حبان إحسان (٣٣٥٥، ٣٤٠٩) من طريق عبد الملك بن معن، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن مجاهد، عن ابن عمر به، بإثبات واسطة بين الأعمش ومجاهد.
وفي الحديث ليث بن أبي مسلم والصواب سليم.

داود، والنسائي بسند صحيح.

ش: ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأله بالله، لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل، بحسب ما ورد في الكتاب والسنة. فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق كبيت المال [أن يُجاب]، فيُعطى منه على قدر حاجته [وما يستحقه]، وكذلك إذا سأل المحتاج مَن في ماله فضل فيجب أن يعطيه ما يدفع، على [حسب حاله ومسألته.

وأما إذا سأل من لا فضل عنده، فيُستحب أن يُعطيه على قدر حال المسؤول ما لا يضره ولا يضر عائلته، وإن كان مضطراً وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته.

ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح. فالأول محمود في الكتاب والسنة، والثاني مذموم فيهما.

وقد حثَّ الله تعالى عباده على الإنفاق؛ لعظم نفعه وتعدِّيه، وكثرة ثوابه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧، ٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. وذلك الإنفاق في خصال البر المذكورة في قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فذكره بعد ذكر أصول الإيمان، وقبل ذكر الصلاة. وذلك ـ والله أعلم ـ لتعدي نفعه.

وذكره تعالى في الأعمال التي أمر بها عباده، وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء؛ نُصحًا للأمة وحثًا لهم على ما ينفعهم عاجلاً وآجلاً.

وقد أثنى اللَّه سبحانه على الأنصار رضي اللَّه عنهم بالإيثار، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، والإيثار من أفضل خصال المؤمن كما تُفيده هذه الآية الكريمة، وقد قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⁽٨⁾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدًا، ومن كان سعيه للدار الآخرة رغب في هذا ورغَّب، وباللَّه التوفيق.

قوله: «ومن دعاكم فأجيبوه» هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض: إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين.

قوله: «ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه» ندبهم ﷺ على المكافأة على المعروف، فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها اللَّه تعالى ورسوله، كما دل عليه هذا الحديث، ولا يُهمل المكافأة على المعروف إلا اللئيم من الناس، وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة، كما يقع ذلك كثيراً من بعضهم.

نسأل اللَّه العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

بخلاف حال أهل التقوى والإيمان، فإنهم يدفعون بالحسنة السيئة؛ طاعة للَّه ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه؛ كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ⁽٩٦⁾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ⁽٩٧⁾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨]، وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ⁽٣٤⁾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] وهم الذين سبقت لهم من اللَّه السعادة.

قوله: «فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له» أرشدهم ﷺ إلى أن الدعاء في حق من

لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف، فيدعو له بحسب معروفه.

قوله: «حتى تُروا - بضم التاء، أي: تظنوا - أنكم قد كافأتموه» ويُحتمل أنها مفتوحة بمعنىٰ: تعلموا؛ ويؤيده ما في (سُنن أبي داود)، في حديث ابن عمر: «حتى تعلموا» فتعين الثاني للتصريح به. وفيه: «ومن سألكم باللَّه فأجيبوه» أي: إلىٰ ما سأل. فيكون بمعنىٰ: أعطوه! وعند أبي داود - في رواية أبي نَهيك - عن ابن عباس: «من سألكم بوجه اللَّه فأعطوه»[1]، وفي رواية عبيد اللَّه القواريري لهذا الحديث:

(١) **حسن لغيره**:رواه أبو داود (٥١٠٨) وأحمد (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) وأبو يعلىٰ (٢٥٣٦، ٢٧٥٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» والترمذي في «العلل الكبير» (٦٨٢) والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٢٥٨) من طريق خالد بن الحارث حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي نهيك عن ابن عباس فذكره مرفوعاً.
وفي الإسناد قتادة وهو مدلس وقد عنعن وأبو نهيك هو عثمان بن نهيك وأبو نهيك ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال ابن القطان لا يعرف وقد روىٰ عنه جماعة. واضطرب فيه الحافظ في «التقريب» فقال في «الكنىٰ» ثقة وقال في «الأسماء» مقبول قال أبو عيسىٰ سألت محمد عن هذا الحديث فقال سعيد بن أبي عروبة يسند هذا الحديث عن قتادة وغيره يقول خلاف هذا ولا يسنده.
قال محمد أبو نهيك هو خرساني مروزي ولم يعرف محمد اسمه.
والحديث يحسن بشاهد ابن عمر السابق والله أعلم.
(٢)انظر حديث ابن عمر السابق وحديث ابن عباس.

«ومن سألكم بالله» كما في حديث ابن عمر[٢].

* * *

(٥٥)

بـاب
لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة.

عن جابر، قال: قـال رسول الله ﷺ: «لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة». رواه أبو داود.

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (١٦٧١)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ١٦٦)، وفي «الأسماء والصفات (٦٦١)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٨٩)، والبزار كما في «صفة الجنة» لابن كثير (٢٧٤) بتحقيقي، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٣٥١١١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٥٧) والمزي في «تهذيب الكمال» (٢١١٣٤) من طريق أبي العباس القلوري، عن يعقوب، عن سليمان بن قرم بن معاذ، عن محمد ابن المنكدر، عن جابر به. وأبو العباس القلوري روىٰ عنه جماعة، ولم يذكر ابن حجر أحداً من العلماء وثقه، ولكنه قال في «التقريب»: ثقة.

قلت: وتابعه محمد بن عبد الله بن عمار، وهو ثقة كما عند الفسوي (٣/ ٤٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (٣٥٣٧)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٣٥١)، ومدار الإسناد على سليمان بن قرم، وهو ضعيف واه.

قال ابن عدي: وهذا الحديث لا اعرفه عن محمد بن المنكدر إلا من رواية سليمان بن قرم، وذكر الذهبي هذا الحديث في «الميزان» في ترجمة سليمان بن قرم، وقال: انفرد به سليمان عن أحمد بن عمرو العصفوري «القلوري» عن يعقوب، ونقل المزي في «تهذيب الكمال» عن ابن شاهين أنه قال: انفرد به الحضرمي، ولا أعلم من حدث به إلا القلوري، وهو حديث غريب. اهـ.

قلت محمد: وهناك من العلماء من فرق بين سليمان بن قرم، وسليمان بن معاذ، وقالوا: روىٰ هذا الحديث =

ش: قوله: (باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة).

ذكر فيه حديث جابر - رواه أبو داود، عن جابر - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة»[1].

وهنا سؤال: وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند مُنصرفه من الطائف، حين كذَّبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا ﷺ بالدعاء المأثور: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربي، إلى مَن تَكلُني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملَّكته أمري؟ إن لم يك بك غضب عليَّ فلا أُبَالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي» وفي آخره: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة: أن يَحُلَّ عليَّ غضبُك، أو ينزل بي سخطك. لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1]، والحديث المروي في الأذكار: «اللهم أنت أحقُّ من ذُكر، وأحق من عبد - وفي آخره - أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض»[2].

وفي حديث آخر: «أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله العظيم، وبكلماته التامة،

= هو سليمان بن معاذ،، وهناك من جعله واحد كأبي حاتم كما في «الجرح والتعديل» (٤/ ١٣٦). وانظر الذهبي في «الميزان» وابن حجر في «التهذيب»

وقالو: هو سليمان بن قرم بن معاذ، وقد نسبه أبو داود إلى جده كي لا يفطن له كما قال أبو حاتم، قلت: وإن كان سليمان هو ابن معاذ فإنه في عداد المجهولين، فقد ذكره البخاري في «تاريخه» (٤/ ٣٩)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في «ثقاته» (٦/ ٣٩٢)، وقال ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٧٣)، ولم أر للمتقدمين فيه كلام، وفي بعض ما يروي المناكير. اهـ. وإن كان الراجح الأول. والله أعلم.

(١) إسناده ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» قطعة من الجزء ١٣ ص ٧٣ ط. السلفي)، وفي «الدعاء» (١٠٣٦) من طريق محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر فذكره. وفي الإسناد محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن وضعف الحديث الشيخ الألباني في تعليقه على فقه السنة للغزالي (ص١٢٦)ط. دار القلم.

(٢) ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٠٢٧) من طريق فضال بن جبير عن أبي أمامة فذكره. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١١٧) وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه.

(٣) صح ذلك من قول سعيد بن المسيب عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٧٥) بإسناد صحح قوله. وجاء نحوه عن ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما عن البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٦٣، ٦٦٤) وغيرهما بإسناد ضعيف عنهما.

من شر السامة واللامة، ومن شر ما خلقت أي رب، ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده ومن شر الدنيا والآخرة»[٣] وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

فالجواب: أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يُقرِّب إلىٰ الجنة، أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه اللَّه وبنور وجهه ما يُقرِّبُ إلىٰ الجنة؛ كما في الحديث الصحيح: «**اللهم إني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل**»[١].

بخلاف ما يختصُّ بالدنيا، كسؤاله المال والرزق والسعة في المعيشة رغبةً في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه علىٰ عمل الآخرة. فلا ريب أن الحديث يدلُّ علىٰ المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه اللَّه.

وعلىٰ هذا: فلا تعارض بين الأحاديث، كما لا يخفىٰ. واللَّه أعلم.

وحديث الباب: من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة علىٰ إثبات الوجه للَّه تعالىٰ؛ فإنه صفة كمال، وسلبُه غاية النقص والتشبيه بالناقصات، كسلبهم جميع الصفات أو بعضها. فوقعوا في أعظم مما فرُّوا منه، تعالىٰ اللَّه عما يقولون علواً كبيراً.

وطريقة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا: الإيمان بما وصف اللَّه به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سُنَّته، علىٰ ما يليق بجلال اللَّه وعظمته. فيثبتون ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ، وينفون عنه مشابهة المخلوق؛ فكما أن ذات الرب تعالىٰ لا تُشبه الذوات، فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها فقد

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٨٤٦) وأحمد (٦/ ١٣٤، ١٤٦، ٢٤٧) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٠٢٥، ٦٠٢٦) وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٦٣، ٥١١، ٢٦٤) وأبو يعلىٰ (٤٤٧٣) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٩) من طريق جبير بن حبيب -وفي رواية والجريري- عن أم كلثوم بنت أبي بكر عن عائشة وإسناده صحيح ولبعضه شاهد من حديث جابر بن سمرة عند الطيالسي (٧٨٥) والطبراني في «الكبير» (٢٠٥٨) وانظر الصحيحة (١٥٤٢).

سلبه الكمال.

* * *

(٥٦)

باب
ما جاء في اللو

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: باب ما جاء في اللو

ش: أي: من النهي عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرىٰ بها القدر؛ لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسىٰ علىٰ ما فات، مما لا يمكن استدراكه.

فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة، وهو الصبر علىٰ ما أصاب العبد مما يكره. والإيمان بالقدر، أصل من أصول الإيمان الستة.

وأدخل المصنف رحمه اللَّه أداة التعريف علىٰ لو - وهذه في المقام لا تفيد تعريفًا كنظائرها - لأن المراد هذا اللفظ، كما قال الشاعر:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركًا ... شديدًا بأعباء الخلافة كاهلُه

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: وقوله اللَّه تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ش: قاله بعض المنافقين يوم أُحد؛ لخوفهم وجزعهم وخَورهم.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يحيىٰ بن عَبَّاد بن عبد اللَّه بن الزبير، عن أبيه، عن عبد اللَّه بن الزبير، قال: قال الزبير: لقد رأيتُني مع رسول اللَّه ﷺ حين اشتد الخوف

---

(١) **إسناده حسن:** رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٣٧٣) من طريق محمد بن إسحاق عن يحيي بن عباد بن =

علينا أرسل اللّه علينا النوم، فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره، قال: فواللّه إني لأسمع قول مُعَتِّب بن قُشير، ما أسمعه إلا كالحُلم: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل اللّه عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ لقول معتب[1]. رواه ابن أبي حاتم.

قال اللّه: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي: هذا قدر مقدَّر من اللّه عز وجل، وحكم حتم لازم، لا محيد عنه ولا مناص منه.

قال المصنف رحمه اللّه تعالى: وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] **قال العماد ابن كثير: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج، ما قُتلوا مع من قتل. قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي لكم أن لا تموتوا، والموت لابد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين.**

قال مجاهد، عن جابر بن عبد اللّه: نزلت هذه الآية في عبد اللّه بن أُبي وأصحابه[1]، يعني: أنه هو الذي قال ذلك.

وأخرج البيهقي، عن أنس: أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أُحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه. قال: والطائفة الأخرى ـ المنافقون ـ ليس لها هم إلا أنفسهم، أجبن قوم، وأرعبه، وأخذله للحق:

= عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير فذكره. وعزاه إليه ابن كثير (١/ ٣٥٩) ورواه الطبري (٨٠٩٣) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٣) وأبو نعيم في «الدلائل» (٤٢٣) من طريق ابن إسحاق به مختصراً.

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري في «تفسيره» (٨٢٠٢) من طريق الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن جابر فذكر نحوه. والحسين هو سُنيد وفيه ضعف وابن جريج مدلس. وقد عنعن وقيل لم يسمع التفسير من مجاهد.

(٢) الحديث عند البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٣) والحديث عند البخاري من وجه آخر (٤٠٦٨).

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] إنما هم أهل ريب وشك بالله عز وجل[٢].

قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أُبي في غزوة أحد، قال: فلما انخزل يوم أحد، وقال: يَدَع رأيي ورأيه، ويأخذ برأي الصبيان؟ ـ أو كما قال ـ انخزل معه خلق كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك. فأولئك كانوا مسلمين، وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل. فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على الإسلام، ولم يكونوا من المؤمنين حقًا الذين امتُحنوا فثبتوا، ولا من المنافقين حقًا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة.

وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم، إذا ابتُلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهل الإيمان، ينقص إيمانهم كثيرًا، [وينافق كثير] منهم، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدوّ غالبًا.

وقد رأينا من هذا ـ ورأى غيرنا من هذا ـ ما فيه عبرة. وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين. وهم مؤمنون بالرسل باطنًا وظاهرًا، لكن إيمانًا لا يثبت على المحنة. ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم، وهؤلاء من الذين قالوا آمنا، فقيل لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] أي: الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًا؛ فإن هذا هو الإيمان إذا أُطلق في كتاب الله تعالى، كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل [الإيمان] في القلوب. انتهى.

قوله: وقد رأينا من هذا ـ ورأى غيرنا من هذا ـ ما فيه عبرة.

قلت: ونحن كذلك، رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو، من إعانتهم العدوَّ على المسلمين، والطعن في الدين وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجد في إطفاء نور الإسلام وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره. والله المستعان.

قال المصنف رحمه الله تعالى: في الصحيح، عن أبي هريرة: أن رسول

اللـه ﷺ قال: «احرص على ما ينفعُك، واستعن بالله ولا تعجزن. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان».

ش: قوله: (في الصحيح) أي: صحيح مسلم (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**احرص**») الحديث[١].

اختصر المصنف هذا الحديث، وتمامه: عن النبي ﷺ، أنه قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك**» أي: في معاشك ومعادك. والمراد: الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دُنياه وأُخراه، مما شرعه الله تعالىٰ لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة. ويكون العبد في حال فعله السبب مُستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه؛ ليتم له سببه وينفعه. فيكون اعتماده على الله تعالىٰ في ذلك؛ لأنه تعالىٰ هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالىٰ. ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد، فإذا جمع بينهما: تم له مراده.

قوله: «**ولا تعجزن**» النون نون التوكيد الخفيفة، نهاه ﷺ عن العجز وذمَّه، والعجز مذموم شرعًا وعقلاً.

وفي الحديث: «**الكيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني**»[٢].

فأرشده في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره، فلا يقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٢) **إسناده ضعيف**: رواه الترمذي(٢٤٥٩) وابن ماجه (٤٢٦٠) وأحمد (٤/ ١٢٤) والطبراني في «الكبير» (٧١٤٣) والحاكم (١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١) والبغوي (٤١١٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٧، ٨/ ٣٦٩) والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٦٩) وفي الشعب (١٠٥٤٦) وغيرهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن حمزة بن حبيب عن شداد بن أوس مرفوعًا. وأبو بكر بن أبي مريم ضعيف. وله طريق آخر عند الطبراني في «الكبير» (٧١٤١) وفي الصغير (٢/ ٣٦) وفي السند عمرو بن بكر السكسي وهو متروك.

وكذا، ولكن يقول: قدر اللَّه وما شاء فعل، أي: هذا قدر اللَّه، والواجب التسليم للقدر، والرضا به، واحتساب الثواب عليه.

قوله: «**فإن لو تفتح عمل الشيطان**» أي: لما فيها من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضا. والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض؛ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[(١)].

وقال الإمام أحمد: ذكر اللَّه الصبر في تسعين موضعًا من القرآن.

قال شيخ الإسلام ـ وذكر حديث الباب بتمامه ـ ثم قال في معناه: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع من مقدور. ومن الناس مَن يجمع كلا الشرين؛ فأمر النبي ﷺ بالحرص على النافع والاستعانة باللَّه.

والأمر يقتضي الوجوب، وإلا فالاستحباب. ونهى عن العجز، وقال: «**إن اللَّه يلوم على العجز**»[(٢)] والعاجز ضدٌّ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ فالأمر بالصبر والنهي عن الجزع مأمور به في مواضع كثيرة؛ وذلك لأن الإنسان بين أمرين: أمرٌ أُمِر بفعله فعليه أن يفعله ويحرص عليه، ويستعين اللَّه ولا يعجز. وأمرٌ أُصيب به من غير فعله، فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه.

---

(١) **ضعيف:** رواه ابن أبي شيبة (١٣٠) من طريق أبي إسحاق قال: قال علي فذكره مختصراً. وأبو إسحاق مدلس ثم إنه لم يسمع من علي وله طريق آخر بلفظ المصنف عند اللالكائي (١٥٦٩) من طريق محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن علي فذكره. ومحمد بن زياد الميموني كذبوه وقد سبق هذا الأثر.

(٢) **إسناده ضعيف:** رواه أبو داود (٣٦٢٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٦) وأحمد (٦/ ٢٥) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٩) والطبراني في «الكبير» (١٨)/ رقم (٩٧) والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٨١) وفي «الشعب» (١٢١٣) وغيرهم. من طريق بقية بن الوليد قال حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن سيف عن عوف بن مالك مرفوعًا.

وفي الإسناد سيف وهو مجهول وبقية بن الوليد مدلس تسوية وقد عنعن الإسناد.

ولهذا قال بعض العُقلاء ـ ابن المقفَّع أو غيره ـ الأمور أمران: أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه.

وهذا في جميع الأمور، لكن عند المؤمن: الذي فيه حيلة هو ما أمر اللَّه به، وأحبه له؛ فإن اللَّه لم يأمره إلا بما فيه حيلة له، إذ لا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها، وقد أمره بكل خير له فيه حيلة. وما لا حيلة فيه هو ما أُصيب به من غير فعله. واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين:

فالأفعال: مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ [الانعام: ١٦٠]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ومثل قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١] إلىٰ آيات كثيرة من هذا الجنس.

والقسم الثاني، ما يجري علىٰ العبد بغير فعله من النعم والمصائب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، والآية قبلها، فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم. والسيئة: المصائب، وهذا هو الثاني من القسمين.

وأظنُّ شيخ الإسلام ذكره في هذا الموضع، ولعل الناسخ أسقطه. واللَّه أعلم.

ثم قال رحمه اللَّه تعالى: فإن الإنسان ليس مأمورًا أن ينظر إلىٰ القدر عندما يؤمر به من الأفعال، ولكن عندما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها. فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم فاصبر عليه، وارض وسلِّم؛ قال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، ولهذا قال آدم لموسىٰ: «أتلومني علىٰ أمر قدَّره اللَّه عليَّ قبل أن أُخلق بأربعين سنة؟ فحج آدمُ موسىٰ» لأن موسىٰ قال له: «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة»[١] فلامه علىٰ المصيبة التي حصلت بسبب فعله، لا لأجل كونها ذَنْبًا. وأما كونه لأجل الذنب ـ كما يظنه طوائف من الناس ـ فليس مرادًا بالحديث؛ فإن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس. انتهىٰ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٠٩) وأطرافه، ومسلم (٢٦٥٢) وأطرافه.

قال العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى: فتضمن هذا الحديث الشريف ، أصولاً عظيمة من أصول الإيمان.

أحدها: أن اللَّه سبحانه موصوف بالمحبة ، وأنه يحب حقيقة.

الثاني: أنه يحب مقتضىٰ أسمائه وصفاته وما يوافقها ، فهو القوي ويحب المؤمن القوي ، وهو وتر يحب الوتر ، وجميل يحب الجمال ، وعليم يحب العلماء ، ونظيف يحب النظافة ، ومؤمن يحب المؤمنين ، ومحسن يحب المحسنين ، وصابر يحب الصابرين ، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها: أن محبته للمؤمنين تتفاضل ، فيحبُّ بعضهم أكثر من بعض.

ومنها: أن سعادة الإنسان في حرصه علىٰ ما ينفعه في معاشه ومعاده ، والحرص: هو بذل الجهد واستفراغ الوسع . فإذا صادف ما ينتفع به الحرص كان حرصه محموداً ، وكماله كلُّه في مجموع هذين الأمرين : أن يكون حريصًا ، وأن يكون حرصُه علىٰ ما ينتفع به . فإن حرص علىٰ ما لا ينفعه ، أو فعل ما ينفعه بغير حرص : فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك ، فالخير كله في الحرص علىٰ ما ينفع .

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة اللَّه ومشيئته وتوفيقه : أمره أن يستعين باللَّه ليجتمع له مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فإن حرصه علىٰ ما ينفعه عبادة للَّه تعالىٰ ، ولا يتم إلا بمعونته ، فأمره أن يعبده وأن يستعين به . فالحريص علىٰ ما ينفعه المستعين باللَّه ، ضدُّ العاجز . فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلىٰ ما هو من أعظم أسباب حصوله ، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمَّة الأمور بيده ، ومصدرها منه ، وموردها إليه . فإن فاته ما لم يقدَّر له ، فله حالتان : عجز ، وهو مفتاح عمل الشيطان ؛ فيُلقيه العجز إلىٰ لو . ولا فائدة في لو هاهنا . بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والأسف والحزن ، وذلك كله من عمل الشيطان ، فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح ، وأمره بالحالة الثانية ، وهي : النظر إلىٰ القدر وملاحظته ، وأنه لو قُدِّر ، لم يفته ولم يغلبه عليه أحد . فلم يبق له هاهنا أنفع من شهود القدر ، ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور ، وإن انتفت امتنع وجوده ؛ ولهذا قال : «**فإن غلبك أمر فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن**

(٥٧)

بـــاب
النهي عن سَبِّ الريح

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب النهي عن سبِّ الريح.

عن أُبيٍّ بن كعب، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبُّوا الريح. فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرت به، ونعـوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فـيها وشر مـا أُمرت به»(١). صححه الترمذي.

---

(١) صحيح بشواهده: وقد اختلف في حديث أبي بن كعب في الوقف والرفع وبإثبات ذر بن عبد الله المرهبي من عدمه، فقد رواه الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي أبزىٰ، عن أبيه، عن أبي بن كعب.

واختلف عن الأعمش فرواه عنه أسباط بن محمد، واختلف عنه، فرواه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢١٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٩)، عن أسباط بن محمد، عن الأعمش، عن حبيب، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي موقوفاً، ورواه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٢٣)، والضياء في «المختارة» (١٢٢٣) من طريق محمد بن المثنىٰ، عن أسباط به إلا أنه رفعه، وتابع أسباط علىٰ رواية الرفع أبو عوانة كما عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٥)، وتابعهما محمد بن فضيل عند الترمذي (٢٢٥٢)، والضياء (١٢٢٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٩١٨)، وعبد الله في «زوائد المسند» (٥/ ١٢٣)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٢٩٨)، وفي هذا الطريق بإثبات ذر بن حبيب، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبي أبزىٰ، ولكن في رواية ابن السني، ولم يذكر ذرًا في الإسناد، وخالفهم جرير بن عبد الحميد فرواه عن الأعمش به إلا أنه أوقفه علىٰ أبي بن كعب، كما عند النسائي في «اليوم والليلة» (٩٣٦)، والحاكم (٢/ ٢٧٢)، والطحاوي (٩١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٦٩)، ورواه شعبة، عن حبيب، واختلف عنه، فرواه مسلم بن إبراهيم، وسهل بن حماد، عن شعبة، عن حبيب به مرفوعًا، كما عند عبد بن حميد (١٦٧)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٩٣٧)، والضياء (١٢٢٥)، وخالفهما محمد بن أبي عدي، والنضر بن شميل، ويحيىٰ بن سعيد القطان، فرووه عن شعبة به موقوفاً علىٰ أبي

=

ش: لأنها إنما تهبُّ عن إيجاد الله تعالىٰ، وخلقه لها وأمره؛ لأنه هو الذي أوجدها وأمرها. فمسبَّتُها مسبةٌ للفاعل، وهو الله سبحانه؛ كما تقدم في النهي عن سب الدهر. وهذا يُشبهه، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه، وبما شرعه لعباده. فنهىٰ ﷺ أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء، وأرشدهم إلىٰ ما يُحب أن يُقال عند هبوب الرياح، فقال: «**إذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به** يعني: إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبَّت، فارجعوا إلىٰ ربكم بالتوحيد، وقولوا: «**اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به. ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشرِّ ما أُمرت به**».

ففي هذا عبودية لله، وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرُّض لفضله ونعمته. وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان، الذين حُرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان.

* * *

= كما عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٣٨، ٩٣٩)، والطحاوي بإثر حديث (٩١٨)، وأحمد في «مسائل ابنه صالح» (٥٩٦)، وقد صوب الإمام النسائي الوقف كما نقله الطحاوي في «شرح المشكل». وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة بإسناد حسن رواه ابن ماجه (٣٧٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٥٠)، والطبراني في «الدعاء» (٩٧٣) من طريق الزهري حدثني ثابت الزرقي، قال: سمعت أبا هريرة. فذكره مرفوعًا وهذا إسناد حسن ويشهد للحديث حديث عائشة بلفظ أن النبي ﷺ كان إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك...» رواه مسلم (طرف حديث ٨٩٩)، والبخاري مختصراً (١٣٢، ٣٢٠٦، ٤٨٢٩).

(٥٨)

بـاب

قول اللَّه تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: باب قول اللَّه تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفُسِّر بأن ما أصابه لم يكن بقدر اللَّه وحكمته. وفُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يُظهره اللَّه على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق. فمن ظن أنه يُديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجرَّدة. فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَمُ من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده. فليَعْتَنِ اللبيب الناصحُ لنفسه بهذا، وليتُب إلى الله وليَسْتَغفره من ظنه بربه ظنَّ السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنُّتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟!

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمة   وإلا فإني لا إخالُك ناجيًا

ش: قوله: باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآية.

هذه الآية ذكرها الله تعالىٰ في سياق قوله تعالىٰ في ذكر وقعة أُحد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ يعني: أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالىٰ ينصر رسوله ﷺ، وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاس، من القلق والجزع والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾.

[الفتح: ١٢]

وهكذا هؤلاء: اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة، ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله. وهذا شأن أهل الريب والشك، إذا حصل أمرٌ من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة.

عن ابن جُريج، قال: قيل لعبد الله بن أُبي: قُتل بنو الخزرج اليوم؟ قال: وهل لنا من الأمر من شيء[1].

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبري (٨٠٩٢) من طريق الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج فذكره والحسين هو سُنيد ضعيف. وابن جريج رواه مرسلاً.

قال العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في الكلام على ما تضمنته وقعة أُحد:
وقد فسِّر هذا الظن الذي لا يليق باللَّه سبحانه: بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، [وأنه يُسلمه للقتل]. وفُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء اللَّه وقدره، ولا حكمة له فيه. ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ، ويظهره على الدين كله.

هذا هو ظن السوء [الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، حيث يقول: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ] عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦].

وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية - وهو المنسوب إلى أهل الجهل - وظنَّ غير الحق؛ لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، وذاته المبرَّأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده، وتفرده بالإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يُخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنهم هم الغالبون.

فمن ظن به أنه لا ينصر رسوله ولا يُتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يُديل الشرك على التوحيد، [والباطل على الحق] إدالة مستقرة، يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبداً: فقد ظن به السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته؛ فإن حمده وعزته [وحكمته] وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يُذلَّ حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه، المشركين به العادلين به.

فمن ظن به ذلك: [فما عرفه، ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره]، فما عرفه و لا عرف ربوبيته وملكه وعظمته، وكذلك من أنكر أن يكون قَدَّر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة، وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة، وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فواتها، وأن تلك الأسباب المكروهة المُقتضية لها لا يخرج تقديرها عن الحكمة، لإفضائها إلى ما يُحب وإن كانت

مكروهة له. فما قدَّرها سُدَىً ولا شاءها عبثًا، ولا خلقها باطلاً: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وأكثر الناس يظنون باللَّه غير الحق، ظن السوء: فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف اللَّه وعرف أسماءه وصفاته، و[عرف] موجب حكمته وحمده.

فمن قنط من رحمته، وأيس من روحه: فقد ظن به ظن السوء. ومن جَوَّز عليه أن يُعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويسوي بينهم وبين أعدائه: فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن أنه يترك خلقه سُدَىً معطَّلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله ولا ينزل إليهم كتبه، بل يتركهم هملاً كالأنعام: [فقد ظن به ظن السوء].

ومن ظن أنه لن يجمعهم بعد موتهم للثواب والعقاب، في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويُبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين: فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن أنه يُضيِّع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، وأنه يعاقبه بما لا صُنع له فيه ولا اختيار له ولا قُدرة ولا إرادة له في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات، التي يؤيد بها أنبياءه ورسله، ويجريها على أيديهم يُضلُّون بها عباده، وأنه يحسن منه كل شيء حتى يُعذِّب من أفنى عمره في طاعته، فيخلِّده في الجحيم في أسفل سافلين، وينعم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين في الحسن سواء عنده، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحُسن الآخر: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحق لم يخبر به وإنما رمز إليه رموزًا بعيدة، وأشار إليه إشارات مُلغزٍ لم يصرح به، وصرح دائمًا بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد من خلقه أن يُتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، ويتطلبوا له

وجوه الاحتمالات المُستكرهة، والتأويلات [التي هي بالألغاز][1] والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم[1] لا على كتابه. بل أراد منهم أن لا يحملوا كلامه على ما يعرفونه من خطابهم ولُغتهم، مع قُدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويُريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان: فقد ظن به ظن السوء؛ فإنه إن قال: إنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح، الذي عبَّر به هو وسلفه: فقد ظن بقدرته العجز، وإن قال: إنه قادر ولم يبين، وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلى ما يُوهم، بل يوقع في الباطل المحال، والاعتقاد الفاسد: فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء.

ومن ظن أنه وسلفَه عبَّروا عن الحق بصريحه، دون اللَّه ورسوله، وأن الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم، وأما كلام اللَّه فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال، وظاهر كلام المُتهوِّكين الحيارى هو الهدى، والحق: فهذا من سوء الظن باللَّه.

فكل هؤلاء من الظانين باللَّه ظن السوء، ومن الظانين باللَّه غير الحق ظن الجاهلية.

ومن ظن به أنه يكون في مُلكه ما لا يشاء، ولا يقدر على إيجاده وتكوينه: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه كان مُعطَّلاً من الأزل إلى الأبد على أن يفعل، ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل، ثم صار قادراً عليه بعد أن لم يكن قادراً: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر، ولا يعلم الموجودات، ولا عدد السموات ولا النجوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم ولا إرادة، ولا كلام يقوم به[1]، وأنه لا يكلم أحدًا من الخلق ولا يتكلم أبدًا، ولا قال، ولا يقول، ولا له أمرٌ ولا نهي يقوم به: فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته، على عرشه بائنًا من خلق، وأن نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وإلى الأمكنة التي يرغب عن ذكرها، وأنه أسفل كما أنه أعلى، وأن من قال: سبحان ربي الأسفل،

كان كمن قال: سبحان ربي الأعلىٰ: فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن أنه يُحب الكفر والفسوق والعصيان، ويحب الفساد، كما يحب الإيمان والبر والطاعة والإصلاح: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضىٰ، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يوالي ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحد، وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المُفلحين: فقد ظن باللّٰه ظن السوء.

ومن ظن به أنه يُسوِّي بين المتضادين، أو يفرق بين المتساويين من كل وجه، أو يَحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها، فيخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم أبد الآبدين بتلك الكبيرة، ويُحبط بها جميع طاعاته ويُخلِّده في العذاب، كما يُخلد من لم يؤمن به طرفة عين، واستنفد ساعات عُمره في مساخطه ومعاداة رسله ودينه: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أن له ولدًا أو شريكًا، أو أن أحدًا يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يُنال بطاعته والتقرب إليه: فقد ظن به خلاف حكمته، وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا ترك شيئًا لأجله لم يعوِّضه خيراً منه: أو من فعل شيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يغضب علىٰ عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جُرم ولا سبب من العبد، إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة: فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتضرَّع إليه وسأله: واستعان به وتوكَّل عليه أنه يُخيِّبه ولا يعطيه ما سأله: فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله.

ومن ظن به أنه يثيبه إذا عصاه، كما يثيبه إذا أطاعه وسأله ذلك في دعائه: فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه، ثم اتخذ من دونه أولياء، ودعا من دونه ملكًا أو بشرًا حيًا أو ميتًا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه، ويخلِّصه من عذابه: [فقد ظن به ظن السوء].

فأكثر الخلق، بل كلُّهم - إلا من شاء اللّه - يظنون باللّه غير الحق وظن السوء؛ فإن غالب بني آدم يعتقد أن مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما شاء اللّه [وأعطاه]، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسُه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به.

ومن فتش نفسه، وتغلغل في معرفة طواياها: رأىٰ ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزِّناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنُّتًا على القدر وملامة له، واقتراحًا له خلاف ما جرىٰ به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر. وفتش نفسك: هل أنت سالم.

فإن تنجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالُك ناجيًا

فليعتنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليَتُبْ إلى اللّه ويستغفره في كل وقتٍ، من ظنِّه بربه ظن السوء. وليظن السُّوءَ بنفسه التي هي مأوىٰ كلِّ سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم. فهي أولىٰ بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد. الذي له الغنىٰ التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزَّه عن كل سوء في ذاته وصفاته، وأفعاله وأسمائه. فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كلُّها حكمة ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنىٰ.

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن اللّه أولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيرًا ... فكيف بظالم جان جهول
وقل: يا نفس مأوى كل سوء ... أترجو الخير من ميت بخيل؟
وظُنَّ بنفسك السُّوآى تجدها ... كذاك، وخيرُها كالمستحيل
وما بك من تُقًى فيها وخير ... فتلك مواهب الربِّ الجليل
وليس لها ولا منها، ولكن ... من الرحمن، فاشكر للدليل

قوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ قال ابن جرير في (تفسيره): ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يُظهر كلمته، فيجعلها العُليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع.

يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن: دائرة السوء. يعني: دائرة العذاب تدور عليهم به.

واختلفت القُرَّاءُ في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بفتح السين. وقرأ بعض قراء البصرة: ﴿دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ بضم السين. وكان الفرَّاءُ يقول: الفتح أفشى في السين. وقلَّ ما تقول العرب: ﴿دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ بضم السين.

قوله: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ونالهم بغضب منه ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ يقول: وأبعدهم، فأقصاهم من رحمته [﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ يقول:] وأعد لهم جهنم يصلونها يوم القيامة ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ يقول: وساءت جهنم منزلاً يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات.

وقال العماد ابن كثير: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾: أي: يتهمون الله في حُكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾. وذكر في معنى الآية الأخرى، نحواً مما ذكره ابن جرير رحمهما الله تعالى.

قوله: (قال ابن القيم رحمه الله تعالى): الذي ذكره المصنف في المتن قدَّمته؛ لاندراجه في كلامه الذي سقته من أوله إلى آخره.

* * *

(٥٩)

بـاب
ما جاء في منكري القدر

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: باب ما جاء في مُنكري القَدَر.

ش: أي: من الوعيد الشديد، ونحو ذلك.

أخرج أبو داود، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**[1].

---

(١) **ضعيف:** قد روي عن جماعة من الصحابة:

١ ـ عن أنس رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢١٧) حدثنا علي بن عبد الله الفرغاني قال: حدثنا هارون بن موسى الفروي قال حدثنا أبو حمزة أنس بن عياض عن حميد عن أنس فذكره مرفوعًا. وهذا إسناد حسن إلا أنه يخشى من تفرد الطبراني في«الأوسط »بهذا الإسناد فإنه ذكر في هذا الكتاب غرائب مشايخه.

٢ ـ أبو هريرة: رواه ابن أبي عاصم (٣٤٢) والفريابي في«القدر» (٢٣٥) والآجري في«الشريعة» (٣٨٦) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٧٤ ـ٢٧٥) من طريق عبد الأعلى بن حماد وسوار بن عبد الله عن المعتمر بن سليمان عن أبي الحسن يزيد بن هارون عن جعفر بن الحارث عن يزيد بن ميسرة عن عطاء الخراساني عن مكحول عن أبي هريرة، وهذا الإسناد مسلسل بالضعفاء ففيه جعفر وعطاء وكلاهما ضعيف ويزيد بن ميسرة مجهول ومكحول لم يسمع أبا هريرة ورواه الفريابي في «المفرد» (٢٣٣) والآجري في«الشريعة» (٣٨٥) من طريق عبد الأعلى بن حماد عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن مكحول عن أبي هريرة، وفي الإسناد عبد الأعلى ابن حماد لا بأس به. والصواب الطريق الأول وخاصة وقد تابعه سوار بن عبد الله القاضي وهو ثقة وعلى الإسناد الأول، وله طريق آخر عند ابن عدي في«الكامل» (٦/ ٣١٦) وفي إسناده مسلمة بن علي وهو متروك ورواه الفريابي في «القدر» (٢٣٢) من طريق سليمان التيمي عن رجل عن مكحول عن أبي هريرة به والرجل مبهم ومكحول لم يسمع أبا هريرة.

٣ ـ جابر: رواه ابن ماجه (٩٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٨) والآجري في«الشريعة» (٣٨٤) والطبراني في«الصغير» (١/ ٢٢١) من طريق محمد بن مصفى قال حدثنا بقية بن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر به.

=

وعن عمر مولى غُفْرة، عن رجل من الأنصار، عن حُذيفة - وهو ابن اليمان - رضي اللَّه عنهما: قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قَدَر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه، وهم شيعة الدجال، وحق على اللَّه أن يُلحقهم بالدجال»**(١).

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل اللَّه ما قَبله اللَّه منه، حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكته وكُتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم.

ش: حديث ابن عمر هذا: أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن يحيىٰ بن يَعْمَر، قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجُهني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّين، أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟

= وفيه محمد بن مصفى والوليد به مسلم وابن جريج وهم مدلسون تدليس تسوية وأبو الزبير مدلس وقد عنعن وقد تابع ابن مصفى جحدر عند ابن الجوزي في «العلل» (٢٠٤٤) وجحدر متهم بالسرقة بل إنه سرقه من ابن المصفى كما قال ابن عدي ونقله ابن الجوزي.

٤ - حذيفة: رواه أحمد (٥/ ٤٠٦ - ٤٠٧) وأبو داود (٤٦٩٢) وابن أبي عاصم (٣٢٩) واللالكائي (١١٥٥) والفريابي في «القدر» (٢٣٦) من طريق عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة.

وعمر ضعيف والرجل مبهم.

ورواه البزار (٢٩٣٧) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٣٨) من طريق أبي معشر عن عمر مولى غفرة عن عطاء بن يسار عن حذيفة. وعمر ضعيف وأبو معشر قال يحيىٰ ليس بشيء كما نقله ابن الجوزي.

٥ - ابن عمر: وله عنه عدة طرق:

وخير من فصل منها شيخنا أحمد بن أبي العينين في «تحقيقه لكتاب الاعتقاد» (ص٣١٤) وضعفها.

إلى أن قال: قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» (ص ٢٧٣) بعد ذكره جملة من طرق هذا الحديث: لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة وإنما يصح الموقوف منها - وضعفه الشيخ الأرناؤوط في تحقيقه مسند أحمد ح(٥٥٨٤) ونقل عن الدارقطني أن الصواب من حديث ابن عمر الوقف.

(١) **إسناده ضعيف:** وانظر الكلام عليه في الحديث السابق.

فوَفَّق اللَّه لنا عبد اللَّه بن عمر داخلاً المسجد، فاكتنَفْتُه أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفَّرون العلم، يزعمون أن لا قَدَر والأمر أُنف. فقال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلفُ به عبد اللَّه بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبله اللَّه منه، حتىٰ يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدَّثني عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، قال: بينما نحن عند رسول اللَّه ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يُرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد. حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ فأسند رُكبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفيه علىٰ فخذيه. وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، قال رسول اللَّه ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**» قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**». قال: فانطلق. فلبثتُ ثلاثًا ـ وفي رواية مسلم: مليًا ـ ثم قال: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**». قلت: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يُعلِّمكم دينكم**»(١)

ففي هذا الحديث: أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة. فمن لم يُؤمن بالقدر خيره وشره، فقد ترك أصلاً من أصول الدين وجحده، فيُشبه من قال اللَّه فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: وعن عُبادة بن الصامت، أنه قال لابنه: يا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) وأبو داود (٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠) والنسائي (٧/ ٩٨) وابن ماجه (٦٣).

بُني، إنك لن تجد طَعْمَ الإيمان، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق اللَّه القلم، فقال له: اكتب، فقال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». يا بُني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»(١).

وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق اللَّه تعالى القلم، فقال له: اكتب

(١) صحيح بمجموع طرقه،رواه أبو داود (٤٧٠٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٨)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٤)، وفي «الاعتقاد» (ص١٤٩ـ١٥٠) وفي «الشاميين» (٥٩) من طريق يحيى بن حسان التنيسي، عن رباح بن الوليد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، وهو حبش بن شريح، عن عبادة به.
وفي الإسناد أبو حفصة، وهو مقبول، وخالف يحيى بن حسان مروان بن محمد العامري عند الطبراني في «الشاميين» (٥٨)فرواه عن رباح بن الوليد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي يزيد الأزدي، عن عبادة به، وأبو يزيد مجهول، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢) من طريق الطبراني عند الشاميين ولكن جعل مكان أبي يزيد الأزدي أبا عبد العزيز الأردني.
والأردني هذا لا يعرف له ترجمة في هذه الطبقة، وإن كان الأردني الذي يروي عن يحيى بن أبي كثير، فهو لايدرك عبادة، ورواه ابن أبي عاصم (١٠٣)، وأحمد (٥/ ٣١٧) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الوليد بن عبادة، عن عبادة به، وابن لهيعة فيه مقال مشهور، ورواه الطيالسي (٥٧٨ط. هجر)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وأحمد (٥/ ٣١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١١١)، وابن أبي شيبة (١٤/ ١١٤)، الآجري في «الشريعة» (٢٤٦، ٣٧١، ٤٣٨)، والفريابي في «القدر» (٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥)، واللالكائي (٣٥٧، ١٠٩٧، ١٢٣٣)، والشاشي (١١٩٣) وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٣٤٤٤)، وابن بطة في «الإبانة» قسم القدر (١٠/ ٣٣٣رقم ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٤٤٦، ١٤٤٧) وغيرهم. بعضهم من طريق أيوب بن زياد، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن عبادة به وأيوب بن زياد فيه جهالة، وبعضهم من طريق عبد الواحد، عن عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه به، وعبد الواحد بن سليم ضعيف، وعطاء بن أبي رباح له طريق آخر من طريق بقية بن الوليد، عن معاوية بن سعيد عن عطاء، به، وبقية مدلس، وقد عنعن، ومعاوية بن سعيد فيه جهالة وبعضهم من طريق عثمان بن أبي عاتكة، حدثني سليمان بن حبيب، عن الولد بن عبادة، عن أبيه به.
وعثمان فيه ضعف.
والحديث بمجموع هذه الطرق يصح.
وله شواهد من حديث أبي هريرة، وحديث ابن عباس، انظر الآجري في «الشريعة» (١٧٩) وتحقيق «الاعتقاد» (ص٥٠ـ٥١) لشيخنا أحمد بن أبي العينين، وتحقيق، مسند أحمد (٥/ ٣١٧) للشيخ شعيب الأرناؤوط.

فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

وفي رواية لابن وهب، قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره: أحرقه الله بالنار»(٢)

ش: قوله: (وعن عبادة)، قد تقدم ذكره في باب فضل التوحيد، وحديثه هذا، رواه أبو داود.

ورواه الإمام أحمد بكماله، قال: حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا ليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدثني عُبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي، قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني. قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه وكيف أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»**. يا بني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار(٣).

---

(١) رواية أحمد (٥/ ٣١٧) وابن أبي عاصم (١٠٧) من طريق أيوب بن زياد الحمصي، عن عبادة بن الوليد، عن أبيه، عن عبادة به، وأيوب فيه جهالة، ولكن ماسبق يغني عنه.

(٢) جاء بلفظ «القدر على هذا من مات على غير هذا أدخله الله تعالى النار» رواه ابن أبي عاصم (١١١)، والآجري (٣٧١، ٤٣٨) من طريق عثمان بن أبي عاتكة، حدثني سليمان بن حبيب المحاربي، عن الوليد بن عبادة بهذا اللفظ وعثمان ضعيف، وروى الآجري (٣٤٦، ٣٧٢)، وابن بطة في «الإبانة» (١٤٤٨) من طريق أيوب بن زيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن عبادة به، وأيوب الحمصي فيه جهالة، لكن يتقوى بمجموع الطريقين، وانظر ابن وهب في «القدر» (٢٦) بلفظ المؤلف، وفي إسناده انقطاع، وانظر حديث زيد بن ثابت عند أحمد (٢١٥٨٩) تحقيق الشيخ شعيب، وأبي الدرداء عند أحمد (٣٧٤٩٠)، وابن عباس عند الترمذي (٢١٤٤)، والطبراني (١١٢٤٣) والحاكم (٢/ ٥٤٢)، وابن عمر في «الأوسط» (١١٧٦)، وقوله «أول ماخلق الله القلم».

رواه ابن عباس عند أبي يعلى (٢٣٢٩)، وابن جرير (١٩/ ١١)، والطبراني (١٢٢٢٧)، والبيهقي (٣١٩)، وعمر عند ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٦)، والطحاوي في «الشاميين» (٦٧٣، ١٥٧٢)، وعن أبي هريرة عند الآجري في «الشريعة» (١٧٩).

(٣) انظر الحديث السابق حديث عبادة.

ورواه الترمذي، بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه، وقال: حسن صحيح غريب.

وفي هذا الحديث ونحوه: بيان شمول علم اللَّه تعالى، وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

[الطلاق: ١٢]

وقد قال الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه تعالى ـ لما سُئل عن القدر؛ قال: القدر قدرة الرحمن. واستحسن هذا ابن عقيل، من أحمد رحمه اللَّه تعالى.

والمعنى: أنه لا يمتنع عن قُدرة اللَّه شيء. ونفاة القدر قد جحدوا كمال قُدرة اللَّه تعالى، فضلُّوا عن سواء السبيل.

وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصموا، وإن جحدوه كفروا.

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى: والناس في باب خلق الرب وأمره، ولِمَ فعل ذلك، على طرفين ووسط:

فالقدرية من المعتزلة وغيرهم قصدوا تعظيم الرب تعالى؛ بتنزيهه عما ظنوه قُبحًا من الأفعال وظلمًا. فأنكروا عموم قدرته ومشيئته، ولم يجعلوه خالقًا لشيء، ولا أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. بل قالوا: يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشأ. ثم إنهم وضعوا لربهم شريعة فيما يجب عليه ويحرم بالقياس على أنفسهم، وتكلَّموا في التقدير والتجويز بهذا القياس الفاسد الذي شبَّهوا فيه الخالق بالمخلوق، فضلُّوا وأضلوا!!.

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: وفي (المسند)، و(السنن)، عن ابن الديلمي، قال: أتيتُ أُبَيَّ بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل اللَّه يُذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله اللَّه منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما

أخطأك لم يكن ليصيبك. ولو مُت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد اللَّه بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح، رواه الحاكم في (صحيحه).

ش: قوله: (وفي المسند، وسنن أبي داود، عن ابن الديلمي) وهو أبو بُسر، بالسين المهملة، وبالباء المضمومة. ويقال: أبو بشر، بالشين المعجمة وكسر الباء، وبعضهم صحح الأول. واسمه عبد اللَّه بن فيروز.

ولفظ أبي داود قال: لو أن اللَّه عذب أهل سمواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم، لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم. ولو أنفقت مثل أُحد ذهباً ما قبله اللَّه منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. ولو مُتَّ على غير هذا، لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد اللَّه بن مسعود، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيت حُذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. وأخرجه ابن ماجه[1].

وقال العماد ابن كثير: عن سُفيان، عن منصور، عن ربعي بن خِراش، عن

---

(١) **حسن بطريقيه:** رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وعبد بن حميد (٢٤٧)، وأحمد (٥/ ١٨٢-١٨٣ - ١٨٥)، وابنه في«السنة» (٨٤٣)، وابن أبي عاصم في«السنة» (٢٤٥)، والطبراني في«الكبير» (٤٩٤٠)، وابن حبان كما في «الإحسان » (٧٢٧)، والبيهقي في«الكبرىٰ» (١٠/ ٢٠٤)، وابن بطة في «الإبانة» قسم «القدر » (١٤٤٣)، من طريق سعيد بن سنان الشيباني، عن وهب بن خالد الحميري، عن ابن الديلمي به.

وسعيد بن سنان مختلف في توثيقه وتضعيفه، ورواه الآجري في «الشريعة (٣٧٣)، وابن بطة في«الإبانة» قسم «القدر»ب (١٤٠٤٤) من طريق صالح، حدثني معاوية بن صالح، أن أبا الزاهرية حدثه عن كثير بن مرة، عن ابن الديلمي به. وعبد الله بن صالح أبو صالح فيه ضعف.

وبمجموع الطريقين يحسن للحديث، وورد نحوه عن عمران بن حصين، وابن مسعود عند الطبراني (١٠٥٦٤) وابن بطة في «الإبانة» (١٤٤٥) وإسناده ضعيف، وصحح الحديث الشيخ الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢٤٥).

رجل، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأني رسول اللَّه بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره»**[1]. وكذا رواه الترمذي، عن النضر بن شُميل، عن شُعبة، عن منصور به. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شُعبة، عن ربعي، عن علي، فذكره.

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه منصور عن ربعي بن خراش واختلف عنه فرواه زائده وجرير وشريك عن منصور عن ربعي عن علي به مرفوعًا.
كما عند أبي يعلى (٣٥٢، ٥٨٣) والحاكم (١/ ٣٣) والفريابي في «القدر» (١٩٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٠، ٨٨٨) وابن ماجه (٨١) والخطيب في «التاريخ» (٣/ ٣٦٦).
ورواه شعبة واختلف عنه فرواه محمد بن جعفر وأبو داود الطيالسي عنه عن منصور عن ربعي عن علي به كما عند الترمذي (٢١٤٥) والطيالسي (١٠٨ط. هجر) وأحمد (١/ ٩٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٤٥، ٨٨٧) والبزار (٩٠٤البحر الزخار) ورواه معاذ والنضر بن شميل عن شعبة عن منصور عن ربعي عن رجل عن علي كما عند الفريابي في «القدر» (١٩٥) والترمذي على إثر حديث (٢١٤٥) ورجح الترمذي الرواية الأولى عن شعبة.
ورواه سفيان الثوري واختلف عنه فرواه محمد بن كثير وأبو عاصم عن سفيان عن منصور عن ربعي عن علي كما عند الحاكم (١/ ٣٢) وابن حبان (١٧٨) ورواه أبو حذيفة (موسى بن مسعود) ووكيع وأبو نعيم عنه عن منصور عن ربعي عن رجل عن علي به.
كما عند أحمد (١/ ١٣٣) وابنه في «السنة» (٨٤٦) والبغوي (٦٦) وعبد بن حميد (٧٥) والحاكم (١/ ٣٣) ورجح الحاكم الرواية الأولى عن سفيان ورواه أبو الأحوص(سلام بن سليم) واختلف عنه، فرواه الفريابي (١٩٤)، والطيالسي (١٦٥) من طريق سلام عن منصور عن ربعي عن علي بمتن قريب ورواه أبو يعلى (٣٧٦) من طريق سلام عن منصور عن ربعي عن رجل عن علي به.
ورجح الدارقطني طريق منصور عن ربعي عن رجل عن علي وسئل الدارقطني عن الحديث كما في علله (٣/ ١٩٦) فقال حدث به شريك وورقاء وجرير وعمرو بن أبي قيس عن منصور عن ربعي عن علي وخالفهم سفيان الثوري وزايدة وأبو الأحوص وسليمان التيمي فرواه عن منصور عن ربعي عن رجل من بني راشد عن علي. وهو الصواب. اهـ. وقد رجح الترمذي والحاكم طريق منصورعن ربعي عن علي وربعي سمع من علي.
قال الترمذي: بعد ذكر حديث النضر بن شميل حديث أبو داود عن شعبة عندي أصح من حديث النضر وهكذا روىٰ غير واحد عن منصور عن ربعي عن علي.
وقال الحاكم: جرير من أعرف الناس بحديث منصور.

وقد ثبت في (صحيح مسلم)، من رواية عبد اللَّه بن وهب، وغيره، عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ـ زاد ابنُ وهب ـ وكان عرشه على الماء**»[1] ورواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

وكلٌّ هذه الأحاديث، وما في معناها: فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي.

وفي الحقيقة: إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا. وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحِّدين في النار.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦).

(٦٠)

بـاب
ما جاء في المصوِّرين

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: باب ما جاء في المصوِّرين.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال اللَّه تعالى: ومَن أظلم ممن ذهب يخلقُ كخلقي، فليخلقـوا ذرَّة أو ليخلقوا حبةً، أو ليخلقـوا شعيرة»(١).

أخرجاه.

ولهما، عن عائشة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق اللَّه»(٢).

ولهما، عن ابن عبـاس: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كل مـصوِّر في النار، يُجعل له بكل صورة صوَّرها نفس يعذب بها في جهنم»(٣).

ولهـما، عنه مـرفوعًـا: «من صـوَّر صورةً في الدنيـا كُلِّف أن ينفخ فـيهـا الروح، وليس بنافخ»(٤).

شن: قوله: (باب ما جاء في المصوِّرين).

أي: من عظيم عقوبة اللَّه لهم، وعذابه. وقد ذكر النبي ﷺ العلة: وهي المضاهاة بخلق اللَّه؛ لأن اللَّه تعالى له الخلق و الأمر. فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩) ومسلم (٢١١١)
(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (طرف ٢١٠٧).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٢٢٥، ٥٩٦٣، ٧٠٤٢) ومسلم (٢١١٠).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (طرف حديث ٢١١٠).

الحياة، كما قال تعالىٰ: ﴿الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٩].

فالمصوِّرُ لَمَّا صور الصورة علىٰ شكل ما خلقه اللَّه تعالىٰ من إنسان أو بهيمة، صار مضاهيًا لخلق اللَّه. فصار ما صوَّره عذابًا له يوم القيامة، وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. فكان أشد الناس عذابًا؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب.

فإذا كان هذا فيمن صوَّر صورة علىٰ مثال ما خلقه اللَّه تعالىٰ من الحيوان، فكيف بحال من سوَّىٰ المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة التي خلق اللَّه الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره، من كل عمل يُحبه اللَّه من العبد ويرضاه؟

فتسوية المخلوق بالخالق، بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكًا له فيما اختص به تعالىٰ وتقدس: هو أعظم ذنب عُصي اللَّه تعالىٰ به؛ ولهذا أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها للَّه تعالىٰ. فنجَّىٰ تعالىٰ رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جحد التوحيد، واستمر علىٰ الشرك والتنديد. فما أعظمه من ذنب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: ولمسلم، عن أبي الهيَّاج، قال: قال لي علي: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسول اللَّه ﷺ؟ أن لا تَدَع صورةً إلا طمستها، ولا قبراً مُشرِفًا إلا سويته»[1].

ش: قوله: (ولمسلم، عن أبي الهياج). الأسدي، حيان بن حُصين.

(قال: قال لي علي). هو أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٩٦٩).

قوله: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مُشرِفًا إلا سويته.

فيه: التصريح بأن النبي ﷺ بعث عليًا لذلك. أما الصور: فلمضاهاتها لخلق الله. وأما تسوية القبور: فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله. فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله، من مصالح الدين ومقاصده وواجباته. ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطًا لرحال العابدين المعظِّمين لها. فصرفوا لها جُلَّ العبادة: من الدعاء والاستعانة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كل شرك محرم محظور.

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم. رأى أحدهما مضاداً للآخر، مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبداً.

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يُصلُّون عندها وإليها.

ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمُّونها مشاهد؛ مضاهاة لبيوت الله. ونهى عن إيقاد السُّرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها.

ونهى أن تُتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر. وأمر بتسويتها؛ كما روى مسلم في (صحيحه)، عن أبي الهياج الأسدي ـ فذكر حديث الباب ـ، وحديث ثُمامة بن شُفي، وهو عند مسلم أيضًا، قال: كنا مع فَضالة بن عُبيد بأرض الروم بُرودس، فتُوفي صاحب لنا. فأمر فضالة بقبره فسُوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.

وهؤلاء يُبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها من الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه؛ كما روى مسلم في (صحيحه)، عن جابر،

قال: نهىٰ رسول اللَّه ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنىٰ عليه.

ونهىٰ عن الكتابة عليها؛ كما روىٰ أبو داود في (سننه)، عن جابر: أن رسول اللَّه ﷺ نهىٰ عن تجصيص القبور، وأن يُكتب عليها. قال الترمذي: حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره!

ونهىٰ أن يُزاد عليها غير ترابها؛ كما روىٰ أبو داود، عن جابر أيضًا: نهىٰ أن يُجصص القبر، أو يُكتب عليه، أو يُزاد عليه. وهؤلاء يزيدون عليه الآجُر والأحجار والجَص. قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجُر علىٰ قبورهم.

والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليه السُّرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب: مناقضون لما أمر به رسول اللَّه ﷺ، محادُّون لما جاء به. وأعظمُ ذلك اتخاذُها مساجد، وإيقاد السرج عليها. وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم، بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي: ولو أُبيح اتخاذ السرج عليها لم يُلعن من فعله، ولأن فيه إفراطًا في تعظيم القبور، أشبه تعظيم الأصنام.

قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد علىٰ القبور؛ لهذا الخبر، ولأن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لعن اللَّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يحذِّر ما صنعوا[1]. متفق عليه.

ولأن تخصيص القبور يُشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها. وقد رُوِّينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها، والصلاة عندها. انتهىٰ.

وقد آلَ الأمر بهؤلاء الضُّلال المشركين إلىٰ أن شرعوا للقبور حجًا، ووضعوا لها مناسك، حتىٰ صنَّف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا سماه: (مناسك حج المشاهد)، مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٣١).

ولا يخفىٰ أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عُبَّاد الأصنام. فانظروا إلىٰ هذا التباين العظيم: بين ما شرعه رسول اللَّه ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه.

ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يُعجَز عن حصره.

فمنها: تعظيمُها الموقع في الافتتان بها.

ومنها: اتخاذها أعياداً.

ومنها: السفر إليها.

ومنها: مُشابهة عِبادة[1] الأصنام، بما يفعل عندها: من العُكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها، وسدانتها. وعُبَّادها يرجِّحون المجاورة عندها[1] علىٰ المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل لقيِّمها ليلة يطفئ القنديل المعلَّق عليها!

ومنها: النذر لها، ولسدنتها.

ومنها: اعتقاد المشركين بها أن بها يُكشف البلاء وينصر علىٰ الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتُقضىٰ الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلىٰ غير ذلك.

ومنها: الدخول في لعنة اللَّه ورسوله، باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السُّرج عليها.

ومنها: الشرك الأكبر، الذي يُفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها، بما يفعله المشركون بقبورهم. فإنهم يؤذيهم ما يُفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح عليه السلام يكره ما يفعل النصارىٰ عند قبره.

وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ، يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارىٰ عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرءون منهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا

أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨].

قال اللَّه للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

ومنها: إماتة السُّنن، وإحياء البدع.

ومنها: تفضيلها علىٰ خير البقاع وأحبها إلىٰ اللَّه؛ فإن عباد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام، والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة علىٰ الموتىٰ، ما لا يفعلونه في المساجد، ولا قريبًا منه.

ومنها: أن الذي شرعه الرسول ﷺ، [عند زيارة القبور][1]: إنما هو تذكُّر الآخرة، والإحسان إلىٰ المزور بالدعاء له والترحم عليه، والاستغفار له و سؤال العافية، فيكون الزائر محسنًا إلىٰ نفسه، وإلىٰ الميت.

فقَلَب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين. وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤال حوائجهم، واستنزال البركة منه ونصره لهم علىٰ الأعداء، ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلىٰ أنفسهم، وإلىٰ الميت.

وكان رسول اللَّه ﷺ قد نهىٰ الرجال عن زيارة القبور؛ سدًا للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها علىٰ الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هُجرًا. ومن أعظم الهُجر: الشرك عندها، قولاً وفعلاً.

وفي (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**زوروا القبور، فإنها تذكر الموت**»[1].

---

(١) **صحيح**: وهي قطعة من صحيح مسلم (طرف حديث ٩٧٦).

وعن ابن عباس، قال: مرّ رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: **«السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر»**(١) رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلّمهم إياها. هل تجد فيها شيئًا مما اعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟! وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها(٢)، ولكن كلما ضعف تمسُّك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقصَ إيمانهم: عوَّضوا عن ذلك، بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرَّد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر، ثم دعا.

ونصَّ على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء، حتى لا يدعو عند القبر؛ فإن الدعاء عبادة. وفي الترمذي، وغيره مرفوعًا: **«الدعاء هو العبادة»**(٣)، فجرد السلف العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله ﷺ من الدعاء لأصحابها، والاستغفار لهم، والترحم عليهم.

وأخرج أبو داود، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**(٤) وإسناده جيد، رواته ثقات مشاهير.

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الترمذي (١٠٥٣) والطبراني في «الكبير» (١٢٦١٣) من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس مرفوعًا. وقابوس لين الحديث.
وقد صح عند مسلم (٩٧٥) من حديث بريدة «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون. أسأل الله لنا ولكم العافية». وجاء عند مسلم (٩٧٤) نحوه من حديث عائشة مرفوعًا.

(٢) وعزاه القاضي عياض في «الشفا» إلى المبسوط لمحمد بن الحسن الشيباني فانظر «الشفا في زيارة قبر النبي ﷺ» بتحقيقي.

(٣) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧) من غيرهم وحديث النعمان بن بشير وسبق هذا الحديث قبل ذلك.

(٤) **حسن**: رواه أبو داود (٢٠٤٢) وغيره وقد سبق تخريجه تحت باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد.

وقوله: «ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا» أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقرآن، فتكون بمنزلة القبور.

فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحري العبادة عند القبور، وهذا ضدُّ ما عليه المشركون، من النصارى وأشباههم.

ثم إن في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله، ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك؛ ولكن: ما لِجُرح بميت إيلام.

فمن المفاسد اتخاذها أعيادًا: الصلاة إليها والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود على تُرابها، وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون، وتفريج الكُربات، وإغاثة اللهفات، وغيرُ ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدوابِّ إذا رأوها من كل مكان بعيد. فوضعوا لها الجباه، وقبَّلوا الأرض وكشفوا الرءوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج! ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج. فاستغاثوا بمن لا يُبدئ ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد.

حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين. فتراهم حول القبر ركعًا وسجدًا، يبتغون فضلاً من الميت ورضوانًا، وقد ملئوا أكفَّهم خيبةً وخسرانًا!

فلغير الله - بل للشيطان - ما يُراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويُسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات.

ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدى للعالمين. ثم أخذوا في التقبيل والاستلام؛ أرأيت الحجر الأسود وما يَفعل به وفدُ البيت الحرام؟! ثم عفَّروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تُعفر كذلك بين يديه في السجود.

ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من

ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند اللَّه خلاق .

وقد يُعطىٰ لذلك الوثن القرابين ، وكانت صلاتهم ونسكهم وقرباتهم لغير اللَّه رب العالمين . فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضًا ، ويقول : أجزل اللَّه لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًّا !

فإذا رجعوا ، سألهم غلاةُ المتخلِّفين : أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر ، بحج المتخلف إلىٰ البيت الحرام . فيقول : لا ، ولا بحجك كل عام ! !

هذا ، ولم نتجاوز فيما حكينا عنهم ، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم ؛ إذ هي فوق ما يخطر بالبال ، أو يدور في الخيال . وهذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح ؛ كما تقدم .

وكل من شم أدنىٰ رائحة من العلم والفقه ، يعلم أن أهم الأمور : سدُّ الذريعة إلىٰ هذا المحظور ، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهىٰ عنه وما يئول إليه ، وأحكم في نهيه عنه وتوعُّده عليه ، وأن الخير والهُدَىٰ في اتباعه وطاعته والشر والضلال في معصيته ومخالفته ، انتهىٰ كلامه رحمه اللَّه .

* * *

(٦١)

بـاب
ما جاء في كثرة الحلف

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: باب ما جاء في كثرة الحلف.

ش: أي: من النهي عنه، والوعيد.

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: وقول اللَّه تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

ش: قال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير[١]. وذكر غيرُه من المفسِّرين، عن ابن عباس: يريد لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحِنْث، فلا تحنثوا[٢].

والمصنف، أراد من الآية: المعنىٰ الذي ذكره ابن عباس؛ فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث، مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم للَّه، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: عن أبي هريرة سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «الحَلِف مَنْفَقة للسِّلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه[٣].

ش: أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود والنسائي.

والمعنىٰ: أنه إذا حلف علىٰ سلعته أنه أُعطي فيها كذا وكذا أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة علىٰ قيمتها، والبائع كذاب، وحلف طمعًا في الزيادة، فيكون قد عصىٰ اللَّه تعالىٰ، فيعاقب بمحق

---

(١) انظر الطبري في «التفسير» (٥/ ٣٢-٣٣) دار الكتب العلمية عند آية (٨٩) من سورة المائدة.

(٢) انظر البغوي في «التفسير»(٢/ ٦٢).

(٣) صحيح. رواه البخاري (٢٠٨٧) ومسلم (١٠٦٠٦) وأبو داود (٣٣٣٥) والنسائي (٧/ ٢٤٦).

البركة .

فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسًا . وما عند اللَّه لا يُنال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب .

قال المصنف رحمه اللَّه تعالى: وعن سلمان، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم اللَّه ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أُشَيْمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل اللَّه بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه»[١] رواه الطبراني بسند صحيح.

ش: وسلمان : لعله سلمان الفارسي ، أبو عبد اللَّه ، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد الخندق ، روىٰ عنه : أبو عثمان النهدي ، وشرحبيل بن السمط ، وغيرهما . قال النبي ﷺ : **«سلمان منا أهل البيت»**[٢] ، **«إن اللَّه يحب من أصحابي أربعة: علي، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد»**[٣] أخرجه الترمذي ، وابن ماجه .

قال الحسن : كان سلمان أميرًا علىٰ ثلاثين ألفًا ، يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها[٤] . توفي في خلافة عثمان ، قال أبو عبد اللَّه : سنة ست

---

(١) إسناده صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (٦١١)، و«الأوسط» (٥٥٧٣)، و«الصغير» (٩٧٥)، حدثنا محمد ابن عبد الله الحضرمي ، ثنا سعيد بن عمرو الأشعثي ، ثنا حفص بن غياث ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان به ، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٧٢) .

(٢) ضعيف جدًا: رواه الحاكم (٣/ ٥٩٨) والطبراني في «الكبير» (٦٠٤٠) وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٦٢، ٧/ ٢٣١) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٥٤) من طريق كثير بن عبد الله المزي عن أبيه عن جده مرفوعًا وكثير المزني ضعيف جدًا وقد جاء نحوه عن علي موقوفًا انظر الطبراني (٦٠٤١) و«الحلية» (١/ ١٨٧) والفسوي في «المعرفة» (٢/ ٥٤٠) والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٢) .

(٣) إسناده ضعيف: رواه الترمذي (٣٧١٨) وابن ماجه (١٤٩)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٥١، ٣٥٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٢) والحاكم (٣/ ١٣٠) مختصرًا من طريق شريك حدثنا أبو ربيعة عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعًا وشريك ضعيف وأبو ربيعة وهو عمير بن ربيعة ضعيف

(٤) منقطع بين الحسن وسليمان: رواه ابن سعد (٤/ ٦٥) وأبو نعيم (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨) من طريق الحسن عن سلمان .

وثلاثين. عن ثلاثمائة وخمسين سنة، ويُحتمل: أنه سلمان بن عامر بن أوس الضَّبي.

قوله: «**ثلاثة لا يكلمهم الله**» نفي كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة، دليل على أنه يكلم من أطاعه، وأن الكلام صفة من صفات كماله.

والأدلة علي ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين: قيام الأفعال بالله سبحانه، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئًا فشيئًا، ولم يزل متصفًا به.

فهو حادث الآحاد، قديم النوع؛ كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث.

وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأحمد، سائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢] فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضًا. وذلك في القرآن كثير.

قال شيخ الإسلام: فإذا قالوا لنا ـ يعني النفاة ـ فهذا يلزم أن تكون الحوادث قائمة به؟ قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟! ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل.

ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الأمراض والنقائص، والله منزه عن ذلك، ولكن يقوم به ما شاء من كلامه وأفعاله ونحو ذلك، مما دل عليه الكتاب والسنة.

والقول الصحيح: قول أهل العلم، الذين يقولون لم يزل متكلمًا إذا شاء؛ كما قال ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من أئمة السنة. انتهى.

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها، وإيجاده له بمشيئته وأمره. والله أعلم.

قوله: «**ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات.

قوله: «**أشميط زان**» صغره تحقيراً له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا: محبة المعصية والفجور، وعدم خوفه من الله.

وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف

الشاب ؛ فإن قوة داعي الشهوة منه قد يغلبه مع خوفه من الله ، وقد يرجع على نفسه بالندم ، ولومها على المعصية ، فينتهي ويراجع .

وكذلك العائل المستكبر ، ليس له ما يدعوه إلى الكبر ؛ لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة . والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر . فاستكباره مع عدم الداعي إليه ، يدل على أن الكبر طبيعة له ، كامن في قلبه . فعظمت عقوبته ؛ لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم ، الذي هو من أكبر المعاصي .

قوله : «ورجلٌ جعل الله بضاعته» : بنصب الاسم الشريف ، أي : الحلف به ، جعله بضاعته ؛ لملازمته له وغلبته عليه .

وهذه أعمالٌ تدل على أنَّ صاحبها إن كان موحِّدًا فتوحيده ضعيف ، وأعماله ضعيفة ؛ بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة ، على قلة الداعي إليها . نسأل الله السلامة والعافية ، ونعوذ بالله من كلِّ عمل لا يحبه ربُّنا ولا يرضاه .

قال المصنف رحمه الله تعالى: وفي الصحيح، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ قال عمران: فلا أدري، أذكر بعد قرنه مرَّتين أو ثلاثًا ـ ثم إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن»[1].

ش: قوله : «وفي الصحيح» أي : «صحيح مسلم» ، وأخرجه أبو داود ، والترمذي ، ورواه البخاريُّ بلفظ «خيركم» .

قوله : «خير أمتي قرني» لفضيلة أهل ذلك القرن : في العلم والإيمان ، والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون ، ويتفاضل فيها العاملون . فغلب الخيرُ فيها وكثر أهله ، وقل الشرُّ فيها وأهله ، واعتزَّ فيها الإسلام والإيمان ، وكثُر فيها العلم والعلماء .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٥) وأبو داود (٤٦٥٧).

«ثم الذين يـلونهم» فُضِّلُوا على من بعدهم: لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه والقائم به، وما ظهر فيه من البدع، أُنكر واستعظم وأُزيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدعُ وإن كانت قد ظهرت، فأهلها في غاية الذُّل والمقت والهوان والقتل، فيمن عاند منهم ولم يتب.

قوله: «فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟» هذا شكٌ من راوي الحديث عمران بن حصين، والمشهور في الروايات: أنَّ القرون المفضَّلة ثلاثةٌ: الثالث دون الأولين في الفضل؛ لكثرة ظهور البدع فيه، لكنَّ العلماء متوافرون، والإسلامَ فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة، من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء.

فقال: «ثم إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون» لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريهم للصدق؛ وذلك لقلة دينهم، وضعف إسلامهم.

قوله: «ويخونون ولا يُؤتمنون» يدل على أنَّ الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم.

قوله: «وينذُرون ولا يوفون» أي: لا يؤدُّون ما وجب عليهم، فظهورُ هذه الأعمال الذميمة، يدلُّ على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

قوله: «ويظهر فيهم السِّمن» لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم والتنعُم بها وغلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها.

وفي حديث أنس: «لا يأتي زمانٌ إلاَّ والذي بعده شرٌّ منه تلقوا ربكم» قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ(١). فما زال الشرُّ يزيد في الأمة، حتى ظهر الشركُ والبدع في كثير منهم، حتى فيمن ينتسب إلى العلم، ويتصدَّر للتعليم والتصنيف.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وفيه، عن ابن مسعود: أنَّ النبي ﷺ قال: خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينه، ويمينُه شهادته»(٢).

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٠٦٨).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٦٥٢)، (٣٦٥١)، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨) ومسلم (٢٥٣٣).

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد، ونحنُ صغار[(١)].

ش: قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلىٰ الدنيا ونسي المعاد، فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملاً وأداء؛ لقلة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك.

وهذا هو الغالب علىٰ الأكثر. والله المستعان. فإذا كان هذا قد وقع في الصدر الأول، ففي ما بعده أكثر بأضعاف. فكن من الناس علىٰ حذر.

قوله: «قال إبراهيم». هو النخعي.

«كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة والعهد، ونحن صغار»، وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد، ولا يقوم الدين إلا به.

وفي هذا: الرغبة في تمرين الصغار علىٰ طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم.

وذلك فضل الله يؤتيه ما يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٥١) بهذا اللفظ وعند مسلم (طرف حديثي ٢٥٣٣) بلفظ «كانوا ينهوننا ونحن غلمان عن العهد والشهادات.

(٦٢)

بـاب

ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب ما جاء في ذمة الله وذمة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

ش: قال العماد ابن كثير: وهذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان [المؤكدة]؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ ولا تعارض بين هذا، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] وبين قوله: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] أي: لا تتركوها بلا تكفير، و[بين قوله ﷺ] في «الصحيحين»: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللتها» [وفي رواية ـ «وكفرت عن يميني»[١].

لا تعارض بين هذا كله، وبين الآية المذكورة هنا وهي قوله ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [لأن] هذه الأيمان، المراد بها: الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حث أو منع. ولهذا قال مجاهد، في الآية: يعني الحلف، أي: حلف الجاهلية.

يؤيده: ما رواه الإمام أحمد، عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، و أيَّما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٧١٨، ٦٧١٩) ومسلم (١٦٤٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣٠) وأحمد (٤/ ٨٣).

وكذا رواه مسلم. ومعناه: أنَّ الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف، الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فإنَّ التمسك بالإسلام، حمايةً وكفاية عمَّا كانوا فيه.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديدٌ ووعيد، لمن نقض الأيمان بعد توكيدها.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن بُريدة، قال: كان رسول الله ﷺ، إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سريَّة، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا. فقال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا. وإذا لقيت عدوَّك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيَّتهُن ما أجابوك، فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فأن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين. وأخبرهم: أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحوَّلوا منها، فأخبرهم: أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن ياجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا، فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك، فاقبل منهم وكفَّ عنهم. فإن هم أبوا، فاستعن بالله، وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمَّة الله وذمَّه نبيه. فلا تجعل لهم ذمَّة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمَّتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم، أهونُ من أن تخفروا ذمَّة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري: أتصيبُ فيهم حُكمَ الله أم لا؟»[(١)] رواه مسلم.

ش: قوله: (عن بريدة)، هو ابن الحصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سُليمان عنه. قاله في (المفهم).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) وسبق الإشارة إليه.

قوله: (كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصَّته بتقوى الله تعالى)[1] فيه من الفقه: تأميرُ الأمراء، ووصيَّتهم.

قال الحربي: السرية: الخليل تبلغ أربعمائة ونحوها. والجيش: ما كان أكثر من ذلك، و تقوى الله: التحرُّز بطاعته من عقوبته.

قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه.

قوله: (ومن معه من المسلمين خيراً) أي: ووصَّاه بمن معه منهم، أن يفعل معهم خيراً: من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفضِ الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

وقوله: «**اغزوا باسم الله**» أي: اشرعوا في فعل الغزو، مستعينين بالله مخلصين له. قلتُ: فتكون الباء في بسم الله هنا، للاستعانة والتوكل على الله.

وقوله: «**قاتلوا من كفر بالله**» هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر، المحاربين وغيرهم، وقد خُصِّص منهم من له عهدٌ، والرهبان والنسوان، ومن لم يبلغ الحلم، وقد قال مُتصلاً به: «**ولا تقتلوا وليداً**» وإنما نهى عن قتل الرهبان والنسوان؛ لأنه لا يكون منهم قتال غالبًا، فإن كان منهم قتالٌ أو تدبير قُتلوا.

قلت: وكذلك الذَّراري، والأولاد.

قوله: «**ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثِّلوا**» الغلول: الأخذ من الغنيمة، من غير قسمتها. والغدر: نقضُ العهد، والتمثيل هنا: التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأُذنه والعبث به، ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهة المُثلة.

وقوله: «**وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال، أو خصال**» الرواية بأو للشك، وهو من بعض الرواة. ومعنى الخلال والخصال. واحد.

وقوله: «**فأيَّتهُنَّ ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم**» قيَّدناه، عمَّن يوثق بعلمه.

وتقييده بنصب أيتَّهن؛ على أن يعمل فيها أجابوك، لا على إسقاط حرف الجر. وما زائدةٌ. ويكون تقدير الكلام: فإلى أيتهنَّ أجابوك فاقبل منهم. كما تقول:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١).

أجبتك إلىٰ كذا أو في كذا. فيُعدَّىٰ إلىٰ الثاني بحروف الجر.

قلت: فيكون في ناصب «أيتَّهن» وجهان: ذكرهما الشارح. الأوَّل: منصوب علىٰ الاشتغال. والثاني: علىٰ نزع الخافض.

قوله: «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم «ثم ادعهم» بزيادة ثم، والصوابُ إسقاطها، كما رُوي في غير (كتاب مسلم)، (كمصنف) أبي داود[1]، وكتاب (الأموال) لأبي عُبيد؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال.

وقوله: «**ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين**» يعني المدينة، وكان هذا في أول الأمر، وقت وجوب الهجرة إلىٰ المدينة علىٰ كلِّ من دخل في الإسلام. وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الهجرة واجبةٌ علىٰ كل من آمن من أهل مكة، وغيرها.

قوله: «**فإن أبوا أن يتحولوا**» يعني: أنَّ من أسلم ولم يُجاهد ولم يهاجر، لا يُعطىٰ من الخُمس ولا من الفيء شيئًا.

وقد أخذ الشافعيُّ بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئًا. وأنَّ لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم، فتردُّ علىٰ فقرائهم. كما أنَّ أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرفُ كلِّ مال في أهله، وسوَّىٰ مالك وأبو حنيفة بين المالين، وجوَّزا صرفهما للضعيف.

وقوله: «**فإن هم أبوا فاسألهم الجزية**» فيه: حجة لمالك وأصحابه، والأوزاعي في أخذ الجزية من كلِّ كافر: عربيًا كان أو غيره، كتابيًا كان أو غيره.

وذهب أبو حنيفة إلىٰ أنَّها تؤخذُ من الجميع، إلاَّ من مشركي العرب ومجوسه.

وقال الشافعي: لا تُؤخذ إلا من أهل الكتاب: عربًا كانوا أو عجمًا. وهو قولُ الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتُوخذ من المجوس.

قلت: لأن النبي ﷺ أخذها منهم، وقال: «**سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب**»[2].

---

(١) انظر أبو داود (٢٦١٣).

(٢) منقطع: رواه مالك (١/ ٢٧٨) وعبد الرزاق (٦/ ٦٨-٦٩) و(١٠/ ٣٢٥) وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٤٣) والقاسم بن سلام في كتاب «الأموال» (٧٨) والبيهقي (٩/ ١٨٩) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر =

وقد اختُلف في القدر المفروض من الجزية، فقال مالك: أربعةُ دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الورق، وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟ قولان. وقال الشافعي: فيه دينارٌ على الغني والفقير. وقال أبو حنيفة: والكوفيون على الغني ثمانية وأربعون درهمًا، والوسط أربعةٌ وعشرون درهمًا، والفقير اثنا عشر درهمًا، وهو قول أحمد بن حنبل.

قال يحيى بن يوسف الصرْصري الحنبلي:

وقاتل يهوداً والنصارى وعصبة الـ ... مجوس، فإن هم سلَّموا الجزية اصدد
على الأدون اثني عشر درهمًا افرضن ... وأربعة من بعد عشرين زيِّد
لأوسطهم حالاً، ومن كان موسراً ... ثمانية مع أربعين لتنقد
وتسقط عن صبيانهم ونسائهم ... وشيخٍ لهم فانٍ وأعمى ومقعد
وذي الفقر والمجنون أو عبد مسلم ... ومن وجبت منهم عليه فيهتدي

وعند مالك، وكافَّة العلماء: على الرجال الأحرار البالغين والعقلاء، دون غيرهم. وإنَّما تُؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين، لا ممن نأى بداره، ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين، أو حربهم.

وقوله: «**وإذا حاصرت أهل حصن**» الكلام إلى آخره، فيه حجةٌ لمن يقول من الفقهاء، وأهل الأصول: إنَّ المصيب في مسائل الاجتهاد واحد. هو المعروفُ من مذهب مالك، وغيره.

ووجه الاستدلال: لأنه ﷺ قد نص على أنَّ لله تعالى حُكمًا معينًا في المجتهدات، ومن وافقه فهو المصيب، ومن لم يوافقه مخطيء.

قوله: «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله**» الحديث.

الذِّمة: العهد، وتخفِر: تنقض، يقال: اخفرتَ الرجل: نقضت عهده، وخفرتَه: أجرته.

= ابن الخطاب سأل عن جزية المجوسي فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره. وهذا منقطع بين محمد بن علي وبين عبد الرحمن بن عوف وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢/ ١١٤) هذا حديث. ولكن معناه متصل من وجوه حسان.

ومعناه: أنَّه خاف من نقض من لم يعرف حقَّ الوفاء بالعهد، كجهلة الأعراب، فكأنه يقول: إن وقع نقضٌ من متعد، كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالىٰ. والله أعلم.

قوله[١]: وقوله نافع: وقد سُئل عن الدعوة قبل القتال[٢].

ذكر فيه: أنَّ مذهب مالك، يجمع فيه بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال.

قال: وهو أن مالكًا، قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يُدعوا، ولا تُلتمس غِرتَّهم. إلا أن يكونوا بلغتهم الدعوة، فيجوز أن تؤخذ غرتَّهم.

وهذا الذي صار إليه مالك، وهو الصحيح؛ لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدوُّ أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدين، فإن علموا بذلك، أمكن أن يكون ذلك سببًا مميلاً لهم إلىٰ الانقياد إلىٰ الحق، بخلاف ما إذا جهلوا مقصود المسلمين، فقد يظنون أنهم يقاتلون للممالك وللدنيا، فيزيدون عتواً وبغضًا[٣]. والله أعلم.

* * *

---

(١) قوله: اي القرطبي في كتاب «المفهم» شرح صحيح مسلم الذي نقل عنه المؤلف هذا الشرح.

(٢) إسناده صحيح: رواه أبو داود (٢٦٣٣) حدثنا سعيد بن منصور حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا ابن عون قال كتبت إلىٰ نافع أسأله عن دعاء المشركين عند القتال، فكتب إلي: إن ذلك كان في أول الاسلام، وقد أغار علىٰ بني المصْطلق وهم غارون وأنعامهم تُسقىٰ علىٰ الماء، فقتل مقاتلهم وسبىٰ سبيهم، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث حدثني بذلك عبد الله وكان في ذلك الجيش. قال أبو داود: هذا حديث نبيل. رواه ابن عون عن نافع ولم يشركه فيه أحد.

(٣) غير أن من الأحسن، كما قال ابن عبد البر في التمْهيد (٢/ ٢١٦) الدعاء قبل القتال، لان رسول الله ﷺ، كان يأمر سراياه بذلك، وكان يدعو كل من يقاتله علىٰ اشتهار كلمته ودينه في جزيرة العرب والله أعلم. قاله الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في تحقيق «فتح المجيد» (٢/ ٨٢٤ط. الصميعي).

(٦٣)

بـاب

ما جاء في الإقسام على الله

قال المصنف رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في الإقسام على الله.

عن جُندب بن عبد الله، قـال: قال رسول الله ﷺ: «قـال رجلٌ: والله لا يغـفر الله لفـلان، فـقال الله عـز وجل: من ذا الذي يتـألَّى عليَّ أن لا أغفـرَ لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطتُ عملَك» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أنَّ القائل رجلٌ عابَد، قال أبو هريرة: تكلَّم بكلمة، أو بقت دنياه وآخرته.

ش: قوله: (باب ما جاء في الإقسام على الله). ذكر المصنف فيه حديث جُندب ابن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان. قال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان، أني قد غفرت له، وأحبطت عملك»**[١] رواه مسلم.

قوله: **«يتألَّى»** يحلف، والألْيَّة بالتشديد: الحَلِف. وصحَّ من حديث أبي هريرة.

قال البغويُّ في (شرح السنة): وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار ـ قال: دخلتُ مسجد المدينة، فناداني شيخ فقال: ياٍيمامي، تعال، وما أعرفه، قال: لا تقولون لرجل: والله لا يغفر الله لك أبداً ولا يدخلك الجنة.

قلتُ: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة. قال: فقلتُ: إنَّ هذه كلمة يقولها أحدُنا لأهله إذا غضب، أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعتُ رسول الله

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢١).

ﷺ يقول: «إنَّ رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهدٌ في العبادة، والآخر؛ كأنه يقول مذنب. فجعل يقول: أقصر عما أنت فيه. قال: فيقول: خَلِّني وربي. حتى وجده يومًا على ذنب استعظمه، فقال: اقصر، فقال: خلني وربي، أبُعثت عليَّ رقيبًا. فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبدًا. قال: فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده. فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يارب، قال اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلَّم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته[١].

ورواه أبو داود في (سننه)، وهذا لفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يُذنب، والآخر مُجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر. فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي، أبُعثت عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»[٢] إلى آخره.

قوله: (في حديث أبي هريرة أنَّ القائل رجلٌ عابد)[٣] يُشير إلى قوله في هذا الحديث «أحدهما مجتهدٌ في العبادة».

وفي هذه الأحاديث: بيان خطر اللسان، وذلك يفيد التحرُّزَ من الكلام؛ كما في حديث معاذ، قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أُمُّك

---

(١) إسناده حسن: رواه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣، ٣٦٣)، وابن حبان، كما في «الاحسان» (٥٧١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٨٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٨٤-٣٨٥)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٤٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٩٠٠)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٣/ ٣٢٦) من طريق عكرمة بن عمار، عن ضمضم بن جوس، عن أبي هريرة.

(٢) إسناده حسن: وانظر الحديث السابق.

(٣) إسناده حسن: وهو الحديث السابق.

يا معاذ، وهل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟»[1] والله أعلم.

* * *

(١) **صحيح بطريقه وشواهده**: رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٢٦) والحاكم (٤/ ٢٨٦ - ٢٨٧) من طريق عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد عن عباده بن الصامت به وهذا إسناد حسن وصححه الشيخ مقبل في تعليقه على الحاكم (٤/ ٤٢٥ ط. الحرمين) وقد جاء عن معاذ من عدة طرق. رواه البزار (٢٦٤٣) والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٢٧ - ١٢٨) وفي إسناده تحريف. انظر تحقيق رسالة ابن البناء في رسالة السكوت ولزوم البيوت (٥) من طريق أبي عمرو الشيباني عن معاذ بن جبل به. وأبو عمر الشيباني وهو سعد بن إياس قد أدرك معاذاً وروي عن الكبار من الصحابة ولكن ينظر هل له سماع من معاذ أم لا ورواه الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٩٤) وأحمد (٥/ ٢٣١) وغيرهم من طريق معمر عن عاصم عن أبي وائل عن معاذ به. وأبو وائل لم يسمع من معاذ ورواية معمر عن العراقين فيها شيء كما في مقدمة الفتح «هدي الساري» وعاصم بن أبي النجود كوفي.

ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦٤) من طريق شهر بن حوشب ثنا عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل به. وشهر فيه ضعف.

ورواه أحمد (٥/ ٢٣٦) والبزار (١٦٥٣ كشف) وغيرهما من طريق شهر به. مطولاً بدون ذكر الشاهد.

ورواه هناد في «الزهد» (١٠٩١) من طريق مكحول عن معاذ به ومكحول لم يسمع من معاذ.

وثم طرق أخري انظر تحقيق مسند أحمد ح (٢٢٠٢٦) ط. الرسالة.

(٦٤)

باب

لا يستشفع بالله على خلقه

قال المصنف رحمه الله تعالى: بابٌ لا يُستشفع بالله على خلقه.

عن جبير بن مطعم، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، نُهكَت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموالُ، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي ﷺ: «سُبحان الله، سبحان الله!» فما زال يُسبِّح، حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك» أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفعِ بالله على أحد». وذكر الحديث، رواه أبو داود.

ش: قوله: (بابٌ لا يُستشفع بالله على خلقه). وذكر الحديث، وسياقُ أبي داود في (سننه) أتم مما ذكره المصنف رحمه الله، ولفظُه: عن جُبير بن محمد بن جبير بن مُطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يا رسول الله، جُهدت الأنفس، وضاعت العيال ونُهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال النبي ﷺ: **«ويحك! أتدري ما تقول؟»** وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: **«ويحك! إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله من ذلك، ويحك، أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سمواته لهكذا ـ وقال بإصبعه مثل القبة عليه ـ وإنَّه ليئطُّ به أطيط الرَّحل بالراكب».**

قال ابن يسار في حديثه: «إنَّ الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته»[١].

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٠٣ ـ ١٠٤)، والدارمي في «الرد على =

قال الحافظُ الذهبي: رواه أبو داود - بإسناد حسن عنده - في (الرد على الجهمية)، من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قوله: «ويحك إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه» فإنه تعالى ربُّ كلِّ شيء ومليكه، والخير كلُّه بيده. لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع، ولا راد لما قضى وما كان الله ليُعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا قديرًا.

إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كُن، فيكون. والخلقُ وما في أيديهم مُلكُه يتصرف فيه كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر على الأعرابي.

قوله هذا، وسبح الله كثيرًا وعظَّمه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده، إنَّ شأن الله أعظم من ذلك.

وفي هذا الحديث: إثباتُ علوِّ الله على خلقه، وأنَّ عرشه فوق سمواته، وفيه: تفسيرُ الاستواء بالعلو؛ كما فسَّره الصحابةُ والتابعون والأئمة.

= الجهمية» (ص ٢٧٢)، وفي الرد علي المريس» (ص ٤٤٧، ٤٦٢) كما في «عقائد السلف» واللالكائي (٦٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٧٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٥٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٢٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٥٥٤)، والدارقطني في «الصفات» (٣٨، ٣٩، وعثمان بن أبي شيبة في «العرش» (١١)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤٧)، والبخاري في «التاريخ (٢/ ٢٢٤) والمزي في «تهذيب الكمال» (٤/ ٥٠٥ ترجمة جبير بن محمد)و والذهبي في «العلو» (ص ٣٧-٣٩) من طريق وهب بن جرير، واختلف عنه، فرواه علي بن المديني، ويحيى بن معين، واحمد بن سعيد الرباطي، وأبو الأزهر النيسابوري، وعبد الله بن محمد المسندي، ومحمد بن يزيد الواسطي، ومحمد بن بشار، في وجه عنه، رووه عن وهب ابن جرير، عن أبيه جرير بن حازم، عن محمد بن إسحاق، عن يعقوب، بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده به.

وخالفهم عبد الأعلي بن حماد النري، ومحمد بن المثنى العنزي، ومحمد بن بشار في الرجه الثاني عنه، رووه عن وهب بن جرير، عن أبيه، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، وجبير بن مُحمد، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، به، وصحح الوجه الأول أبو داود.

وقال الدارقطني: ومن قال يعقوب بن عتبة وجبير فقدوهم، وقال الذهبي: الأول اصح.

فالراجح الإسناد الأول، وسياتي ذكر علته.

ورواه الأجري في «الشريعة» (٦٦٧) من طريق حفص بن عبد الرحمن، قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده به، وإسناده ضعيف ففيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعن، ومدار الأسانيد علي جبيربن محمد وهو مجهول.

خلافًا للمعطلة: من الجهمية، والمعتزلة، ومن أخذ عنهم كالأشاعرة ونحوهم. ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلَّت عليه، من إثبات صفات الله تعالى، التي دلَّت على كماله جلا وعلا.

كما عليه السلف الصالح والأئمة، ومن تبعهم ممن تمسَّك بالسنة. فإنَّهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله من صفات كماله، على ما يليق بجلاله وعظمته. إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

قال العلامة ابن القيِّم في (مفتاح دار السعادة)- بعد كلام سبق فيما يُعرِّفُ العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته - قال بعد ذلك:

والثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة، فتُفتح له أبوابُ السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها.

ثم يُفتح له باب بعد باب، حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن. فينظر سعته وعظمته، وجلاله ومجده ورفعته. يرى السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه، كحلقة ملقاة بأرض فلاة. ويرى الملائكة حافِّين من حول العرش، لهم زجلٌ بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير.

والأمرُ ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود، التي لا يعلمها إلا ربُّها ومليكها.

فينزل الأمرُ بإحياء قومٍ وإماتة آخرين، وإعزاز قومٍ وإذلال آخرين، وإنشاء مُلك وسلب ملك. وتحويل نعمة من محل إلى محل.

وقضاء الحاجات، على اختلافها وتبيانها وكثرتها: من جبرِ كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضرٍ، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، وردّ آبق، وأمان خائف، وإجارةِ مستجير، ومدد لضعيف وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكفّ لعدوان.

فهي مراسيمُ دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج، على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها، ولا تبرَّم بإلحاح المُلحِّين، ولا تنقص ذرَّةٌ من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

فحينئذٍ يقوم القلبُ بين يدي الرحمنُ مطرقًا لهيبته، خاشعًا لعظمته عانٍ لعزته. فيسجد بين يدي المَلِك الحق المُبين، سجدةً لا يرفع رأسه منها إلىٰ يوم المزيد. فهذا سفـرُ القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله، وعجائب صنعه، فيا له من سفر ما أبركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجلَّ منفعته وأحسن عاقبته، سفرٌ هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. انتهىٰ كلامه رحمه الله تعالىٰ.

وأمَّا الاستشفاعُ بالرسول ﷺ في حياته، فالمرادُ به: استجلابُ دعائه، وليس خاصًا به ﷺ، بل كلُّ حيٍّ صالح يُرجىٰ أن يُستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة أو العامة؛ كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «**لا تنسنا يا أخي من صالح دُعائك**»(1).

وأمَّا الميت: فإنما يُشرع في حقه الدعاء له علىٰ جنازته، وعلىٰ قبره وفي غير ذلك. وهذا هو الذي يشرع في حق الميت، وأمَّا دعاؤه: فلم يشرع، بل قد دلَّ الكتابُ والسنة علىٰ النهي عنه، والوعيد عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] فبيَّن تعالىٰ أنَّ دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شركٌ، يكفر به المدعوُّ يوم القيامة.

أي: يُنكره، ويعادي من فعله؛ كما في آية الأحقاف: ﴿**وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٦] فكلُّ ميتٍ أو غائب، لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر.

والصحابة رضي الله عنهم، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم يُنقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم: أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، حتىٰ في أوقات الجدب؛ كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي بالناس، خرج

---

(1) **إسناده ضعيف**: رواه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، وأحمد (١/ ٢٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٠٧) من طريق عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر به، وعاصم بن عبيد الله ضعيف، وللحديث طريق آخر عن عمر عند ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٠٧) وسنده ضعيف واهٍ.

بالعباس عمِّ النبي ﷺ فأمره أن يستسقي؛ لأنه حيٌّ حاضر يدعو ربه[1]، فلو جاز أن يُستسقىٰ بأحدٍ بعد وفاته لاستسقىٰ عمر رضي الله عنه في السابقين الأولين بالنبي ﷺ.

وبهذا يظهر الفرقُ بين الحي والميت؛ لأن المقصود من الحي دعاؤه إذا كان حاضراً. فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلىٰ الله بطلب الدعاء ممن يدعوه ويتضرَّع إليه، وهم كذلك يدعون ربهم.

فمن تعدَّىٰ المشروعِ إلىٰ ما لا يُشرع، ضل وأضل، فلو كان دعاءُ الميت خيراً لكان الصحابة إليه أسبقَ وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم، فمن تمسَّك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد علىٰ عقله هلك. وبالله التوفيق.

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (١٠١٠).

(٦٥)

باب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ
حمى التوحيد وسده طرق الشرك

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، وسدِّه طُرقَ الشرك.

عن عبد الله بن الشخِّير، قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيِّدنا، فقال: «**السيِّدُ الله تبارك وتعالى**»، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: «**قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينَّكم الشيطان**». رواه أبو داود بسندٍ جيد.

وعن أنس، أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابنَ خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمدٌ عبد الله ورسوله، ما أُحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**» رواه النسائي بسندٍ جيد.

ش: قوله: (بابُ ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك) حمايته ﷺ حمى التوحيد، عما يشوبُه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السُّنة الثابتة عنه ﷺ، كقوله: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله**»[١] وتقدم، وقوله: «**إنه لا يُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل**»[٢] ونحو ذلك.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) إسناده ضعيف: وسبق تحت باب من الشرك أن يستغاث بغير الله.

ونهى عن التمادح، وشدَّد القول فيه؛ كقوله لمن مدح إنسانًا: «**ويلك قطعت عُنق صاحبك**» والحديث[١] أخرجه أبو داود، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه: أنَّ رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ، فقال له: «**قطعت عُنق صاحبك - ثلاثًا**»[٢].

وقال: «**إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**»[٣] أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه، عن المقداد بن الأسود.

وفي هذه الأحاديث: نهى أن يقولوا: أنت سيدنا، وقال: «**السِّيد الله تبارك وتعالى**»، ونهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، وقال: «**لا يستجرينَّكم الشيطان**»[٤].

وكذلك قوله، في حديث أنس: أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا [٥]وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان**» كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح، فيُفضي بهم إلى الغلو.

وأخبر ﷺ أنَّ مواجهة المادح للممدوح بمدحه - ولو بما فيه - من عمل الشيطان؛ لما تفضي محبةُ المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك يُنافي كمال التوحيد.

فإن العبادة لا تقوم إلاَّ بقُطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غايةُ الذل في

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٠٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠٢) والترمذي (٢٣٩٣) وابن ماجه (٣٧٤٢) وأبو داود (٤٨٠٤).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٨٠٦) والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٤، ١٠٠٧٥، ١٠٠٧٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٨٢)، وأحمد (٤/ ٢٤، ٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٨٩) من طريق مطرف بن عبد الله الشخير عن أبيه، وله طريق آخر في «الدلائل» للبيهقي (٥/ ٣١٨)، وفي إسناده رجل لم يوثق، وله شاهد عن أنس، وهو الآتي إن شاء الله.

(٥) **صحيح**: رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٨، ٢٤٩)، وابن حبان «إحسان» (٦٢٤٠)، وأحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩)، وعبد بن حميد (١٣٠٧، ١٣٣٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٤٩٨)، والضياء في «المختارة» (١٦٢٦، ١٦٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٢) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس به، وعند بعضهم حماد، عن حميد، عن أنس به وعند آخرين حماد عن ثابت وحميد عن أنس به. ويشهد له الحديث السابق.

غاية المحبة. وكمال الذل يقتضي: الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأنَّه لا يرىٰ نفسه إلا في مقام الذم لها، والمعاتبة لها في حق ربه، وكذلك الحبُّ لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات.

ومحبةُ المدح من العبد لنفسه يُخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه فيكون آثمًا، فمقامُ العبودية يقتضي كراهية المدح رأسًا، والنهي عنه صيانةٌ لهذا المقام. فمتىٰ أخلص الذل لله، والمحبة له: خلصت أعمالُه وصحت. فمتىٰ أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب: دخل علىٰ مقام العبودية بالنقص أو الفساد.

وإذا أدَّاه المدحُ إلىٰ التعاظم في نفسه، والإعجاب بها: وقع في أمر عظيم، ينافي العبودية الخاصة؛ كما في الحديث: **«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئًا منهما عذبته»**[1] وفي الحديث: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر»**[2].

وهذه الآفة قد تكون محبة المدح سببًا لها، وسلَّمًا إليها، والعُجب يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب.

وأمَّا المادح، فقد يُفضي به المدح إلىٰ أن يُنزل الممدوح منزلةً لا يستحقها، كما يوجد كثيراً في أشعارهم، من الغلو الذي نهىٰ عنه الرسول ﷺ وحذر أُمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه، حتىٰ صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدَّمت الإشارةُ إلىٰ شيءٍ من ذلك.

والنبيُّ ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية، صار يكره أن يُمدح، صيانةً لهذا المقام، وأرشد الأمة إلىٰ ترك ذلك نُصحًا لهم، وحمايةً لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده أو يضعفه، من الشرك ووسائله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] ورأوا أنَّ فعل ما نهاهم ﷺ عن فعله قربةٌ من أفضل القربات، وحسنة من أعظم الحسنات.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٠).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٩١).

وأما تسميةُ العبد بالسيد، فاختلف العلماء في ذلك:

قال العلامة ابن القيم في (بدائع الفوائد): اختلف الناسُ في جواز إطلاق السيد على البشر. فمنعه قومٌ، ونُقل عن مالك؛ واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: يا سيِّدَنا، قال: «السيد الله».

وجوَّزه قومٌ، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار «قوموا إلى سيدكم»[1] وهذا أصحُّ من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحدُ ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيِّدُ كندة، ولا يقال: المَلَك سيِّد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم.

وفي هذا نظر؛ فإنَّ السيد إذا أُطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولى والرب، لا بمعنى الذي يُطلق على المخلوق. انتهى.

قلت: فقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي: إلهًا وسيداً[2]. وقال في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أنَّه السيد، الذي كمُل في جميع أنواع السؤدد[3]. وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده[4].

وأمَّا استدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم» فالظاهر: أنَّ النبي ﷺ لم يواجه سعداً به، فيكون في هذا المقام تفصيل. والله أعلم.

* * *

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ١٤٧).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه ابن أبي حاتم (٣٨٣٢٩) من طريق أبي صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس به فذكره. وأبو صالح عبد الله بن صالح ضعيف وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس.

(٤) **إسناده صحيح**: رواه البخاري معلقاً (٨/ ٧٣٩) ووصله الطبري (٣٨٣٢٦، ٣٨٣٢٧، ٣٨٣٢٨) والفريابي كما في «الفتح» (٨/ ٧٤٠) عن الأعمش عن وائل به وإسناده صحيح.
وقد جاء من طريق عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود عند ابن أبي عاصم (١/ ٢٩٩) بإسناد حسن.

(٦٦)

باب

ما جاء في قول الله تعالى:
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

عن ابن مسعود، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على صبع. فيقول أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. الآية. متفق عليه.

وفي رواية مسلم: والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أن الملك، أنا الله.

وفي رواية للبخاري: يجعل السموات على إصبع، والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع. أخرجاه(١).

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) ومسلم (٢٧٨٦) وأحمد (١/ ٤٥٧).

ش: قوله: باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

أي: من الأحاديث والآثار، في معنىٰ هذه الآية الكريمة.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالىٰ: ما قدر المشركون الله حق قدره، حتىٰ عبدوا معه غيره. وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر علىٰ كل شيء، المالك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته.

قال مجاهد: نزتل في قريش[1].

قال السدي: ما عظموه حق عظمته[2]. وقال محمد بن كعب: لو قدره حقد قدره، ما كذبوه[3].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هم الكفار، الذي لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم. فمن آمن أن الله علىٰ كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره[4].

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها: من مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

ـ وذكر حديث ابن مسعود، كما ذكره المصنف رحمه الله في هذا الباب ـ قال: ورواه البخاري في «صحيحه» في غير موضع، ومسلم، والإمام أحمد، الترمذي، والنسائي. كلهم من حديث سليمان بن مهران هو الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة عن ابن مسعود، بنحوه.

[قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة،

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٧).
(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٢١٠) من طريق أسباط عن السدي فذكره وأسباط فيه ضعف وإن كان رواية السدي.
(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧).
(٤) إسناده ضعيف: رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٢٠٩) من طريق أبي صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره وأبو صالح عبد الله بن صالح ضعيف وعلي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس.

عن عبد الله]، قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أن الله يحمل الخلائق علىٰ إصبع، والسموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع. فضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه، قال: وأنزل الله عزوجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية. وهكذا رواه البخاري، ومسلم والنسائي، من طرق عن الأعمش به[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسين بن حسن الأشقر، حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن أبي الضحىٰ، عن ابن عباس، قال: مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السموات علىٰ ذه ـ وأشار بالسبابة ـ والأرض علىٰ ذه، والجبال علىٰ ذه، وسائر الخلق علىٰ ذه؟ كل ذلك يشير بإصبعه. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٢] وكذا رواه الترمذي في «التفسير»، بسنده عن أبي الضحىٰ مسلم بن صبيح، به. وقال: حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث، حدثني عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، فيقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**» تفرد به من هذا الوجه، رواه مسلم من وجه آخر[٣].

وقال البخاري في موضع آخر: حدثنا مقدم بن محمد، حدثنا عمي القاسم بن يحيىٰ، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك**» تفرد به أيضًا من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر[٤].

---

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٤٢٤٠) وأحمد (١/ ٢٥١) والطبري (٣٠٢٢١) من طريق أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن أبي الضحىٰ عن ابن عباس به والإسناد فيه عطاء بن السائب وهو مختلط.
وفي الأسناد أحمد الحسين الأشقر وهو ضعيف لكن تابع محمد بن الصلت عند الترمذي والطبري ويشهد له حديث ابن مسعود السابق.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٨١٢) ورواه مسلم (٤٧٨٧) من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤١٢) ورواه مسلم (٢٧٨٨) من طريق سالم عن ابن عمر.

وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخر، بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول، فقال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن عبيد الله بن مقسم، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺقرأ هذه الآية يومًا على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ورسول الله ﷺيقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر «يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم» فرجف برسول الله ﷺالمنبر، حتى قلنا: ليخرن به. انتهى[1].

قال المصنف رحمه الله تعالى: ولمسلم، عن ابن عمر مرفوعًا:

«يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أن الملك، أين الجبارون؟أين المتكبرون؟ »[2].

وروي: عن ابن عباس، قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي، إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس».

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٧٢) والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٩٦) وابن خزيمة في «التوحيد (٧٢) وابن حبان (٧٣٢٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٤٦) وغيرهم من طريق حماد سلمة أخبرنا إسحاق بن عبد الله يعني ابن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر. وأخرجه مسلم بأقصر من ذلك (طرف حديث ٢٧٨٨) من طريق عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر.

(٢) **صحيح إلا لفظه «بشماله»**: رواه مسلم (٢٧٨٨) وقد تفرد بها عمر بن حمزة، عن سالم، عن ابن عمر، وعمر بن حمزة فيه ضعف، وهذه لفظة منكرة انظر البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٠٦) فقد قال البيهقي: وذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة، عن سالم وقد روي هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم، عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال... إلى آخر ما قاله رحمه الله.

قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»(١).

---

(١) **ضعيف**: رواه الطبري (٥٧٩٥)، وأبو الشيخ في « العظمة» (٢٢٠) من طريق ابن زيد حدثني أبي، عن النبي ﷺ به. وقال: قال أبو ذر عن النبي ﷺ به. والإسناد الأول مرسل، والثاني منقطع بين ابن زيد، وأبي ذر قال الذهبي في «العلو» (ص٩١). هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف، فقد سمي الذهبي ابن زيد هنا عبد الرحمن ابن زيد وهو الصواب

لان عبد الرحمن بن زيد هو المشهور في التفسير والله أعلم. وقال ابن كثير في «النهاية» (١/ ١١): أول الحديث مرسل، وعن أبي ذر منقطع، ورواه ابن أبي شيبة في «العرش» (٥٨) من طريق أحمد بن علي الأسدي، عن المختار بن غسان العبدي، عن إسماعيل بن سلم، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر به، وإسناده ضعيف ففيه أحمد بن علي الأسدي. قال محقق كتاب« العرش »: لم أجد من ترجمة. اهـ.

والمختار بن غسان العبدي مجهول، وترجمته في «التهذيب» وإسماعيل بن سلم قال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٩) لم أعرفه، وغالب الظن أنه إسماعيل بن مسلم فقد ذكروه في شيوخ المختار بن عبيد، وهو المكي البصري، وهو ضعيف.

ورواه البيهقي في«الأسماء والصفات» (٨٦٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٥٩) وابن حبان كما في«الإحسان» (٣٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦ـ١٦٨) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال: حدثني أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر به، وفي الإسناد إبراهيم بن هشام، وهو متروك.

ورواه البيهقي في «السنن» (٩/ ٤) مختصراً بدون الشاهد، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦١) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٨)، وابن عدي في «الكامل» ٧٠/ ٢٤٤) مختصراً، وأبو الشيخ في« العظمة» (٢٠٦) من طريق يحيى بن سعيد السعدي، حدثنا ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر به، ويحيى بن سعيد السعدي، قال فيه العقيلي لا يتابع على حديثه، وليس بمشهور بالنقل، وقال ابن حبان: شيخ يروي عن ابن جريج، المقلوبات والملزقات، لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي بعد أن ذكر طرفا من الحديث: وهذا حديث منكر من هذا الطريق، عن ابن جريج، عن عطاء عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر، وهذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني، والقاسم بن محمد، عن أبي ذر، والثالث حديث ابن جريج، وهذا أنكر الروايات، ويحيى بن سعيد هذا يعرف بهذا الحديث ورواه ابن مردويه كما عند ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٦٨)، وفي «البداية والنهاية» (١/ ١١) قال ابن مردويه: أخبرنا سليمان ابن أحمد، أخبرنا عبد الله بن وهيب المفرد، أخبرنا محمد بن السري العسقلاني، أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي، عن القاسم بن محمد الثقفي مجهول، ومحمد بن أبي السري العسقلاني ضعيف، وهو محمد بن المتوكل ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٥٢) من طريق إسماعيل بن عياش، عن أشعث بن عبد الله =

وعن ابن مسعود، قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء. والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم[1]. أخرجه ابن مهدي، عن حماد بن

= التميمي، عن عبد العزيز بن عمر، أو عمران ـ الشك من ابن العياش ـ أن أبا ذر قد كره، وهذا إسناد ضعيف واهٍ.
فيه أشعث بن عبد الله التميمي، لم يذكر بجرح ولا تعديل، فهو في عداد المجهولين.
انظر: «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٧٤)، وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز صدوق يخطئ، وإن كان عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز فهو متروك، وإسماعيل بن عياش في روايته عن غير الشاميين فيها ضعف، وشيخه هنا تميمي، ورواه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص٧٤) عن ابن مسعود نحوه موقوفًا، وفي إسناده الحكم بن ظهير وهو متروك.

(١) إسناده حسن: رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٠٥، ١٠٦) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ح٨١) وفي «الرد على المريسي» (٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٧٩)، والبيهقي «في الأسماء والصفات» (٨٥١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩) والذهبي في «العلو» (ص٣٩)، الطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢٨ رقم ٨٩٨٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود به، وإسناده حسن.
ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص٣٧٦-٣٧٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٠٣٠) من طريق روح بن عبادة، وهاشم بن القاسم كلاهما، عن المسعودي، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود به، مثل حديث حماد، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٦٥) من طريق يزيد بن هارون، عن المسعودي عن أبي وائل وزر، عن ابن مسعود به، وذكر أبي وائل عن ابن مسعود بسبب اختلاط المسعودي، وخاصة أن يزيد روي عن المسعودي بعد اختلاطه.
ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٢) من طريق أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن مهدي، عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به.
وأحمد بن عبد الجبار ضعيف، فالغلط منه، أو من المسعودي لاختلاطه.
ورواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٥٩) من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود به، والحسن بن أبي جعفر ضعيف.
ورواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١٨) من طريق حفص بن سليمان البزار، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود به، وحفص بن سليمان متروك.
وأصح الطرق طريق عاصم، عن زر، عن ابن مسعود وإسناده حسن.

سلمة،عن عاصم، عن زر، عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله ﷺ «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر. بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»[1] . أخرجه أبو داود وغيره.

---

(١) ضعيف: وفي المتن نكارة. رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٢)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١/ ٢٠٦, ٢٠٧)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٢) «والرد على المريسي» (رقم ١١٣)، وابن أبي عاصم (٥٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٠٢٩٠١).

وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٤٠٢، ٢٠٥، ٥٦٨)، والآجري في «الشريعة» (٦٦٣)، واللالكائي (٧/ ١٤٠)، وعثمان بن أبي شيبة في«العرش» (١٠٢٩)، والبزار في«مسنده» (١٣٠٩، ١٣١٠)، وابن الجوزي في«العلل المتناهية» (٦)، وابن منده في «التوحيد» (٢١، ٤٦) وابو نعيم في «أخبار اصبهان» (٢١٢) والجوزقاني في «الصحاح والمشاهير» (٧٢) من طرق عن سماك عن ابن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب به، وعند بعضهم بعدم ذكر الأحنف، وعند بعضهم رواه عن الأحنف مرسلاً وعند بعضهم رواه موقوفًا والحديث ضعيف، لا يصح لتفرد سماك به، ولجهالة عبد الله بن عميرة، وقال البخاري لا يعلم له سماعًا من الأحنف «التاريخ» (٥/ ١٥٩)، ولنكارة المتن لأن فيه تشبيه صور الملائكة حملة العرش بصورة الوعل، وروي نحوه من حديث الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده منقطع وفيه المتن نكارة.

رواه الترمذي (٣٢٩٨) وأحمد (٢/ ٢٧٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٨) ، وابن الجوزي في«العلل» (١/ ١٢)، وابن أبي عاصم، والبزار كما في «تفسير ابن كثير» أول سورة الحديد (٤/ ٢٦٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٠١) والجوزقاني في «الأباطيل» (٢٦٥) من طرق عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة به، وقال الترمذي: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

ويروي عن أيوب ويونس بن عبيد، وعلي بن زيد، قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة . اهـ. وقال ابن الجوزي هذا حديث لا يصح عن ﷺ والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

=

ش: قوله: «ولمسلم عن ابن عمر». الحديث. كذا في رواية مسلم. وقال الحميدي: وهي أتم، وهي عند مسلم من حديث سالم، عن أبيه.

وأخرجه البخاري، من حديث عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماء بيمينه**» وأخرجه مسلم، من حديث عبيد الله بن مقسم.

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها، تدل علىٰ عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته. وقد تعرف سبحانه وتعالىٰ إلىٰ عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته.

وكلها تعرف وتدل علىٰ كماله وأنه هو المعبود وحده، لا شريك له في ربوبيته وإليهته. وتدل علىٰ إثبات الصفات علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل. وهذا هو الذي دل عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفىٰ آثارهم علىٰ الإسلام والإيمان.

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة، من تعظيم النبي ﷺ ربه بذكر صفات كماله علىٰ ما يليق بعظمته وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل علىٰ عظمته.

وتأمل ما فيها من إثبات علو الله علىٰ عرشه، ولم يقل النبي ﷺ في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، أو أنها تدل علىٰ تشبيه صفات الله بصفات خلقه. فلو كان هذا حقًا بلغه أمينه أمته؛ فإن الله أكمل له الدين وأتم به النعمة، فبلغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه، وعلىٰ أصحابه ومن تبعهم إلىٰ يوم الدين.

وتلقىٰ الصحابة رضي الله عنهم عنْ نبيهم ﷺ ما وصف به ربه، من صفات كماله ونعوت جلاله. فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

= وقال الجوزقاني: هذا حديث باطل، وله علة تخفي علي من لم يتبحر، ثم ذكر الانقطاع بين الحسن وأبي هريرة، وقال الذهبي في «العلو» (ص٦٠) الحسن مدلس، والمتن منكر. ورواه ابن جرير (٣٣٥٩٣)، وقال حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة فذكره مرسلاً، قال الحافظ ابن كثير: ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم.

وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم، والأئمة من المحدثين والفقهاء: كلهم وصفوا الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ. ولم يجحدوا شيئًا من الصفات، ولا قال أحد منهم: إن ظاهرها غير مراد، ولا إنه يلزم من إثباتها التشبيه. بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، وصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة، الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص، أو ظاهر: أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات، مستو على عرشه، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣-٤].

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣] فذكر التوحيدين في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿ تنزيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝٤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٤-٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝٥٨ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨-٥٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٤-٥].

وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فذكر عموم علمه، وعموم قدرته، وعموم إحاطته وعموم رؤيته.

وقوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]. انتهى كلامه رحمه الله.

قلت: وقد ذكر الأئمة - رحمهم الله تعالىٰ - فيما صنفوه في الرد علىٰ نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم - أقوال الصحابة والتابعين:

فمن ذلك: ما رواه الحافظ الذهبي في «كتاب العلو»، وغيره - بالأسانيد الصحيحة - عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، أنها قالت في قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ قالت: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. رواه ابن المنذر، واللالكائي، وغيرهما بأسانيد صحاح[1].

---

(١) ضعيف: رواه اللالكائي (٦٦٣) والصابوني في «عقيدة السلف» (ص ١٧٧ - ١٧٩) من طريق أبي كنانة محمد بن أشرس الأنصاري قال ثنا أبو المغيرة الحنفي عن قرة بن خالد عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة =

قال: وثبت عن سفيان بن عيينة، أنه قال: لما سئل ربيعة بن أبي عبدالرحمن: كيف الاستواء؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق(١).

وقال ابن وهب: كنا عند مالك، فدخل رجل، فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك، وأخذته الرحضاء، وقال: الرحمن على العرش استوى، كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟ وكيف عنه مرفوع. وأنت صاحب بدعة، أخرجوه. رواه البيهقي بإسناد صحيح، عن ابن وهب.

ورواه عن يحيى بن يحيى أيضًا، ولفظه، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة(٢).

قال الذهبي: فانظر إليهم، كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية.

قال البخاري في «صحيحه»: قال مجاهد ﴿اسْتَوَىٰ﴾ علا على العرش(٣).

= فذكرته. وفي الإسناد أبو كنانة. قال الذهبي متهم في الحديث كما في «الميزان» (٣/ ٤٨٥) وأبو المغيرة الحنفي وهو عمير بن عبد المجيد وفيه ضعف ووقع عند اللالكائي أبو عميروعزاه إلى الذهبي في «العلو» (٦٥) وابن قدامة في إثبات صفة العلو رقم (٨٢) الحاشدي في «تحقيق الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٦).
ولذا قال الحافظ الذهبي في «العلو» ص٦٥ هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي. ومالك الإمام. وأبو جعفر الترمذي فأما أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه. ومقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك في «الاستواء» وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه..

(١) إسناده صحيح: رواه اللالكائي (٦٦٥) والذهبي في «العلو» ص٩٨ وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩٠) كما عزاه إليه الحاشدي في «تحقيق الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٦) من طريق يحيى بن آدم عن ابن عيينة به. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٤٠) وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة - فذكره - وله طريق آخر عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٨) وإسناده ضعيف.

(٢) إسناده صحيح: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧) والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤) واللالكائي (٦٦٤) والصابوني في «اعتقاد السلف» ص (١٨٠ - ١٨١) وأبو نعيم (٦/ ٣٢٥ - ٣٢٦) من طريق يحيى بن يحيى وجعفر ابن ميمون وجعفر بن عبد الله - متفرقين - عن مالك به. وفي رواية الدارمي من طريق جعفر بن عبد الله عن رجل عن مالك. ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٦) من طريق ابن وهب.

(٣) رواه البخاري معلقًا (١٣/ ٤٠٣) وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٥) ووصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه.

وقال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين، يقول ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ أي: ارتفع[١].

وقال محمد بن جرير الطبري، في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ أي علا وارتفع[٢].

وشواهده في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك: قوله عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا[٣]

وروىٰ الدارمي، والحاكم، والبيهقي بأصح إسناد، إلىٰ علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت ابن المبارك يقول: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته، علىٰ العرش استوىٰ، بائن من خلقه. لا نقول كما قالت الجهمية[٤].

---

(١) رواه اللالكائي (٦٦٢) من طريق إسحاق أخبرنا بشر بن عمر فذكره.

(٢) انظر الطبري (٨/ ٣٩١) دار الكتب العلمية سورة طه آية (٤-٥).

(٣) انظر الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٩٠٠-٩٠١)، ضمن قصته مع زوجته وأمته - وقال رويناها من وجوه صحاح فتعقبه الذهبي في «العلو» ص١٠٦ بقوله: روي من وجوه مرسلة ثم ذكره وكما عزاه شعيب والتركي في «تحقيق الطحاوية» (١/ ٣٦٨).
ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨-١٢٢) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٨) من طريق عبد العزيز ابن أخي الماجشون بلغنا أنه كانت لعبد الله بن رواحة جارية فذكره. ورواه ابن عساكر (٢٨/ ١١٣) من طريق أسامة بن زيد الليثي عن نافع فذكره عن ابن رواحة.
وأسامة الليثي صدوق يهم. ونافع لم يدرك ابن رواحة فالإسناد منقطع وعزاه الذهبي في السير (١/ ٢٣٨) إليه من طريق أسامة به.
ورواه ابن عساكر (٢٨/ ١١٤) من طريق يزيد بن الادعن ابن رواحة به ويزيد من الخامسة فالإسناد مرسل إلا أنه لم يكن معضلا ورواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٧) كما عزاه الدوسي في «النهج السديد» ح(٦١٥) من طريق قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب. وقدامة في «الجرح والتعديل» (٧/ ١٢٧) لابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً وروايته عن ابن رواحة منقطعة أو معضلة.

(٤) إسناده صحيح: رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٠٢) من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك به. وذكره البخاري في خلق أفعال العباد.

قال الدارمي: حدثنا حسن بن الصباح البزار، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك: قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة، على العرش بائنٌ من خلقه[١].

وقد تقدم قول الأوزاعي: كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله تعالى ذِكرُه فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة[٢].

وقال أبو عمر الطَّلَمنكي في كتاب «الأصول»: أجمع المسلمون من أهل السنة، على أن الله استوى على عرشه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة، على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة، لا على المجاز. ثم ساق بسنده، عن مالك، قوله: الله في السماء، وعلمه في كل مكان.

ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة، أن معنى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء. وهذا لفظه في كتابه[٣].

وهذا كثير في كلام الصحابة، والتابعين والأئمة: أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وعلى لسان رسوله على الحقيقة، على ما يليق بجلال الله وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين. ولم يمثلوا ولم يكيفوا، على ما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش: هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات. فقتله خالد بن عبدالله القسري، وقصته مشهورة[٤].

---

(١) إسناده حسن: رواه الدارمي في «الرد علي الجهمية» رقم (٦٧) حدثنا الحسن بن الصباح به.

(٢) إسناده لين: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٥) من طريق محمد بن كثير المصيصي قال سمعت الأوزاعي فذكره ومحمد بن كثير صدوق كثير الغلط.

(٣) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص١٤٢)« والعلو» للذهبي(ص٢٦٤) و «الفتاوى» (٥/ ١٨٩)

(٤) قصة قتل خالد بن عبد الله القسري للجعد مشهورة ولكن أسانيدها فيها ضعف.

وأخذ عنه هذه المقالة: الجهم بن صفوان، إمام الجهمية. فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين. فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر، مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدىٰ.

فقال الأوزاعي، إمام أهل الشام علىٰ رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده، إلىٰ أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري ـ ببغداد ـ حدثنا إبراهيم بن الهيثم، حدثنا محمد بن كثير المصيصي، سمعت الأوزاعي يقول: كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته[1].

أخرجه البيهقي في «الصفات»، ورواته أئمة ثقات.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ: لله أسماء وصفات، لا يسع أحدًا ردها. ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل. ونثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه؛ كما نفىٰ عن نفسه، فقال: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورىٰ: ١١] انتهىٰ من «فتح الباري»[2].

= رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٣) وفي التاريخ الكبير (١/ ٦٤) والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٥ـ ٢٠٦) والأسماء والصفات (٥٦٣) والخطيب (١٢/ ٤٢٥) والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣، ٣٨٨) وفي الرد علىٰ المريسي (١٥٦) من طريق القاسم بن محمد عن عبد الرحمن بن محمد عن أبيه عن جده وذكر قصة الجعدتين درهم.

والقاسم بن محمد هو ابن أبي سفيان العمري. متهم بالكذب. وهناك خلاف هل هو القاسم بن محمد العمري أو المعمري انظر التنكيل للمعلمي (١/ ٦٦) وتحقيق الحاشدي للبيهقي. ومحمد بن حبيب مجهول، وعبد الرحمن بن محمد قال فيه الحافظ بقبول أي إذا توبع إلا فلين وثم طرق أخر من طريق عيسىٰ بن أبي عمران عن أيوب بن سويد عن السري بن يحيىٰ فذكر القصة.

وأيوب بن سويد ضعيف وعيسىٰ بن أبي عمران متكلم فيه انظر «الجرح والتعديل» (٦/ ٢٨٤)

(١) إسناده لين: وسبق قريبًا في نفس الباب.

(٢) نقله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٧) وعزاه إلىٰ ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي.

قوله: «**وعن العباس بن عبد المطلب**»، ساقه المصنف مختصراً، والذي في «سنن أبي داود»: عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء، في عصابة فيهم رسول الله ﷺ. فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب، قال: «**والمزن**». قالوا: والمزن، قال: «**والعنان**» قالوا: والعنان - قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً - قال: «**هل تدرون ما بُعدُ ما بين السماء والأرض؟**» قالوا لا ندري، قال: «**إن بعد ما بينهما إما واحدة، أو اثنتان، أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك**» حتىٰ عدد سبع سماوات. «**ثم فوق السابعة بحر، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء. ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء. ثم على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلاه، كما بين سماء إلى سماء. ثم الله تبارك وتعالى، فوق ذلك**»(١). وأخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب، وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن.

ورویٰ الترمذي نحوه، من حديث أبي هريرة، وفيه «**بُعدُ ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام**» ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام، هو علىٰ سير القافلة مثلاً، ونيف وسبعون سنة علىٰ سير البريد. لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد. وروىٰ شريك بعض هذا الحديث، عن سماك فوقفه، هذا آخر كلامه.

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه، كما تقدم من الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

وهذا الحديث له شواهد في «الصحيحين» وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعفه؛ لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها، وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله: يدل علىٰ عظمة الله وكماله، وعظيم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسوله ﷺ.

---

(١) ضعيف: وسبق قريباً في هذا الباب من حديث العباس بن عبد المطلب. انظر الروايات الآتية في تخريج الحديث هناك.

وعلىٰ كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له، دون كل ما سواه.

وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلىٰ الله علىٰ سيدالمرسلين وإمام المتقين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. تم كتاب «فتح المجيد» بعون الملك الحميد.

* * *

فهرست الموضوعات

مطابع دار الصحيفة
القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٢٩٩٩٥٧٤٣/ ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣ فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤